مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري

(ت ٧٤٩ هـ)

السفر الرابع

ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب

تحقيق

د. حمزة أحمد عباس

٩٥٣،٠٧٤
ف ض م س
ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد يحيى، ٧٠٠-٧٤٩هـ
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: السفر الرابع «ممالك اليمن والغرب الإسلامي والقبائل العرب»/ لشهاب الدين حمد بن يحيى بن فضل الله العمري؛ تحقيق حمزة أحمد عباس.- ط ١.- أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٢.
٤٣٠ ص.
ببليوجرافية: ص ٣٩١-٤١٦.
١- اليمن -تاريخ- العصر الإسلامي.
٢- الأندلس -تاريخ.
٣- الجغرافيا التاريخية.
٤- القبائل العربية.
أ- حمزة أحمد عباس، محقق.
ب- العنوان.

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380- هاتف: 6215300
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

تم تحقيق هذا الكتاب بتكليف من المجمع الثقافي

إصدارات المجمع الثقافي

مســـــالـك الأبصـــــار

في ممــالك الأمـــــصــــار

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ خاتمِ الأنبياءِ والمرسلين، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين، ومَنْ تَبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد :

فهذا هو السفرُ الرابعُ من "**مسالك الأبصار في ممالكِ الأمصارِ**" لشهابِ الدينِ أحمدَ بنِ يَحيى بنِ فضلِ الله العُمَريِّ الدمشقيِّ المُتوفى بها سنةَ ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م، وفيه من البابِ السابعِ إلى البابِ الخامسَ عشرَ، وقد اختصَّ به صاحبُه ممالكَ الإسلامِ في اليمنِ، والغربِ الإسلاميِّ في امتدادِه الإفريقيِّ (شمال ووسط إفريقية)، والأوروبيِّ (الأندلسي)، إضافةً إلى بابٍ خاصٍّ عقدَه في ذكرِ العربِ الموجودين في زمانِه "لمناسبةٍ بينه وبينَ الأبوابِ السابقة، إذ مساكنُ العُربانِ مُتخللَةٌ لأكثرِ الممالكِ (المذكورة)، أو مجاورةٌ لها"[(١)] على حدِّ تعبيرِه.

وقد بدأ العُمَريُّ كتابَه هذا في سنةِ ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م، واستمرَّ به حتى سنةِ وفاتِه، ومات ولم يكمله، واعتمدَ في تصنيفِه على طائفةٍ من المصادرِ الخطيةِ والشفهيةِ تبدو أهميتُها في الجانبِ الأولِ في الاحتفاظِ بنصوصٍ باتتْ مفقودةً في وقتِنا الحاضرِ كتلك النصوصِ التي نقلها من كتابِ "المُغرب في حلى المَغربِ" لابن سعيدٍ المغربي[(٢)] (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وفي الجانبِ الثاني في التوفرِ على معلوماتٍ وأخبارٍ تتعلقُ بالممالكِ – موضوع الكتابِ – نقلها عن رجالٍ زاروا تلك الممالكَ، أو أقاموا فيها، أو خدَموا لدى سلاطينِها.

---

(١) انظر ما يلي، ص٢٣٩ .

(٢) المراد هنا القسم الخاص بإفريقية والمغرب من الكتاب المذكور، ويتالف من ثلاثة أسفار، وهو مفقود، وقد استخدمه العمري بصورة واسعة.

أما حضورُه الشخصيُّ في سياقِ الكتابِ فيبدو محدوداً لا يتعدى مواضعَ معدودةً، قَيَّد فيها ما شاهدَه أو لمسَه بنفسِه في مصرَ،(١) والشام،(٢) والحجازِ(٣) مما يتصلُ بموضوعِ الكتابِ، إضافةً إلى بعضِ المداخلاتِ والتعليقاتِ التي عبرَ عنها بقولِه: " قلتُ "، ولعلَّ العُمَريَّ قد وجدَ في مصدريْه السالفيْن (الخطيِّ والشفهيِّ) ما يحققُ الغرضَ الذي من أجلِه شرعَ في تأليفِ موسوعتِه وهو معرفةُ ممالكِ الأرضِ، وأحوالِ كلِّ مملكةٍ في عصرِه، ومن بينِها ممالكُ الإسلامِ في هذا الكتاب، خاصةً وأنَّ الأدوارَ الرفيعةَ التي شغلَها في سلطنةِ الناصرِ محمدِ بنِ قَلاوونَ (ت٧٤١هـ/ ١٣٤١م) ومن بينها رئاسةُ ديوانِ الإنشاءِ، والدواداريةُ (ومنها قراءةُ البريدِ على السلطانِ) قد أتاحتْ له تكوينَ صورةٍ وافيةٍ عن العالمِ الخارجيِّ، كما هيأتْ له الاتصالَ بمصادرَ وقنواتٍ إخباريةٍ متعددةٍ ومُتنوعة.

****

ولقد سبق لكتابِنا هذا أن ظهرَ في أجزاء مُتفرقةٍ، وفي أزمانٍ متباعدةٍ، وعلى أيدي ناشرينَ مختلفين:

* فقد نشرَ أيمن فؤاد سيد البابَ السابعَ الخاصَّ بمملكةِ اليمنِ عن دارِ الاعتصامِ في القاهرة سنةَ ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

وأعاد نشرَه مع البابِ السادسِ (مملكة مصرَ والشامِ والحجازِ) عن المعهدِ الفرنسيِّ للآثارِ الشرقيةِ في القاهرة سنة ١٩٨٥م.

* ونشرَ مصطفى أبو ضيف أحمد الأبوابَ من (٨-١٤) الخاصةَ بممالكِ المسلمينَ في

---

(١) ص٣٨، ٤٢، ٥١، ١١٦، ١١٨- ١١٩، ١٥٤ .

(٢) ص١٥٤.

(٣) ص٤٥ .

إفريقيةَ سنةِ ١٩٨٨م.

* ونشـرَ حـسن حـسني عـبـد الوهاب منه وصفَ المغـربِ والأنـدلسِ في تونس سنةَ ١٣٤١هـ.

* ونشرت الألمانيةُ دوروتيا كرافولسكي (D. Krawulsky) البابَ الخامسَ عشرَ الخاصَّ بالقبائلِ العربيةِ عن المركزِ الإسلاميِّ للبحوثِ في بيروتَ سنةَ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

وها نحنُ نقومُ بلمِّ شتاتِ هذه الأجزاءِ، وضمِّ عناصرِها بعضِها إلى بعضٍ في خطوةٍ تعيدُ لهذه الموسوعةِ وحدتَها التي أرادَها لها المؤلفُ، دونَ أن يعني ذلك الانتقاصَ من جهودِ مَن سبقونا في مصافحةِ الكتابِ، والتعرفِ عليه، وكما يقولُ سعيدُ بنُ المسيِّبِ فيما نُقلَ عنه:

"إنه ليسَ من شريفٍ ولا عالمٍ ذي فضلٍ، يَعني من غيرِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ إلا وفيه عيبٌ، ولكن من الناسِ مَن لا ينبغي أن تُذكرَ عيوبُه، فمَن كانَ فضلُه أكثرَ من نقصِه، وُهِبَ نقصُه لفَضلِه".

منهج التحقيق

١- وصف النسخ المعتمدة

اعتمدتُ في تحقيقِ هذا الكتابِ على مصورةِ الأستاذِ العلامةِ الدكتورِ فؤاد سزكين عن تتمةِ الجزءِ الثاني وتمامِ الجزءِ الثالثِ لنسخةِ مكتبةِ أحمدَ الثالث (Top Kapi Saray) رقم: ٢٧٩٧ [١]، وهي نسخةٌ كُتبت في الأصلِ برسمِ خزانةِ السلطانِ المملوكيِّ الملكِ المؤيَّدِ شيخ ابن عبدِ الله المحمودي (ت٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، وأوقفَها صاحبُها المؤيَّد على طلبةِ العلمِ بجامعه (المؤيدي) في القاهرة.

يقعُ القسمُ الأولُ (التتمة) في (١٠٩) صفحات، من الصفحةِ (٤٦٢-٥٧٠)، ويغطي الأبوابَ (٧-١٤).

أما القسمُ الثاني (الجزءُ الثالثُ) فيقعُ في (٧٥) صفحةً بما فيها العنوانُ من الصفحةِ (١-٧٥)، وهو خاصٌّ بالبابِ الخامسَ عشرَ فقط.

وبالرغمِ من أنَّ القسمين ينتميانِ إلى " نسخةٍ "، أو " سلسلةٍ " واحدةٍ إلا أنَّه لا يوجدُ ما يدعو إلى الاعتقادِ بنسبتِهما إلى ناسخٍ واحدٍ (قارن بالنموذجات المصورة) وإن كانا يشتركان في صفةٍ واحدةٍ تكادُ تكونُ ملازمةً لكلٍّ منهما، وهي كثرةُ التصحيفاتِ والتحريفاتِ والأخطاءِ الواردةِ فيهما، وبصورةٍ تضيقُ عن الحصرِ والاستيعاب.

أما الرسمُ الذي اتبعَ في كتابةِ هذه النسخةِ فيصعبُ حصرُه تحتَ قاعدةٍ ثابتةٍ حتى داخل الصفحةِ الواحدةِ، وخاصةً فيما يتعلقُ بكتابةِ الهمزِ، والألفِ المتوسطةِ في الأسماء، وألفِ ابن، فقد تظهرُ في مواطنَ، وتختفي في مواطن أخرى، وقد يتصلُ العددُ بالمعدودِ في

(١) صدرت هذه المصورة عن منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بألمانيا سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الأعداد من (٣٠٠–٩٠٠) وقد يُفصَلُ ما بينهما .

أما في مجالِ التنقيطِ، فقد توضعُ نقطتان تحتَ الكلماتِ المنتهيةِ بألفٍ مقصورة، في حين تتركُ الياءُ في الكلماتِ المنتهيةِ بياء بغيرِ إعجامٍ، وبالعكس.

وفيما يخصُّ الشكلَ، فإن النسخةَ بقسميها تبدو شبهَ مشكولةٍ، وإن كان القسمُ الثاني (البابُ الخامسَ عشرَ) يتميزُ بجديةٍ أكثرَ في هذا المجال .

* * *

كما اعتمدتُ في تحقيقِ البابِ الخامسَ عشرَ – إلى جانبِ نسختِنا السالفةِ – على مطبوعةِ كرافولسكي لهذا الباب، واعتبرتُها نسخةً ثانيةً، ورمزتُ لها على مدارِ التحقيقِ بالحرفِ (ك).

وقد أمكنَ لي عن طريقِ هذه المطبوعةِ ضبطُ بعضِ الكلماتِ أو العباراتِ غيرِ الواضحةِ أو الساقطةِ في نسختِنا، خاصة وأن كرافولسكي حشدَت في تحقيقِها إلى جانبِ نسختِنا نسختيْن أُخريَيْن هما: نسخةُ آيا صوفيا، رقم: ٣٤١٧، ونسخةُ بودليانا (أكسفورد)، رقم: ٢٨٨، فضلاً عما تميزت به كرافولسكي من معرفةٍ واسعةٍ بالتاريخِ والتراثِ الإسلاميين، الأمرُ الذي أتاحَ لها تقديمَ قراءةٍ راقيةٍ للنص، وأتاح لنا في الوقتِ نفسِه الانتفاعَ بهذه القراءة.

* * *

واعتمدت أيضاً على " صبح الأعشى في صناعةِ الإنشا " للقلقشنديّ (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، واعتبرتُه نسخةً ثالثةً، إذ لا يخفى حجمُ النصوصِ التي استمدَّها القلقشنديُّ حَرفياً من " المسالك "، وأودعَها في " صُبحِه "، غيرَ أنَّ العودَ إلى " الصبح " لم يكنْ كلُّه أحمدَ، فقد أدى التباينُ في رسومِ بعضِ الأسماءِ (أسماءِ الأشخاصِ، والقبائلِ، والأمكنةِ،

والحيوانِ، والنباتِ) ما بينَ نسختِنا من " المسالك " ونسخةِ القلقشنديّ إلى ضياعِ الصورةِ الحقيقيةِ لهذه الأسماءِ، وزادَ الأمرُ تعقيداً أنَّ النسخةَ التي استخدمَها الناشرون من دارِ الكتبِ المصريةِ في معارضةِ " الصبح "، قد خالفتْ في العديدِ من المواضعِ النسختيْن السالفتيْن معاً، بحيث يمكن القولُ: إنَّ فائدتَنا من " الصبح " في المواطنِ التي تُطلَبُ فيها الفائدةُ، ويصبحُ الظفرُ بها ضرورةً ملحةً كانت معدومةً، أو شبهَ معدومة.

ولقد كانَ يمكنُ لـ" قلائد الجُمانِ في التعريفِ بقبائلِ عربِ الزمان "، و" نهاية الأربِ في معرفةِ أنسابِ العرب" أن يَسُدَّا جانباً من الثُّلمةِ ما بينَنا وبينَ " الصبح " في موضوعِ القبائلِ لولا أنَّ يدَ التحريفِ قد طالتْهما أيضاً حتى إنك لتجدُ أحياناً للاسم الواحدِ في المصادرِ الثلاثة عِدةَ رسومٍ وصورٍ مختلفةٍ، وكلُّها لمؤلفٍ واحدٍ ! [1].

(١) وهذا ما يستوجب التحقيق العلمي لهذه المصادر لما تتمتع به من مرجعية عالية في مجال الدراسات التاريخية.

٢- خطة العمل

ما من شك، فإنَّ نشرَ المادةِ التاريخيةِ بالصورةِ التي وصلت فيها إلينا بدعوى الحفاظِ على الأصلِ أو النصِّ، لن يعدوَ أن يكونَ سوى إضافةِ مُصَورةٍ جديدةٍ إلى مُصَوراتها المحفوظةِ في المكتباتِ مهما بولغَ في ترتيبها، وتزيينها، وحُسنِ إخراجها، ناهيك عما لهذه الخطوةِ من مخاطرَ ؛كأن ننسب إلى المؤلفِ ما هوَ في الحقيقةِ من أخطاءِ الناسخ، أو تأخذنا مكانةُ المؤلفِ فننسب للناسخِ ما هو في الحقيقةِ من أغلاطه، علماً أن صحةَ النصِّ وسلامتَه لا تتأتيان إلا باستنقاذه من كلِّ ما علقَ به من أخطاء، وهو ما عملتُ جاهداً على تحقيقه في هذا الكتاب، يحدوني إلى ذلك أملُ الوصولِ إلى ما كان ينوي المؤلفُ فعلاً أن يقولَه – خطأ كان أم صواباً – وأحسبني – ولا أزكي نفسي – قد قطعتُ شوطاً ملحوظاً في هذا المضمارِ على صعيدي الشكلِ والمضمون :

فعلى الصعيد الأول[١] :

١- احتفظتُ بالترقيمِ الأصليِّ لصفحاتِ المخطوطِ، وذلك بتخصيصِ قوسين داخلَ السياقِ لهذا الغرض.

٢- كتبتُ النصَّ وفقَ الرسمِ الكتابيِّ الحديثِ والمتداول، متداركاً بذلك ما قد سلفَ من الرسوم، وهو ما تطلَّبَ مني تحقيقَ الهَمْزِ، وإثباتَ الألفِ المتوسطةِ في الأسماء، وحذفَ همزة (ابن) في حالِ وقوعها صفةً مفردةً بين علمين(اسم،كنية،لقب)، وكذلك حذف ألفِ " مائة " والفصلُ بينَها وبينَ العدد.

---

(١) انظر أيضاً ما يلي من الرموز المستعملة في التحقيق.

٣- قمتُ بضبطِ النصِّ بالشكلِ استكمالاً للصورةِ الأولية له، وهي صورةٌ شبهُ مشكولةٍ كما أسلفت.

٤- أصلحتُ المواضعَ التي خرجَ فيها النصُّ عن أحكامِ الإعرابِ،ووضعتها بين حاصرتين، ونبهتُ إليها في الهامش.

٥- صَوبْتُ الأخطاءَ الكتابيةَ التي لا يخفى صوابُها على أحدٍ، والتي لا يمكنُ أن تُقرأ بغيرِ الوجهِ الذي أثبتُّها عليه، ولم أرَ ضرورةً للتنبيهِ إليها، إذ لا فائدة تُرتجى ولا حقيقة تُجتلى من وراء ذلك ،سوى أن تغمر الحواشي وجه النص، خاصةً وأنَّ هذه الأخطاءَ لا تعدو أن تكونَ من جنسِ الأخطاءِ الطباعيةِ في وقتِنا الحاضر.

٦- أصلحتُ الكلماتِ والعباراتِ التي لحقَ بها طمسٌ، أو محوٌ، أو اضطرابٌ، وأما ما استعصى على القراءةِ منها فقد مثلتُ له بنقاط، بحيثُ تدلُّ كلُّ ثلاثِ نقاطٍ على كلمةٍ واحدة.

٧- أضفتُ إلى النصِّ ما احتيجَ إليه من حروفٍ، أو كلماتٍ، أو عناوينَ اقتضاها السياقُ، وميزتُها عن المتنِ بوضعِها بين قوسين مكسورين:< >

وأما على الصعيد الثاني:

١- فقد قمتُ بردِّ ما وقفتُ عليه من النصوصِ المنقولةِ إلى مصادرِها الأصليةِ، ونبهتُ إلى طريقةِ المؤلفِ في استخدامِها.

٢- قمتُ بمناظرةِ الحوادثِ والأخبارِ الواردةِ في النصِّ بما وردَ بشأنِها في المصادرِ التاريخيةِ، وأشرتُ إلى ما بين روايةِ المؤلفِ وبينَ هذه المصادرِ من فروقٍ ،ورجَّحتُ ما رأيتُه منها

صواباً.

٣- أصلحتُ الأخطاءَ الجغرافيةَ والتاريخيةَ الناجمةَ عن السهوِ، أو التي دلت قرينةٌ واضحةٌ من النصِّ نفسِه أو مصدرٍ آخرَ على صوابِها، ووضعتُها بين حاصرتين، ونبهتُ إلى الأصلِ في الهامش.

وأما ما خالطني فيه ترددٌ، أو كانَ له وجهٌ آخرُ يُحملُ عليه فقد أبقيتُه على حالِه منبهاً إليه في الهامش.

٤- خرَّجتُ الآياتِ القرآنيةَ الكريمةَ، والأحاديثَ النبويةَ الشريفةَ، والأشعارَ.

٥- عرَّفتُ أسماءَ الأعلامِ، والشعوبِ والقبائلِ والجماعاتِ، والأمكنةِ (١)، وغيرِها من أسماء الحيوان، والنباتِ، والملابسِ، والنقودِ، والمكاييلِ والموازينِ والمقاييسِ، سواء وردت هذه الأسماء نصاً في السياق أو كانت هي المعنيةَ فيه، أما المواضعُ التي تكفَّلَ النصُّ بتعريفِها فقد اكتفيتُ بالإحالةِ إلى المصادرِ والمراجعِ الخاصَّةِ بها تحاشياً للتكرار.

٦- كما شرحتُ الألفاظَ اللغويةَ والمصطلحاتِ الفنيةَ والحضاريةَ، ووقفتُ بالتعليقِ على كلِّ ما رأيتُه جديراً بالتعليقِ خدمةً للنصِّ، وسعياً وراءَ تأمينِ أكبرِ قَدْرٍ من الاتصالِ بينَه وبينَ القارئ.

هذا، ولن يفوتَني في الختام أن أتوجَّه بالتحيةِ إلى أسرة المجمع الثقافي،القائمين على نشر موسوعة «مسالك الأبصار» باذلين جهداً في سبيل إحياء تراثنا.

كما أحيي الأخ محمد حماد جاسم على ما تحلى به من صبرٍ وحِلمٍ وطولِ أناةٍ في أثناءِ

(١) لا أخفي أن طائفة من هذه الأسماء غير المشاهير ظلت عصية على التعريف، إذ لم أجد لها ذكراً فيما بين يدي من المصادر، وإن وجدَ فهو مُعاد مُكرر لا ينطوي على أيِّ إضافة، وبعضه منقول عن مؤلفنا نفسه.

طباعة الكتابِ، وفي جميع مراحلِ التحقيق.

" ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله "

والله الموفق للصواب، وهو يهدي إلى سبيل الرشاد

د. حمزة أحمد عباس

ثغر الحديدة

٥ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ

٤ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠م

٣- الرموز المستعملة في التحقيق

الأصل : تتمة الجزء الثاني، وتمام الجزء الثالث لنسخة مكتبة أحمد الثالث بإستانبول (Top Kapi Saray)، رقم :٢٧٩٧.

المؤلف : ابن فضل الله العمري.

ك : مطبوعة كرافولسكي للجزء الثالث (الباب الخامس عشر).

( ) : هذان القوسان العاديان لحصر أرقام صفحات المخطوطة.

﴿ ﴾ : هذان القوسان لحصر الآيات القرآنية الكريمة .

" " : هاتان الفاصلتان المزدوجتان لحصر :

- الأحاديث النبوية الشريفة .

- النقول والاقتباسات الحرفية .

- أسماء الكتب .

... : هذه النقاط تستخدم للدلالة على الكلمات غير المقروءة ، أو البياض الواقع في الأصل بحيث تدل كل ثلاث نقاط على كلمة واحدة .

[ ] : هاتان الحاصرتان تستخدمان لحصر .

- ما نُقل من حاشية المخطوط إلى المتن .

- ما زيد على النص من مصادر أخرى .

- ما صوب من أخطاء ، سواء من قبلنا ، أو استناداً إلى مصادر أخرى .

< > : هذان القوسان المكسوران يستخدمان لحصر كل ما احتيج إليه من حروف، أو كلمات، أو عناوين اقتضاها السياق .

٤- المختصرات الخاصة ببعض المؤلفين
أصحاب الكتب المفردة وغيرهم

ابن بطوطة،	يعني:	تحفة النظار في غرائب الأمصار.
ابن حزم	=	جمهرة أنساب العرب.
ابن حوقل	=	صورة الأرض.
ابن خلدون	=	تاريخه: العبر وديوان المبتدأ والخبر ...
ابن خلكان	=	وفيات الأعيان.
ابن عبد ربه	=	العقد الفريد.
ابن العربي	=	كتاب المُغْرِب.
ابن هشام	=	السيرة النبوية.
الإدريسي	=	نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.
الأشرف الرسولي	=	طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب.
الحميري	=	الروض المعطار في خبر الأقطار.
الزركلي	=	الأعلام.
الزهري	=	الجغرافية.
السويدي	=	سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب.
كحالة	=	معجم قبائل العرب.

* * *

وأخذتُ عن " معجم البلدان ،" و " المشترك وضعاً والمفترق صقعاً " لياقوت، ورمزتُ للأولِ منهما فقط بياقوت.

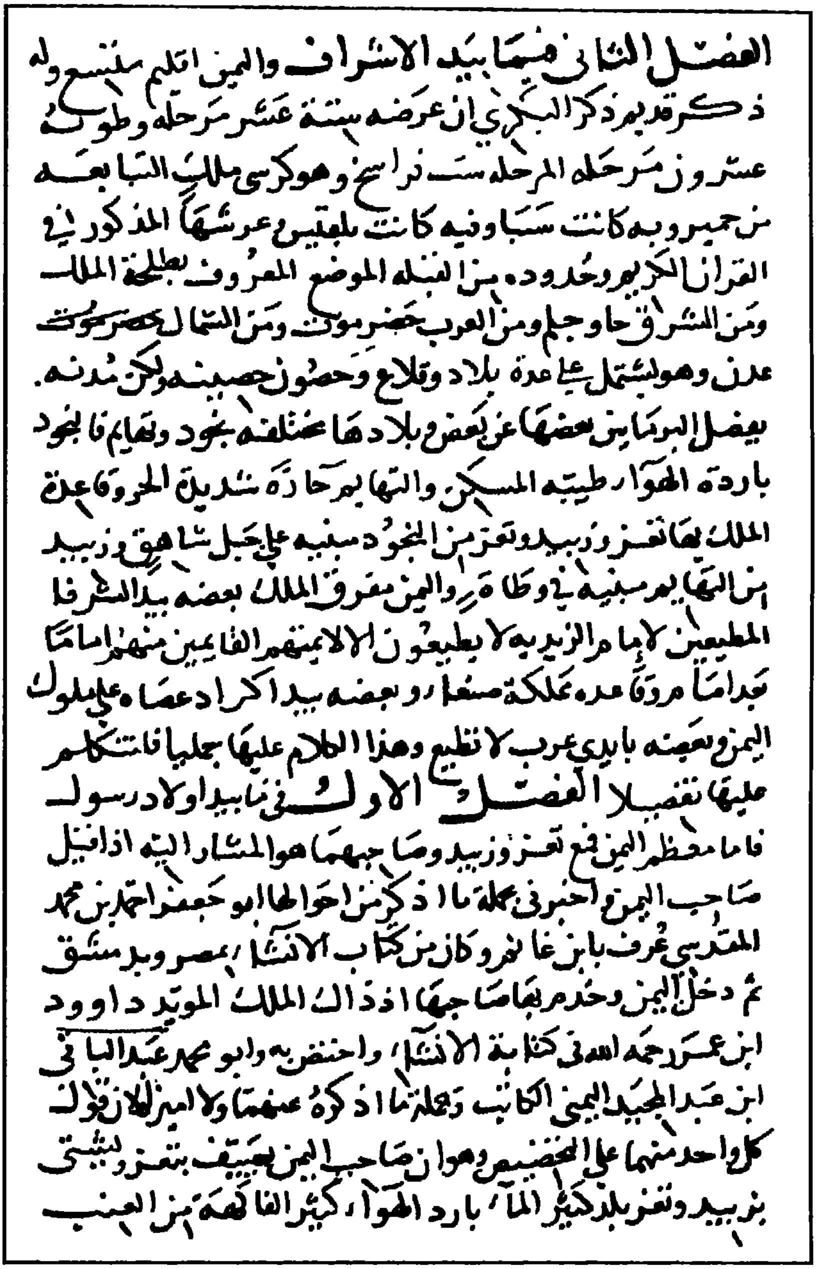
كما أخذتُ عن " الإنباه على قبائل الرواة "، و " الاستيعاب في معرفة الأصحاب " لابنِ عبدِ البَر، ورمزتُ للأولِ منهما فقط بابنِ عبدِ البَر.

٥- نموذجات مصورة عن النسختين المعتمدتين في التحقيق

آ- تتمة الجزء الثاني - أحمد الثالث ٢٧٩٧ / ٢


الباب السابع في مملكة اليمن
وفيه فصلان الفصل الاول فيما بيد اولاد رسول

الورقة (٤٦٢) وتمثل بداية مملكة اليمن



الفصل الثاني فيما بيد الاشراف واليمن اقليم متسع وله
ذكر قديم ذكر البكري ان عرضه ستة عشر مرحله وطوله
عشرون مرحله المرحله ست فراسخ وهو كرسي ملك التبابعه
من حمير وبه كانت سبا وفيه كانت بلقيس وعرشها المذكور في
القران الكريم وحدوده من القبله الموضع المعروف بطلحة الملك
ومن الشرق حا وجلم ومن الغرب حضرموت ومن الشمال حضرموت
عدن وهو يشتمل على عدة بلاد وقلاع وحصون حصينه ولكن مدنه.
ينفصل اليمن بعضها عن بعض وبلادها مختلفه بجود وتهايم فالنجود
بارده الهوا طيبه المسكن والتهايم حاره شديده الحر وقاعدة
الملك بها تعز وزبيد وتعز من النجود مبنيه على جبل شاهق وزبيد
من التهايم مبنيه في وطاه واليمن مفرق الملك بعضه بيد الشرفا
المطيعين لامام الزيديه لا يطيعون الا لايمتهم القايمين منهم اماما
بعد اماما مروقا عده مملكة صنعا وبعضه بيد اكراد عصاه على ملوك
اليمن وبعضه بايدي عرب لا تطيع وهذا الكلام عليها جمليا فانتكلم
عليها تفصيلا الفصل الاول في ما بيد اولاد رسول
فاما معظم اليمن فمع تعز وزبيد وصاحبهما هو المشار اليه اذا قيل
صاحب اليمن واخبرني بجملة ما اذكر من احوالها ابو جعفر احمد بن محمد
المقدسي يعرف بابن غانم وكان من كتاب الانشا بمصر وبدمشق
ثم دخل اليمن وخدم بها صاحبها اذ ذاك الملك المويد داوود
ابن عمر رحمه الله في كتابة الانشا واختص به وابو محمد عبد الباقي
ابن عبد المجيد اليمني الكاتب وجملة ما اذكره عنهما ولا اميز الان قول
كل واحد منهما على التخصيص وهو ان صاحب اليمن يصيف بتعز ويشتي
بزبيد وتعز بلد كثير الما بارد الهوا كثير الفاكهه من العنب

الورقة (٤٦٣) وتمثل مستهل الحديث عن مملكة اليمن



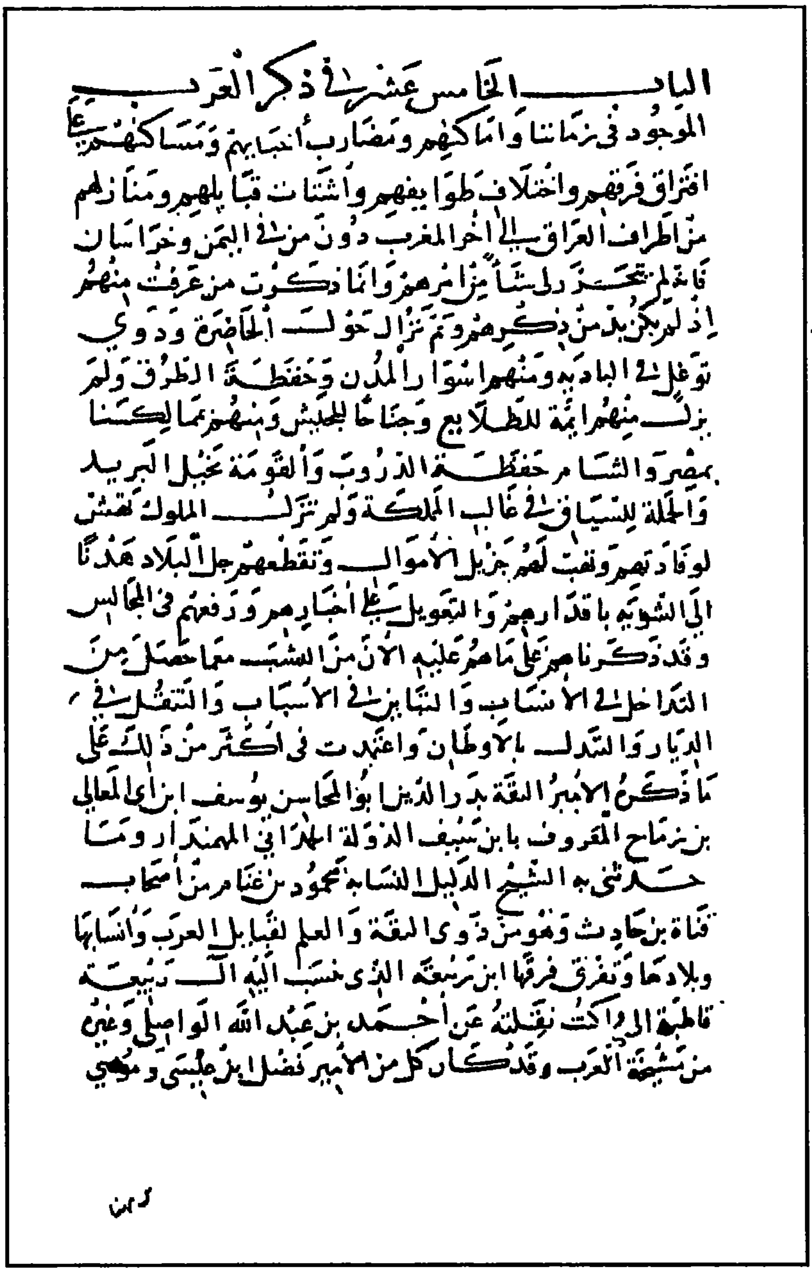
الورقة (٥٧٠) وتمثل نهاية الجزء الثاني

ب- الجزء الثالث - أحمد الثالث ٣/٢٧٩٧

الباب الخامس عشر في ذكر العرب
الموجود في زماننا واماكنهم ومضارب احيائهم ومساكنهم على
افتراق فرقهم واختلاف طوائفهم واشتات قبائلهم ومنازلهم
من اطراف العراق الى اخر المغرب دون من في اليمن وخراسان
فانا لم نتحرر لدينا من امرهم وانما ذكرت من عرفت منهم
اذ لم يكن بد من ذكرهم ولم تزل تحول الحاضرة وذوي
توغل في البادية ومنهم اسوار المدن وحفظة الطرق ولم
يزل منهم ائمة للطلايع وجناحا للجيش ومنهم مماليكنا
بمصر والشام حفظة الدروب والقومة بخيل البريد
والحملة للسيار في غالب المملكة ولم تزل الملوك تعتني
لوفادتهم وتهب لهم جزيل الاموال وتقطعهم جل البلاد هذا
الى التنويه باقدارهم والتعويل في اخبارهم ودفعهم في المجالس
وقد ذكرناهم على ما هم عليه الان من النسب مما حصل من
التداخل في الانساب والتباين في الاسباب والتنقل في
الديار والتبدل بالاوطان واعتمدت في اكثر من ذلك على
ما ذكره الامير الثقة بدر الدين ابو المحاسن يوسف ابن ابي المعالي
بن زماح المعروف بابن سيف الدولة المهمندار وما
حدثني به الشيخ الدليل النسابة محمود بن غنام من اصحاب
قناة بن حارث وهو من ذوي الثقة والعلم بقبائل العرب وانسابها
وبلادها وتفرق فرقها ابن ربيعة الذي ينسب اليه آل ربيعة
قاطبة الى ما كنت نقلته عن احمد بن عبد الله الواصلي وغيره
من مشيخة العرب وقد كان كل من الامير فضل ابن عيسى ومهنا

الورقة (الأولى) وتمثل طرة الجزء الثالث (الباب الخامس عشر)

الخاص بقبائل العرب



الباب الخامس عشر في ذكر العرب
الموجود في زماننا وأماكنهم ومضارب أخبيتهم ومساكنهم مع
افتراق فرقهم واختلاف طوايفهم واشتات قبايلهم ومنازلهم
من أطراف العراق إلى آخر المغرب دون من في اليمن وخراسان
فإنا لم نتحقق ذلك شيا من أمرهم وإنما ذكرت من عرفت منهم
إذ لم يكن بد من ذكرهم ولم تزل تحول الحاضرة وذوي
توغل في البادية ومنهم أسوار المدن وحفظة الطرق ولم
يزل منهم أيمة للطلايع وجناحا للجيش ومنهم ممالك
بمصر والشام حفظة الدروب والقومة بخيل البريد
والحملة للسياق في غالب المملكة ولم تزل الملوك تعش
لوفادتهم وتهب لهم جزيل الأموال وتقطعهم جل البلاد هدنا
إلى الشوية بأقدارهم والتعويل في أخبارهم ورفعهم في المجالس
وقد ذكرناهم على ما هم عليه الآن من النسب مما حصل من
التداخل في الأنساب والتباين في الأسباب والتنقل في
الديار والتبدل بالأوطان واعتمدت في أكثر من ذلك على
ما ذكره الأمير الثقة بدر الدين أبو المحاسن يوسف ابن أبي المعالي
بن زماح المعروف بابن سيف الدولة الهذباني المهمندار وما
حدثني به الشيخ الدليل النساب محمود بن عنام من أصحاب
قناة بن حارث وهو من ذوي الثقة والعلم لقبايل العرب وأنسابها
وبلادها وتفرق فرقها ابن ربيعة الذي نسب إليه آل ربيعة
قالمبة الى واكت نقلته عن أحمد بن عبد الله الواصلي وغير
من مشيخة العرب وقد كان كل من الأمير فضل بن عيسى وموسى

كرمن

الورقة (الثانية) وتمثل جانباً من مقدمة المؤلف للجزء الثالث

يطمع بها طامع ولا طامع وينتهي حدهم الى ما قابلت من ارض سجلماسة
قال هذا الشريف ولاء بني زيدان عدد ومن بني عمه ببني صغير
بن عبد الله قال وهو اكبر شانا منه وحسبا وتليهم عرب تعرف
بالقرابيص يملكون على البحر المحيط وبلادهم حاحا ودكالة وسقساو
ومسوفة هذه اهل لثام وبرقع ازرق لا يزال تمشي الرجال بتلك
البراقع والنسا مكشفات الوجوه وقال وسبب برقعهم اظهار
الحزن بسبب المهدي بن تومرت قال واما الطريق الثانية الشامية
الاخذة من قابس على الساحل فغالب اهلها بربر ومصامدة سكان
مدر واهل زرع وحرث قال وتلي آل حمو الاخذين من قابس
الى اسفاقس فيما هو الى المهدية طايف تعرف بحكيم وشيخهم سحيم
وكان قد دخل الاندلس غازيا وحضر يوم طريف ولهذه الطايفه
الى القيروان وتليهم دلاج وكان شيخهم الجبير ثم قتل وقام والداه
عبد الله ويحيى ابنا الجبير قال وهم رماة يرمون بقوس اليد
رميا صايبا ولهم تعن دون ذلك دون بقية عرب الغرب وارضهم
من سوسة الى الحمامات الى الجزيرة القبلية الى تونس ويليهم
طايفة من البربر من تونس الى تبسة الى بلد العناب قال
وهولاء من هوارة ولهم اشياخ كثير ومرجعهم الى اولاد حمزة
والكعوب وتليهم طايفة اخرى زراع من البربر والهاصه وشيخهم
صخر ابن موسى وتليهم سدويكش وبلادهم من قسنطينية الى
بجاية وشيخهم عبد الكريم ابن مندبل وله اعتلاق بخدمة السلطان
ابي الحسن وتليهم في جبال زواوة بربر من بني حسن وزواوة وتليهم
ارض متيجة وسكانها بنو عبد الواد اصحاب تلمسان بنو عياد
وفرقة تعرف بمغراوة قال ومغراوة نحو الثلثين الف فارس

وتليهم

الورقة (٧٥) وتمثل نهاية الجزء الثالث

النص المحقق

الباب السابع

في مملكة اليمن

وفيه فصلان

الفصل الأول : فيما بيد أولاد رسول

(٤٦٣) الفصل الثاني : فيمـــا بـــيد الأشـــراف

< في مملكة اليمن >

واليمنُ إقليمٌ مُتّسعٌ،وله ذكرٌ قديمٌ،ذكرَ البَكْريُّ أن عَرضَه ستَ عشرةَ مَرحلة، وطولَه عشرون مَرحلة،المرحلةُ ستّةُ فراسخ[١]،وهو كرسيُّ مُلكِ التّبابعةِ من حِمْيَر[٢]،وبه كانتْ سَبأ[٣]،

---

(١) لم أقع على هذا القول فيما يخص اليمن في أي من كتابي البكري "المسالك والممالك،" و"معجم ما استعجم".

والفراسخ: واحدها فرسخ، وهو مقياس يقدر بثلاثة أميال أو ستة (لسان العرب).

(٢) التبابعة: لقب أطلق على ملوك الدولة الحميرية الثانية، سُموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضاً، كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً له على مثل سيرته (المصدر نفسه).

وقد حكم هؤلاء التبابعة اليمن، وعددهم (١٤) تُبّعاً من سنة ٢٧٥م، واتخذوا من ظَفار ثم صنعاء عاصمة لهم إلى سنة ٥٣٣م، حيث دالت دولتهم على أيدي الأحباش، انظر: المسعودي: مروج الذهب ٢ /٤٨-٥٣، القلقشندي: صبح ٥ / ٢٠-٢٣، ٤٥٠، شرف الدين: اليمن، ص٩٤-١٠٠، ١٥٧-١٦١، الموسوعة اليمنية: ١ / ٢٢٠-٢٢١ (تبع)، ٤٢٤-٤٢٧ (حمير).

أما حِمْير الذي ينتسب إليه هؤلاء الملوك، فهو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ملك اليمن بعد أبيه، ومات في تاريخ غير معروف، انظر: وهب بن منبه: التيجان، ص٦٠-٦٥، المسعودي: مروج الذهب ٢ /٤٨، نشوان: القصيدة الحميرية، ص١٥، الأشرف الرسولي: ص٧٠، القلقشندي: صبح ٥ /١٨، ابن الديبع: نشر المحاسن، ص١٣٨-١٣٩، الزركلي: الأعلام ٢ /٢٨٤-٢٨٥ .

(٣) يقصد مملكة سبأ، وتنسب إلى سبأ والد حمير، واسمه عامر، وأنه لقب بسبأ لأنه أول من سبى السبايا، ولم يعرف قبله السبي، وهو باني السد المعروف بسد مأرب، انظر: وهب بن منبه: التيجان، ص٥٦-٦٠، نشوان: القصيدة الحميرية، ص١٠-١٥، ياقوت: ٣ /١٨١، الأشرف الرسولي: ص٧٠، القلقشندي: صبح ٥ /١٨، ابن الديبع: نشر المحاسن، ص١٣٥-١٣٨، الزركلي: ٣ /٧٦، الموسوعة اليمنية: ٢ /٥٠٣-٥٠٨(سبأ).

وقد قامت مملكة سبأ على أنقاض مملكة مَعين في سنة ٨٥٠ ق.م، وكانت عاصمتها مأرب، واستمرت حتى سنة ١١٥ ق.م (حقبة مكربي وملوك سبأ) لتدخل بعد ذلك التاريخ حقبة جديدة تحت سيطرة الريدانيين، ومن بعدهم ملوك حمير الذين باتوا يعرفون بملوك سبأ وريدان، وكانت عاصمتهم ظَفار، وقد حكم هؤلاء – وعددهم (١٨) ملكاً – اليمن حتى سنة ٢٧٥م، وهم الذين يشكلون الدولة الحميرية الأولى، انظر: شرف الدين: اليمن، ص٧١-٨٣، ٩٤-٩٧ .

وفيه كانت بِلقيسُ وعَرشُها المذكورُ في القرآنِ الكريم(١)، وحُدودُه من القِبلةِ الموضعُ المعروفُ بطلحةِ الملكِ(٢)، ومن الشرق [حاء وحكم](٣)، ومن الغرب ...(٤)، ومن [الجنوب](٥) عدن.

وهو يشتملُ على عدةِ بلادٍ وقلاعٍ وحصونٍ حَصينة، ولكنّ مدنَه يفصلُ البرُّ ما بينَ بعضِها عن بعض، وبلادُها مختلفةٌ: نجودٌ(٦)، وتهائمُ(٧)، فالنجودُ باردةُ الهواءِ، طيبةُ المسكنِ، والتهائمُ حارةٌ شديدةُ الحرِّ.

وقاعدةُ الملكِ بها تَعِزٌّ وزَبيدٌ، وتَعِزٌّ من النجودِ مبنيةٌ على جبلٍ شاهقٍ(٨)، وزبيدٌ من

(١) سورة النمل (٢٧) الآيات: ٢٣، ٣٨-٤٢ .

(٢) طلحَةُ المَلِك: موضع في بلد وادعة من همدان، من أحواز أُرَيْنب، انظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٤٢١، وفي توضيح للمحقق (الأكوع) أنها "قرية كبيرة بقرب ظهران الجنوب".

(٣) في الأصل: حا وجلم، ولعل المؤلف يقصد ما أثبتناه، وحاء وحكم حيان باليمن في آخر رمل يبرين. أو رمل بني سعد، وهو حد اليمن مما يلي الشرق، انظر: البكري: معجم ما استعجم ١/١٦، ٤/١٣٨٦-١٣٨٧ .

(٤) أصل البياض: حضرموت! ولم أجد فيما لدي من المصادر (نقطة) حدودية تمثل الحد الغربي لليمن، وإن كان البكري (المصدر نفسه ١/١٦) قد قال في معرض التعريف بحدود اليمن: "ومما يلي الغرب: بحر جدة إلى عدن أبين"، إلا أنه تعريف واسع.

(٥) في الأصل: الشمال!

(٦) النُّجود: ج نَجْد، ما ارتفع من الأرض وصلب (المعجم الوسيط)، ويراد بها المناطق الجبلية في اليمن، انظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٧٧ فما بعدها، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٧٠ .

(٧) التهائم: جمع تِهامة، وهي الأرض المتصوبة إلى البحر (لسان العرب)، ويراد بها السهوب الممتدة على ساحل البحر الأحمر من باب المندب جنوباً إلى الليث شمالاً بطول يقدر بنحو (٥٠٠ كم) وعرض ما بين (٣٠-٤٠ كم)، انظر: الإدريسي: ١/١٤٨-١٤٩، ياقوت: ١/٦٣-٦٤، المقحفي: معجم البلدان، ص ٩٤-٩٥، الموسوعة اليمنية: ١/٢٨٦-٢٨٩ (تهامة).

(٨) هو جبل صَبِر، وهو جبل مشهور على ارتفاع (٣٠٠٠م) عن سطح البحر، وفيه بقايا كثير من الحصون القديمة المطلة على تعز، انظر: ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص١٥٦-١٥٩، المقحفي: معجم البلدان، ص٣٧٤، وأفرده الخلافي في رسالة خاصة بعنوان "مرآة المعتبر في فضل جبل صبر"، فلتنظر.

التهائمِ مبنيةٌ في وَطاءة.

واليمنُ مُفَرَّقُ المُلكِ بعضُه بيدِ الشرفاءِ المطيعينَ لإمامِ الزيديَّة(١)، لا يطيعونَ إلا لأئمتِهم القائمينَ منهم إماماً بعدَ إمام، وقاعدةُ تملكِه صَنعاء، وبعضُه بيدِ أكرادٍ(٢) عُصاةٍ على ملوكِ اليمنِ، وبعضُه بأيدي عَربٍ لا تطيعُ، وهذا الكلامُ عليها جُمْلياً فلنتكلمْ عليها تفصيلاً.

(١) يقصد دولة الأشراف الزيدية، وسيفرد المؤلف لهم الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) وهم بقايا الحملات الأيوبية على اليمن.

الفصل الأول

فيما بيَد أولادِ رَسُول [١]

فأمّا معظمُ اليَمنِ فمعَ تَعزٍّ وزبيدٍ، وصاحبُهما هو المشارُ إليه إذا قيلَ: صَاحبُ اليمن، وأخبرني بجملةِ ما أذكرُ من أحوالِها أبو جعفر أحمدُ بنُ محمدٍ المقدسيُّ عُرِفَ بابنِ غانمٍ [٢]، وكانَ من كُتّابِ الإنشاءِ [٣] بمصرَ وبدمشقَ، ثم دخلَ اليمنَ وخَدمَ بها صاحبَها إذ ذاك الملكَ المؤيدَ داودَ ‹بنَ يوسفَ› بنِ عمرَ [٤] رحمَه اللهُ في كتابةِ الإنشاءِ واختصَّ به،

---

(١) أولاد رسول، أو بنو رسول: ينسبون إلى جدهم محمد بن هارون الملقب برسول احد الوزراء المتنفذين في الدولة الأيوبية، وقد عمل هؤلاء في خدمة الأيوبيين، ورافقوهم في حملتهم على اليمن في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م بقيادة طغتكين بن ايوب – أخي صلاح الدين – وأسندت إليهم الولايات فيها، استقلوا بسلطانها عنهم مع وفاة الملك المسعود بن الكامل في سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، وهو آخر ملوك الأيوبيين في اليمن.

وقد دامت الدولة الرسولية منذ ذلك التاريخ حتى سقوطها على أيدي بني طاهر في سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م، انظر: ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص١٣٩ فما بعدها، الخزرجي: العقود ١/٢٩–٣٠، القلقشندي: صبح ٥/٢٩–٣١، ابن الديبع: قرة العيون، ص٢٩٨–٤٠٥، بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص٢٠٥ فما بعدها، الواسعي: تاريخ اليمن، ص١٩٨–٢٠٢، شرف الدين: اليمن، ص٢٢٥–٢٣٠، الزركلي: ٧/١٢٨، الموسوعة اليمنية: ١/١٧٣–١٧٦ (بنورسول).

(٢) توفي بدمشق في شهر رمضان سنة ٧٣٧هـ/ نيسان ١٣٣٧م، ترجمته في: الذهبي: ذيل العبر، ص١٠٧، ابن حجر: الدرر ١/٢٨٢–٢٨٥

(٣) كتّاب الإنشاء: هم المختصون بالمكاتبات الصادرة للملوك، وتعريب الكتب (الرسائل) الأعجمية، وتحرير التقاليد والتفاويض وما ينشأ من الأمور المهمة من البيعات والعقود، ومنشورات الإقطاع ونحو ذلك، انظر: البقلي: التعريف، ص١٤٣–١٤٤ .

(٤) ولي ملك اليمن في المحرم سنة ٦٩٦هـ/تشرين الثاني ١٢٩٦م، حتى وفاته بدار الشجرة قبالة تعز في مستهل ذي الحجة سنة ٧٢١هـ/كانون الأول ١٣٢١م، وتملك بعده ابنه الملك المجاهد سيف الإسلام علي، ترجمته في: ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص٢٨٥–٢٨٦، الذهبي: ذيل العبر، ص٦٢، الخزرجي: العقود ١/٣٥٨–٣٥٩، القلقشندي: صبح ٥/٣٠، ابن حجر: الدرر ٢/١٩٠–١٩١، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص٨٨–٩٠، وقرة العيون، ص٣٤٨–٣٤٩، بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص١٠٤–١٠٩، الشوكاني: البدر الطالع ١/٢٤٧–٢٤٨، الزركلي: ٢/٣٣٦

وأبو مُحمدٍ عبدُ الباقي بنُ عبدِ المجيد اليمنيُّ الكاتبُ[(١)]، وجُملةُ ما أذكرهُ عَنهما ولا أُمَيِّزُ الآنَ قولَ كُلٍّ واحدٍ منهما على التَّخْصيص، وهو: أنَّ صاحبَ اليمن يصيفُ بتَعزٍّ ويُشْتي بزَبيد.

وتَعِزُّ[(٢)] بلدٌ كثيرُ الماء، باردُ الهواء، كثيرُ الفاكهةِ من العِنَبِ (٤٦٤) والرمّانِ والسَّفرجل والتفّاحِ والخَوْخِ والتُّوتِ والموزِ والبِطيخِ الأخضرِ والأصفرِ، ويوجدُ به كثيرٌ من أنواعِ الفاكهة، وإنْ كانَ قليلَ المقدارِ، فأمَّا الموزُ والليمونُ والأُتْرُجُّ[(٣)] وما يناسبُه فكثيرٌ إلى غاية، ويوجدُ بها كثيرٌ من الرياحينِ والزهورِ خَلا البنفسجَ والنَّيْلوفَرَ[(٤)]، وربما احتاجَ ساكنُها إلى لبسِ الفِراءِ في بعضِ أحيانِها.

وأما زبيدُ[(٥)] فإنها شديدةُ الحرِّ ولا يبردُ ماؤُها ولا هواؤُها، وهي أوسعُ رُقْعةً، وأكثرُ بناءً، ولها نهرٌ جارٍ بظاهرِها.

---

(١) أديب ومؤرخ، توفي بالقاهرة في سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٣م، ترجمته في: الحسيني: ذيل العبر، ص١٢٩، ابن حجر: الدرر٢/٤٢٣-٤٢٥، ابن العماد: شذرات ٦/١٣٨-١٣٩، الشوكاني: البدر الطالع ١/٣١٧-٣١٨، الزركلي:٣/٢٧٢.

(٢) ياقوت: ٢/٣٤، ابن بطوطة: ص٢٤٩، الخلافي: مرآة المعتبر، ص١٤-٢٠، الموسوعة اليمنية: ١/٢٤٠-٢٤٢ (تَعز).

(٣) الأُترجُّ: شجر ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، عصيره حامض (المعجم الوسيط).

(٤) النَّيْلوفَرُ: من النباتات المائية، فيه أنواع تنبت في الأنهار والمناقع، وأنواع تزرع في الأحواض لورقها وزهرها، ومن أنواعه اللوطس، أي عرائس النيل (المعجم الوسيط).

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٨٤-٨٥، ياقوت: ٣/١٣١-١٣٢، ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٦٣ فما بعدها، الحميري: ص٢٨٤-٢٨٥، ابن بطوطة: ص٢٤٧-٢٤٨، المقحفي: معجم البلدان، ص٢٨٦-٢٨٨

وأما مَساكنُ الملكِ[١] فيهما فنهايةٌ في العَظمة، وفرشُ الرُّخَامِ والسُّقوفِ المَدهُونة واخصَّاءُ الملكِ بها الخصيانُ هم خاصتُه المقَرَّبون وهو مُتوفرٌ في غالبِ وقتِه على لذاتِه، والمُتعةِ في قصورِه بجَواريه وقِيانِه، وله أربابُ دولةٍ ووظائفُ،ينحو في أمورِه مَنحى صاحبِ مصرَ[٢] يتسمعُ أخبارَه، ويحاولُ اقتفاءَ آثارِه في أحوالِه وأوضاعِ دولتِه غيرَ أنه لا يصلُ إلى هذه الغايةِ ،ولا تخفقُ عليه تلك الراية لقُصورِ مَدَدِ بلادِه، وقلةِ عَددِ أجنادِه.

أخبرني أقضى القضاةِ أبو الربيعِ سليمانُ بنُ محمدٍ(٣)بن قاضي القضاةِ الصدرِ سليمانَ الحنفيُّ، وكانَ قد توجهَ إلى اليمنِ وخدمَ في ديوانِ الجيشِ[٤] به أن مجموعَ جُندِ

---

(١) الملك المشار إليه هنا كما يلي من السياق هو المجاهد نور الدين علي بن الملك المؤيد المقدم ذكره، ولي الملك بعد وفاة أبيه إلى أن مات في عدن في جمادى الأولى سنة ٧٦٤هـ/آذار ١٣٦٣م مع ما تخلل حكمه من العزل والسجن، ترجمته في: ابن كثير: البداية ١٤/٢٣٧، ٢٤٠، ابن بطوطة: ص٢٤٩-٢٥١ (وكان ابن بطوطة قد زار الملك المجاهد وأقام بضيافته أياماً)، الخزرجي: العقود ٢/١٠٥-١٠٧، القلقشندي: صبح ٥/٣٠-٣١، ووفاته فيه: سنة ٧٦٦هـ ابن حجر: الدرر ٣/١١٨-١٢٠، بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص١٧١-١٨٣، الشوكاني: البدر الطالع ١/٤٤٤-٤٤٥، الواسعي: تاريخ اليمن، ص٢٠، الزركلي: ٤/٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) يقصد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، الملك التاسع من ملوك الأتراك، توفي بالقاهرة في ذي الحجة سنة ٧٤١هـ/حزيران ١٣٤١م، وكان قد تعاقب على ملك مصر ثلاث مرات، ترجمته في: ابن الوردي: تتمة المختصر ٢/٤٦٨-٤٦٩، الحسيني: ذيل العبر، ص١٢٤-١٢٥، ابن كثير: البداية ١٤/١٩، ابن حجر: الدرر ٤/٢٦١-٢٦٥، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/١١٢-١١٦، ابن العماد: شذرات٦/١٣٤-١٣٥، الشوكاني: البدر الطالع ٢/٢٣٦-٢٣٨، الزركلي: ٧/١١ .

(٣) في ابن حجر (الدرر ٢/٢٤٤): سليمان بن داود، ووفاته بالمهجم في اليمن سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م.

(٤) في المصدر نفسه: "فدخل اليمن سنة ٧٤٥هـ وأقبل عليه صاحب اليمن (الملك المجاهد) وباشر عنده نظر الجيش".

قلت: يعني بدخوله اليمن أول مرة، فإنه فارقها فيما بعد، ثم حج في سنة ٧٦٠هـ، ودخلها ثانية وبها كانت وفاته.

أما ديوان الجيش، فهو من الدواوين المهمة، وكانت تتركز فيه كل شؤون الجيش وأصناف الجند وأعدادهم وأعداد خيولهم وأنواعها، كما كان يختص بضبط الإقطاعات الخاصة بالجنود، وبالرواتب التي تصرف لموظفي الدولة، انظر: البقلي: التعريف، ص١٤٥ .

اليمن ما يبلغ ألفي فارس، وينضافُ إليهم من العربِ الداخلينَ في طاعته مثلُهم وأراني جريدته الموضوعة لذلك فوقفتُ على بعضها، وضاقَ وقتي عن الاستيعابِ وهي تشهدُ بما قالَ .وصاحبُ هذه المملكة أبداً يَرغبُ في الغُرباء، ويُحسنُ تلقيَهم غايةَ [الإحسان][١] ، ويستخدمُهم فيما يناسبُ كلاً منهم، ويتفقدُهم في كلِّ وقتٍ بما يأخذُ به قلوبَهم، ويُوطِّنُهم عندَه، وغالبُ جندهِ من الغُرباء، وإذا دَعتْ حاجةُ أحدٍ من جندهِ وغلمانه وأهلِ خدمته أجمعين إلى شيء وإن قلَّ كتبَ إليه قصةً .[٢] يسألُه حاجتَه فيها فيوقِّعُ عليها بخطِّه بإجابتهِ إلى ما سألَه، أو إلى بعضِ ما سأله (٤٦٥) على ما يراه.

وهو قليلُ التصدي لإقامةِ رُسُومِ المواكبِ والخدمةِ والاجتماعِ بولاةِ الأمور ببابه، فإذا احتاجَ أحدٌ منهم إلى مراجعتهِ في أمرٍ كتبَ إليه قصةً يستأمرُه فيها، فيكتبُ عليها بخطِّه ما يراه، وكذلك إذا رُفعتْ إليه قَصَصُ المظالمِ هو الذي يكتبُ عليها بخطِّه مما فيه إنصافُ الشاكي.

ورأيتُ علامةَ والدِ هذا السلطانِ القائم بها الآن على توقيعٍ، وهو على المُصطَلحِ المصري ما مثالُه: الشاكرُ لله على نَعْمائه في سَطر، وتحتَه داودُ.

ولصاحبِ هذه المملكةِ البساتينُ والمُتَنزَّهاتُ الحسنةُ يتعهدُها في الأحيانِ ويقيمُ بها للتَنزهِ بها، وهذا الملكُ لا ينزلُ في أسفارِه إلا في قصورٍ مبنيةٍ له في منازلَ مَعروفَةٍ من بلادهِ، فحيثُ نزلَ في منزلةٍ وجدَ بها قصراً مبنياً ينزلُ به.

وباليمنِ الخيلُ العرابُ الفائقة، والبغالُ نوعان: سروجيةٌ للركوب، وحَبشيةٌ للأحمال، وبها الجمالُ والحميرُ وأنواعُ الدوابِّ من البقرِ والغنمِ والطيرِ من الإوزِّ والدجاجِ والحمامِ وغير ذلك.

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/٣٤ .

(٢) القصة: هي الطلب أو الالتماس يرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى السلطان، انظر: البقلي: التعريف، ص٢٧٤ .

وهيَ بلادٌ رخيةٌ كثيرةُ الحبوب، وأقلُّ حبوبِها القمحُ والشعيرُ، وأكثرُها الأرزُّ والذرةُ والسِّمْسِمُ، وبها العسلُ الكثيرُ وأنواعُ المُقْلِ[(١)]، ووقودُها السَّليطُ[(٢)] وهو الشَّيْرج، ولا يُوجدُ بها الزيتُ ولا الزيتونُ إلا إن جُلبَ من الشام.

واليمنُ جميعُه كثيرُ الأمطار، ولا تنشأُ به السحبُ، ويمطرُ المطرُ وقتَ الزوال إلى أُخريات النهار، هذا وقتُ أمطارِها في الغالب، وبها الأنهارُ الجاريةُ، والمروجُ الفسح، والأشجارُ المتكاثفةُ في بعضِ أماكنِها، ولها ارتفاعٌ صالح من الأموال، وغالبُ أموالِها من موجاتِ التجارِ الواصلينَ من الهِند ومصرَ والحبشةِ مع ما لَها من دَخْلِ البلاد.

وأما الإمرةُ بها فقد تُطلقُ على من ليسَ بأمير، وأما الإمرةُ الحقيقيةُ التي تُرفَعُ بها الأعلامُ ‹وتُدَقُّ لها› الكُوسَاتُ[(٣)] فإنها لمن قلَّ، وربُما أنه لا يتعدى عِدةُ الأمراءِ بها عشرةَ نفر.

وباليمنِ أربابُ وظائفَ (٤٦٦) من النائبِ[(٤)] والوزيرِ[(٥)] والحاجبِ[(٦)] وكاتبِ

---

(١) المُقل: ثمر الدوم، والدوم شجر يشبه النخل في غلظ التفاحة ذو قشر صلب أحمر وله نواة ضخمة ذات لب إسفنجي (لسان العرب، والمعجم الوسيط).

(٢) السَّليط: عند عامة العرب الزيت، وعند أهل اليمن دهن السِّمْسِم وهو الشَّيْرج (لسان العرب).

(٣) الكوسات: هي صنوج من نحاس شبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ويتولى ذلك الكوسي، انظر: القلقشندي: صبح ٤/ ٩، ١٣، البقلي: التعريف، ص٢٩٠ .

(٤) النائب: ويسمى كافل الممالك، وهو السلطان الثاني لما له من الاختصاصات التي يقترب فيها من اختصاصات السلطان، راجع للمؤلف الباب السادس (ص١١٦–١١٧) من مطبوعة "المسالك"، والتعريف، ص٩٥، وقارن بالقلقشندي، صبح ٤/ ١٦–١٧

(٥) الوزير: وهو ثاني النائب في المكانة، وكان يختار من أرباب السيوف والأقلام، راجع للمؤلف الباب السادس (ص١١٤–١١٥) من مطبوعة "المسالك".

(٦) الحاجب: هو الذي ينصف بين الأمراء والجند، تارة بنفسه، وتارة بمشاورة السلطان أو النائب، وإليه تقديم من يُعرض ومن يُرد وعرض الجند، راجع للمؤلف المصدر نفسه (ص١١٧)، وقارن بالقلقشندي، صبح ٤/ ١٩، ٥/ ٤٤٩، والمقريزي، المواعظ ٢/ ٢١٩

السر[(١)] وكاتبِ الجيش وديوانِ المال، وبها وظائفُ الشادِّ[(٢)] والولايةِ على ما قدَّمنا ذكرَه من أنَّه يَتَشبهُ بالأحوالِ المصرية.

وباليمنِ عدنٌ، وهيَ من أعظمِ المراسي بها، وتَكادُ تكون ثالثةَ تَعزٍّ وزبيدٍ في الذكر، ولها قلعةُ السمدانِ[(٣)] المشهورةُ بالمنعةِ العظيمة، وبها قلعةٌ، وهي خزانةُ مالِ ملوكِ هذا الإقليم.

وصاحبُ اليمنِ يُهادي صاحبَ مصرَ ويداريه لمكانِ إمكانِ التسلطِ عليه من البحرِ والبرِّ الحجازي، وقد كان ملكُها الآن الملكُ المجاهدُ عليٌّ بنُ داودَ بعدَ موتِ أبيه المؤيدِ نجمَ عليه من أهلِه[(٤)] من جاذبَه رِداءَ المُلْك، ونازعه في سلطانِه، وأعانَ الناجَمَ عليه كثيرٌ من مماليكِ أبيه وعسكرِ اليمن وأهلِه، فأرسلَ إلى صاحبِ مصرَ السلطانِ الملكِ الناصرِ أبي المعالي محمدِ بنِ قَلاوُونَ وصيةً كتَبَها الملكُ المؤيدُ صاحبُ اليمنِ قبلَ موته تتضمنُ أنَّه أوصى إلى السلطانِ الملكِ الناصرِ صاحبِ مصرَ على ولدِه المجاهدِ علي، وبعثَ يَترامى عليه، ويستمدُّ الإعانةَ

---

(١) كاتب السر: هو الذي يتولى قراءة الكتب الواردة على السلطان، وكتابة اجوبتها، واخذ خط السلطان عليها، وتسفيرها، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها، راجع للمؤلف الباب السادس (ص١٢٠) من مطبوعة "المسالك"، وقارن بالقلقشندي، صبح ٤/٢٩-٣٠، والمقريزي، المواعظ ٢/٢٢٦.

(٢) الشاد، أو المشد: هو المتحدث في استخلاص الأموال السلطانية، كما يتولى التفتيش على مالية الدواوين وعلى موظفيها، انظر: القلقشندي: صبح ٤/٢٢، ١٨٦، البقلي: التعريف، ص١٩١.

(٣) قلعة السمدان: حصن شامخ في بلد الرجاعية من بلد المعافر الحجرية غربي مركز تربة ذُبحان بمسافة (١٥ كم)، انظر: ياقوت: ٣/٢٤٦، المقحفي: معجم البلدان، ص٣٢٥.

(٤) هو عمه المنصور أيوب بن يوسف بن عمر، بويع سلطاناً على اليمن في جمادى الآخرة سنة ٧٢٢هـ/ حزيران ١٣٢٢م في أعقاب ثورة عاصفة انتهت باعتقال المجاهد وقتل أركان دولته، ثم خلع بعد ثلاثة أشهر، وعاد المجاهد فاعتقله في حصن تعز إلى أن توفي في صفر سنة ٧٢٣هـ/ شباط ١٣٢٣م، انظر: ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص٢٨٦-٢٩٠، الخزرجي: العقود ٢/١٣-١٧، ابن الديبع: قرة العيون، ص٣٥٠-٣٥١، بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص٥٧، ١٧١-١٧٢، العرشي: بلوغ المرام، ص٤٥، الواسعي: تاريخ اليمن، ص٢٠٠، الزركلي: ٢/٣٩.

منه، فجهزَ إليه عسكراً[1] منعَه من عدوِّه النَّاجمِ عليه، ومكَّنَ له في اليمن، وبَسطَ يَده به، ثم عادَ العسكرُ المصريُّ[2]، وإن لم يكنْ هذا موضعَ هذا، ولكنّا ذكرنَاه تَنْبيهاً على تمكنِ صَاحبِ مصرَ من ‹صاحبِ› اليمنِ إذا قصدَه، ثم نعودُ إلى ما كنا بصددِه، فنقولُ:

إن صاحبَ اليمنِ لا يزالُ من الشريفِ الإمامِ الزيديِّ صاحبِ صَنعاءَ على مباينةٍ تارةً يكونُ بينهم عهدٌ، وتارةً يُنبَذُ العهدُ بينَهم، لأنَّ الإمامَ الزَّيديَّ له قوةٌ في مكانِه ومنعةٌ من أعوانِه، ولو استقلَّ اليمنُ لملكٍ واحدٍ كبرَ مَحلُّه، وعَظُمَ قدرُه في الممالكِ الجليلة.

ولا تزالُ ملوكُ اليمنِ تَسْتجلبُ من مصرَ والشامِ طوائفَ من أربابِ الصناعاتِ لقلةِ وجودِهم باليمن، وليس باليمنِ أسواقٌ مرضيةٌ دائمة، إنما بها يومٌ من الجُمُعةِ تُجلَبُ فيه الأجلابُ (٤٦٧)، وتخرجُ أربابُ الصناعاتِ والبضائعِ ببضائعِهم على اختلافِها، وتقامُ في ذلك اليومِ الأسواقُ، ويباعُ ويُشترى، فمن أعوزَه شيءٌ في وسطِ الجمعةِ لا يكادُ يجدُه، إلا

(١) في الخزرجي (العقود ٢/٣٧): "كانوا الفي فارس، والف راحلة فيهم أربعة أمراء ... وكان معهم اثنان وعشرون الف جمل يحمل عددهم وأزوادهم".

(٢) كذا والسياق يعلق أمر الحملة المصرية بثورة المنصور أيوب السالفة الذكر، والصحيح أن هذه الحملة إنما انطلقت في سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م – أي بعد ثلاث سنوات من الثورة المذكورة – وذلك لمواجهة الملك الظاهر عبد الله بن المنصور بعد أن تغلب على الملك المجاهد واستخلص منه مملكته ولم يبق في يده سوى حصن تعز المحصور فيه، انظر: ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص٢٩٠-٢٩٦، وهو يتوقف عند حوادث سنة ٧٢٤هـ الخزرجي: العقود (حوادث السنوات ٧٢٢-٧٢٥هـ)، ابن الديبع: قرة العيون، ص٣٥١-٣٥٦، محمد عبد العال أحمد: بنو رسول، ص١٨٩-١٩٦، وعن تفاصيل الحملة انظر: ص٤٠٦-٤١٩ من المرجع نفسه.

هذا، وقد ظل الظاهر على عصيانه حتى بعد رحيل الحملة المصرية، وإن كان نجمه قد أخذ بعدها بالأفول، حيث أقام بحصن السمدان كالمحصور إلى أن ضاق به الأمر، فطلب من الملك المجاهد الأمان فأجابه ثم غدر به، واعتقله في دار الإمارة بتعز في أول سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م لحين وفاته فيها في أحد الربيعين من السنة المذكورة، انظر: الخزرجي: العقود ٢/٥٨، ابن الديبع: قرة العيون، ص٣٦٠، بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص١٤٧، محمد عبد العال أحمد: بنو رسول، ص١٩٦-١٩٩ .

المآكلَ فإنها دائمة <فيها> كغيرِها من البلادِ، والمَعْمولاتُ من المآكلِ في أسواقِها للبيعِ قليلةٌ، بل من أرادَ شيئاً عملَه بنفسه.

فأما زِيُّ ملكِهم وعامةِ الجندِ بها، فأقبيةٌ[١] إسلاميةٌ ضيقةُ الأكمامِ مُزَنَّرةٌ على اليد، ومناطقُ[٢]، وتخافيفُ لانس[٣]، ودلاكش، وهي أخفافٌ من القماشِ الحريرِ الأطلسِ والعَتَّابي[٤] وغيرِ ذلك، ولقد وقعتْ وَحشةٌ بين هذا <الملك> المجاهدِ وبينَ بعضِ أمرائه، وهو عليُّ بنُ عمرَ بنِ يوسفَ الشهابي، فجاءَ إلى مصرَ وأقامَ بها وهو بهذا الزيِّ خلا الدَّلكشَ، فإنهُ قلعَه، ولبسَ الخُفَّ المعتادَ، وهو يحضرُ الموكبَ السُّلطانيَّ بمصرَ على هذا الزيِّ إلى الآن.

وحدثني الحكيمُ الفاضلُ صلاحُ الدينِ أبو عبد الله محمدُ بنُ البرهانِ[٥]، وكان الملكُ المؤيَّدُ [والدُ][٦] سلطانِها الآنَ قد طلبَه من مصرَ، واستدعاه، وأعذبَ ماءه ومَرعاه، وأقامَ لديهِ حيناً من الدهرِ، بين جناتٍ ونَهر، متنقلاً معه في ممالكِه، مُتَوقِّلاً[٧] على شُرفَاتِ مالكِه.

---

(١) أقبية: ج قباء، وهو رداء فوقاني أشبه ما يكون بالمعطف، انظر: ماير: الملابس المملوكية، ص٣٩ فما بعدها.

(٢) مناطق: ج منطقة، وهي الحزام، وكان يطلق عليها اسم الحياصة، انظر: المرجع نفسه، ص٤٧-٤٨

(٣) تخافيف: ج تخفيفة، وهي العمامة، ولانس: نوع من الشاش، انظر: المرجع نفسه، ص٣١-٣٣، ١٠٥ .

(٤) العتابي: صنف من قماش خشن مخطط بحمرة وصفرة، انظر: البقلي: التعريف، ص٢٤٢ .

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن البرهان الطبيب، توفي بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٧٤٣هـ/تشرين الأول ١٣٤٢م، ترجمته في: الصفدي: الوافي٢ /٢٣، ابن حجر:الدرر٣ / ٣٧٤-٣٧٥، السيوطي: حسن المحاضرة١ / ٣١٥ .

(٦) في الأصل: صاحب، وقد تقدم من السياق، ص٣٨ أن المؤيد داود والد المجاهد علي سلطان اليمن وليس صاحبه.

(٧) التَّوَقُّل: الصعود، والواقلُ: الصاعد بين حزونة الجبال، وكل صاعد في شيء مُتوقل (لسان العرب).

قال: اليمنُ أميلُ إلى الحرِّ، وهو كثيرُ المطرِ في أُخْرَيات الرَّبيعِ إلى وَسطِ الصَّيف.

قالَ[(١)]: ولقد أقمتُ مدةً بعَدن، وهي مدينةٌ مجلوبٌ إليها كلُّ شيءٍ حتى الماء، يحتاجُ المقيمُ بها إلى كلفةٍ في النفقاتِ لارتفاع الأسعارِ بها في المآكلِ والمشارب، ويحتاجُ المقيمُ بها إلى ماءٍ يَتَبرَّدُ به في اليوم مراتٍ إبان قوةِ الحر، وإليها مجمعُ الرفاق، وموضعُ سفرِ الآفاق، يحطُّ بها من الصين والهندِ والسِّندِ والعِراقِ وعُمان والبحرين ومصرَ والزَّنجِ[(٢)] والحَبشة، ولا يخلو أسبوعٌ بها من عِدةِ تجارٍ وسُفنٍ وواردينَ وبضائعَ شتى ومتاجرَ، والمقيمُ بها في مكاسبَ وافرةٍ وتجائرَ مُربحةٍ، ولا يبالي بما يغرمُه بالنسبةِ إلى الفائدة، ولا يُفكرُ في سُوءِ المقام لكثرةِ الأموالِ النَّاميةِ.

(٤٦٨) قالَ: ولحطُّ المراكبِ عليها وإقلاعِها مواسمُ مشهودة، وإذا أرادَ ناخوذةُ مركبٍ فيها السفرَ إلى جهةٍ، أقامَ عَلَمه برَنْك[(٣)] خاصٌّ له، فعلمَ التجارُ وتسامعَ الناسُ، وبقيَ كذلك أياماً ويقعُ الاهتمام بالرحيلِ، ويسرعُ التجارُ في نقلِ أمتعتِهم وحولَهم العبيدُ بالقُماشِ السَرِيِّ والأسلحةِ النافعة، وتُنصَبُ على شاطئِ البحرِ الأسواقُ، ويخرجُ أهلُ عدن للفُرْجَةِ عليهم.

قال الحكيمُ ابنُ البرهان:

---

(١) قارن بابن بطوطة، ص٢٥١

(٢) بلاد الزَّنج: وهي شرقي الخليج البربري تقابل بلاد الحبشة من البر الآخر، وأهلها مسلمون وأكثر معايشهم من الذهب والحديد، ولباسهم جلود النمور، انظر: الإدريسي: ١/٥٩-٦٠، القلقشندي: صبح ٥/٣٢١

(٣) الرَّنْك: لفظ فارسي معناه اللون، ويأتي أيضاً بمعنى الشعار أو العلامة، انظر: البقلي: التعريف، ص١٦٣، طرخان: النظم الإقطاعية، ص٤٨٥-٤٩٥، أحمد: «الرُّنوك في عصر سلاطين المماليك»، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢١، ص٦٧-١١٦.

وأما ظَفارِ (١) فهي لأولادِ الملكِ الواثقِ (٢) [عَم] (٣) صاحبِ اليمن، وهم وإنْ أُطلقَ عليهم اسمُ الملكِ نوابٌ له، وظَفارِ أقصدُ إلى الهندِ من عَدنَ، وهي على جُونٍ خارجٍ من البحرِ، تُنقلُ البضائعُ في زوارقَ صغارٍ فيه حتى تقطعَ ذلك الجُونَ، ثم تُوسقَ (٤) ذلك في السَّفائن.

قالَ الحكيمُ صلاحُ الدينِ محمدُ بنُ البرهانِ:

واسمُ اليمنِ أكبرُ [منه] (٥) لا تُعدُّ في بلاد الخصبِ بلادُه، وغالبُ دخلِه مما يُؤخذُ من التجارِ والجلاَّبةِ براً وبحراً، ومملكةُ بني رسُولٍ السواحلُ وما جاورَها، ولهذا كانت مملكتُهم أكثرَ مالاً من مملكةِ الشرفاءِ بصنعاءَ وما والاها على ما يأتي ذكرُه في مكانِه.

قالَ: وشعارُ هذا السلطانِ وردةٌ حمراءُ في أرضٍ بيضاءَ.

---

(١) ظفار: اسم لثلاثة مواضع في اليمن، أولها المدينة المشهورة في اقصى بلاد اليمن بين عمان ومرباط على ساحل بحر الهند، وظفار زيد حصن باليمن من أعمال حب، وظفار مدينة قرب صنعاء، والموضع الأول هو المخصوص بالسياق، انظر: ياقوت: المشترك، ص٢٠١، ابن بطوطة: ص٢٥٩-٢٦٢، وهي فيه: ظفار (الحموض).

(٢) هو الملك الواثق نور الدين إبراهيم بن الملك المظفر يوسف بن عمر، وكان والده الملك المظفر قد أقطعه ظفار في سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م، فتملكها حتى وفاته فيها في آخر المحرم سنة ٧١١هـ/ حزيران ١٣١١م، ثم استقل بها أولاده من بعده، انظر: ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص٢٦٦، ابن الديبع: قرة العيون، ص٣٣٢ .

ويقول ابن بطوطة (ص٢٦٥) إن سلطان ظفار في عهد الملك المجاهد هو "الملك المغيث بن الملك الفائز ابن عم ملك اليمن" فلعله من أحفاد الواثق المذكور.

(٣) في الأصل: ابن عم، والصواب ما أثبتناه، قارن نسب الملك المجاهد (علي بن داود بن يوسف) بنسب عمه المذكور.

(٤) وردت في الأصل متبوعة بكلمة: ذلك، زائدة.

(٥) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/٥ .

قلتُ: ورأيتُ أنا السَّنْجَقَ[١] اليمنيَّ وقد رُفع في جبلِ عرفات سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وسبعِ مئة، وهو أبيضُ وفيه وَرداتٌ حمرٌ كثيرةٌ.

قالَ: وإنما تجتمعُ لهم الأموالُ لقلةِ الكُلَفِ في الخَرْجِ والمصاريفِ التي تذهبُ في سَعةِ النفقَاتِ والتكَاليف، ولأن الهندَ يمدُّهم بمراكبِه، ويواصلُهم ببضائعه.

وسألتُه عما بها من الفواكهِ فذكرَ غالبَ ما يُوجدُ بمصرَ، غير أنَّه بالغَ في وصفِ السَّفَرْجَلِ بها.

وقالَ: إنَّ القمحَ يوجدُ، ولكنه يَغلُو، واللحومُ رخيصةٌ، ويُعْملُ بها السكرُ والصابونُ ولكنهما ليسَا كما بمصرَ والشام.

قالَ: ولأهلِ اليمنِ سياداتٌ (٤٦٩) بينهم مَحفوظَة، وسعاداتٌ عندهم ملحوظَة، ولأكابرِها حَظٌّ من رفاهيةِ العيشِ والتنعم والتفننِ في المآكلِ، يُطبَخُ في بيتِ الرجل منهم عدةُ ألوانٍ، ويُعْمَلُ فيها بالسكر والقلوب، وتُطَيَّبُ أوانيها بالعطرِ والبخور، وتكونُ له الحاشيةُ والغاشيةُ، وفي بيتِه العَددُ الصالحُ من الإماء، وعلى بابِه جملةٌ من الخدمِ والعبيدِ والخصيانِ من الهندِ والحبوش، ولهم الدياراتُ الجليلةُ والمباني الأنيقةُ إلا الرخامَ ودهانَ الذهبِ واللأْزَوَرْدَ[٢] فإن هذا من خواصِّ السلطانِ لا يشارُكه فيها مشاركٌ من الرعَايا ولا من الأعيانِ، وإنما فَرشُ دورِهم بالخَافقيِّ وما يجري مَجراه، قالَ:

ولسلطانِهم بستانٌ يعرف [بثَعَبات][٣] يطلعُ إليه ويقيمُ فيه أياماً للنزهةِ به، فيه قُبةٌ

---

(١) السَّنْجَق: كلمة تركية تعني هنا الراية أو الشعار، انظر: البقلي: التعريف، ص١٨٦

(٢) اللأْزَوَرْد: من الأحجار الكريمة، لونه أزرق سماوي أو بنفسجي يكثر في أفغانستان وأمريكا، يستخدم للزينة (المعجم الوسيط).

(٣) في الأصل: بالنعبات ! وثَعَبات محلة بشرقي تعز على نحو ميلين، كانت متنزهاً جميلاً واليوم أنقاض وأطلال إلا بقايا بيوت ومساجد، انظر: ابن الديبع: قرة العيون، ص٢٠٢ حاشية (٢)، الخلافي: مرآة المعتبر، ص٢٠-٢١، المقحفي: معجم البلدان، ص٩٨ .

ملوكيةٌ ومقعدٌ سلطانيٌّ فَرْشُهما وأُزُرُهما رخامٌ ملونٌ وبهما عُمُدٌ قليلةُ المثلِ يجري فيها الماءُ من نبعاتٍ تملأُ العينَ حسناً، والأذنَ طرباً بصفاءِ ضميرِها وطيبِ خريرِها، وترمي شيئاً سكيهما[١] على أشجارٍ قد نُقلتْ إليه من كلِّ مكانٍ تجمعَ بين فواكه الشَّامِ والهندِ، ولا يقفُ ناظرٌ على بستانٍ أحسنَ منه جمعاً، ولا أجمعَ [منه] [٢] حسناً، ولا أتمَّ صورةً ولا معنى، يهزُّ معاطفَ دَوْحِهِ الصبا، كأنه في اليمنِ من بقايا سَبا.

قالَ ابنُ البرهانِ:

وأما كُتَّابُ الإنشاءِ عندَه فإنه لا يجمعُهم رئيسٌ يرأسُ عليهم يَقرأُ ما يَردُ على السلطانِ، ويجاوبُ عنه، ويتلقى المراسيمَ وينفذُها، وإنما السلطانُ إذا دعت حاجتُه إلى كتابةِ كُتُبٍ بعثَ إلى كلٍّ منهم ما يكتبُه، فإذا كتبَ الكاتبُ ما رُسِمَ له به بعثَه على يدِ أحدِ الخصيانِ، وقدَّمَه إلى السّلطان فيَعلِّمُ عليه ويُقرُّه.

قالَ ابنُ البرهانِ:

وملوكُ اليمنِ أوقاتُهم مقصورةٌ على لذاتِهم والخلوةِ مع حظاياهم وخاصتِهم من الندماء والمطربين، فلا يكادُ السلطانُ يُرى بل (٤٧٠) ولا يسمعُ أحدٌ من أهلِ اليمنِ له على الحقيقة خبراً مع شدةِ ضَبطِهم لبلادِهم ومَنْ فيها، واحترازِهم على طُرقِها براً وبحراً من كلِّ جهة، فلا يخفى داخلٌ يدخلُ إليها، ولا خارجٌ يَخرجُ منها.

وللتجارِ عندَهم وضعٌ جليلٌ؛ لأنَ غالبَ مُتَحصلاتِ اليمنِ منهم وبسببِهم كما قدمْنا ذكرَه.

(١) كذا رسمت في الأصل، ولم أهتد إلى تحقيقها.

(٢) إضافة من القلقشندي، صبح ٥/٧

قلتُ: وقد كانَ الملكُ المظفرُ(١) ثم ولدُه الملكُ المؤيد رحمَهما اللهُ تعالى مقصودَين من آفاقِ الأرضِ، قَلَّ أنْ يبقى مجيدٌ في صَنْعَةٍ من الصنائعِ إلا ويَصنعُ <لأحدِهما> شيئاً على اسمِه ويجيدُ فيه بحَسبِ الطاقةِ ثم يجهزُه إليه، أو يقصدُه به ويُقدمُه إليه من يدِه فيقبلُ عليه ويُقَبلُ منه، ويُحْسِن نُزُلَه، ويُسْني جائزتَه، ثم إنْ أقامَ في بابِه أقامَ مكرَّماً مُحترماً، أو عادَ عادَ مَحْبُواً مَحْبُوراً، ولهما ولعٌ بحبِّ الغرباءِ وكرمٌ متسعٌ في الحباءِ، يُجْزلونَ من نعَمِهم العطايا، ويُثقلونَ بكرمِهم المطايا، ولقد قصدهما كثيرٌ من الناس، وحصلَ [لهم](٢) البرُّ والإيناس، ثم تُنُوِّعَ لهم من الكرامةِ ما أنْساهم أن ينفذوا بسلطان، وأسلاهم عن الأوطان، فحمدوا بالنجاحِ آمالا، ووَردوا خِفافاً، وصَدَرُوا ثقالا، وكانَ من عادتِهما رحمَهما اللهُ أن لا يسمحَا بعَوْدِ غريب، ولا يَصفحا عن هذا عن بعيدٍ ولا قَريب قَصْداً لعمارةِ اليمن بإنارة آفاقه بكل شيء حسن، إلا من قدَّمَ لديهما القَولَ بأنه أتاهما راحلاً لا مقيماً، وزائراً لا مُستديماً، فإنَّهما كانا لا يُكلفانه مَقاماً لديهما ولا دواماً في النُّزولِ عليهما، بل يجزِلان إفادتَه، ويُجمِلان إعادتَه، وأما مَنْ جاءَ إليهما بنيَّةِ مقيم، وأقامَ لديهما على أنَّه لايريم، فإنهما يَرفعان مجدَه، ويُوسعان رِفْدَه، ويُجريان عليه الأَدْرار، وإليه السحابَ المِدرار، ويُخْليانِ له دارا، ويخلِّيان مملوءاً له بصفوفِ الخدم جِدارا(٣)، فإذا أرادَ الارتحالَ عن دارِهما، مكناهُ من العَوْدِ كما جاءهما، وخرجَ عنهما على أسوأ حالٍ، مَسلوباً بما استفادَ

(١) هو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول ،ولي ملك اليمن بعد وفاة والده المنصور في ذي القعدة سنة ٦٤٧ هـ/شباط ١٢٥٠م ، إلى حين وفاته في قلعة تعز في رمضان سنة ٦٩٤ هـ /تموز١٢٩٥م وخلفه عليها ولده الملك الأشرف ممهد الدين عمر ، ترجمته في:الذهبي: العبر ٣/٣٨٤،ابن كثير:البداية ١٣/٣٤١ الخزرجي :العقود ١/٢٣٢-٢٣٨،ابن الديبع :بغية المستفيد،ص٨٣-٨٧،الزركلي:٨/٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) في الأصل: لهما.

(٣) كذا، والعبارة مضطربة.

(٤٧١) عندَهما من نعمةٍ ومال، عقاباً له على مُفارقتِه لأبوابِهما، لا بخلاً بما جادَتْ به بوادرُ سَحابِهما.

وحكى لي غيرُ واحدٍ ممَّن قصدَهما على أنه يُقيمُ ثم فارقَهما على هذا الحال الذَّميم مِن جالاتِه بكلِّ أعجوبةٍ وما وَجد، ثم فارقَه من نعمِهما الموهوبةِ المسلوبة(١).

قلتُ: ولقد كانا يبعثانِ إلى مِصرَ والشامِ والعراقِ مَنْ يتلقَّطُ لهما محاسنَ الوجود وأحاسنَ الموجود، فلا تبقى طُرْفةٌ من الطُّرفِ إلا اشتُرِيتْ لهما، ولا من مجيدٍ في شيءٍ من الأشياءِ إلا استُميل إليهما، ورغبَ في الكثيرِ حتى يَقصدَ حضرتَهما فيقيمَ عندهما، وقلَّ مَن يعودُ عنهما: ومَن وجدَ الأحباب قيداً تقيدا(٢)

قلتُ: وصاحبُ اليمنِ لا عدوَّ له لأنَّه محجوبٌ ببحرٍ زاخرٍ، وبرٌّ منقطعٍ من كل جهة، والمسالمة بينه وبينهم، فهو لهذا قريرُ العَينِ، خالي البالِ، لا يهمُّه إلا صَدٌ، ولا يهيجُه إلاَّ بَلْبال.(٣)

---

(١) كذا، والعبارة مضطربة.

(٢) عجز بيت للمتنبي وُضع فيه الأحباب موضع الإحسان، وصدره كما في الديوان (٢/١٤٨):

وقَيَّدْتُ نفسي في ذراكَ محبةً.

(٣) كذا،والعبارة مغايرة في معناها لما يرمي إليه السياق،وأولى ان يقال في هذا الموطن:لا يهمه صد،ولايهيجه بلبال

الفصل الثاني

فيما بيد الأشراف(١)

قد تقدمَ القولُ على من قامَ باليمنِ من أهلِ هذا البيتِ الشريف، وهم إلى الآن، وأمرُهم على ما كان، وأولُ قائمٍ منهم:

الإمامُ يحيى الهادي بنُ الحُسينِ الزاهدِ بن أبي محمدٍ القاسمِ الرسِّي بنِ إبراهيمَ طباطبا بنِ إسماعيلَ الدِّيباجِ بنِ إبراهيمَ الغمرِ بن الحَسنِ المُثنى بنِ السيدِ أبي مُحمدٍ الحسنِ بنِ أميرِ المؤمنينَ أبي الحسنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ(٢) سلامُ اللهِ عليهم ورحمتُه وبركاتُه.

قام بهذه الدعوةِ في اليمنِ، وأعلنَ مُناديه بالإمامة، ورفعَ بيتَه، وشيَّدَ له الدِّعامة، واستجابَ الخلقُ لندائِه، وصلُّوا بصلاتِه، وأمَّنوا على دعائِه، وقام منهم مقاماً محمودا، وأثرَ فيهم من الصلاحِ أثراً مشهودا، وفي ذلك يقولُ(٣): <الطويل>

---

(١) هم الأئمة الزيدية، وقد توالى هؤلاء على إمامة اليمن (الشمالي) من أيام الهادي التالي ذكره، وحتى ثورة السادس والعشرين من سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٦٢م، انظر: القلقشندي: صبح ٥/٤٥-٤٩، الواسعي: تاريخ اليمن، ص١٨٥ فما بعدها، شرف الدين: اليمن، ص٢٤٥-٢٦٢، الموسوعة اليمنية: ١/٤٤٧-٤٥٩ (دولة الأئمة الزيدية).

(٢) توفي بصعدة في ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ/آب ٩١١م، وكان قد قام بأمر الإمامة في صفر سنة ٢٨٤هـ/ آذار ٨٩٧م، وملك ما بين صنعاء وصعدة، وهو أول إمام في اليمن، ومعظم أئمة اليمن من أولاده، ترجمته في: العلوي: سيرة الهادي إلى الحق (ينظر كله)، ابن عبد الحميد: بهجة الزمن، ص٤٧ فما بعدها، ابن الديبع: قرة العيون، ص١٢٢ فما بعدها، يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ص٧-٥٣، العرشي: بلوغ المرام، ص٣١-٣٢، الواسعي: تاريخ اليمن، ص١٨٥-١٨٦، شرف الدين: اليمن، ص٢٤٥-٢٤٦، الشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام، ص١٥٠-١٥٦، الموسوعة اليمنية: ١/٤٤٧-٤٤٨ (دولة الأئمة الزيدية).

(٣) البيتان في القلقشندي، صبح ٥/٤٦.

بني حسن إني نهضت بثأركم   و[ثار] (١) كتاب الله والحق والسنن

وصيرت نفسي للحوادث عرضة   وغبت عن الإخوان والأهل والوطن

(٤٧٢) وأكثر ما أطاعت له في اليمن النجود، وانقادت إلى حكمه ودانت له ولإمامته، واجتهدت على استمرار أمره واستدامته.

وقام بعد الهادي ولده المرتضى (٢)، وتمت له البيعة ثم اضطرب أمره، واضطر إلى تجريد السيف، وقاتله الناس، وفي ذلك يقول (٣): <الرمل>

كدر الورد علينا بالصدر   فعل من بدل حقاً وكفر

أيها الأمة عودي للهدى   ودعي عنك أحاديث البشر

عدمتني البيض والسمر معاً   وتبدلت رقاداً بسهر

لأجرن على أعدائنا   نار حرب بضرام وشرر

وكان رحمه الله خطيباً شاعراً ذا مقال يستفز ناظماً وناثراً.

قال صاحب "التبيين في أنساب الطالبيين": وهم الآن الأئمة باليمن.

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، المصدر السابق.

(٢) هو المرتضى لدين الله محمد، توفي بصعدة في المحرم سنة ٣١٠هـ/ أيار ٩٢٢م، وكان قد بويع بالإمامة في المحرم سنة ٣٠٠هـ/ آب ٩١٢م إلى شهر ذي القعدة من السنة نفسها ثم تنحى عنها واعتزل، ترجمته في: ابن الديبع: قرة العيون، ص١٥٧-١٥٨، يحيى بن الحسين: انباء الزمن، ص٥٣، ٦٥-٦٦، العرشي: بلوغ المرام، ص٣٢-٣٣، الواسعي: تاريخ اليمن، ص١٨٦

(٣) الأبيات في العلوي (سيرة الهادي، ص٢٦٨-٢٦٩) باختلاف في بعض الألفاظ والأشطر، وفي القلقشندي (صبح ٥/ ٤٦) بصورة قريبة لما في أيدينا..

قلتُ: وحدثني الشيخُ شهابُ الدينِ أبو جعفر أحمدُ بنُ غانمٍ أنه في عَوْدِه من اليمنِ فاراً من صَاحبِ اليمن، نزلَ بحماهم، ونزحَ إلى كنفِ نُعماهم، فألحقَه إمامُهم القائمُ بظلِّه الظليل، وأتحفَه بفضلِه الجزيل، وأرشفَه على ظمأ زُلالا، وأنصفَه من الأيام مِنَّةً وأفضالا، ووصلَه بمال، وأوصلَه إلى أحسنِ مآل.

قالَ: وهو في مَنَعةٍ مَنيعَة، وذِروةٍ رَفيعَة، دارُ ملكِه صنعاء، ولرعاياه من حِياطةِ الله به استرعَاء.

قالَ: وهو بنفسِه يؤمُّ بهم ويخطبُ، ويركبُ في نحو ثلاثةِ آلافِ فارسٍ، وأما عسكرُه من الرَّجَّالةِ فخلقٌ جَمّ، وأممٌ تموجُ كاليَمّ.

وحدثني الشيخُ تاجُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الباقي بنُ عبدِ المجيدِ اليمنيُّ عما هو عليه هذا الإمامُ في قومِه من الأمرِ المُطاع حتى لا يخرجَ أحدٌ منهم له عن نص، ولا يُشاركُهُ فيما يتميزُ به ويختص مع القوةِ في مُبايَنتِه لصاحبِ اليمن، لا يخافُه ولا يَرجوه، والإهمال له فلا يستجيبُ له ولا يدعوه، مع أنه لا يزالُ صاحبُ اليمن يرعى جانبَه، ويعقدُ بينهما العُقود، وتُكتبُ الهُدَن، وتوثَّقُ المَواثيق، وتُشترَطُ الشُّروط.

قلتُ: (٤٧٣) وقد أتى آتٍ إلى الأبوابِ السلطانيةِ الشريفةِ بمصرَ زعمَ أنه مرسلٌ من حضرةِ هذا الإمام (١)، وحدثني كثيراً من تفاصيلِ أحوالِهم من التشددِ في الدينِ، وإقامةِ الحقِّ والعملِ والالتزامِ بموجبِه، وأنَّ الأئمةَ في هذا البيتِ أهلُ علمٍ يتوارثه إمامٌ عن إمام، وقائمٌ بعدَ قائم، هذه جملةٌ من أحوالِهم ذكرْناها.

---

(١) الإمام الزيدي المخصوص بالسياق كما يستدل من التعريف للمؤلف (ص٣٠) هو ابن مطهر يعني المهدي بالله محمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى، بويع بالإمامة في سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م، واستمر بها حتى وفاته في ذي مرمر سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م، ترجمته في: الشوكاني: البدر الطالع ٢ / ٢٧١، العرشي: بلوغ المرام، ص٥٠–٥١، شرف الدين: اليمن، ص٢٥٦، الزركلي: ٧/١٠٣–١٠٤

وأما صنعاءُ، فدارُ مُلكهم، فقد تقدم في هذا الكتاب من أحوالها مايغني عن إعادته هنا[١]، وهي قاعدةُ مُلكِ اليمنِ في قديمِ الزمان، وأوقاتُها كلُّها على مناسبةِ الاعتدال، لذيذةُ الهواء، كثيرةُ الفواكه، يقعُ بها الأمطارُ والبَرَد، ويكادُ يجمدُ الجَمَد[٢]، وهي تُشبهُ في اليمنِ ببعلبكَّ في الشامِ لتمامِها الحسن، وحُسنِها التمام.

وسألتُ الفاضلَ تاجَ الدينِ عبدَ الباقي اليمانيَّ عما يعلمُه من أحوالِ الأئمةِ بهذه المملكةِ فكتبَ إليَّ أنه ما يعلمُ تفاصيلَ أحوالِهم إذ هم كالبادية، وقالَ: وأئمةُ الزيديين كثيرونَ والمشهورُ منهم: المؤيَّدُ بالله[٣]، والمنصورُ بالله[٤]، والمهديُّ بالله، و[المطهرُ بن يحيى][٥].

---

(١) كذا، ولم يتقدم من أحوال صنعاء شيء، ولعل النص بما فيه هذه العبارة منقول عن مصدر آخر كان قد عرض لذكر صنعاء.

(٢) ويجوز أن تقرأ: الجمر، والجَمَد، والجَمْد: الحجر.

(٣) هو المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي، قام بأمر الإمامة في سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م حتى وفاته في حصن هَرَّان قبلي ذمار في سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، وقيل: في سنة ٧٤٩هـ ترجمته في: الشوكاني: البدر الطالع ٢ / ٣٣١-٣٣٣، ووفاته فيه: سنة ٧٠٥هـ وهو خطأ طبعي، العرشي: بلوغ المرام، ص٥١، الواسعي: تاريخ اليمن، ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٤) هو المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة، قام بأمر الإمامة في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٥م، حتى وفاته في حصن كوكبان في سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، ومنه حمل إلى يريم فظفار وبها مشهده، ترجمته في: ابن الديبع: قرة العيون، ص٢٨٤-٢٩٤، العرشي: بلوغ المرام، ص٤٣، الواسعي: تاريخ اليمن، ص١٩٧-١٩٨، شرف الدين: اليمن، ص٢٥٤، الزركلي: ٤ /٨٣ .

(٥) في الأصل، وفي القلقشندي (صبح ٥ /٤٨): المطهر يحيى بن حمزة، وهو خطأ لما تقدم في الحاشية رقم (٢) أن يحيى هذا هو المؤيد بالله، أما المطهر فهو المتوكل على الله بن يحيى بن المرتضى بن القاسم، قام بأمر الإمامة في سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٨م حتى وفاته في دوران حجة في سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م، وقبره بها مشهور، ترجمته في: العرشي: بلوغ المرام، ص٥٠، الواسعي: تاريخ اليمن، ص٢٠٥، الزركلي: ٧ /٢٥٤ .

قال :و[المهدي بالله] (١) هو الذي كان آخرا على عهد الملك المؤيد داود بن يوسف صاحب اليمن، و[كانت] (٢) الهدنة تكون بينهما.

قال : وابتداء دولة الزيديين [كان] (٣) في أواخرِ دولةِ بني العباس، قال: وأظنُّها من المُستضيء (٤).

قالَ: ولهؤلاءِ دعوةٌ بالجيلان (٥)، وهي كيلان، ولهم دعوةٌ هناك، يجبون لهم الزكواتِ من تلك البلاد، و[ممن] (٦) يجيب داعيهم فيها.

قالَ: وهم من أولادِ زيدِ بنِ الحسنِ بن الحسنِ بن المُثنى (٧)، قالَ: وشيعتُهم كثيرةٌ وأئمتُهم لا يحْتجبون، ولا يَرون التفخيمَ والتعظيم، الإمامُ كواحدٍ من شيعتِه في مأكلِه

(١) في الأصل، وفي القلقشندي (صبح ٤٨/٥) : يحيى بن حمزة، والصواب ما أثبتناه، حيث إن المهدي بالله هو المخصوص بالسياق نظراً لما بينه وبين الملك المؤيد من المجايلة في الحكم، في حين ولي يحيى بن حمزة أمر الزيدية كما تقدم في ترجمته في سنة ٧٢٩هـ أي بعد وفاة المؤيد بثماني سنوات.

(٢) في الأصل: كاتب، والتصحيح من القلقشندي،صبح ٥ /٤٨ .

(٣) في الأصل: كانت.

(٤) كذا، واستناداً إلى قيام الإمام الهادي بأمر الدعوة في سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، فإن ابتداء دولة الزيديين يكون في عهد الخليفة العباسي المعتضد بن المعتمد المتوفى سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، في حين يرقى عهد المستضيء ابن المستنجد المتوفى سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م إلى ما بعد هذا التاريخ بنحو ثلاثة قرون، كما أن عبد الباقي نفسه يتحدث عن استدعاء الإمام الهادي من صعدة إلى صنعاء، ويقول (بهجة الزمن، ص٤٧): "فدخلها في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين ومئتين، وذلك في آخر أيام المعتضد العباسي".

(٥) جيلان: اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، والنسبة إليها جيلاني وجيلي، انظر: ياقوت: ٢٠١/٢.

(٦) في الأصل: من.

(٧) لم أقع له على ذكر فيما توفر لدي من المصادر.

ومشرَبه وملبسه وقيامه وقعوده وركوبه ونزوله وعامة أموره، يجلسُ ويجالسُ، ويعودُ المرضى ويُصلي بالناسِ على الجنائزِ، ويُشيّعُ الموتى، ويحضرُ دفنَ بعضِهم.

قالَ: وشيعَتُه لهم في إمامِهم حسنُ اعتقادِهم، وهم يَستَشْفون [بدُعائه] (١)، وبمرورِ يَدِه على مَرضاهم، ويَستسقُون المطرَ إذا جُدِبوا (٤٧٤) به.

قالَ: وهم يبالغونَ في ذلك [مبالغتهم] (٢) العظيمة.

سألتُه، فهل لهذه الدعوةِ حقيقةٌ ؟

قالَ: هذه أقوالُهم التي كانت تبلغُنا عنهم، وتصلُ إلينا من نحوِهم، وما أجزمُ.

قلتُ: ولا يكثرُ لإمامٍ هذه سيرتُه في التواضعِ لله، وحسنِ المعاملةِ لخلقِه وهو من ذلك الأصلِ الطّاهر، والعنصرِ الطيبِ أن يُجابَ دُعاؤه ويُتَقبلَ منه.

وحدَّثني الحكيمُ الفاضلُ صلاحُ الدينِ محمدُ بنُ البرهانِ أن اليمنَ تنقسمُ إلى قسمْين: سواحلَ وجبالٍ، فالسواحلُ كلُّها لبني رَسول، والجبالُ كلُّها أو غالبُها للأشرافِ وهيَ أقلُّ دخلاً من السواحلِ لمدَدِ البحرِ لتلك واتصالِ سبيلِها منه، وانقطاعِ المدَدِ عن هذه البلادِ لانقطاعِ سبيلِها من كلِّ جهة.

وحدَّثني أبو جعفر بنُ غانمٍ أن بلادَ الشرفاءِ هؤلاءِ متصلةٌ ببلادِ السَّراة (٣) إلى الطائفِ إلى مكةَ المعظمةِ وأنها طريقُه التي سلكَها في عَوْدِه عن اليمنِ، قالَ: وهي جبالٌ شامخةٌ عليّةٌ

(١) في الأصل: بدعائهم.

(٢) في الأصل: مبالغهم.

(٣) بلاد السراة: هي سلسلة الجبال الممتدة من أرض المعافر الحجرية في أقصى جنوب اليمن إلى شمال الحجاز، انظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٥٨، ٩٩، فما بعدها، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١١٧، الواسعي: تاريخ اليمن، ص١٠٣–١٠٥

ذاتُ عيونٍ دَافقةٍ ومياهٍ جَاريةٍ على قرىً متصلةٍ الواحدةُ إلى جانبِ الأخرى، وليست لواحدةٍ تعلقٌ بالأخرى، [بل] (١) لكلِّ واحدةٍ أهلٌ يرجعُ أمرُهم إلى كبيرِهم لا يضمُّهم مُلكُ مَلكٍ، ولا يجمعُهم حكمُ سلطانٍ، ولا تخلو قريةٌ منها من أشجارٍ وغُروسٍ ذَواتِ فواكه أكثرُها العنبُ واللَّوزُ، ولها زروعٌ أكثرُها الشعيرُ، ولأهلِها ماشيةٌ أعوزتْها الزَّرائبُ، وضاقتْ بها الحظائرُ.

قالَ: وأهلُها أهلُ سلامةٍ وخيرٍ وتمسكٍ بالشريعةِ ووقوفٍ معها، يعضُّون على دينِهم بالنواجذِ، ويُقْرُون كلَّ من يمرُّ بهم ويُضيفونَه مُدةَ مقامهِ حتى يفارقَهم.

قالَ: وإذا ذبحوا لضَيفِهم قدمُوا له جميعَ لحمِها ورأسِها وأكارعِها وكرشِها وكبدِها وقلبِها، يأكلُ ما يأكلُ، ويحملُ ما يحملُ.

قالَ: وأهلُ هذه البلادِ لا يفارقُ أحدٌ منهم قريتَه مسافراً إلى الأخرى إلا برفيقٍ يسترفقُه منها ليخفرَه، وإلا فلا يأمنُ أولئك لعداوةٍ بينهم وتفرقِ ذاتِ بين.

ثم نعودُ إلى تتمةِ الكلامِ في مملكةِ الأشرافِ (٤٧٥)، فنقولُ وباللهِ التوفيقُ:

إنها تَشتملُ على عِدةِ حُصونٍ منيفةٍ وبلادٍ مُخْصبةٍ مُريعة، وقبائلَ عَربٍ وحُلفاء وأكرادٍ في طاعةِ هؤلاءِ الشرفاءِ، ولأمراءِ مكةَ ميلٌ كليٌّ (٢) إليهم لقرابتِهم بهم ولتمذهبِهم بمَذهبِهم (٣) والإمامُ في هذه البلادِ يعتقدُ في نفسِه ويعتقدُ أشياعُه فيه أنَّه إمامٌ معصومٌ مُفتَرضُ الطّاعة تنعقدُ به عندَهم الجُمُعة والجماعَة، ويَرَوْنَ أن جميعَ ملوكِ الأرضِ وسلاطينِ

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/ ٣٦

(٢) وردت في الأصل متبوعة بكلمة: إلى، زائدة.

(٣) أمراء مكة الذين تولوا شرافتها في عصر المؤلف هم أولاد الشريف نجم الدين أبي نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني (ت ٧٠١ هـ/ ١٣٠١م)، وهم يلتقون مع أئمة الزيدية في النسب الحسني، كما أنهم زيدية مثلهم، راجع للمؤلف: التعريف، ص٢٧، ٣٣-٣٤، ٢٠٣-٢٠٤

الأقطار تلزمُهم طاعتُه ومتابعتُه حتى خلفاء بني العباس، وأنَّ جميعَ من ماتَ منهم ماتَ عاصيا بترك متابعتِه ومبايعتِه، وهم يزعُمون ويُزْعَمُ لهم أنْ سيكونُ لهم دولةٌ يدالُ بها [بين] (١) الأمِ، وتملكُ مُنتهى الهِمم، لا يهجع لها سيوف، ولا يخضع صفوف، وفي رأيهم أن الإمامَ الحُجَّة المُنتَظَر في آخرِ الزمان منهم.

وزِيُّ هذا الإمامِ وأتباعِه عندهم: زيُّ العربِ في لباسِهم والعمامةِ والحَنك (٢) ويقال في الأذانِ عندهم: حيَّ على خيرِ العمل، ولا يظهرُ أحدٌ منهم ولا عندَهم بسَبٍّ ولا تَنقُّصٍ (٣) على ما هو رأيُ الزيدية.

حَدَّثني من أقامَ بينَهم مدةً صالحةً أنهم أهلُ نجدةٍ وبأسٍ وشجاعةٍ ورأي، غيرَ أنَّ عددَهم قليلٌ، وسلاحَهم ليس بكثيرٍ لضيق أيديهم، وقلّةِ دَخلِ بلادِهم، قال: ولقد فارقتُهم في سنةِ اثنتين وثلاثينَ وسَبعِ مئةٍ وهم لا يشكونَ أنه قد آن أوانُ ظهورِهم، وحانَ حينُ مُلكِهم، ولهم [رعايا] (٤) تختلفُ إلى البلادِ وتجتمعُ بمن هو على رأيِهم يتربصون ضعفَ الدولِ في أقطارِ الأرض.

وحدثني شيخُنا قاضي القضاةِ شيخُ الإسلامِ كمالُ الدينِ أبو المعالي محمدُ بنُ عليٍّ الأنصاريُّ بنُ الزَّمَلْكاني (٥) رحمَه اللهُ عندَ عودِه من قَضاءِ حَلبَ (٦) عن رجلٍ كانَ بها وأنَّه

---

(١) في الأصل: من، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥ / ٥٠

(٢) الحنك: هو الطرف المتدلي من العمامة، وورد في ماير (الملابس المملوكية، ص٢٤-٢٥، ٣٠، ٩٢-٩٣) باسم: العذبة.

(٣) يقصد سب الصحابة رضي الله عنهم، أو التنقص منهم على ما هو عليه الحال عند غلاة الشيعة.

(٤) في الأصل: عادة، والتصحيح من القلقشندي، المصدر السابق، وبه يستقيم المعنى.

(٥) توفي بمدينة بِلبيْس في رمضان سنة ٧٢٧هـ/ آب ١٣٢٧م، وحمل إلى القاهرة ودفن بالقرافة، ترجمته في: الذهبي: ذيل العبر، ص٨٠-٨٢، الصفدي: الوافي ٤ / ٢١٤-٢٢١، السبكي: طبقات الشافعية ٥ / ٢٥١-٢٥٩، ابن كثير: البداية ١٤ / ١٣١-١٣٢، ابن حجر: الدرر ٤ / ١٩٢-١٩٤، ابن تغري بردي: النجوم ٩ / ٢٧٠-٢٧١

(٦) في ابن حجر (الدرر ٤ / ١٩٣): ".ولي قضاء حلب في سنة ٧٢٤ ثم صرف عنها فدخل إلى دمشق سنة٧٢٧، وطلبه الناصر (محمد بن قلاوون) على البريد ليوليه قضاء دمشق فتوجه إلى القاهرة فمات ببلبيس".

ماتَ وتركَ صندوقين كبيرين مختومين فَظُنَّ أنَّ فيهما مالاً ففتحَا فلم يوجدْ فيهما سوى كتبٍ من أئمةِ هذه الجهةِ، ونسخِ أجوبةٍ عنها، منها ما هو إليهِ ومنه، ومنها ما كانَ إلى قُدماءِ آبائه وأسلافِه ومنهم،فسألتُه: كيفَ كانت ؟ وما الذي كانَ مضمونُها ؟ فقالَ: أما كيفَ فعلى (٤٧٦) نحوِ طريقةِ السَّلف من فلانٍ أميرِ المؤمنين وإمامِ الوقت إلى فُلانٍ أو لفلان، أما بعدُ، فإني أحمدُ إليك اللهَ الذي لا إلهَ إلا هوَ، وأعلمُك بكذا وكذا، وكذلك نسخُ الأجوبةِ، ويبدأ باسمِ الإمامِ على عادةِ السَّلفِ لا نقصَ فيها ولا زيادة سوى قولِه وإمامُ الوقتِ، وأما مضمونُها فيختلفُ، ومدارُه على استعلامِ الأخبار عامة، وأحوال الشيعةِ خاصة، والسؤالُ عن أناسٍ منهم، وأنه قد وردَ كتابُ فلانٍ، وأُعيدَ جوابُ فلانٍ عن أُناس ما يُعرفُ من هم بكناياتٍ موضوعة، وفي بعضها حديثُ الخُمْس وذكرُ وصولِه، أو التقاضي به.

قالَ: ورأيتُ في بعضِها في هذا المعنى ما هذه عبارتُه وهي: ولا تُؤخروا مَددَ مَنْ هنا من إخوانِكم من المؤمنين في هذه البلادِ الشّاسعةِ وهو حقُّ اللهِ فيه تزكيةُ أموالِكم ومدَدُ إخوانِكم من الضعفاءِ واتقوا اللهَ، و ﴿ استغفروا ربَّكم إنَّه كانَ غَفارا، يُرسلِ السماءَ عليكم مِدْرارا، ويُمددْكم بأموالٍ وبنينَ ويَجعلْ لكم جَناتٍ ويَجعلْ لكم أنهارا ﴾[1].

فسألته عما صنعوا بتلك الكتبِ، فقال: عرَّفتُ الأميرَ أرغُونَ[2] نائبَ السلطانِ بها، فقالَ: اغسلوها فَغُسِلَتْ.

هذا ما انتهى إلينا من أخبارِهم.

---

(١) سورة نوح (٧١) آية ١٠-١٢ .

(٢) هو سيف الدين أرغون بن عبد الله الدوادار الناصري، توفي بحلب في ربيع الأول سنة ٧٣١هـ/ آخر كانون الأول ١٣٣٠م، ترجمته في: الذهبي: ذيل العبر، ص٩٠، ابن الوردي: تتمة المختصر ٢/ ٤١٩، ابن كثير: البداية ١٤/ ١٥٥، ابن حجر: الدرر ١/ ٣٧٤، ابن تغري بردي: الدليل ١/ ١٠٦، والمنهل ٢/ ٣٠٦-٣٠٨، والنجوم ٩/ ٢٨٨-٢٨٩ .

الباب الثامن

في ممالك المسلمين بالحبشة

وفيه سبعة فصول

الفصل الأول : في أوفات

الفصل الثاني : في دوارو

الفصل الثالث : في أرابيني

الفصل الرابع : في هدية

الفصل الخامس : في شرحا

الفصل السادس: في بالي

الفصل السابع : في دارة

‹ ممالكُ المسلمينَ بالحبشةِ وهي سبعُ ممالكَ ›

وهذه الممالكُ السَّبعةُ[1] بأيدي سَبعةِ ملوك، وهي ضعيفةُ البناء، قليلةُ الغَنَاء لضَعفِ تركيبِ أهلها وقلَّةِ محصولِ البلاد، وتسلُّطِ ملكِ ملوكِ الحبشةِ صاحبِ أَمْحَرَةَ[2] عليهم مع ما بينَهم من عداوةِ الدينِ ومباينةِ ما بينَ النصارى والمسلمين، ومع هذا (٤٧٧) فكلمتُهم متفرقة، وذاتُ بينهم فاسدَة.

وقد حكى لي الشَّيخُ عبدُ اللهِ الزيلعي[3] وجماعةٌ من فقهاءِ هذه البلادِ أنَّ هؤلاءِ الملوكَ السبعةَ لو اتفقتْ كلمتُهم، واجتمعتْ ذاتُ بينِهم قَدروا على المدافعةِ، أو التماسُك، ولكنهم مع ما هم عليهِ من الضعفِ وافتراقِ الكلمةِ بينهم تنافسٌ، ومنهم من يترامى إلى صاحبِ أَمْحَرَة ويميلُ إليه بالطباع، وهؤلاءِ معَ الذلةِ والمَسكنةِ عليهم لصاحبِ أَمْحَرَة قطائعُ

---

(١) في القلقشندي (صبح ٥/٣١٠): "هي البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالي بحر القلزم (الأحمر) وما يتصل به من بحر الهند، ويعبر عنها بالطراز الإسلامي لأنها على جانب البحر كالطراز له، وهي البلاد التي يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع"، وقارن بابن سعيد، الجغرافيا ص٩٩

(٢) صاحب أَمْحَرَة، أو الأمحري: لقب أطلق على ملك الحبشة في المصادر الإسلامية، ويقال له أيضاً: الحطي، وكانت قاعدته مدينة مرعدي، أو جرمي، وتعرف ببيت أمحرا، وأمحرا، أو أمهرا :(Amhara)جنس من الحبشة، وقد عرفت مملكة الحبشة إبان العصور الوسطى ببلاد أمحرا لغلبة هذا العنصر فيها، انظر: القلقشندي: صبح ٥/٢٩١، ٣٠٨

(٣) هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي الحنفي، توفي بالقاهرة في المحرم سنة ٧٦٢هـ/ تشرين الثاني ١٣٦٠م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٢/٤١٧، السيوطي: حسن المحاضرة ١/٢٠٣، الشوكاني: البدر الطالع ١/٤٠٢، الزركلي: ٤/١٤٧

مُحررةٌ، تُحملُ [إليه] [١] في كلِّ سنةٍ وهي من القُماشِ الحريرِ والكَتّانِ [مما] [٢] يُجلَبُ إليهم من مصرَ واليمنِ والعراقِ، وقد كانَ الفقيهُ عبدُ الله الزيلعيُّ قد سعى في الأبوابِ السلطانيةِ بمصرَ عندَ وصولِ رُسُلِ صاحبِ أمْحَرَة إليها في تَنجُّزِ كتابِ البطريركِ [٣] إليهِ بكفِّ أذيَّته عن [بلادِ المسلمين] [٤] وأخذِ حريمِهم [٥]، ورسمَ له بذلك، وكتبَ البطريركُ كتاباً بليغاً شافياً فيه معنى الإنكارِ لهذه الأفعال، وأنه حَرَّمَ هذا على من يفعلُه بعباراتٍ أجادَ فيها، وفي هذا دَلالةٌ على الحال، وسنذكرُ أمورَهم مفصَّلةً في موضعِها.

قالَ لي الشيخُ الصالحُ عبدُ المؤمنِ [٦]:

إنَّ طولَها براً وبحراً خاصاً بها نحوُ شهرين وعرضَها ممتدٌّ اكثر من هذا، لكن الغالبَ في

---

(١) إضافة من القلقشندي، صبح ٥/٣١٧

(٢) في الأصل: ما، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٣) هو البطريرك بنيامين كما يلي من السياق، وقد ذكره القلقشندي (صبح ٥/٣٠٨) في سلسلة البطاركة الذين تعاقبوا على كرسي البطريركية المصرية في الإسكندرية ولم يصرح له بترجمة.

(٤) في الأصل: بلاده من المسلمين، والتصحيح من عندنا، وبه يستقيم المعنى.

(٥) وذلك نظراً لما يتمتع به بطريرك الكنيسة المصرية من نفوذ وسلطان لدى نصارى الحبشة وملوكهم بحكم تبعية هؤلاء الدينية (المذهبية) له، وعلى ما يذكر المؤلف (التعريف، ص٤٩) فإن لأوامر البطريرك المذكور عند صاحب أمحرة ما لشريعته من الحرمة، وفي القلقشندي (صبح ٥/٢٩٥) أن بطريرك الإسكندرية يتصرف في ملوك الحبشة بالولاية والعزل، لا تصح ولاية ملك منهم إلا بتوليته.

(٦) هو صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله البغدادي الحنبلي، توفي في بغداد في صفر سنة ٧٣٩هـ/ آب ١٣٣٨م، وهو صاحب كتاب "مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع"، ترجمته في: الذهبي: ذيل العبر، ص١١٢، ابن حجر: الدرر ٣/٣٢-٣٣، ابن العماد: شذرات ٦/١٢١-١٢٢، الشوكاني: البدر الطالع ١/٤٠٤-٤٠٥، الزركلي: ٤/١٧٠ .

[عرضِها][1] مُقفر، وأما مقدارُ العمارةِ فهو ثلاثةٌ وأربعونَ يوماً [طولاً وأربعون يوماً][2] عرضاً.

وبهذه الممالكِ السّبعةِ الجوامعُ والمساجدُ والمواذنُ، وتقامُ بها الخطبُ والجمعُ والجماعات، وعندَ أهلِها محافظةٌ على الدين، ولا تُعرَفُ عندهم مدرسةٌ ولا خانقاه[3] ولا رباطٌ ولا زاويةٌ، وليست لهم إبلٌ، وهي بلادٌ حارةٌ ليستْ بمائلة إلى الاعتدالِ، وألوانُ أهلِها إلى الصُّفارِ، وليستْ شعورُهم في غايةِ التَّفَلْفُلِ كأهلِ مملكةِ مالّي وما معها وما يليها من جنوبِ المغربِ.

وفيهم الزهادُ والأبرارُ، وهذه البلادُ هي التي يُقالُ لها بمصرَ والشام بلادُ الزيلَع، وإنما الزيلعُ قريةٌ بالبحرِ من قراها وجزيرةٌ من جزائرِها[4] وإنما غلبَ عليها اسمُها، وبيوتُهم من طينٍ وأحجارٍ وأخشابٍ مُسَقَّفَةٍ جملوناتٍ و[قباباً][5]، وليست بذواتِ أسوار، ولا لها فخامةُ بناء، وقد أوردْنا هذا على جهةِ الإجمال (٤٧٨) ونحن نذكرُ ذلك فصلاً فصلاً إن شاءَ اللهُ تعالى.

---

(١) في الأصل: عرضه.

(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/٣١٠

(٣) الخانقاه، أو الخانكاه: كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، ثم أصبحت في الإسلام تطلق على الزاوية التي تتخلى فيها الصوفية للعبادة، انظر: المقريزي: المواعظ: ٤١٤/٢

(٤) وهي تقع على الشاطئ الإفريقي لخليج عدن في شمال الصومال، انظر: ياقوت: ٣/١٦٤-١٦٥، الحميري: ص٢٨٢ (زالع)، ابن بطوطة: ص٢٥٢، القلقشندي: صبح ٥/٣١١-٣١٢

(٥) في الأصل: قباب

الفصل الأول

في أوفات [١]

حدَّثني الفقيهُ عبدُ الله الزيلَعيُّ ومَن معَه من الفقهاءِ أنَّ مملكةَ أوفات طولُها خمسةَ عشرَ يوماً، وعرضُها عشرون يوماً، بالسَّيرِ المعتاد، وكلُّها عامرةٌ آهلةٌ بقرىً متصلةٍ وبها نهرٌ جارٍ [وهي] [٢] أقربُ أخواتِها إلى الديارِ المصرية وإلى السواحلِ المُسامتةِ لليمن، وهي أوسعُ هذه الممالكِ أرضاً، والأجلابُ إليها أكثرُ لقُربِها من البلاد.

ومَلكُها يحكمُ على الزَّيلَعِ، والزَّيلَعُ اسمُ ميناءِ التجارِ الواردينَ إليها، وهو في وقتِنا اليومَ شافعيُّ المذهبِ وغالبُها شافعية.

وعسكرُها خمسةَ عشرَ ألفاً من الفُرسان، ويتبعُهم عشرون ألفاً وأزيدُ من الرَّجَّالة، وهم يركبونَ الخيلَ عرايا بلا سُروج، وإنما يوطئون لهم بجلود مرعز حتى الملكِ، وخيلُهم عِرابٌ، وفي غالبِ الأوقاتِ ركوبُهم البغالُ، والملكُ عندَهم أو الأميرُ يُعدُّ من حِشمته إذا ركبَ بغلةً <أن> يردفَ خلفَه غُلامَه على كِفْلِ البغْلة، وأما إذا ركبَ فرساً فإنه لا يردفُ أحداً عليه.

ويُسمى الملكُ عندهم فاط، والملكُ يعتصبُ على رأسِه بعصابةٍ من حريرٍ تَدورُ بدائرِ رأسِه، ويبقى وَسَطُ الرأسِ مكشوفاً.

وأما الأمراءُ والجندُ فتعصَّبُ رؤوسُهم بعَصائبَ من قطنٍ على مثلِ هذا الوضع، ولا

---

(١) قارن بالقلقشندي، صبح ٥/٣١١-٣١٢

(٢) في الأصل: وهو.

يعتصبُ بالحرير إلاّ الملكُ، وقَلَّ من يلبسُ منهم قميصاً أو ثوباً مَخيطاً وإنما يتزرونَ وَزْرات، وتلبسُ طائفةُ أرباب السيوفِ منهم سَراويلات.

وأما الفقهاءُ، فتلبسُ العمائمَ، وعامةُ الناسِ تلبسُ كوافي بيضاً طاقيات، ومن الفقهاءِ وأربابِ النعمِ من يلبسُ القمصانَ وإلا فالجمهورُ الغالبُ [الوزرات](١) كلُّ واحدٍ بوَزْرَتَيْن واحدةٍ على كتفهِ متوشحاً بها والأخرى في وسطِه، وكلامُهم بالحبشيةِ وبالعربيةِ.

ومما يعدُّه أهلُ هذهِ المملكةِ من الحِشْمة أن الملكَ أو الأميرَ إذا مشى يتوكأ على رَجُلَيْن من خاصَّتِه، والملكُ يجلسُ على (٤٧٩) كرسي حديدٍ مُطعمٍ [بالذهب](٢) عُلُوُّه أربعةُ أذرع، ويجلسُ أكابرُ الأمراءِ حولَه على كراسيٍّ أخفضَ من كرسيِّه وبقيةُ الأمراءِ وقوفٌ، ويحملُ رجلان على رأسِه السلاحَ، وإذا ركبَ يُحملُ على رأسه جَتْرٌ(٣) حرير، [ثم إن كان الملكُ راكباً فرساً كان حاملُ الجَتْرِ ماشياً بإزائه والجترُ بيده](٢)، فإنْ كانَ الملكُ [راكبا](٤) بغلةً كانَ حاملُ الجَتْر رديفَه، والجَتْرُ بيده [على رأسِ الملك](٢) وقُدامَه حُجَّابٌ ونقباءُ تطردُ الناسَ، وتضربُ قدامَه الشَّبابةَ والبوقاتِ من خشَبٍ اسمُه البنبو المعمولُ منه في اليد وفي رؤوسِها قرونُ بقرٍ ويُدَقُّ معها الوَطْواطُ وهي طبولٌ معلقةٌ في رقابِ الرجالِ، ويكونُ قُدامَ الجميعِ بوقٌ اسمُه

---

(١) في الأصل: الموزرات.

(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/٣١٩

(٣) الجَتْرُ: لفظة فارسية معربة معناها المظلة، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس الملك في العيدين، انظر: المصدر نفسه، ٤/٧-٨

(٤) في الأصل: راكب.

الجبنَا[(١)] وهو ملويٌّ من قرونِ الوحشِ، وحشٍ عندهم اسمُه عجزين[(٢)] من نوعِ بقرِ الوَحْشِ يكون طولُه ثلاثةَ أذرع [محروقٌ][(٣)] من عُلُوِّه يُسْمَعُ من قريبِ نصفِ نهار، فيعلمُ الناسُ ركوبَ الملكِ فيتبادرُ إليه من له عادةُ الركوبِ معه، ويتنحى عن طريقِه مَن يحبُّ أنْ يَتَنحّى.

وعندَه قضاةٌ وفقهاءُ، وليسَ فيهم بارعُ العلمِ، و[الملكُ][(٤)] يتصدى للحكمِ بينَ الناس، ويقصدُ الإنصاف.

وفي مملكتِه مدنٌ أمهاتٌ، وهي[(٥)]: بقلرز، وكلجور[(٦)]، وسبمق، وسوا، وعدل، وجبا، ولاو.

وأكثرُ قتالِ هذه المملكةِ بالحِرابِ، وفيهمُ الرماةُ بالنشّاب، وأقواتُهم القمحُ والذرةُ والطّافي وهو حبٌّ دقيقٌ إلى غاية، أكبرُ من الخَردَل[(٧)]، وهو أحمرُ اللونِ لهم منه قوت، وعندهم الأبقارُ والأغنامُ كثيرةٌ جداً، وكذلكَ السمنُ والعسلُ، وأما المَعِزُ فقليلةٌ عندَهم، وأسعارُهم رخية.

---

(١) في القلقشندي،صبح٥ / ٣١٩ :الجنبا.

(٢) في المصدر نفسه: عجرين.

(٣) في الأصل: محروقاً.

(٤) في الأصل: ولا الملك.

(٥) لم أقع لهذه المدن باستثناء كلجور على تعريف فيما توفر لدي من المصادر.

(٦) ذكرها ابن سعيد (الجغرافيا، ص٩٨) وعدها من مدن الحبشة المشهورة، وقال: "وهي مجمع لهم في كل ناحية وبها ملتقى من يريد البحر أو النيل أو البرية".

(٧) الخردل: نبات عشبي حِرِّيف ينبت في الحقول وعلى حواشي الطرق تستعمل بذوره في الطب ومن بذوره يتبل الطعام، الواحدة منها خردلة (المعجم الوسيط).

وكيلُهم يُسمى الرُّابعيَّة، وهذا الكيلُ مقدارُه ويبةٌ مِصريةٌ[(١)]، ورطلهُم [اثنتا عَشْرَة] [(٢)] أوقيةً، وزنُ الأُوقيةِ عَشَرةُ دراهمَ نُقْرةٍ [(٣)] بصَنْجة مِصر [(٤)].

وعندَهم من قصبِ السكرِ مقدارٌ صالح، ويخرجُ منه القَنْدُ[(٥)]، ويُعمَلُ قِطعاً صِغاراً، وعندهم الموزُ والجُمَّيْزُ والأُتْرُجُّ والليمونُ وقليلٌ من النارنج والرمانِ الحامضِ والمُشْمُشِ والتوتِ الأسودِ والعنَبِ الأسود، وهو والتوتُ قليلان، وعندهم تينٌ بري، وخَوخٌ بري، ولكنَّهم لا يأكلونَ [الخَوخَ و] [(٦)] التينَ، ولهم فواكهُ أخرى لا تُعرَفُ بمصرَ والشامِ والعراقِ، فمنها:

(٤٨٠) شجرٌ اسمُه كشياد[(٧)] يخرجُ ثمرُه أحمرَ صفةَ البلَحِ، وهو حلوٌ ماويٌّ، وشجرٌ يُعرَفُ لمويه يخرجُ ثمرُه أسودَ صفةَ البلح، طعمُهُ مُزٌّ ماوي.

ومنها شجرٌ يُسمى كوسي يخرجُ ثمرهُ مدوراً شديدَ الاستدارةِ كالبرقوقِ، ولونُه أصفرُ خلوقيٌّ كلونِ الشمسِ وهو مُزٌّ ماويٌّ.

---

(١) الويبة المصرية: مكيال للحبوب سعته سدس الإردب (الإردب يساوي٩٦ قدحاً)، انظر: البقلي: التعريف، ص٣٦٢، طرخان: النظم الإقطاعية، ص٥١٦

(٢) في الأصل: اثنا عشر.

(٣) الدراهم النقرة: هي أجود أنواع الدراهم وأعلاها قيمة، وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها فضة وثلثها من نحاس، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية، انظر: القلقشندي: صبح ٣/٤٣٩، طرخان: النظم الإقطاعية، ص٥٢٤

(٤) يعني بأوزان مصر.

(٥) القَنْد: عصارة قصب السكر إذا جمد (لسان العرب).

(٦) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/٣١٥

(٧) في المصدر نفسه: كشباد.

ومنها شجرُ طانة يخرجُ ثمرُه أصغرَ من البُسْرِ، وفي وسَطِه شبيهُ النوى، وهو حلوٌ صادقُ الحلاوةِ.

ومنها شجرٌ اسمُه أوَجَات(١) بفتح الواوِ والجيمِ تخرجُ ثمرتُه أكبرَ من حبِّ الفُلْفُلِ وطعمُه شبيهٌ به في الحرافةِ مع بعضِ حَلاوة.

ومنها شجرٌ اسمُه جات(٢)، وهذه الجيمُ الموحدةُ نطقُهم بها بينَ الجيمِ والشينِ لا ثمرَ له، وإنما المأكولُ قلوبُه، وهو يزيدُ في الذكاءِ ويُذكِّرُ الناسيَ، ويفرجُ ويقللُ الأكلَ والنومَ والجماعَ، وكلُّهم يأكلونَه ويَرْغَبُونَ في أكلِه، وخصوصاً طلبةَ العلمِ منهم، ومن يريدُ الاشتغالَ أو من يُؤثرُ دوامَ السهرِ لسَفرٍ يسافرُه، أو لحرفةٍ يعملُها، وعنايتُهم به شبيهٌ بعنايةِ أهلِ الهندِ بالتُّنبول(٣) وإن لم يكنْ هذا شبهَ ذلك، وحاشى ما يقالُ عن تلك الأفعالِ المحمودةِ من مشابهةِ هذا لما يدل عليه من زيادةِ تحقيقه بما يورثُه من قلةِ النومِ والأكلِ والجماعِ، ولقد أعجبني ما حكاهُ بعضُ هؤلاءِ الفقهاءِ المخبرين نيابةً عن الملكِ المؤيِّدِ داودَ صاحبِ اليمنِ رحمَه اللهُ، قالَ:

سافرَ بعضُ المسلمينَ من أهلِ بلادِ الحبشةِ إلى اليمن، واتصل بالملكِ المؤيِّدِ، وصارَ من خاصَّتِه، فمنَّاه يوماً، فتمنّى عليه قلوبَ شجرِ [الجاتِ](٤)، فبعثَ من نقلَ إليه منها، وغُرِسَت باليمن، فأنجبت فلما آنَ اقتطافُ قلوبِها، سأله الملكُ المؤيِّدُ عما يفيدُ، فوصفَ له ما

(١) في القلقشندي (صبح ٥/٣١٥): أوَجَاق.

(٢) في القلقشندي (صبح ٥/٢٩٣): جان، والصواب ما أثبتناه استناداً لما يلي من السياق في وصف القات الشجر المعروف والمتداول في اليمن.

(٣) التنبول: شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب، ويصنع له معرشات من القصب كما تصنع لدوالي العنب، ولا ثمر للتنبول وإنما المقصود منه ورقه، وهو يشبه ورق العَلَّيْق، انظر: ابن سعيد: الجغرافيا، ص٨٨، وهو فيه: التنبيل، ابن بطوطة: ص٢٦٣

(٤) في الأصل: الأوجات، والسياق لا يزال منصرفاً على القات.

يحدثُ عنها، فلما قالَ له: إنَّها تقللُ الأكلَ والنومَ والجماعَ، قالَ له الملكُ المؤيَّدُ: وأيُّ لذةٍ في الدنيا سوى هذا، والله لا آكلُه فإنني ما أنفقُ الأموالَ إلا على الثلاثةِ الأشياءِ فكيفَ استعملُ ما يحولُ بيني وبينَ لذَّاتيَ منها(١).

ويُزرعُ عندهم اللوبيا والخَرْدَلُ والبَاذنْجان والبطيخُ الأخضرُ والخيارُ والقَرْعُ والكُرُنْبُ(٢) وتطلعُ عندَهم (٤٨١) الْملوخيَّةُ، وكذلك الشَّمار(٣) والصَّعترُ.

ويُجلبُ إليهم الذهبُ من داموت وسحام وهما بلادُ معادنَ بالحبشة، وتساوي الأوقيَّةُ منه من ثمانينَ درهماً إلى مئةٍ وعشرينَ درهماً على قَدْرِ جَودةِ الذَّهب ورداءته بقَدْرِ ما يخالطُه من الترابِ والتربةِ، والطِّيبُ من الذهبِ عندَهم يُسمى ...(٤).

وعندَهم الدجاجُ الدواجنُ ولا لهم كثيرُ رغبةٍ في أكلِها استقذاراً لها لأكلِها من القُمامات والزِّبْل، وعندَهم جواميسُ بريةٌ تُصَادُ كما ذُكرَ في بلادِ مالِّي، وبها من أنواعِ الوحشِ البقرُ والحُمُرُ والغزالُ والنَّعامُ والمَها والإبلُ والكركدّن والفهدُ والأسدُ والضَّبُعةُ العَرجاء، وتسمى عندَهم مرغفيف(٥)، ويُصادُ عندهم دجاجُ الحَبَشِ المَعْروف، ويؤكلُ ويُستطابُ لحمُهُ

---

(١) قلت: وبهذه الرواية يكون المؤلف قد قدم إضافة مهمة حول تاريخ دخول القات لليمن في غمرة الاختلافات القائمة حول هذه المسألة، وإن كان هناك إجماع بأن الموطن الأصلي لهذه الشجرة هو الحبشة، انظر: الموسوعة اليمنية: ٢/٧٣٣-٧٣٥ (القات).

(٢) في لسان العرب، الكُرُنْب: السِّلق، وفي المعجم الوسيط: ويسمى في الشام الملفوف.

(٣) يجوز أن يكون المقصود الشُّمَر، وهو بقلة من الفصيلة الخيمية، ومنه نوع حلو يزرع ويؤكل ورقه وسوقه نيئاً، ونوع آخر سكري يؤكل مطبوخاً (المعجم الوسيط).

(٤) أصل البياض كلمة غير واضحة.

(١) في القلقشندي (صبح ٥/٣١٥): مرغفيف.

ويفاخَرُ فيه.

وليسَ لأمراءِ هذا الملكِ ولا لجندِه إقطاعاتٌ عليه ولا نقودٌ، وإنما لهم الدوابُّ الكثيرةُ السليمةُ، ومن شاءَ منهم زرعَ واستغلَّ ولا يُعارَض.

ولهذا الملكِ سِماطٌ عامرٌ ممدودٌ بل له سِماطٌ له ولخاصتِه، ولكنَّه يفرقُ في بعضِ الأحيانِ على أمرائِه بقراً عِوضاً عن أكلِهم على السِّماط، وأكثرُ ما يُعطى الأميرُ الكبيرُ منهم [مئتا][1] بقرةٍ.

وليسَ بأوفاتِ ولا بلادِها دارُ ضَرْبٍ ولا سِكَّة، ومعاملتُهم بدنانيرِ مِصر، ودراهمِها مما يدخلُ مع التجارِ إلى بلادِهم.

---

(١) في الأصل: مايتي.

الفصل الثاني

في دوارو[(١)]

حدثني هؤلاء الفقهاءُ المتقدمونَ في الفصلِ قبله أنَّ هذه المملكةَ طولُها خمسةُ أيام، وعرضُها يومان، وهي على هذا الضيق ذاتُ عسكرٍ جَمٍّ نظيرِ عسكرِ أوفات في الفارسِ والراجلِ، وزيُّهم مثلُ زيِّهم في اللبْسِ والركوبِ والهيئةِ سوى أن ملكها لا يُحْملُ على رأسه جَتر، ولا يتوكأُ الأكابرُ بها مثلَ الملكِ والأمراءِ على الأيدي، وأقواتُهم والموجوداتُ [التي][(٢)] عندَهم من الحبوبِ والفواكهِ والخيولِ والدوابِّ من نسبةِ ما تقدمَ إلا أنهم حنفيةُ المذْهب، ومعاملتُهم بالحديدِ وتسمى الواحدةُ من تلك الحدايدِ حَكُنُه بفتحِ الحاءِ المهملة وضمٍّ الكافِ [والنون][(٣)] وهي في طولِ الإبرة (٤٨٢) ولكنها أعرضُ من الإبرةِ تكونُ نحوَ عَرضِ ثلاثِ إبَرٍ وما لها سعرٌ تُضْبَطُ به، وإنما تُبَاعُ البقرةُ الجيدةُ بخمسةِ آلاف حَكُنُه، ويباعُ الرأسُ الغنمُ الجيدُ بثلاثةِ آلافِ حَكُنُه، وهذه المملكةُ مُجاورةٌ لأوفات.

---

(١) في التعريف (ص٤٨) للمؤلف: دواراو !

(٢) في الأصل: الذي.

(٣) كتبت في الهامش بدلاً من كلمة مشطوبة، واشير إلى مكانها من النص.

الفصل الثالث

في أرابيني

حدَّثني هؤلاءِ الفقهاءُ أيضاً أنَّ هذه المملكةَ مربعةٌ على شكلِ التَّربيع، طولُها أربعةُ أيامٍ، وعَرضُها كذلك، وعسكرُها يقاربُ عشرةَ الآفِ فارسٍ، وأما الرَّجَّالة فكثيرةٌ جداً، وأهلُها حنفيَّةُ <المذهب>، وهي تلي دَوارو، وزيُّ أَهلِها زِيُّ أهلِ دوارو، وفي كلِّ شيء، والموجوداتُ التي عندَهم من الحبوبِ والفواكهِ والبُقُولِ والدَّوابُّ وغيرِ ذلك مثلُ دوارو، ومعاملتُهم بالحَكُنه كما تقدَّم.

الفصل الرابع

في هَدْيَة[١]

حدَّثني أيضاً هؤلاءِ الفقهاءُ أنَّ صاحبَ هَدْيَةَ أقوى إخوانِه من ملوكِ هذه الممالكِ السبعة، وأكثرُ خيلاً ورجالاً، وأشدُّ بأساً على ضيق بلادِه عن مقدارِ أوفات، وهذه البلادُ طولُها ثمانيةُ أيامٍ، وعرضُها تسعةُ أيامٍ، ولملكِها من العسكرِ نحوُ أربعينَ ألفَ فارسٍ من غيرِ الرَّجَّالة فإنهم خلقٌ كثيرٌ مثل الفرسانِ مرتين أو أكثر، وهم في زِيِّهم ومعاملتِهم وما يوجدُ عندهم من الحبوبِ والفواكهِ والبقولِ مثل أرابيني ودوارو، وبلادُ هَدْيَةَ تلي أرابيني، وإلى مدينة[٢] تُجلَبُ الخُدَّامُ من بلادِ الكفار.

حدَّثني الحاجُّ فرجٌ الفويُّ التاجرُ أنَّ صاحبَ أمحرةَ يمنعُ من خَصْي العبيدِ، وينكرُ هذا ويُشَدِّدُ فيه، وإنما السُّرَّاقُ تقصدُ مدينةً اسمها وَشْلَوا[٣] بفتح الواو والشينِ المعجمةِ واللام، وأهلُها لا دينَ عندَهم فَيُخْصى بها العبيدُ، ولا يُقدمُ على هذا في جميعِ بلادِ الحبشةِ سواهم، وكذلكَ التجارُ إذا اشتروا العبيدَ وخرجُوا بهم يعرجون إلى وَشْلَوا ليخصوهم بها لأجلِ الزيادةِ في الثمنِ، ثم يُحمَلُ كُلٌّ من خُصِيَ إلى مدينة هَدْيَةَ، فتعاد عليهم المُوسى مرةً ثانيةً لينفتحَ مجرى البَولِ لأنَّه يكونُ قد استدَّ عند الخَصي بالقَيْحِ، ثم إنهم يعالجونَ بهَدْيَة إلى أنْ يبرأُوا؛ لأنَّ أهلَ وَشْلَوا (٤٨٣) ليسَ لهم معرفةٌ بالعلاجِ، فسألتُ الفويَّ لأيِّ شيءٍ تختصُّ بهذا هَدْيَه دونَ بقيةِ أخواتِها، فقالَ:

---

(١) في التعريف (ص٤٨) للمؤلف: هدية.

(٢) كذا، ويجوز أن يكون المراد: هدية، وقد سقط اسمها من السياق.

(٣) في القلقشندي (صبح ٥/٣١٣): وَشَلْوُ.

لأنَّها أقربُ هذهِ البلادِ إلى وَشَلَو‹ا› قد صارَ لأهلِها دُرْبةٌ في علاجِ هؤلاءِ، قالَ: ومع هذا فالذي يموتُ منهم أكثرُ منَ الذي يَعيشُ، وأضرُّ ما عليهم حَملُهم بلا مُعالجةٍ من مَكانٍ إلى مَكان، ولو عُولجوا في مكانِ خَصيهم كانَ أصلَحَ لهم، ولولا حملُهم إلى مكانٍ يُعالجونَ به ما سلِمَ – واللهُ أعلمُ – أحدٌ منهم.

وأهلُها حنفيَّةُ المَذْهبِ.

الفصل الخامس
في شَرْحا

حدَّثني هؤلاءِ الفقهاءُ أنَّ هذهِ المملكةَ طولُها ثلاثةُ أيامٍ، وعرضُها أربعةُ أيامٍ، وعسكرُها ثلاثةُ آلافِ فارسٍ ورَجَّالةٌ مثلُها مرتين وأكثرُ، وهي كأخواتِها دوارو وأرابيني في بقيةِ أحوالِها من الزِيِّ، والمعاملةِ، والحبوبِ، والفواكهِ، والبُقولِ، وسَائرِ ما لهم وما عليهم، وهي تلي هَدْيَةَ.

وأهلُها حنفيَّةُ المذهبِ.

الفصل السادس
في بَالي

حدَّثني هؤلاءِ الفقهاءُ أنَّ هذهِ المملكةَ طولُها عشرونَ يوماً، وعرضُها ستةُ أيامٍ، وعسكرُها ثمانيةَ عشرَ ألفَ فارسٍ والرَّجَّالةُ بها كثيرٌ(١) عددُهم، وأهلُها مثلُ باقي أخواتِها في جميعِ زِيِّهم وأحوالِهم وأقواتِهم، والموجوداتِ عندَهم، ولكنَّها أكثرُ خِصباً، وأطيبُ سَكناً، وأبردُ هواءً وماءً، ولكنهم لا يتعاملونَ بالنُّقودِ مثلَ أوفاتٍ، ولا بالحَكُّنه مثلَ بقيةِ ما تقدمَ، ولكنْ بالأعواضِ مثلِ البقرِ والغنمِ والقماشِ، وهي تلي شَرْحا.

وأهلُها حنفيَّةُ المذهبِ.

---

(١) وردت بعدها كلمة: بها، زائدة.

الفصل السابع

في دارة

حدثني هؤلاء الفقهاءُ أنَّ طولَها ثلاثةُ أيامٍ، وعرضَها [مثلُه][1]، وهي أضعفُ أخواتِها حالاً، وأقلُّها خيلاً ورجالاً، وعسكرُها لا يزيدُ على ألفيْ فارسٍ ومثلهم رَجَّالة، وهم في بقيةِ أحوالِهم وأحوالِها مثلُ أخواتِها ومعاملتُها بالأعواضِ مثلُ بالي، وهي تليها.

وأهلُها حنفيَّةُ المذْهب.

* * *

(٤٨٤) هذه جملةُ ما علمنا من أحوالِ هذه [الممالك][2] المُسلمةِ في بلادِ الحَبشة، والمملكةُ منهم في بيوتٍ محفوظةٍ إلا بالي اليوم، فإنَّ المُلْكَ بها صارَ إلى رجلٍ ليسَ من أهلِ بيتِ الملك، تقربَ إلى صاحبِ أمحرةَ حتى ولاَّه مملكة بالي فاستقلَّ مَلكاً بها ولا يُبَالي، وقد وليَ بالي ومن أهلِ بيتِ الملكِ بها رجالٌ أكْفَاء، والأرضُ لله يورثُها من يشاء، وجميعُ ملوكِ هذه الممالكِ وإنْ توارثوها لا تستقلُّ منهم بملكٍ إلا مَنْ أقامَه صاحبُ أمحرة.

وإذا ماتَ الملكُ منهم ومن أهله رجالٌ قصدوا جميعهم صاحبَ أمحرةَ، وبذلوا المقدرةَ في التقربِ إليه فيختارُ منهم رجلاً يُولِّيه، فإذا ولاَّه سمعَ البقيةُ وأطاعوا الآنَّ الأمرَ له فيهم، وهم كالنوابِ له، ومع هذا فإنَّ جميعَ ملوكِ هؤلاءِ الملكِ تعظِّمُ مكانَ صاحبِ أوفات، وتنقادُ له بالمعاضدةِ في بعضِ الأوقاتِ، والطريقُ إلى هذه البلادِ من مصرَ شعبةٌ من الطريقِ العظمى

(١) في الأصل: مثلها.

(٢) في الأصل: المملكة.

الآخذة إلى أمحرةَ وسائرِ بلادِ الحبشة، وتجارُ هذه البلادِ الحبشيةِ[١] ناصع[٢] وسَواكن[٣] ودَهْلَك[٤]، وليس بها مملكةٌ مشهورة، ولا لها أخبارٌ مذكورة، وكلُّها مسلمون قائمون.

وأرضُها أصعبُ مسلكاً لكثرةِ جبالِها الشامخةِ، وعِظَمِ أشجارِها واشتباكِها بعضِها ببعضٍ حتى أنه إذا أرادَ ملكُها الخروجَ إلى جهةٍ من جهاتِها يتقدمُه قومٌ مُرْصَدون لإصلاحِ طرقِها بآلآتٍ لقطعِ أشجارِها ويطلقونَ فيها ناراً لحريقِها، وأولئكَ القومُ كثيرٌ عددُهم، ولم يملكْ بلادهم غيرُهم من النوعِ الإنساني لأنهم أجبرُ بني حام، وأخبرُ بالتوغلِ في القتالِ والاقتحام، طولَ زمانِهم مسافرون، وفي صيدِ وحشِ البرِّ راغبون، ومما يدلُّ على قوةِ جَنانِهم أنهم لا يَلبسُون ولا يُلْبِسون خيلَهم عندَ القتالِ شيئاً، والمشهورُ عنهم معَ ما لهم من الشجاعةِ <أنهم> يقبلون الحسبَ، ويصفحونَ عن الجرائمِ، والمصطلحُ بينهم أنَّ من رمى سلاحَه في القتالِ يُحَرِّمونَ قتالَه ،والمُجرمُ يتحسَّبُ [ببرِّ القادرِ][٥] (٤٨٥)عليه فيتجاوزُ عن ذنبِه، وقيل فيهم خَلَّةٌ حسنةٌ أيضاً أنهم يحبون الغريبَ ويُكرِمونَ الضيفَ، ويحققُ ذلك إكرامُ النجاشي قريشاً عند ما هاجروا إليه، ويقالُ إنه قلَّ أن يُوجَدَ عندَهم رِياءٌ، والصديقُ عندهم

---

(١) وردت في الأصل متبوعة بعبارة: وتجار هذه البلاد، مكررة، وفي السياق قطع ملحوظ يتعلق بالتجار المذكورين.

(٢) ذكر المسعودي (مروج الذهب ١/٤٣٩)، وياقوت (٥/٢٥١) أنها من بلاد الحبشة، ولم يصرحا لها بتعريف.

(٣) سواكن: بلد مشهور على ساحل بحر الجار (الأحمر) قرب عيذاب ترفأ إليه سفن القادمين من جدة، انظر: ياقوت: ٣/٢٧٦، الحميري: ص٣٣٢ .

(٤) دهلك: جزيرة على طريق المسافرين ببحر عيذاب (الأحمر) إلى اليمن، انظر: ياقوت: ٢/٤٩٢، الحميري: ص٢٤٤-٢٤٥، القلقشندي: صبح ٥/٣٢٠

(٥) مكررة في الأصل.

لا ينقضُ عهدا لصديقه، وإذا تعاهدوا أكدوا المحبةَ وأظهروها، وإذا تباغضُوا أعلنوا المباينة وأجهروها، غالبا يُوجدون أذكياء أقوياءَ الحدسِ لهم علومٌ وصناعاتٌ بهم خصيصةٌ، ومع كونِهم جنسا واحدا ينطقون بألسنةٍ شتى تزيد على خمسين لساناً وقلمُ قراءتهم واحدٌ وهو الحبشي يُكتَبُ من اليمين إلى الشمالِ، عِدتُه ستةَ عشرَ حرفاً لكلٌ حرفٍ سبعةُ فروع، الجملةُ من ذلك مئةٌ واثنان وثمانون حرفاً خارجاً عن حروفٍ أخر‹ى› مستقلةٍ بذاتِها لا تفتقرُ إلى حرفٍ من الحروفِ المعدودةِ المتقدم ذكرها، [مضبوطة](١) بحركاتٍ نَحْوية متصلةٍ به لا منفصلةٍ عنه.

وهي بلادٌ تنقسمُ عندَهم أقاليمَ، كما تنقسمُ الديارُ المصريةُ والبلادُ الشاميةُ أعمالاً وصفقاتٍ وممالكُ الإسلامِ المتقدمةُ الذكر في ذلك، ونحن نذكرُ هاهنا جملة حال بلادِ الحبشةِ مسلِمها وكافرِها.

قيلَ: إن أولَ بلادِهم من الجهةِ الشرقيةِ المائلة إلى بعضِ الجهةِ الشماليةِ بحرُ الهندِ واليمنِ، وفيها يمرُّ البحرُ الحلوُ المسمى سَيْحون الذي يُرفَدُ منه نيلُ مصرَ المحروسةِ، والجهةُ الغربيةُ إلى بلادِ التكرورِ مما يلي جهةَ اليمينِ، وأولُها مفازةٌ تسمى واديَ بزكة، قيلَ: يُتَوَصلُ منه إلى إقليمٍ يُسمى سَحَرْت(٢) ويُسمَّى قديماً تِكْراي وكانت مدينةُ المملكةِ بهذا الإقليم في ذلك الزمانِ تُسمى أخشرم(٣) بلغةٍ أخرى من لغاتِهم، وتُسمى أيضاً: زفرتا(٤)، وكان النجاشيُّ الأقدمُ بها ملكاً على جميعِ البلادِ، ثم إقليمُ أمحرةَ وهو الذي به الآنَ مدينةُ

---

(١) في الأصل: مضبوط.

(٢) في ابن سعيد (الجغرافيا، ص٩٨): سحرته، وهي مدينة تقع في شرق النيل وفي شمال جبل المعادن المعروف بجبل موريس.

(٣) في القلقشندي (صبح ٥/٢٩٠): أحرم

(٤) في المصدر نفسه: زرفرتا.

المملكة وتُسمى بلغتهم مَرْعدي، ثم إقليمُ شاوه، ثم إقليمُ داموت، ثم إقليمُ لامنان، ثم إقليمُ السَّيهُو، ثم إقليمُ الزَّنج، ثم إقليمُ عدل الأمراء، ثم إقليمُ حماسا، ثم إقليمُ باريا، ثم إقليمُ الطرازِ الإسلامي الداخلة في جملة جميعِ البلادِ الحبشية (٤٨٦) وملوكُه سبعةٌ كما تقدمَ تفصيلُها إقليماً إقليماً، وكلُّ إقليمٍ من هذهِ الأقاليم له ملكٌ وجيوشٌ كما تقدمَ أيضاً ذكرُه، وقيلَ: إنهم كلُّهم تحتَ [سلطان] (١) ملكِهم الأكبرِ المُسمَّى بلغتهم الحَطِّي، ومعناه السلطانُ، وهذا الاسمُ موضوع لكلِّ من يُقامُ عليهم ملكاً كبيراً، واسمُ الملكِ المُقامِ عليهم الآن عمد سيون وتأويلُه: ركنُ صَهيون، وهي بيعةٌ قديمةُ البناءِ بالإسكندريةِ معظمةٌ عندَهم يتعبَّدون لله فيها، وقيل: إنه من الشجاعةِ على أوفرِ قسم وإنه أحسنُ السلوكِ عادلٌ في رعيتِه يتفقدُ مساكنَها، وقيلَ إن تحتَ يدِه من الملوكِ تسعةٌ و[تسعين] (٢) ملكاً، وهو لهم تمامُ المئةِ في الأقاليمِ المذكورةِ والأقاليم المجهولةِ أسماؤُها، لأنها كثيرةُ العددِ غيرُ مشهورةٍ ولا معلومةٍ، وقيلَ: إنَّ الحطِّيَّ المذكورَ وجيشَه لهم خيامٌ ينقلونَها معهم في السَّرْحاتِ والأسفار، وإذا جلسَ يجلسُ حولَ كرسيِّه أمراءُ مملكتِه وكبراؤُها على كراسيِّ حديدٍ منها ما هو مُطعمٌ بالذهبِ، ومنها ما هو ساذجٌ (٣) على قَدْرِ مراتبِهم.

والملكُ المذكورُ قيلَ إنه مع ما لَهُ من نفاذِ الأمرِ يتثبتُ في أحكامِه حتى يتبينَ.

فأما لباسُ أهلِ البلادِ المذكورةِ في الشتاءِ فهو لباسُهم في الصيفِ، الخواصُّ منهم والأجنادُ قُماشُ حريرٍ وأبرادٌ هنديةٌ وما شاكل ذلك، والعوامُ ثيابُ قطنٍ منسوجٍ غيرِ مخيطٍ لكل نفسٍ ثوبان. واحدٌ لشدِّ وسطِه، وآخرُ يلتحفُ به، وكذلك الخواصُّ منهم في الحريرِ والأبرادِ يشتدُّون

(١) مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل تسعون.

(٣) الساذج: الخالص غير المشوب وغير المنقوش (المعجم الوسيط).

ويلتحفون بمنسوجٍ غيرِ مخيط.

وسلاحُ المقاتلينَ منهم القِسِيُّ والنبالُ الشبيهةُ بالنشَّابِ والسيوفُ والمزاريقُ والحرابُ، ومنهم من يقاتلُ بالسيوفِ وأتراسٍ طوالٍ وقصارٍ، وغالبُ سلاحِهم مزاريقُ تشبهُ الحرابَ الطوالَ، ومنهم مَن يرمي عن قوسٍ طويلٍ يشبهُ قوسَ القطنِ بالنبالِ، وهي سهامٌ قصارٌ، وقيلَ: إن نبالَ المقاتلين من أجنادِ الطرازِ الإسلامي أكبرُ، ولهم أبواقٌ من خشبِ القنا المُجوَّفِ ومن قرونِ البقرِ المجوفةِ.

ومأكلُهم (٤٨٧) شحومُ البقرِ والماعزِ وبعضُ شحومِ الضأنِ، ومشروبُهم اللبنُ البقريُّ، وفي ضعفِهم يتداوون باللبنِ المُدافِ بالماءِ وسمنِ البقرِ، وعندَهم نباتٌ يُسمى [جات][(١)] يتناولونَه لتجويدِ الفَهمِ وتقويةِ الحفظِ، وهو أشجارٌ صغارٌ وكبارٌ ثمرتُه تشبهُ قلوبَ شجرِ النارنجِ وقد تقدمَ ذكرُه.

وغالبُ أهلِ البلادِ المذكورةِ يتعاملونَ مقايضةً بالأغنامِ والأبقارِ والحبوبِ وغيرِ ذلك إلا في خمسةِ أقاليمَ من الطرازِ الإسلاميِّ، وهي إقليمُ مدينةِ أوفات يتعاملونَ بالذهبِ والفضةِ، وإقليمُ [دوارو][(٢)] وإقليمُ أرابيني، وإقليمُ شرحةَ، وإقليمُ هَدِيَّةَ يتعاملون بشيءٍ عندَهم يُسمى الحَكُنه، وهي حديدٌ مضروبٌ كالإبرِ الطِّوالِ كلُّ ثلاثةِ آلافٍ بالعددِ قيمتُها درهمٌ واحدٌ.

وكلُّ البلادِ المذكورةِ والطرازِ الإسلاميُّ يزرعونَ على الأمطارِ في السنةِ مرتَيْن، ويتحصلُ لهم مغلاتٌ، والزمانُ الذي يُحصَّلُ فيه المَغلُّ الأولُ يأتي فيه مطرٌ ثانٍ يُزرعُ عليه المَغلُّ الثاني، والمطرُ الواقعُ من زمنِ الشتاءِ يُسمى بل، والمطرُ الواقعُ في زمنِ الصيفِ يُسمى كرم بلغةِ الزيالعةِ.

---

(١) في الأصل: جاب، والتصحيح مما تقدم من السياق، ص٥٠، والمراد: القات.

(٢) في الأصل: دواروا.

وأخبرني البطريركُ بنيامين فيما حكى لي في كتابه عنهم أنه عندَ نزولِ الأمطارِ الكثيرةِ تقعُ صواعقُ، وأصنافُ زراعاتِهم الغيطيةِ القمحُ، والشعيرُ، والحمصُ، والعدسُ، و[البِسِلّى][1]، والذرةُ، وبعضُ الباقلاءِ، وحبوبٌ أخر‹ى› غير ذلك منها حبٌّ يسمى قبانهلول[2]، يستعملونَه قوتاً كالقمح، أما القمحُ فحبُّه كالحِنطةِ المالونه[3] ولونُه كالقمحِ الشاميّ يُباعُ منه في الطرازِ الإسلاميّ بالدرهمِ تقديرُ حِمل بغلٍ، والشعيرُ ليس له قيمةٌ، وحبُّه أكبرُ مقداراً من حبِّه بالديارِ المصرية، ومنه ضَرْبٌ يُسمى طمحة[4]، و[لونُ][5] الحمصِ [عندَهم][5] إلى الحُمرةِ ماهو[6]، والباقلاّ[7] عزيزُ الوجودِ في أكثرِ البلادِ، ولا يفتقرُ إليه دوابُّهم في العلفِ لأنَّ الأرضَ كثيرةُ المياهِ والمراعي.

وعندَهم (٤٨٨) حَبٌّ يُسمى بلغتِهم طافي وحبُّه بمقدارِ الخَرْدَلِ ولونُه إلى الحُمرةِ، ومكسرُه إلى السوادِ يتخذون منه خبزاً، وهو يميلُ إلى القمحِ، وعندَهم ببعضِ الأقاليمِ حَبٌّ يُسمى البُنُّ وهو شبهُ القمحِ، ولكنه بقشرَيْن فينزعونَ قشورَه بالهَرْسِ كالأرزِّ ويتخذون منه طعاماً ينوبُ عن القمحِ، وليسَ عندهم من أصنافِ المقاثي إلا القرعُ وفي بعضِ الأقاليم بطيخٌ

(١) في الأصل: البسلا، البسلّى والبِسِلّة: بقل زراعي حولي، ضروبه كثيرة وتطبخ بذوره (المعجم الوسيط).

(٢) في القلقشندي (صبح ٥/٢٩٢): قنابهول.

(٣) كذا رسمت في الأصل، ولم أهتد إلى تحقيقها.

(٤) في القلقشندي (المصدر السابق): طمجة.

(٥) إضافة من المصدر نفسه، وبها يستقيم المعنى.

(٦) كذا رسمت في الأصل، ولم أهتد إلى تحقيقها.

(٧) في المصدر نفسه: والباسِلاً.

صغيرٌ، وبزرُ الكتّانِ وحبُّ الرشادِ (١) واللّفتُ والفجلُ ومن البقولِ أيضا الثومُ والبصلُ والكزبرةُ الخضراء.

وأشجارُهم البستانيةُ العنبُ الأسودُ، وهو قليلٌ والتينُ الوزيريُّ، وأصنافُ الحوامضِ خلا النارنجَ والموزَ، ورياحينُهم الريحانُ، والقرنفلُ، ونباتٌ أيضاً يُسمَّى بعَتْران (٢) ، وعندَهم الياسمينُ البريُّ، ولكنه غيرُ مَشمومٍ لهم.

ومن أشجارِهم الزيتونُ، والصنوبرُ، والجُمَّيْزُ، وفي بعضِ بلادِهم الآبَنُوس (٣) ، وهو كثيرُ الأشجارِ والمُقلُ أيضاً ببعضِ الأقاليم،وكذلك أشجارُ القنا وهي صنفان: أحدُهما صامتٌ والآخرُ أجوفُ، وبالطرازِ الإسلاميِّ قصبُ السكَّرِ كثيرٌ جداً، ويتخذونَ منه القَنْدَ، وذكرَ أن الذي يوجدُ عندَهم من المعادنِ معدنُ الذهبِ والحديدِ.

وذكرَ السيدُ الشريفُ عزُّ الدينِ التاجرُ أنَّ في بعضِ بلادِهم يوجدُ معدنُ الفضةِ.

وعندَهم من ذواتِ الأربعِ الخيلُ والبقرُ والغنمُ والبغالُ وما أشبَه ذلك، وأغنامُهم تشبُه أغنامَ عَيذاب (٤) واليمن، ووحوشُهم البريةُ الأسدُ والنمرُ والفهْدُ والفيلُ والغزالُ على اختلافِ الألوانِ في ذلك، وبقرُ الوحشِ وحُمُرُ الوحشِ والزرافةُ والقردةُ ووحوشٌ أخر<ى> كثيرة.

وعندَهم من الطيورِ: الجويةُ والأهليةُ والمائيةُ.

---

(١) الرشاد: بقلة حولية تزرع وتنبت برية (المعجم الوسيط).

(٢) يجوز أن يكون المقصود العِتْر، وهو بقل عشبي عطري يُتداوى به (المرجع السابق).

(٣) الأبَنُوس: شجر ينبت في الحبشة والهند خشبه أسود صلب، ويصنع منه بعض الأدوات والأواني والأثاث (لسان العرب).

(٤) عَيْذاب :مدينة على ساحل البحر الأحمر ،وكان يُعَدى منها إلى جدة ،وكانت في زمن المؤلف تتبع والي قوص،انظر للمؤلف :التعريف،ص٢٢١ .

أما الجويةُ فهي: الصقورُ والنسورُ البيضُ والسودُ وأمثالُها، والغربانُ والحجلُ وسائرُ طيرِ الواجبِ والسُّمَّانِ والحمامِ والعصافيرِ والبُزاةِ وغيرِ ذلك مما لم يوجدْ بالديارِ (٤٨٩) المِصرية.

وأما الأهليةُ والبريةُ فدجاجُ الحبش وأمثالُه.

والمائيةُ: فالبطُّ، ودجاجٌ أيضاً يخرجُ من بركةِ ماءٍ في إقليمِ هَدْيَةَ الإسلامي.

قال الشيخُ جمالُ الدينِ عبدُ اللهِ الزَّيلَعيُّ:

إن العينَ المذكورةَ يتولدُ منها دجاجٌ يأكلونَه، ويأكلونَ من لحومِ الطيرِ الحمامَ والعُصفورَ وغرابَ الزرعِ والدجاجَ البريَّ والحجلَ، والسمكُ عندَهم منه ما يشبُه البوريَّ، و[منه][1] ما يشبُه الثعبانَ يطولُ إلى مقدارِ ذراعين ونصفٍ، ويغلظُ إلى مقدارِ الخشب، ويطلعُ من بحرِهم التمساحُ وفرسُ البحر.

أما عسلُ النحلِ فكثيرٌ في جميعِ البلادِ يتربى في الجبال، ويأخذونَ منه العسلَ والشمعَ من غيرِ حَجْرٍ عليه، ومنه ما له خلايا خشبٍ منقورة، وعَسَلُهم مختلفُ الألوانِ بحسبِ المرعى.

ومساكنُهم غالبُها أخصاصٌ من جملوناتٍ خلا المدنَ الكبارَ، فإنها مبنيةٌ من الحجر. وأواني طعامِهم فَخّارٌ مدهونٌ أسودُ، وحَمَّامُهم الاغتسالُ بالماءِ الباردِ، وبعضُهم يتخذونَه حاراً.

ووَقُودُهم الشمعُ، ومصابيحُهم وَقُودُها بشحومِ البقرِ؛ لأن الزيتَ الطيبَ يُجْلَبُ إليهم، ويُدْهِنُ للرجالِ والنساءِ منهم بالسمن.

ومصاغُهم الذهبُ والفضةُ والنحاسُ والرَّصاصُ على قَدْرِ تمثالِ السِّعر.

(١) في الأصل: منها.

هذا ما نقلتْهُ الثقاتُ عنهم، ومع ما هم عليه من سَعةِ البلادِ وكثرةِ الخلقِ والأجنادِ يفتقرون إلى العنايةِ والملاحظةِ من صاحبِ مصر، لأن المطرانَ الذي هو حاكمُ حكامِ شريعتهم في جميع بلادهم النصرانيةِ لا يُقامُ إلا من الأقباطِ اليعاقبةِ بالديارِ المصريةِ، حيث تخرجُ الأوامرُ السلطانيةُ من مصرَ لبطركِ النصارى اليعاقبةِ بإرسالِ مطرانٍ إليهم، وذلكَ بعدَ سؤالِ ملكِ الحبشةِ المسمى بالحَطِّي بلغتِهم، وإرسالِ رسلِه وهداياه، وهم يدَّعون أنهم يحفظونَ مجاري النيلِ المنحدرِ إلى مصر، ويُساعدونَ (٤٩٠) على إصلاحِ سلوكِه تقريباً لصاحبِ مصرَ، وإنما المشهودُ منهم والمعروفُ منهم الصدقُ والأمانةُ فهو مشهورٌ، ولذلك يختارُ صاحبُ إقامتِهم ‹منهم› أمناءَ على الحريمِ والأولادِ والأرواحِ والأموالِ، وكذلك بعضُ التجارِ الكَرَّامية[(١)] و[ذوو][(٢)] الأموال يجعلونَهم على حفظِ أموالِهم وتجاراتِهم وبضائعِهم الثمينةِ ومكاسبِهم الجليلةِ إلى قريبِ [البلاد][(٣)] وبعيدها، وطويلِ المسافاتِ وقصيرِها.

وهذا ما وصلني من أخبارِهم، واللهُ أعلمُ بالحقِّ، وعندَهم وعندَه العِلمُ الصِّدْق.

---

(١) يقصد التجار الكارمِيَّة وهم طائفة من التجار نشأت في المحيط الهندي، أو على الشاطئ الغربي للهند، وأصل التسمية ترجع إلى (Kuararima)، وهي لفظة أمهرية تعني الحُبْهان، وهو تابل من التوابل، ثم تحرفت إلى كارم وأصبحت تستخدم بمعنى السلع أو البضائع التي يتجر بها هؤلاء التجار، كما باتت تطلق على التجار أنفسهم، انظر: القلقشندي: صبح ٤ / ٣٢، البقلي: التعريف، ص٧٣، القوصي: "أضواء على تجارة الكارم"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٢، ص١٧–٣٩

(٢) في الأصل: ذوي.

(٣) في الأصل: بلاد.

الباب التاسع

في ممالك مسلمي السودان
على ضفة النيل إلى مصر
وفيه فصلان

الفصل الأول : في الكانم

الفصل الثاني : في النوبة

الفصل الأول

في الكانم[1]

‹الكانمُ بلدٌ› مسلم مستقلٌ بينَه وبينَ بلادِ مالّي [مسافةٌ بعيدةٌ جداً، قاعدةُ مُلكِه][2] بلد اسمُها جيمي[3]، مبدأ مملكتِه من جهةِ مصرَ بلدةٌ اسمها زلا[4] وآخرُها طولاً بلدةٌ يُقالُ لها كاكا[5] وبينهما نحوُ ثلاثةِ أشهر، وعسكرُهم يتلثمونَ، وملكُهم على حَقارةِ سُلطانه وسُوءِ بُقعةِ مكانه في غايةٍ لا تُدْرَكُ من الكبرياءِ يمسحُ برأسه عَنانَ السماءِ مع ضَعفِ أجناد، وقلةِ مُتَحَصَّلِ بلاد، محجوبٌ لا يراه أحدٌ إلا في يوم العيدين، يُرى بُكرةً وعندَ العَصرِ، وفي سائرِ السنة لا يكلمُه أحدٌ ولو كان أميراً إلا من وراءِ حجاب، وربما كانَ فيهم من أخذَ في التعليم ونظرَ من الأدبِ نظرةَ النجوم، فقالَ إني سقيم، فما زالَ يداوي عِللَ فهمِه، ويُداري جامحَ علمِه حتى تشرقَ عليه أشعتُها، ويُطرزَ بديباجه أمتعتَها.

غالبُ عيشِهم الآنَ الأرزُّ، والقمحُ، والذُّرةُ، وببلادِهم التينُ، والليمونُ، واللِّفتُ، والباذنجانُ، (٤٩١) والرُّطب.

(١) ياقوت: ٤ / ٤٣٢، القلقشندي: صبح ٥ / ٢٦٩–٢٧١

(٢) مكررة في الأصل.

(٣) ذكرها ابن سعيد (الجغرافيا، ص٩٥) وقال إن سلاطين الكانم اتخذوها قاعدة لملكهم بعد إسلامهم، وكانوا من قبل يتخذون من مدينة مانان عاصمة لهم.

(٤) في القلقشندي (صبح ٥ / ٢٧٠): دلا، ولم أقع لها على تعريف.

(٥) كاكا: هي قاعدة سلطان البُرنو، انظر: المصدر نفسه.

وأخبرني أبو عبدِ اللهِ [السَّلاجيُّ](١) أنّه أخبرَه الشيخُ الصالحُ المنقطعُ عثمانُ الكانميُّ وهو من أقاربِ ملوكِها أنَّ الأرزَّ ينبتُ عندَهم من غيرِ بَذْرٍ أصلاً، وهو ثقةٌ، قالَ السَّلاجيُّ: وسألتُ عن ذلك غيرَه فأخبرني بصحةِ ذلك.

ويتعاملونَ بقُماشٍ يُنْسَجُ عندَهم اسمُه دندي طولُ كلِّ ثوبٍ عشرةُ أذرعٍ يشترونَ من رُبعِ ذراعٍ فأكثرَ، ويتعاملونَ أيضاً بالوَدَعِ والخَرزِ والنحاسِ المكسورِ والورقِ لكنه جميعَه يُسَعَّرُ بذلكَ القُماش.

وذكرَ ابنُ سعيدٍ(٢) أنَّ في جنوبيِّها شعار(٣) وصحار<ى> فيها أشخاصٌ متوحشةٌ كالغولِ تُؤذي بني آدمَ، ولا يَلحقُها الفارسُ وهي أقربُ الحيواناتِ إلى الشكلِ الآدمي.

وذكرَ القاضي أبو عبد اللهِ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ المَرَّاكُشيُّ في كتابه المعجمِ المُسَمى بـ"التكملةِ"(٤) أبا اسحقَ إبراهيمَ الكانميَّ الأديبَ الشاعرَ، وحكى عنه أنه قالَ: يظهرُ ببلادِ الكانمِ بالقربِ [من](٥) أمامِ الماشي في الليلِ شبيهُ قُلَلِ نارٍ تضيءُ، فإذا مشى ليلحقَها بَعُدَتْ عنه، ولو جرى إليها لا يصلُ إليها بل لا تزالُ أمامَه، وربما رماها بحَجرٍ فأصابَها فَيتشظّى منها شراراتٌ، نقلَ لي هذا على ما رآه في "التكملةِ" مُحمدٌ السَّلاجيُّ.

---

(١) في الأصل: السالجي، وسيرد عما قليل وعلى امتداد النص بالصورة المثبتة أعلاه، وهو في القلقشندي (صبح ٥/١٤٧) نقلاً عن المسالك: السلايحي!

(٢) هو صاحب كتاب "المُغرب في حلي المَغرب" أحد مصادرنا في التحقيق، بيد أن القسم الخاص منه بأفريقية والمغرب لم يصل إلينا.

(٣) كذا رسمت في الأصل، ولم أهتد إلى تحقيقها.

(٤) هو كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة".

(٥) في الأصل: منها.

قالَ ابنُ سعيد :

وإنَّ بها يقطيناً تعظُم اليقطينةُ إلى أنْ يُصْنَعَ منها مركبٌ تعبرُ فيه في النيل، قالَ: وهذا مستفيضٌ، والعهدةُ على الحاكي.

وهذه البلادُ بينَ إفريقيَّةَ وبَرْقَةَ ممتدةٌ في الجنوبِ إلى سَمْتِ الغربِ الأوسطِ، وهي بلادُ قحطٍ وشَظَفٍ وسوءِ مزاجٍ مستولٍ عليها، وأحوالُها وأحوالُ أهلِها خشنة، وأولُ من نشرَ الإسلامَ فيها الهادي العثمانيُّ، ادعى أنه من ولدِ عُثمانَ بنِ عفانَ رضيَ اللهُ عنه، وصارتْ بعدَه لليزنيين من بني ذي يَزن[1]، والعدلُ قائمٌ في بلادِهم، ومذهبُهم مذهبُ الإمامِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه.

وهم ذوو اختصارٍ في اللباس، كايسون في الدين (٤٩٢) وقد بنوا بفُسطاطِ مصرَ مدرسةً للمالكيةِ ووفودُهم ينزلُ بها.

(١) ذكر ابن سعيد (الجغرافيا، ص٩٥) منهم معاصره السلطان محمدي (من ولد سيف بن ذي يزن) وأثنى عليه وقال: "إنه مشهور بالجهاد وأفعال الخير".

الفصل الثاني

في النُّوبَة(١)

تَلي مصرَ في نهايةِ جنوبِها على ضفتيِّ النيلِ الجاري إلى مصرَ، وقاعدتُها دُنقُلَةُ.

ومدنُها أشبهُ بالقُرى والضِّياع من المدنِ، قليلةُ الخيرِ والخِصبِ، يابسةُ الهواءِ، وكذلك زهدَ فيها [بنو](٢) أيوبَ في مدةِ السُّلطانِ صلاحِ الدينِ لما تجهزَ أخوه شمسُ الدولةِ(٣) لأَخْذِها(٤)، فعدلَ [إلى](٥) اليمنِ(٦) لأنَّهم خافوا من الشَّهيدِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زَنْكي أنْ يقصدَهم إلى مصرَ وينتزعَ المملكةَ من أيديهم، فأرادوا فتحَ بلادٍ من ورائِهم تكونُ

---

(١) النُّوبَة: هي المنطقة الممتدة على شاطئ النيل جنوبي أسوان حتى دنقلة بالسودان، يسمى الجزء الواقع في مصر بين أسوان ووادي حلفا: النوبة السفلى، والجزء الواقع في السودان: النوبة العليا، وسكان النوبة مسلمون ولهم لغة خاصة بهم، انظر: الموسوعة العربية الميسرة: ص١٨٥١-١٨٥٢ (نوبة).

(٢) في الأصل: بني.

(٣) هو شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي، توفي بالإسكندرية في صفر سنة ٥٧٦هـ/ تموز ١١٨٠م، وكان والياً عليها ثم نقل إلى دمشق فدفن فيها، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ١١/٤٦٨-٤٦٩، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ق١/٣٦٢، ابن خلكان: ١/٣٠٦-٣٠٩، ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص١٢٩-١٣١، الذهبي: العبر ٣/٧١-٧٢، ابن الديبع: قرة العيون، ص٢٦٥-٢٧٣، بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص٦٨-٧٠، ابن العماد: شذرات ٤/٢٥٥، الزركلي: ٢/٩٠.

(٤) وذلك في سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م، حيث سار توران شاه إلى بلاد النوبة فملكها بعد قتال، ومكث فيها أقل السنة، فتركها وعاد إلى مصر بعد أن أقام حامية بقلعة ابريم، انظر: ابن الأثير: الكامل ١١/٣٨٦-٣٨٧ .

(٥) في الأصل: عن.

(٦) دخل توران شاه اليمن في شوال سنة ٥٦٩هـ/ حزيران ١١٧٤م، وملكها ودانت له، وقد بقي فيها حتى سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٦م، ثم غادرها إلى الشام بعد أن استناب بها نواباً من كبار الأمراء الصالحية، انظر:
ابن الأثير: الكامل ١١/٣٩٦-٣٩٨، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق١/٢٩٩-٣٠١، ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص١٢٧، ١٢٩-١٣١، ابن الديبع: قرة العيون، ص٢٦٥-٢٧٣، الواسعي: تاريخ اليمن، ص١٩٥ .

ملجأً لهم، فقصدوا النُوبَة، فلما رأوها بلاداً لا تصلحُ لمثلِهم عَدلوا إلى اليمن[(١)] .

وأديانُ أهلِ هذه البلادِ دينُ النصرانيةِ، وملكُهم كأنه واحدٌ من العامةِ، ومن بلادِهم لُقْمانُ الحكيمُ، وقد ذكره البَيْهقيُّ في "مفاخرُ النُّوبة"، ثم سكنَ مدينة أيْلَةَ[(٢)] مع اليهودِ

---

(١) قلت: وقد سبق المؤلف إلى هذه الرواية ابن الأثير (الكامل ١١/٣٨٦-٣٨٧)، وهي رواية لا ترى دافعاً لدى الأيوبيين لقصد النوبة واليمن سوى البحث عن ملجأ لهم من نور الدين فيما لو انتزع مصر من أيديهم، والحقيقة أن لكل من البلدين المذكورين البواعث الخاصة بغزوه، وإن جاءت هذه البواعث لتخدم في النهاية خطة الناصر صلاح الدين الرامية إلى استكمال السيطرة على البحر الأحمر باحتلال مداخله الجنوبية بعد أن أمكن له في السنة الفائتة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) انتزاع أيْلَةَ من الصليبيين واحتلال مداخله الشمالية، وذلك لحماية الحرمين الشريفين وقوافل الحجاج وتأمين التجارة من الصليبيين.
فأما النوبة - وكانت مملكة نصرانية آنذاك - فقد حمله على غزوها غارات النوبيين على أسوان وبلاد الصعيد، وخشيته من أن تكون هناك صلة بين هذه الغارات وغارات الصليبيين على سواحل البحر الأحمر، وما قد يستتبع ذلك من تهديد لقوافل الحجاج والتجارة في الأطراف المصرية الجنوبية.
أما اليمن، فقد غزاها صلاح الدين بتكليف خاص من الخليفة العباسي المستضيء وبإذن من نور الدين نفسه، وذلك بعد استنجاد الأشراف بالخلاف السليماني بالخليفة المذكور للقضاء على بني مهدي، وكان شرهم قد استطار في اليمن مع فساد عقيدتهم وقبح سيرتهم، إضافة إلى قطعهم الخطبة عن العباسيين، انظر: ابن الأثير: الكامل ١١/٣٨٧ (حول غزو النوبة)، ٣٩٦-٣٩٨ (حول غزو اليمن) وابن الأثير نفسه يصرح في هذا الموضع باستئذان صلاح الدين لنور الدين في غزو اليمن ! ، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق١/٢٨٣، ٢٩٩، ابن عبد المجيد: بهجة الزمن، ص١٢٧، ابن الديبع: قرة العيون، ص٢٦٥-٢٦٧ الواسعي: تاريخ اليمن، ص١٩٥، شرف الدين: اليمن، ص٢٢١، وفيه أن الشريف قاسم بن يحيى استنجد بالخليفة العاضد لدين الله الفاطمي، وأن العاضد هو الذي أمر صلاح الدين بالتحرك إلى اليمن، وهو وهم، فقد قضى العاضد في ١٠ محرم سنة ٥٦٧هـ/ ١٣ أيلول ١١٧١م أي قبل انطلاق الحملة الأيوبية على اليمن بأكثر من سنتين ونصف، العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٤٨، ١٩٨-١٩٩ هذا، ومما يجدر ذكره في هذا السياق هو أن الأيوبيين وصلوا إلى اليمن في ٩ شوال سنة ٥٦٩هـ أي قبل وفاة نور الدين بيومين فلو كان الأمر على مايراه ابن الأثير، ومن بعده مؤلفنا، لكان من المتعين عليهم أن يعودوا إلى مصر بعد أن خلا لهم الجو بوفاة نور الدين، ولكننا رأينا الوجود الأيوبي يتواصل في اليمن ويزداد عمقاً إلى ما بعد هذا التاريخ بزمن بعيد الأمر الذي يؤكد الحضور القوي والفاعل الذي كانت تحتله اليمن في صلب السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين.

(١) أيْلَة: هي مدينة العقبة الأردنية، وكانت ملتقى حجيج مصر والشام والمغرب، انظر: ياقوت: ١/٢٩٢-٢٩٣، الحميري: ص٧٠-٧١ .

ورحلَ إلى بيتِ المقدسِ، ورأى أنبياءَ بني اسرائيلَ وجالسَ داودَ عليهِ السلام.

قالَ ابنُ سعيد:

رآهُ يَصُوغُ الحديدَ ويَصنعُ منه حِلَقاً ولا يعرفُ ما يؤولُ إليه أمرُه، فصحبَه على ذلك سَنةً ولم يسألْهُ عما يصنعُه إلى أنْ كمَّلَ داودُ الدرعَ ولبسَها، فقال لقمانُ: درعٌ حصينةٌ ليومِ قتالٍ، كفتني عَيْني مؤونةَ لساني، الصمتُ حكمةٌ وقليلٌ فاعلُه، قالَ:

ومنها ذو النونِ المِصريُّ أبو الفَيْضِ ثَوبانُ بنُ ابراهيمَ(١)، كانَ أبوه عَبداً نُوبياً، وقد تقدمَ ذكرُه في الفقراءِ(٢).

وقالَ صاحبُ كتاب "الأبرار"(٣): ومما سُمِعَ منه: <الطويل>

أمـوتُ ومـا مـاتـتْ إلـيـكَ صـبـابَتي ... ولا قُـضِـيـتْ من صـدقِ حُـبِّكَ أوطاري

وأنتَ مُنى سُـؤْلي وغـايـةُ مـقـصَـدي ... ومـوضِعُ شكوايَ ومـكـنـونُ أسـراري

وخدمَه رجلٌ على أنْ يعلمَه اسمَ اللهِ الأعظمَ، فمطلَه زماناً ثم أمرَه أنْ يحملَ من عندهِ

---

(١) توفي بالجيزة في ذي القعدة سنة ٢٤٥هـ/ شباط ٨٦٠م، وقيل: سنة ٢٤٦هـ ودفن بالقرافة، وكان من مشاهير الزهاد والوعاظ في عصره، ترجمته في: ابن خلكان: ١/٣١٥-٣١٨، الذهبي: سير ١١/٥٣٢، الزركلي: الأعلام ٢/١٠٢، دائرة المعارف الإسلامية: ٩/٤٠٨-٤٣٠ (ذو النون).

(٢) لعل ذكره قد تقدم عند ابن سعيد، وقد نقل المؤلف هذه العبارة دون تبصر، والأمثلة عديدة لذلك في الكتاب.

(٣) يجوز أن يكون المراد هنا كتاب "روضة الأبرار ومحاسن الأخيار" لتقي الدين محمد الواعظ البعلبكي من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، وهو كما يستفاد من التراجم التي انفرد اليونيني بنقلها عنه (ذيل مرآة الزمان ٤/٧٦آ، ومواضع عدة) ملخص عن كتاب "بهجة الأسرار ومعدن الأنوار" لنور الدين علي بن يوسف بن جرير الشطنوفي المتوفى سنة ٧١٣هـ/١٣١٤م مع زيادة في عدد تراجم الصوفية.

طبقاً مغطىً إلى شخصٍ بالفُسطاط، فلما حملَه استخفَّه، فقال: (٤٩٣) لأُبْصرَنَّ ما فيه، فكشفَه، فخرجتْ منه فأرةٌ، فاغتاظَ، وقالَ: ضحكَ عليٌّ ذو النُّونِ، فرجعَ إليه مُغْضباً، فلما رآه ذو النون تبسمَ، وقالَ: يامجنونُ ائتمنتُك على فأرةٍ فخنتَني، فكيفَ ائتمنُكَ على اسمِ اللهِ الأعظمِ، قُمْ عني فلا أراكَ بعدَها.

وقيلَ له: المصريُّ لأنه سكنَ مِصرَ وماتَ بها، وقبرُه بالقَرَّافةِ(١) رحمَه اللهُ تعالى.

وملكُها الآنَ مسلمٌ من أولادِ كَنْزِ الدولة(٢)، وهؤلاءُ أولادُ الكَنزِ أهلُ بيتٍ ثارتْ لهم فيما تقدمَ ثوائرُ مرات، ولا يملكُ الآن بها ملكٌ إلا من الأبوابِ السلطانيةِ بمصر، وعلى ملوكِ دُنقُلةَ حِمْلٌ مقررٌ لصاحبِ مصرَ، وهذه الإتاوةُ لا ذهبَ فيها ولا فضةَ، بل هي عددٌ من العبيدِ والإماءِ والحرابِ والوحشِ النُّوبية.

وحدَّثني غيرُ واحدٍ ممن دخلَ النُّوبَة أنَّ دُنْقُلةَ(٣) مدينةٌ ممتدةٌ على النيلِ، وأهلُها في شظفٍ من العيشِ على أنهم أصلحُ من كثيرٍ ممن سواهم من السودان، وبها مسجدٌ جامعٌ تأوي إليه الغرباء، وتجيءُ رسلُ الملكِ إليهم تَستدعيهم إليه، فإذا جاؤوا أضافَهم ووهبَهم وأكرمَهم هو و[أمراؤه](٤)،

---

(١) القرَّافة: مقبرة بالقاهرة تنسب لقَرَّافة، وهم بطن من المعافر نزلوها فسميت بهم، انظر: ياقوت: ٤/٣١٧، ابن بطوطة: ص٣٩-٤٠.

(٢) لم اهتد إلى تحقيقه، وأما كنز الدولة فهو لقب كافأ به الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله أمير ربيعة أبا المكارم هبة الله لنجاحه في القبض على أبي ركوة (من ولد هشام بن عبد الملك الأموي) بعد انكساره أمام جيش الفاطميين وفراره إلى نوب مصر في سنة ٣٩٧/١٠٠٦م، وقد توارث ابناؤه هذا اللقب، وعرف بنو ربيعة ببني الكنز، انظر: العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٠٠ حاشية (٢).

(٣) ياقوت: ٢/٤٧٠-٤٧١، الحميري: ص٢٣٦-٢٣٧، دائرة المعارف الإسلامية: ٩/٢٩٨-٣٠١ (دُنقُلَة).

(٤) في الأصل: امرأته، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥/٢٦٨

وأكثرُ <أ>عطياتهم إما عبد أو جارية، وأما أكثرُ <أُ>عطياتهم فهي دكاديك، وهي أكسيةٌ غلاظٌ غالبُها سودٌ، واللحومُ والألبانُ والسمكُ عندهم كثيرٌ، والحبوبُ قليلةٌ إلا الذرة، وأفخرُ أطبختِهم ما يُعملُ باللوبيا في مَرقِ اللحمِ ويُثْرَدُ ويُصَفُّ اللحمُ واللوبيا على وجهِ الثريد، ويعمل اللوبيا بورقِها وعرقها ولهم انهماكٌ على السُّكْرِ بالمِزْرِ[1] ولهم ميلٌ شديدٌ إلى الطَّرَب.

وحدَّثني أحمدُ بنُ المُعظمي وكانَ قد دخلَ مع أبيهِ إلى هذهِ البلادِ وما وراءها في الرُّسليةِ مراتٍ أنَّ ملوكَ السودانِ يتخذونَ كلاباً مُعَلَّمةً تنامُ على التخوتِ حولَهم هي كالحراسِ لهم.

والنُّوبةُ لهم قتالٌ، وبأسُهم بينَهم على ضعفِ قواهم وقلةِ بأسِهم.

(١) المِزْر: نبيذ الشعير والحنطة والحبوب، وقيل: نبيذ الذرة خاصة (لسان العرب).

الباب العاشر

في مملكة مالي وما معها

< في مملكةِ مَالي وما معَها[1] >

(٤٩٤) اعلمْ أنَّ هذه المملكةَ في جنوبِ نهايةِ الغربِ متصلةٌ بالبحرِ المحيطِ، قاعدةُ الملكِ بها مدينةُ بيتي[2]، وهذه المملكةُ شديدةُ الحرِّ، قَشِفةُ المعيشَةِ، قليلةُ أنواعِ الأقْوات، وأهلُها طوالٌ في غايةِ السوادِ، وتَفَلْفُلِ الشُّعور، وغالبُ طولِ أهلِها من سُوقِهم لا من هياكلِ أبدانِهم، وملكُها الآن اسمُه سليمانُ[3] أخو السلطانِ موسى مَنسى[4] بيدِه ما كانَ قد جمعَه أخوه مما فتحَه من بلادِ السُّودان، وأضافَه إلى يدِ الإسلام، وبنى به المساجدَ والجوامعَ والمواذنَ، وأقامَ به الجُمَعَ والجَماعاتِ والأذان، وجلبَ إلى بلادِه الفقهاءَ من مذهبِ الإمام مالكٍ رضيَ اللهُ عنه، وبقي بها سلطانُ المسلمين، وتفقه في الدين.

وصاحبُ هذه المملكةِ هو المعروفُ عند أهلِ مِصرَ بملكِ التَّكْرور، ولو سمعَ هذا أنِفَ منه

---

(١) قارن بابن بطوطة، (ص٦٨٠-٦٩٦)، فقد زار هذه المملكة في جمادى الأولى سنة ٧٥٣هـ/ حزيران ١٣٥٢م، وأمضى فيها قرابة ثمانية أشهر، وترك وصفاً مسهباً لأحوالها ومعايشها وجُمَل شؤونها.

(٢) قلت: وقد أخطأ القلقشندي (صبح ٥/٢٧٢) في هذا الموضع بالنقل عن "مسالك الأبصار" حيث استبدل بَنْبي مصطبة السلطان بقاعدة ملكه بيتي، وليس الأمر كذلك في "المسالك".

(٣) هو كما يستدل من نسب أخيه السلطان موسى التالي ذكره: سليمان بن أبي بكر التكروري، ولي مملكة مالي بعد وفاة ابن أخيه منسى مُغا (السلطان محمد) والمفترضة في سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩-١٣٣٠م واستمر بها إلى ما بعد سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، انظر: ابن بطوطة: ص٦٨٢-٦٨٩، ابن خلدون: ٦/٢٠٣، القلقشندي: صبح ٥/٢٨٥ .

(٤) منسى، أو منسا: معناه السلطان، وقد ترجم له ابن خلدون (تاريخه ٦/٢٠٢) وابن حجر (الدرر ٥/١٥٤-١٥٥)، والشوكاني (البدر الطالع ٢/٣١٤) ولم يشيروا إلى تاريخ وفاته، لكن يستفاد من تاريخ عوده إلى بلده من الحج وهو سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م عند الذهبي (ذيل العبر، ص٧٢) أنه مات في هذه السنة أو بعدها بقليل، ففيما يلي من السياق، أن السلطان موسى عاد إلى بلاده بعد أداء فريضة الحج وهو يعتزم ترك ملكه بالكلية لابنه محمد، والعودة إلى مكة مجاوراً بها، فأتاه أجله، رحمه الله تعالى.

لأنَّ التكرورَ إنما هو إقليمٌ من أقاليمِ مملكتِه، والأحبُّ إليه أن يقالَ: صاحبُ مالِّي لأنَّه الإقليمُ الأكبرُ، وهو به أشهرُ.

وهذا الملكُ هو أعظمُ ملوكِ السودانِ المسلمين وأوسعُهم بلاداً، وأكثرُهم عسكراً، وأشدُّهم بأساً، وأعظمُهم مالاً، وأحسنُهم حالاً، وأقهرُهم للأعداء، وأقدرُهم على إفاضةِ النَّعْماء.

والذي تشتملُ عليه هذه المملكةُ من الأقاليم: غَانةُ[(١)]، وزافونُ[(٢)]، وترنكا[(٣)]، وتَكْرور[(٤)]، وسنغانةُ[(٥)]، وبانبقوا[(٦)]، وزرنطابنا، وبيترا، ودومورا، وزاغا[(٧)]،

---

(١) غانة: هي حاضرة بلاد جناوة، وتقع في جنوب بلاد المغرب على ضفة النيل ومنها كان يدخل في المفازات إلى بلاد التبر، ولولاها لتعذر الدخول إلى البلاد المذكورة لأنها في موضع منقطع عن الغرب، فمنها يتزودون إليها، انظر: الزهري: ص١٢٥، ياقوت: ٤/١٨٤، الحميري: ص٤٢٥-٤٢٦ .

(٢) زافون: اسم ولاية في بلاد السودان المجاورة للمغرب متصلة ببلاد الملثمين، انظر: ياقوت: ٣/١٢٧، الحميري: ص١٣٢، وهي فيه: زاكنو.

(٣) وتروى: ترنكة، وهي مدينة من بلاد السودان تلي مدينة قلنبو وكانت تشتهر بصناعة الأرز المعروفة بالشنكيات أو الشكيات، انظر: الحميري: ص١٣٢ .

(٤) التكرور في الأصل: مدينة تقع على جانبي النيل، وقد عم اسمها على الإقليم الواقع في أقصى جنوب المغرب بما في ذلك السكان الذين عرفوا بالتكرور، ويسافر إليها أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر والخدم، انظر: ياقوت: ٢/٣٨، ابن سعيد: الجغرافيا، ص٩١ فما بعدها، الحميري: ص١٣٤ .

(٥) وتروى: صنغانة، وهي مدينتان على ضفتي النيل متصلة إلى البحر المحيط، ولهاتين المدينتين نظر واسع وعمارات متصلة، انظر: الحميري: ص٣٦٠ .

(٦) في القلقشندي (صبح ٥/٢٧٥): بانبغو، ولم أقع لهذا الإقليم على تعريف.

(٧) زاغا، أو زاغة: مدينة تقع على النيل، قال ابن بطوطة (ص٦٨٠): "وأهل زاغة قدماء في الإسلام لهم ديانة وطلب للعلم" .

وكابرا[١]، وبراغوري[٢]، وكَوكَو[٣]، وسكانُ كَوكَوْ قبائلُ يرتان[٤].

وإقليم مالّي ‹هو› الذي به قاعدةُ الملكِ مدينة بيتي، وكلُّ هذه الأقاليمِ مضافةٌ إليه، والاسمُ المطلقُ عليه في هذه الأقاليم كلِّها مالّي، قاعدةُ أقاليمِ هذه المملكةِ [ذاتِ][٥] المدنِ والقُرى والأعمالِ ‹وهي› أربعةَ عشرَ إقليماً.

حدَّثني الشيخُ الثقةُ الثَّبْتُ أبو عثمانَ سعيدٌ الدكّاليُّ وهو ممن سكنَ مدينةَ بيتي خمساً وثلاثينَ سنة واضطربَ في هذه المملكةِ أنها[٦] مربعةٌ طولُها أربعةُ أشهر وأزيدُ، وعرضُها مثلُ ذلك تقعُ جنوبَ مَرّاكُشَ ودواخلَ بَرِّ العُدْوةِ[٧] جنوباً بغربٍ إلى المحيطِ، وطولُها من تولي إلى طوروا (٤٩٥) وهيَ على المحيطِ، جميعُها مسكونةٌ إلا ما قلَّ وإنَّ في طاعةِ سلطانِ هذه المملكةِ بلادَ مغزارةِ التبرِ يحملونَ إليه التبرَ في كلِّ سنةٍ وهم كفارٌ هَمَجٌ، ولو شاءَ أخذَهم، ولكنَّ ملوكَ هذه المملكةِ قد جَربوا أنه ما فتحَ منهم أحدٌ مدينةً من مدنِ الذهبِ وفَشَا بها الإسلامُ، ونطقَ بها داعي الأذان إلا قلَّ بها وجودُ الذهبِ ثم يتلاشى حتى

---

(١) كابَرَا، أو كابَرَة: تقع على النيل، ومنها ينحدر إلى زاغة، انظر: ابن بطوطة: ص ٦٨٠.

(٢) في القلقشندي (صبح ٥/٢٧٥): براغودي، ولم أقع لها على تعريف.

(٣) كَوكَوْ: مدينة كبيرة على النيل، قال ابن بطوطة (ص٦٩٥): "من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها ... وتعاملُ أهلها في البيع والشراء بالودع"، وانظر أيضاً: الإدريسي: ١/٢٨-٢٩، ياقوت: ٤/٤٩٥، ابن سعيد، الجغرافيا، ص٩٣، الحميري، ص٥٠٢-٥٠٣، القلقشندي: صبح ٥/٢٧٤-٢٧٥

(٤) في القلقشندي (صبح ٥/٢٧٥): يرنان، ولم أقع لها على تعريف.

(٥) في الأصل: ذوات.

(٦) وردت متبوعة بكلمة: هي، زائدة.

(٧) بر العُدْوَة: هي منطقة المغرب الأقصى، وسيفرد المؤلف لها الباب الثالث عشر من هذا الكتاب.

يُعدَمَ ، ويزدادَ فيما يليه من بلادِ الكفار، وأنه لما [صَحَّ][1] هذا عندَهم على التجريبِ[2] أبقوا بلادَ التِّبْرِ بأيدي أهلِها الكفار، ورَضوا منهم ببذلِ الطاعةِ وحُمولٍ قُرِّرَتْ عليهم.

وليسَ في مملكةِ صاحبِ هذه المملكةِ من يُطلَقُ عليه اسمُ ملكٍ إلا صاحبُ غانة[3]، وهو كالنائبِ له، وإنْ كانَ ملكاً.

وفي شمال بلادِ مالي قبائلُ من البَرْبرِ بيضٌ تحتَ حكم سلطانِها وهم: نيتصرُ، ونيتغراسُ ومدوسةُ ولمتونةُ[4] ولهم أشياخٌ تحكمُ عليهم إلا نيتصرَ فإنهم يتداولُهم ملوكٌ منهم تحتَ حكمِ صاحبِ مالي، وكذلك في طاعتِه قومٌ من الكفارِ ومنهم من يأكلُ لحومَ بني آدمَ، ومنهم مَن أسلمَ، ومنهم من هو باقٍ على هذا، وقد ذُكرَ هذا في موضعِه.

ومدينة بيتي ممتدةٌ طولاً وعرضاً تكونُ طولَ بريدٍ[5] تقريباً، وعرضُها كذلك لا يحيطُ بها سورٌ وأكثرُها متفرقةٌ، وللملكِ عدةُ قصورٍ يستديرُ بها سورٌ محيطٌ بها، وفرعٌ من النيلِ يستديرُ بهذه المدينةِ من جهاتِها الأربع، وفي بعضِها يُخاضَ ويُمشى فيه عند قلةِ الماءِ، وفي بعضِها لا يُعبَرُ إلا بالمراكب.

---

(١) في الأصل: فتح، ولعله يقصد ما اثبتناه، وبه يستقيم المعنى.

(٢) قلت: هذا حديث خُرافة، وكفى.

(٣) في القلقشندي: (صبح ٥ / ٢٨١): "وكأنه إنما بقي اسم الملك على صاحب غانة دون غيره لعدم انتزاعها منه والاستيلاء عليها استيلاء كليا".

(٤) لمتونة: مجموعة كبرى من قبائل البرانس الصنهاجية، وكان موطنها الأصلي بالصحراء الكبرى بين المغرب والسودان، ومن رجالاتها العظام يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين بالمغرب، انظر: ابن العربي: ص١٧٤.

(٥) البريد: هو المسافة بين كل منزلتين من منازل الطريق وهي أميال اختلف في عددها (المعجم الوسيط).

وبناءُ هذه المدينةِ بأيادٍ من الطينِ(١) مثلُ جدرانِ بساتينِ دمشقَ، وهو أنه يُبْنى تقديرُ نصفِ ذراعٍ بالطينِ ثم يُتْرَكُ حتى يجفُّ، ثم يُبْنى عليه مثلُه، ثم يُترَكُ حتى يجفُّ ثم يُبنى عليه مثلُه هكذا حتى يتناهى، وسقوفُها بالأخشابِ والقصبِ، وغالبُ سقوفها قبابٌ أو جملوناتٌ كالأقباء، وأرضُها ترابٌ مُرمَل، وشِرْبُ أهلِها من ماءِ النيل وآبارٍ مُحتفرَة، وجميعُ هذه البلادِ مصخرةٌ مُجْبلةٌ، وجبالُها ذواتُ (٤٩٦) أشجارٍ بريةٍ مشتبكةٍ غليظةِ السوقِ إلى غايةٍ تكونُ منها الشجرةُ الواحدةُ تُظلُّ خمسَ مئةِ فارس.

وغالبُ أقواتِهم الأرزُّ و[الفوني](٢) وهو دقٌّ مُزغبٌ يُدْرَسُ فيخرجُ منه شبيهُ حَبِّ الخَردلِ أو أصغر، وهو أبيضُ يغسلُ ثم يُطحَنُ ثم يُعجَنُ ويُؤكَلُ(٣)، وعندَهم الحنطةُ وهي قليلةٌ، والذرةُ وفيها لهم قوتٌ، وعَليقُ خيلِهم وطعمُ دوابِّهم، وعندهم الخيلُ من نوعِ الأكاديشِ التتريةِ، والبغالُ كلُّها صغارُ المقاديرِ جداً، وكذلك كلُّ دوابِّهم من البقرِ والغنمِ والحُمُرِ ليسَ يوجدُ منها إلا ذَميمُ الخَلْقِ صغيرُ الحبَّة.

ويُزْرَعُ عندَهم شيءٌ اسمُه القافي(٤) وهو عروقٌ دِقاقٌ تُدفنُ في الأرضِ فتزكو حتى تصيرَ غِلاظاً طعمُها شبيهٌ بالقلقاسِ لكنَّه ألذُّ من القُلقاس، وهو يُزْرَعُ في الخلاء فإن اطلعَ الملكُ على أنَّ أحداً سرقَ شيئاً منه قطعَ رأسَه و[علَّقَه](٥) مكانَ ما قطعَه، هذه سُنَّةٌ عندَهم يتوارثُها كابرٌ عن كابرٍ لا ترخصُها مسامحة، ولا تنفعُ فيها شَفاعَة، ويُزرعُ عندَهم اللوبيا،

---

(١) كذا، والعبارة غامضة، وفي القلقشندي (صبح ٥/ ٢٧٢): "وبناؤها بالبالستا" !

(٢) في الأصل: الغوني، والتصحيح من ابن بطوطة، ص٦٨٠

(٣) في ابن بطوطة، المصدر نفسه: "يصنع منه الكسكسو (المغربية) والعصيدة".

(٤) ذكره ابن بطوطة (ص٦٨١)، وقال إنهم يصنعون منه العصيدة، وهي عندهم مفضلة.

(٥) في الأصل: علق.

والقرعُ، واللِّفتُ، والبصلُ، والثومُ، والباذنجانُ، والكُرُنْبُ، ولكن الباذنجانَ والكُرُنْبَ قليلٌ عندَهم، وتطلعُ الملوخيَّةُ بريةً.

وعندَهم من الفواكهِ البستانيةِ الجُمَّيْزُ وهو كثيرٌ عندهم، وتطلعُ عندَهم أشجارٌ بريةٌ ذواتُ ثمارٍ مأكولةٍ مستطابةٍ فيها شجرٌ يُسمى نادموت(١) يحملُ مثلَ القواديس في كبرِها وفي داخلِها شبيهُ دقيقِ الحِنطةِ ساطعُ البياضِ مُزٌّ لذيذٌ، ويُعْملُ منه إذا جفَّ في الحناءِ، فيسودُه مثلَ النوشادر، وهو يُدَّخَرُ عندَهم للأكلِ والخِضابِ، ومنها شجرٌ يُسمى زبيزور تخرجُ ثمرتُه مثلَ قرونِ الخَرُّوب يخرجُ منه شبيهٌ بدقيق التُّرمُسِ حلوٌ لذيذُ الطعمِ، وله نوى ومنها شجرٌ يُسمى شومي(٢) يحملُ شبيهَ السفرجلِ طعمُه لذيذٌ يشبهُ طعمَ الموزِ، وله نوى شبيهٌ [بغُضْروف العظمِ يأكلُه بعضُهم معه، وشجرٌ اسمُه فاريتي يحملُ شبيهَ](٣) الليمو<ن> وطعمُه شبيهٌ بطعمِ الكُمَّثْرى بداخلِه نوى مُلحَمٌ يُؤخَذُ ذلك النوى وهو طريٌّ ويُطحنُ فيخرجُ منه شبيهٌ بالسَّمن ويجمدُ مثلَه تُبَيَّضُ به البيوتُ، وتوقدُ منه السُّرُج (٤٩٧) والقناديلُ، ويُعْمَلُ منه صابونٌ، وإذا أُريدَ أن يؤكلَ ذلك الدهنُ يُحرَقُ بتدبيرٍ، وصورةُ تدبيرِه أن يوضعَ على نارٍ لينةٍ ويُغطى ويُتْرَكَ إلى أن يقوى غليانُه ويبقى الذي يدبرُه يُشارفُه مشارفةً في اختبارِه ويُرضعُه بالماءِ قليلاً قليلاً مراتٍ وهو مغطىً محترزٌ عليه أن يتناهى على قَدْرِ القوةِ، ثم يتركُ حتى يبردَ، ويُستعملُ في المآكلِ بالسمنِ، ومتى فوجئ بكشفِ الغطاء فارَ وطارَ وتصاعدَ إلى السقفِ، وربما انعقدَ منه نارٌ فأحرقتِ الدار، وربما زادَ فاحترقتِ البلدُ، وهذا الدُّهنُ يخرقُ كلَّ جلدٍ وُضعَ فيه ولا يحملُه إلا ظروفُ القرعِ.

---

(١) في القلقشندي (صبح ٥/٢٧٧): تادموت.

(٢) في المصدر نفسه: قومي.

(٣) كتبت في الهامش، وأشير إلى مكانها من النص.

ويوجدُ بها من الثمراتِ البريةِ ما هو شبيهٌ بكلِّ الفواكهِ البستانيةِ على اختلافِ أنواعِها، ولكنها حرِّيفَةٌ لا [تستطابُ] ولا يأكلُها إلا السودان، وهي قوتُ [كثيرٍ منهم][1].

وعندَهم الملحُ موجودٌ بخلافِ الجوانيين والمسامتين لسِجِلْماسةَ وما وراءها.

وفي صحاريهم الجواميسُ بريةٌ تُصادُ كالوحوشِ وصورةُ صيدِهم لها أنهم يحملون من ...[2] الصغار، وما يُرَبى عندَهم في البُيوت، فإذا أرادوا صيدَ الجواميسِ أخرجوا واحداً منها إلى موضعِ الجواميسِ لتراه وتقصدَه وتتآلف به ...[2] التي هي علة الضم، فإذا تآلفت بها رموها بنُشَّابٍ مَسمومٍ عندهم، ثم يقطعونَ مواضعَ السُّم، وهو موضعُ الرَّميةِ وما حولَه، ثم يُؤكلُ باقيه.

وأغنامُهم ومَعْزُهم لا مرعى لها وإنما هي جَلاَّلاتٌ على القُمَامات والمَزابلِ، وتلدُ الواحدةُ من المعزِ في بطنٍ واحدٍ سبعةً وثمانيةً.

وبصحاريهم أنواعُ الوحوشِ من الحُمُرِ والبقرِ والغزلانِ والنَّعامِ وما يجري مجراها، والفيلةِ والآسادِ والنمورِ وكلُّها لا تؤذي إلا مَن تَعرضَ لها أو تحرشَ بها، وربما مرَّ الرجلُ بها إلى جانبِها فلا تعترضُه ما لم يُهجْها.

وعندهم وَحشٌ يسمى تُرُمِّي – بضمِّ التاء المثناةِ والراءِ المهملةِ وتشديدِ الميم – ولا يكونُ إلا خُنْثى له ذكرٌ وفرجٌ، مُوَلَّدٌ بينَ الذئابِ والضِّباع.

---

(١) في الأصل: كبير لهم، والتصحيح من القلقشندي (صبح ٥ /٢٧٧)، وبه يستقيم المعنى.

(٢) أصل البياض كلمة غير واضحة.

قال الشيخُ سعيدٌ (٤٩٨) الدكّاليُّ:

وقد رأيتُه بعيني، وهو خُنثى قَدْرُ الذئبِ متى وَجدَ في الليل آدمياً صغيراً أو مُراهقاً خطفَه وأكلَه، فأمّا بالنهارِ فلا يؤذي ولا له إقدامٌ على الرجلِ التّمام، وهو ينعرُ كنعارِ الثورِ إذا أرادَ النِّطاحَ، وهو ينبشُ الموتى ويأكلُهم، وأسنانُه كأسنانِ التمساحِ مُصفَّحةٌ ذكر في أنثى.

وفي مجرى النيلِ عندهم تماسيحُ كبارٌ هائلةُ المقاديرِ يوجدُ منها ما يكونُ طولُه عشرةَ أذرعٍ وأزيدَ، قالَ الدكّاليُّ:

وصيدَ منها تمساحٌ وُضِعَ في قلبهِ رمحٌ طولُه عشرةُ أشبارٍ، ومرارتُه سُمٌّ، وهي تُحمَلُ إلى خزانةِ ملكِهم، قالَ:

والفيلُ يُصادُ في بلادِ الكفارِ المجاورةِ لهم بالسِّحرِ حقيقةً لا مجازاً، والسحرُ بهذه البلادِ كلِّها [كثيرٌ][1] إلى غاية، وخصوصاً ببلادِ غانةَ، وفي كلِّ وقتٍ يُتَحاكَمُ عند ملكِهم بسببه، ويقالُ إن فلاناً قَتلَ بالسحرِ أخي أو ولدي أو بنتي أو أختي، ويُحكَمُ على القاتلِ بالقِصَاص ويُقتلُ الساحرُ.

وسلطانُ هذه المملكةِ يجلسُ في قصرِه على مصطبةٍ كبيرةٍ تُسمى عندهم بَنْبي – بالباءِ الموحدةِ والنونِ والباءِ الموحدةِ – على دِكّةٍ كبيرةٍ من آبَنُوس كالتخت يكونُ قدْر المجلسِ العظيمِ المتسعِ، عليها أنيابُ الفيلةِ في جميعِ جوانبِها النابُ إلى النابِ، وعنده سلاحُه من ذهبٍ كلِّه، سيفٌ ومِزراقٌ وتركاشٌ[2] وقوسٌ ونُشّابٌ، وعليه سراويلُ كبيرٌ مُفَصلٌ من نحوِ

---

(١) في الأصل: كثيراً.

(٢) التركاش، أو التركش: لفظة فارسية معناها: الجعبة أو الكنانة، انظر: دوزي: تكملة المعاجم ٢/٣٨

عشرين نصفيةٌ لا يَلبسُ مثلَه أحد، ويقفُ خلفَه نحوُ ثلاثين [مملوكاً][1] من التُّرك[2] وغيرِهم ممن يُبْتاع له من مصرَ بيدِ واحدٍ منهم جَتْرُ حريرٍ عليه قبةٌ وطائرٌ من ذهب، والطائرُ صفةُ [بازٍ][3]، يُحملُ على يَساره، وأمراؤه جلوسٌ حولَه <و> من تحته [سماطان][4] يميناً ويَساراً، ثم دونَهم أعيانٌ من فرسانِ عسكرِه جلوسٌ، وبين يديه شخصٌ يغني له وهو سيافُه، وآخر سفيرٌ بينَه وبينَ الناسِ يُسمى الشاعر، وحولَهم أناسٌ بأيديهم طبولٌ يدقونَ بها، وبين يديه أناسٌ يرقصون (٤٩٩) وهو يتفرجُ عليهم ويضحكُ منهم وخلفَه صَنْجقَان مَنشوران، وقُدَّامَه فرسانِ مَشدودانِ محصلانِ لركوبِه متى شاءَ، ومن عطسَ في مجلسه ضُربَ ضرباً مؤلماً، ولا يُسَامَحُ [أحدٌ][5] في هذا، وإنما إذا جاءت واحداً منهم عَطْسةٌ انبطحَ على الأرضِ وعطسَ حتى لا يُعلَمَ به، وأما الملكُ فإنه إذا عطسَ ضربَ الحاضرونَ بأيديهم على صدورِهم.

ولباسُهم عمائمُ بحنك مثلُ العربِ، وقُماشُهم بياضٌ من ثيابِ قطنٍ يُزرَعُ عندهم، ويُنْسَجُ في نهايةِ الرُّفعِ واللُّطفِ يسمى الكميصيًا، ومنهم شبيةٌ بزيٍّ المغاربة، جبابٌ ودراريعُ بلا تفريج، وتلبسُ أبطالُهم الفرسانُ أساورَ من ذهب، فمن زادتْ فروسيتُه لبسَ معها أطواقاً، فإن زادت لبسَ معها خلاخلَ ذهب، وكلما زادتْ فروسيةُ الفارسِ منهم لبسه الملك [سراويلَ][6] متسعاً، وكلما زادتْ فروسيةُ البطلِ منهم يزيدُ في كبرِ سراويله، وصفةُ سراويلاتِهم ضيقُ أكمامِ الساقيْن وسَعةُ السَّرْج، ويمتازُ الملكُ في زِيِّه بأنه يُرخي له عَذْبةً من

(١) في الأصل: مملوك.

(٢) في ابن بطوطة (ص٦٨٤): "وخلفه نحو ثلاثمائة من العبيد أصحاب السلاح".

(٣) في الأصل: بازي.

(٤) في الأصل: سماطين.

(٥) في الأصل: أحداً.

(٦) في الأصل: سراويلا.

بين يديه يكونُ سراويلُه من عشرين نِصفيةً لا يتجاسَرُ على لِبْسِ هذا أحدٌ غيرُه.

وملوكُ هذه المملكةِ يُجلَبُ إليها الخيلُ العِرابُ، وتُبْذَلُ الأثمانُ الكثيرةُ فيها، ومقدارُ عسكرِه مئةُ ألفِ نفرٍ منهم نحوُ عَشرَةِ آلافِ فارسٍ فرسانٍ خيالةٍ، وسائرُهم رَجَّالةٌ لا خيلَ لهم ولا مركبَ، والجمالُ والمراكبُ عندَهم موجودةٌ، ولا يُعْرَفُ بها رُكوب[1]، و[الشعيرُ][2] معدومٌ عندهم بالجملةِ الكافيةِ، لا ينبتُ عندَهم ألبتةَ.

ولأمراءِ هذا الملكِ وجندِه إقطاعاتٌ وإنعاماتٌ من أكابرِهم من يبلغُ مالُه على الملكِ في كلِّ سنة خمسينَ ألفَ مثقالٍ من الذهب، ويتفقدُهم بالخيلِ والقُماشِ، وهمتُه كلُّها في تجميل زِيِّهم، وتمصيرِ مدنه، ولا يدخلُ أحدٌ دارَ هذا الملكِ إلا حافياً كائناً من كان، فمنْ لم يخلعْ نعليه ساهياً كانَ أو عامداً قُتِلَ بلا عفوٍ، وإذا قدمَ (٥٠٠) القادمُ على الملكِ من أمرائه أو غيرِهم أوقفَه قدامَه زماناً، ثم يُومئُ القادمُ بيدِه اليمنى مثلَ من يضربُ الجُوكَ[3] ببلادِ تُورانَ[4] وإيران، فإذا أنعمَ على أحدٍ بإنعامٍ، أو وعدَه بجميلٍ، أو شكرَه على فعلٍ تمرغَ ذلك المُنْعَمُ عليه بينَ يديه من أولِ المكانِ إلى آخرِه، [فإذا][5] وصلَ إلى آخرِه أخذَ غلمانُ ذلك المُنْعَمِ عليه أو مَن هو من أصحابِه من رمادٍ يكون موضوعاً في أواخر مجلسِ الملكِ معداً هناك

---

(١) وردت في الأصل متبوعة بكلمة: كورا

(٢) مكررة في الأصل.

(٣) يضرب الجوك: أي يظهر الاحترام، والجوك في الأصل: ضرب من الركوع عند المغول يُظهر به المرؤوسون خضوعهم واحترامهم لرؤسائهم، انظر: دوزي: تكملة المعاجم ٢ / ٣٥٠-٣٥١ .

(٤) توران: اسم يطلق على بلاد ما وراء النهر بأجمعها، انظر: ياقوت: ٢ /٥٧ .

(٥) في الأصل: فلما، ولعله يقصد ما أثبتناه.

دائماً لأجلِ مثلِ هذا، فيذرُّ في رأس المُنْعَمِ عليه، ثم يعودُ يتمرغُ إلى أن يصلَ بين يدي الملكِ، ويضربَ جَوَكاً آخرَ بيدِه كما تقدمَ ثم يقومُ، وأما صورةُ هذا المشَبَّه بضربِ الجَوْك ‹فهي› أن يرفعَ الرجلُ يدَه اليمنى إلى قريبِ أذنه ثم يضعَها وهي قائمةٌ منتصبةٌ ويلقيَها بيدِه اليسرى فوقَ فخذِه واليدُ اليسرى مبسوطةُ الكفِّ [لتلقي] (١) مرفقِ اليُمنى مبسوطةَ الكفِّ مضمومةَ الأصابعِ بعضُها إلى جانبِ بعض كالمُشطِ [تَماسّ] (٢) شحمةَ الأُذُن.

وأهلُ هذه المملكةِ يركبون بالسروجِ العربيةِ، وهم في غالبِ أحوالِهم [في الركوبِ كأنهم من العربِ] (٣)، ولكنهم يبدؤون في الركوبِ بالرجلِ اليمنى بخلافِ الناسِ جميعاً.

ومن عادتِهم أن لا يُدفَنَ عندَهم ميتٌ إلا إذا كانَ ذا قَدْرٍ وحِشْمة، وإلا فكلٌّ مَن سوى هؤلاءِ ممن لا قَدْرَ له، والفقراءِ والغرباءِ فإنه يُرْمى رمياً في الفلاةِ مثلَ ما تُرْمى باقي المَيتات.

وهي بلادٌ يسرعُ فيها فسادُ المدخوراتِ وخصوصاً السمنَ فإنه يَنتنُ ويَجيفُ في يومين.

قلتُ: وليسَ هذا بغريبٍ لأن أغنامَهم جَلاَّلاتٌ تأكلُ القُماماتِ والمزابلَ وبلادُهم شديدةُ الحرِّ سريعةُ [التحلل] (٤).

وملكُ هذه المملكةِ إذا قدمَ من سفرٍ يَحملُ على رأسِه الجَتْرَ راكبٌ ويُنشَرُ على رأسهِ علم، ويُضْرَبُ قدامَه الطبولُ والطنابيرُ (٥) والبوقاتُ بقرونٍ لهم فيها صناعةٌ مُحْكَمة.

---

(١) في الأصل لتلتقي، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥/ ٢٨٨.

(٢) في الأصل: يماس، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٣) في الأصل: كانهم منهم، والتصحيح من المصدر نفسه ٥/ ٢٨٧

(٤) في الأصل: التحليل.

(٥) الطنابير: ج طنبور، وهو آلة من آلات الطرب ذات عنق وأوتار (المعجم الوسيط).

ومن عادته أنه إذا عادَ إليه أحدٌ ممن ندبَه في شُغْلٍ أو مُهِمٍّ يسألُه عن كلِّ ما تمَّ له من حالٍ من حينِ مفارقتِه له إلى حينِ عَوْدِه (٥٠١) مفصلاً.

والشكاوى والمظالمُ تنتهي إلى هذا الملكِ فيفصلُها بنفسه، وفي الغالبِ لا يكتبُ شيئاً بل أمرُه بالقولِ غالباً، وله قضاةٌ وكتابٌ ودواوينُ، هذا ما حدثني به الدكالي.

وحكى لي الأميرُ أبو الحسنِ عليُّ ابنُ أميرِ حاجب (١) أنه كانَ كثيرَ الاجتماعِ بالسلطانِ موسى ملكِ هذه البلادِ لما قدمَ مصرَ حاجّاً، وكان هو نازلاً بالقَرافةِ، وابنُ أميرِ حاجب والي مصرَ والقرافةِ إذ ذاك، واتحدتْ بينهم الصحبةُ، وأنَّ هذا السلطانَ موسى حَدَّثَه بكثيرٍ من أحواله وأحوالِ بلادِه ومن يجاورها من أممِ السودان، قالَ:

ومما حدَّثني به أن بلادَه متسعةٌ اتساعاً كثيراً وهي متصلةٌ بالبحرِ المحيطِ، فتَح فيها بسَيفِه وجندِه أربعاً وعشرين مدينةً ذواتِ أعمالٍ وقُرىً وضياعٍ، وهي كثيرةُ الدوابِّ من البقرِ والغنمِ والمَعْزِ والخيلِ والبغالِ وأنواعِ الطيرِ الدواجنِ كالأوَزِّ والحمامِ والدَّجاجِ، وأن أهلَ بلادِه عددٌ كبيرٌ وجمٌّ غفيرٌ، وهم بالنسبةِ إلى مَن جاورَهم من أممِ السّودانِ المتوغلينَ في الجنوبِ كالشّامةِ البيضاءِ في البقرةِ السّوداء، وفي مهادنتِه أهلَ منابتِ الذهبِ، وله عليهم القطيعةُ، قالَ، فسألتُه كيفَ نباتُ الذهب. فقالَ: يوجدُ على نوعيْن. نوعٍ في زَمنِ الربيعِ عُقَيْبَ الأمطارِ ينبتُ في الصحراءِ، وله ورقٌ شبيهٌ بالنَّجيلِ (٢) أصولُه التِّبْرُ، والنوعِ الآخرِ يوجدُ في جميعِ السنةِ في أماكنَ معروفةٍ على ضفافِ مجاري النيل، فيحفرُ هناك حفائرُ، فتوجدُ أصولُ الذهبِ كالحجارةِ والحصي فيؤخذُ وكلاهما هو المُسمى بالتِّبْر، والأولُ أفحلُ في العيارِ، وأفضلُ في القيمةِ. قالَ:

---

(١) مات في سنة ٧٣٩هـ/ ٨-١٣٣٩م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٣/٩٨-٩٩

(٢) النَّجيل: نبات عشبي معمر، ورقه كورق البُرّ (القمح) إلا أنه أقصر، يفترش على الأرض، وله سوق أرضية ذات عقد كثيرة (المعجم الوسيط).

وحدثني السلطانُ موسى أن الذهبَ حِمىً له يُجمعُ له مُتحصلُه كالقطيعةِ إلا ما يأخذُه أهلُ تلكَ البلادِ منه على سبيلِ السرقة.

قلتُ: والذي قالَه الدكّاليُّ إنه إنما يُهادى بشيءٍ منه كالمصانعةِ، ويتكسبُ عليهم في المبيعاتِ، لأنَّ بلادَهم لا شيءَ بها، وقولُ الدكّاليِّ أثبتُ.

قالَ ابنُ أميرِ حاجب:

(٥٠٢) وشعارُ هذا السلطانِ أصفرُ في أرضٍ حمراءَ، ‹و› تُنْشرُ عليه الأعلامُ حيثُ يركبُ، وهي ألويةٌ كبارٌ جداً، وخدمةُ القادمِ عليه أو المُنعَمِ عليه أنْ يكشفَ مَقدمَ رأسه ويضربَ بيده اليمنى جَوَكاً إلى الأرضِ نحو ما يعملُ التتارُ، فإذا احتاجَ إلى أكثرَ من هذه الخدمةِ تمرَّغَ بينَ يديْه، قال ابن أمير حاجب: وأنا رأيتُ هذا بالمُشاهدةِ والعِيانِ، قالَ:

ومن عادةِ هذا السلطانِ أنه لا يأكلُ بحضورِ أحدٍ من الناسِ كائناً مَنْ كان، بل يأكلُ دائماً وحدَه بمفردِه.

ومن عادةِ أهلِ مملكته أنَّه إذا نَشَأ لأحدٍ، منهم بنتٌ حسناءُ قدمَها له أمَةً موطوءةً فيملكُها بغيرِ تَزْويج مثل ما ملكت اليَمين، مع ظهورِ الإسلامِ بينهم وتَمَذْهبِهم بمذهبِ المالكيَّة.

قالَ ابنُ أميرِ حاجب:

هذا مع كَوْنِ السلطانِ موسى متديناً محافظاً على الصلاةِ والقراءةِ والذِّكْر، قالَ، فقلتُ له: إن مثلَ هذا لا يجوزُ ولا يحلُّ لمسلم شرعاً ولا عقلاً، [فقالَ ولا للملوك، فقلت: ولا للملوك][(١)] وسَلِ العلماءَ، فقالَ: واللهِ ما كنتُ أعلمُ وقد تركتُ هذا [من الآن][(٢)]

(١) في الأصل: فقلت ولا للمملوك فقلت ولا للمملوك، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥/٢٨٥

(٢) إضافة من المصدر نفسه.

ورجعتُ رجوعاً كلياً عنه.

قالَ ابنُ أميرِ حاجب:

ورأيتُ هذا السلطانَ محباً للخيرِ وأهله، وتركَ مملكتَه واستنابَ بها ولدَه مُحمداً، وهاجرَ إلى اللهِ ورسولِه فأدى فريضةَ الحج، وزارَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وعادَ إلى بلادِه على أنَّه يُقررُ لابنهِ المُلكَ، ويَتركُه له بالكُلِّية، ويعودُ إلى مكةَ المعظمةِ، ويقيمُ مجاوراً بها، فأتاهُ أجَلُه، رحمَه الله تعالى.

قالَ ابنُ أميرِ حاجب: وسألتُه إنْ كانَ له أعداءٌ ‹بينه و› بينهم حروبٌ وقتالٌ، فقالَ: نعم، لنا عدوٌ، وشديدُهم في السودان كالتتارِ لكم، وبينَهم وبينَ التتار مناسبةٌ من جهاتٍ منها: أنهم وِساعُ الوجوهِ، فُطْسُ الأنوف، ولنا ولهم وقائعُ، ولهم بأسٌ شديدٌ بإصابةِ رميِهم بالنُّشّاب، وبيننا وبينَهم نُوبٌ، والحروبُ ثاراتٌ.

قلتُ: وقد ذكرَ ابنُ سعيدٍ في "المُغرِب"(١) طائفةَ الدَّمادمِ(٢) الذين خرجوا على أصنافِ (٥٠٣) السودان، فأهلكوا بلادَهم وهم يُشَبَّهون بالتَّتَر، وكان خروجُ الفريقين في عصرٍ واحدٍ(٣)، انتهى كلامُه في هذا المعنى.

قالَ ابنُ أميرِ حاجب: سألتُ السلطانَ موسى كيفَ انتقلتْ إليه المملكةُ، فقالَ: نحنُ أهلُ بيتٍ نتوارثُ الملكَ، وكان الذي قبلي لا يصدقُ أنَّ البحرَ المحيطَ لا يمكنُ الوقوفُ على

---

(١) لم يصل إلينا القسم المتعلق منه بإفريقية والمغرب من هذا الكتاب بما فيه النص التالي، ولكني وقفت على نص قريب منه في كتابه الجغرافيا، ص٨١ .

(٢) نسبهم ابن سعيد (المصدر نفسه) إلى مدينة دمدمة من مدن بلاد السودان.

(٣) يقصد هجوم الدمادم على بلاد النوبة والحبشة، وهجوم التتار على بلاد المسلمين وذلك في سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م.

آخرِه، وأحبَّ الوقوف على هذا وولعَ به، فجهّز مئين [المراكب][1] مملوءةً من الرجال وأمثالَها مملوءةً من الذّهبِ والماءِ والزّادِ ما يكفيهم سنين، وقال للمُسَفَّرين فيها: لا تَرجِعوا حتى تبلغُوا نهايتَه [أو][2] تنفدَ أزوادُكم وماؤكم، فساروُا وطَالتْ مدةُ غَيْبتِهم لا يرجعُ منهم أحدٌ حتى مضتْ مدةٌ طويلة، ثم عادَ مركبٌ واحدٌ منها، فسألْنا كبيرَهم عما كانَ من أثرِهم وخَبَرِهم، فقالَ: تعلمُ أيها السلطانُ أنَّا سرِنا زماناً طويلاً حتى عرضَ ‹لنا› في لُجّةِ البَحر وادٍ له جريةٌ قَويةٌ وكنتُ آخرَ تلكَ المراكب، فأما تلكَ المراكبُ فإنها تقدمتْ فلما صَارتْ في ذلك المكانِ ما عادتْ ولا بانَتْ، ولا عرفنا ما جَرى لها، وأما أنا فرجعتُ من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي، قالَ: فأنكرَ عليه، قالَ: ثم إن ذلك السلطانَ أَعدَّ ألفيْ مركبٍ، ألفاً له وللرجالِ استصحبَهم معه، وألفاً للزادِ والماءِ ثم استخلفَني وركبَ بمن معه في البحرِ المحيطِ وسافرَ فيه، وكانَ آخرَ العهدِ به وبجميعِ مَن مَعَه وانتقلَ إليَّ المُلك.

قالَ ابنُ أميرِ حاجب:

ولقد كانَ هذا السلطانُ مُدَّةَ مَقامه بمصرَ قبلَ توجهِه إلى الحجازِ الشَّريفِ وبعدَه على نَمَطٍ واحدٍ في العبادةِ والتوجُّه إلى الله عزَّ وجَل كأنَّه بينَ يديْه لكثرةِ حُضوره، وكانَ هو ومَن مَعَه على مثلِ هذا مع حُسنِ الزيِّ في الملْبَس والسكينةِ والوقَار، وكانَ كريماً جَواداً كثيرَ الصَّدقةِ والبر، خرجَ من بلدِه بمئةِ وَسْقِ جَملٍ[3] من الذّهب أنفقَها في حِجَّتِه على القبائلِ بطريقِه من بلادِه إلى مصرَ ثُم بمصرَ ثُم من مصرَ إلى الحجازِ الشريفِ في التوجهِ والعَودِ حتى احتاجَ

---

(١) في الأصل: مراكب.

(٢) إضافة من القلقشندي، صبح ٥/٢٨٣

(٣) أي حمل جمْل، والوَسْق في الأصل: مكيال مقداره ستون صاعاً والصاع خمسة ارطال وثلث (المعجم الوسيط).

إلى القَرضِ فاستدانَ على ذمته (٥٠٤) من التجارِ بمكاسبَ كثيرةٍ وافرةٍ جعلَها لهم بحيثُ حصلَ لهم في ثلاثِ مئةِ دينارٍ سبعُ مئةِ دينارٍ ربحاً، ثم بعثَها إليهم بالرَّاجِح.

قالَ ابنُ أميرِ حاجب:

وبعثَ لي خمسَ مئةِ مثقالٍ ذهباً على سَبيلِ الافتِقاد، وأخبرني ابنُ أميرِ حاجب:

أنَّ المعاملةَ في بلادِ التكرُورِ بالوَدَعِ، وأنَّ التجارَ أكثرُ ما تجلبُ إليهم الوَدَعُ وتستفيدُ به فائدةً جليلةً، انتهى كلامُ ابنِ أميرِ حاجب.

قلتُ: وقد كانَ بلَغني أولَ قُدومي مصرَ وإقامتي بها حديثُ وصولِ هذا السُّلطانِ موسى حاجاً، ورأيتُ أهلَ مصرَ لَهِجينَ بذكرِ ما رأَوه من سَعةِ إنفاقِهم[١] فسألتُ الأميرَ أبا العبَّاسِ أحمدَ بنَ الجاكي المِهْمَنْدار[٢] رحمةُ الله عليه عنه، فذكرَ ما كانَ عليه هذا السلطانُ من سَعةِ الحالِ والمروءةِ والدِّيانة، وقالَ:

لما خَرجْتُ لملتقاه أعني من جهةِ السلطانِ الأعظمِ الملكِ الناصرِ أكرمَني إكراماً بليغاً، وعاملَني بأجملِ الآدابِ، ولكنه كانَ لا يحدثُني إلاَّ بتَرْجُمانٍ معَ إجادَةِ معرفتِه للتكلمِ باللسَانِ العربيِّ، ثم إنَّه قَدَّم للخِزانةِ السلطانيَّة جُملاً كثيرةً من الذَّهبِ المعدنيِّ الذي لم يُصَنْع وغيرَ ذلك، وحاولتُه أن يطلعَ للقلعةِ[٣] ويجتمعَ بالسُّلطانِ فأبى عليٌّ وامتنَع، وقالَ: أنا جئتُ لأحُجَّ لا لشَيءٍ آخرَ وما أريدُ ‹أن› أخلطَ حَجي بغيرِه، وشَرعَ في الاحتجاجِ

(١) لعله يقصد السلطان موسى ومن معه.

(٢) المِهْمِندار: هو الذي يتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان، وينزلهم دار الضيافة، ويتحدث في القيام بأمرهم، انظر: القلقشندي: صبح ٥ / ٤٣١-٤٣٢.

(٣) هي قلعة القاهرة، وتروى أيضاً: قلعة الجبل يعني المقطم، وهي مما أمر الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي بإنشائه في سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م غير أنها لم تكتمل إلا في أيام ابن أخيه الملك الكامل محمد بن العادل في سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، وهو الذي اتخذها مقراً للسلطنة، انظر: المقريزي: المواعظ ٢ / ٢٠١-٢٠٤

بهذا، وأنا أفهمُ أنه يرى الحضورَ نقصاً عليه لما يُضْطَرُّ إليه من تقبيلِ الأرضِ أو اليدِ، وبقيتُ أحاولُه وهو يتعلَّلُ ويعتذرُ والمراسمُ السلطانيَّةُ تَتقَاضاني في إحضارِه، فما زلتُ به حتى وافقَ، فلما حضرَ إلى حَضرةِ السلطانِ قُلْنا له: قَبِّلِ الأرضَ، فتوقفَ وأبى إباءً ظاهراً وقالَ: كيفَ يَجوزُ هذا، فأسرَّ إليه رجلٌ عاقلٌ كانَ معَه كلاماً لا نعلمُه، فقالَ: أنا أسجدُ لله الذي خلقَني وفَطَرني، ثم سجدَ وتقدَّم إلى السلطانِ فقامَ له بعضَ قيامٍ، وأكرمَه وأجلَسَه إلى جانبِه، وتحادثا حديثاً طويلاً، ثم خرجَ السلطانُ موسى، وبعثَ إليه السلطانُ (٥٠٥) بعدَّةٍ من الخُلَعِ الكاملةِ له ولأصحابِه ولكلٍّ من حضرَ معه، وخيلاً مُسْرجَة مُلْجَمةً ولأعيانِ من معَه، وكانتْ خُلعتُه طردَ وحشٍ[(١)] [بقصبٍ][(٢)] كثيرٍ بسنجابٍ مُقَنْدسٍ[(٣)] مُطَرزٍ بزَرْكَشٍ[(٤)] على مقترحٍ إسكندريٍّ[(٥)]، وكلوتةَ زَرْكَشٍ[(٦)] وكلاليبَ[(٧)] ذهبٍ و[شاشاً] [(٨)] [بحرير ورَقْم][(٩)] خليفتي، ومنطقةَ ذهبٍ مرصعةً و[سيفاً مُحلى ومنديلاً مُذهباً خَزّاً،

(١) طرد وحش: نوع من الثياب يصنع على هيئة جلد الوحش، يدخل في خلع الأمراء، وكان يعمل بدار الطراز بالإسكندرية والقاهرة ودمشق، راجع للمؤلف الباب السادس (ص١٣١) من مطبوعة "المسالك"، وقارن بالمقريزي، المواعظ ٢/٢٢٧ .

(٢) في الأصل: مقصب، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥/٢٨٤ .

(٣) يجوز أن يكون المعنى: بجلد سنجاب وعليه فرو القُندس.

(٤) زركش: لفظ فارسي كان يطلق على نسيج من الحرير المذهب بالذهب الخالص وكان اسم السلطان أو الأمير يسجل على هذا النسيج ويسمون ذلك رَقْماً، انظر: ماير: الملابس المملوكية، ص٦١ .

(٥) في القلقشندي، المصدر السابق: مفرج إسكندري.

(٦) كلوتة: وتجمع على كلاوت، وكلوتة زركش أي مطرزة، وهي غطاء للرأس خاص بالأمراء وتلبس دون عمامة، انظر: البقلي: التعريف، ص٢٨٨-٢٨٩، ماير: الملابس المملوكية، ص٥١ فما بعدها.

(٧) كلاليب: جمع كُلاَّب، وهو الإبزيم، انظر:ماير: المرجع نفسه، ص٥٢ .

(٨) في الأصل: شاش.

(٩) في الأصل: بحرور رقم، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥/٢٨٤ .

وأعلاماً](١) وفرسيْن مُسْرجَيْن مُلْجَميْن بمراكبَ ثُقْلٍ(٢) محلاة وأجرى عليه الإنزالَ والإقاماتِ الوافرةَ مُدَّةَ مَقامه، فلما آنَ أوانُ الحجِّ بعثَ إليه دراهمَ [كثيرة وجمالاً وهجناً خاصة](٣) كاملاتِ الأكوارِ والعُدَدَ لمراكبه و[هجناً](٤) [أتباعاً](٥) لأصحابه ومن حضرَ معَه، وأزوادا〈ا〉 جَمَّةً، وركز له العليقَ في الطريق، ورسمَ لأمراءِ الركبِ بإكرامه واحترامه، ثم لما عادَ تلقيتُه وأنزلتُه، واستمرَّ على عُلوفاته وإنزاله، وأرسلَ إلى السلطانِ متبركاً من هدايا الحجازِ الشَّريفِ، فقبلَه السلطانُ منه، وبعثَ إليْه بالخُلَعِ الكواملِ له ولأصْحابه والألطافِ والثوابي من البزِّ الإسكندري والأمتعةِ الفاخرةِ ثم عادَ إلى بلاده.

قالَ المِهْمَنْدارُ:

ولقد أفاضَ هذا الرجلُ بمصرَ فيضَ الإحسان، لم يَدعْ أميراً مُقَرَّباً ولا ربَّ وظيفةٍ سلطانيّةٍ حتى وصلَه بجُملةٍ من الذهبِ، ولقد كسَب أهلُ مصرَ عليه وعلى أصحابه في البَيْعِ والشِّراءِ والأَخذِ والعَطاءِ ما لا يُحْصَر، وبذلوا الذهبَ حتى أهانوا في مصرَ قَدْرَه، وأرخَصُوا سِعْرَه.

قلتُ: ولقَد صدقَ المِهْمَنْدارُ فإنَّه حكى مثلَ هذا غيرُ واحدٍ، ولما ماتَ المِهْمَنْدارُ وجدَ الديوانُ فيما خلَّفَه آلافاً من الذَّهبِ المَعدنيِّ مما أعطاهُ له باقياً على حالِه في ترابِه لم يُصَنَّع.

وحدَّثني خلقٌ من تجارِ مصرَ والقاهرةِ عَمَّا حَصل لهم من المكاسبِ والربحِ عليهم، فإنَّ الرجلَ منهم كانَ يشتَري القميصَ أو الثوبَ أو الإزارَ وغيرَ ذلك بخمسةِ دنانيرَ (٥٠٦) وهو لا يُسَاوي ديناراً واحداً، وكانوا في غايةِ سلامةِ الصَّدْرِ والطُّمَأنينةِ يُجَوِّزُ عليهم مَهْما جُوِّزَ

---

(١) في الأصل: سيف محلى ومنديل مذهب خز وإعلام.

(٢) في القلقشندي: (صبح ٥/ ٢٨٤): بمراكب بغل!

(٣) في الأصل: كثير، وجمال وهجن خاص.

(٤) ساقطة من الأصل والإضافة من القلقشندي (صبح ٥/ ٢٨٤)، وهي فيه: هجن.

(٥) في الأصل: اتباع.

عليهم، ويأخذونَ كُلَّ قولٍ يُقالُ لهم بالقَبُول والصِّدق، ثم ساءتْ ظنونُهم بأهلِ مصرَ غايةَ الإساءةِ لِما ظهرَ لهم من غَشِّهم لهم في كلِّ قولٍ، وفي تَزاحمِهم المُفْرِطِ عليهم في أثمانِ ما يُباعُ عليهم منَ الأطعمةِ والسِّلَعِ حتى لو رأوا اليومَ أكبرَ أئمةِ العلمِ والدينِ، وقالَ لهم إنَّه مصريٌّ امتهنوه، وأساؤوا به الظنَّ لما رأوا من سُوءِ معاملتِهم لهم.

وحدَّثني مُهنَّا بنُ عبدِ الباقي العجرميُّ الدليلُ أنَّه كانَ في صُحْبةِ السلطانِ موسى لما حجَّ، وأنَّه أفاضَ على الحجيج وأهلِ الحَرَمَيْنِ سجالَ الإحْسانِ، وكانَ في غايَةِ التجمُّلِ وحُسْنِ الظنِّ في سفرِه هو ومَنْ معَه، وتصَدَّقَ بمالٍ كَثيرٍ، قال:

ونابني منه نحوُ مئتيْ مثقالٍ من الذَّهبِ، وأعطى رفاقي جُملاً أخرى، وبالغَ مُهَنا في وَصفِ ما رآهُ منه من الكرمِ وسَعةِ النفسِ ورفاهيَّةِ الحال.

قلتُ: ولقد كانَ الذَهبُ مرتفعَ السِّعرِ بمصرَ إلى أنْ جاءوا إليها في تلكَ السَّنة، كانَ المثقالُ لا ينزلُ عن خمسةٍ وعشرين درهماً وما زادَ عليها، فمن يومئذ نزلتْ قيمتُه، ورَخُصَ سعرُه، واستمرَّ على الرخصِ إلى الآن لا يتعدَّى المثقالُ اثنيْن وعشرينَ درهماً وما دونَها، هذا من مُدةٍ تُقاربُ اثنتيْ عَشْرَةَ سنةً إلى الآنِ لكثرة ما جلَبوا من الذَّهبِ إلى مصرَ وأنفقُوه بها.

قلت: ولقد جاءَ كتابٌ من هذا السُّلطانِ إلى الحضرةِ السلطانيَّة بمصرَ وهو بالخطِّ المغربيِّ في ورقٍ عريضٍ، السَّطرُ إلى جانبِ السَّطرِ، وهو يمسكُ فيه ناموساً لنفسه مع مراعاةِ قوانينِ الأدبِ كتبَه على يدِ بعضِ خواصِّه ممن جاءَ يَحُجُّ، ومضمونُه السَّلامُ والوصيةُ بحامله، وجَهَّزَ مَعَه على سبيلِ الهديةِ خمسةَ آلافِ مِثْقالٍ من الذَّهَب.

وبلادُ مالِّي وغانَةَ وما معَها يُسلَكُ إليها من (٥٠٧) غربيَّ صعيدِ مصرَ على الواحَاتِ(١)

(١) الواحات: ج واح على غير قياس، وهي ثلاث كُوَر في غربي صعيد مصر يقال لها واح الأولى وواح الوسطى وواح القصوى، وأعمرها الأولى وعندهم أنهار وحمّات ولهم زروع ونخل كثير وأهلها أهل قشف ورياضة يشبهون البادية، انظر: ياقوت: ٥/٣٤١، والمشترك، ص٤٣٠، الحميري: ص٦٠٠-٦٠٢

في بَرٍّ مُقفرٍ تسكنُه طوائفُ من العربِ ثمَّ من البربرِ إلى عمرانَ يُتَوَصَّلُ منه إلى مَالي وغانَةَ وهي مسامتةٌ لجبالِ البَربَرِ في جَنوبِ مَرَّاكش وما يليها في قفارٍ طويلةٍ وصحارٍ ممتدةٍ مُوحِشَة.

وحدَّثني الفقيهُ العلاّمَةُ أبو الرُّوحِ عيسى الزَّواويُّ(١)، قالَ:

حدَّثني السلطانُ موسى مَنسى أن طولَ مملكتِه نحوُ سنةٍ، وبمثلِ هذا أخبرَني عنه ابنُ أميرِ حاجب، وأما ما قالَه الدكَّاليُّ فقد تقدم ذكرهُ، وهو أنها أربعةُ أشهرٍ طولاً في مثلِها عَرضاً(٢)، وقولُ الدكَّاليِّ أثبتُ لأن موسى مَنسى ربما عَظَّمَ شأنَ مُلكِه.

قالَ الزَّواويُّ:

قالَ لي هذا السُّلطانُ موسى إنَّ عندَه في مدينةٍ اسمُها تكرا(٣) معدنَ النُّحاسِ الأحمرِ تُجْلَبُ منه القُضبانُ إلى مدينة بيتي(٤)، قالَ، وقالَ: ليسَ في مملكتي شيءٌ يُمكَسُ سوى هذا النُّحاسِ المَعْدنيُّ الذي يُجلَبُ فإنه خاصة لا غير ونحن نبعثُه إلى بلادِ السودانِ الكفارِ نبيعُه <كلَّ> وزنِ مثقالٍ بثُلُثَي وزنِه [ذهباً](٥)، فنبيعُ كلَّ مئةِ مثقالٍ من النحاسِ بستةٍ

(١) هو شرف الدين أبو الروح عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي المالكي، توفي بالقاهرة في مستهل رجب سنة ٧٤٣هـ/ آخر تشرين الثاني ١٣٤٢م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر الكامنة ٣/٢٨٩-٢٩١، السيوطي: حسن المحاضرة ١/٤٥٩-٤٦٠، الزركلي: الأعلام ٥/٢٩٥

(٢) انظر ما سبق، ص٨٨

(٣) كذا، وفي القلقشندي (صبح ٥/٢٧٩): نكوا، وفي ابن بطوطة (ص٦٩٦): تكدا، ولم أهتد إلى حقيقة اسمها وكان ابن بطوطة قد زارها، وتحدث عن غناها بالنحاس حتى أن ماءها يتغير لونه وطعمه لكونه يجري على معادن النحاس.

(٤) في القلقشندي (المصدر السابق): "مدينة بنبي قاعدة مالي" وهو خطأ حيث إن بنبي مصطبة السلطان وليست قاعدة مالي.

(٥) في الأصل: ذهب.

وستينَ مثقالاً من الذهبِ وثُلْثي مثقال، قالَ:

وقالَ لي: إن عندَه أمماً من الكفارِ في مملكتِه وهو لا يأخذُ منهم جزيةً وإنما يستعملُهم في استخراجِ الذهبِ من معادنِه، وقالَ لي: إن معادنَ الذهبِ تُحْفَرُ الجُورةُ عمقَ قامةٍ أو ما يقاربُها فيوجدُ الذهبُ في جنباتِها وربما يوجدُ مجتمعاً في سفلِ تلكَ الحفائرِ.

وملكُ هذه المملكةِ في جهادٍ دائمٍ وغزوٍ ملازمٍ لمن جاورَه من كُفَّارِ السودان، وهم أممٌ لا يستوعبُهم الزمان.

قالَ لي الدكَّاليُّ:

وأهلُ هذه المملكةِ كثيرٌ فيهمُ السحرُ والسُّمُ ولهم عنايةٌ بهما وتدقيقٌ فيهما، وعندهم حشائشُ وحيواناتٌ يُرَكِّبونَ منها السمومَ القتالةَ ولا سيما من نوعِ السمكِ، يوجد عندهم ومراراتِ التماسيح، فإنها سمومٌ لا دواءَ لها.

وحدَّثني الشيخُ الإمامُ أبو عبدِالله محمدُ بنُ الصَّائغِ الأمويُّ قالَ:

حدَّثني الوزيرُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ زاغنوه [من][1] (٥٠٨) أهلِ بلدِنا المَرِيَّةِ بالأندلُسِ، وهو ثقةٌ من الفقهاءِ العلماءِ، قالَ:

ركبتُ في مركبٍ لتجارةٍ لي مع جُملةِ تجارٍ من فمِ الإيلايةِ وهو مدخلُ البحرِ المحيطِ قاصدينَ بعضَ بلادِ ‹برِّ› العُدْوَةِ، فلعبتْ بنا الريحُ، و[تقاذَفتنا] الأمواجُ إلى أن عَدَّيْنا المكانَ المقصودَ، وتمادَى بنا الحالُ إلى أنْ عجزنا عن الإرساءِ إلى البرِّ، ولم نزل على هذا نتغلغلُ في المحيطِ إلى الجنوبِ إلى أنْ دُفعْنا في ظُلماتٍ ممتدةٍ إذا أخرجَ الإنسانُ بها يدَه لم يكدْ يَراها، وأيقنا بالهلاكِ لوقوعنا في الظلماتِ، ثم لَطفَ اللهُ بسكونِ الريحِ فداريْنا المركبَ، ورَفقْنا به وقصَدْنا جهةَ البرِّ إلى أن وصلْنا إلى البرِّ وأرسينا به وخرجنا نطلبُ الخَلاصَ لأنفسِنا، فرأينا

(١) مكررة في الأصل.

أعلامَ مدينةٍ فقصدناها فوجَدنا بها أُمةً من السودان لما رأوْنا بيضاً عَجبُوا منا واعتقدوا أنا صبغْنا جسومَنا بالبياضِ، فحكُّوا جلودَنا باللّيف، فلما ظهرَ لهم أنها خِلْقةٌ بقَي كلُّ واحدٍ منهم يَتعجبُ ويتحدثون بذلك بعضُهم مع بعضٍ، فأقمْنا عندَهم فوَجدْنا غالبَ أكلِهم لحومَ الثعابين والحيّاتِ، وهي كثيرةٌ في أرضِهم جداً يتصيدونَها ويأكلونَ لحومَها ليسَ بأرضهم نباتٌ ولا مَرعى، فأقمْنا عندَهم مُدةً حتى خرجَ منهم ناسٌ إلى بلادٍ مجاورةٍ لهم في بعضِ أشْغالهم فخرجْنا معهم ثم تَنقلْنا من مكانٍ إلى مكانٍ إلى ‹أنْ› وصلْنا إلى بَرِّ العُدْوَة.

وحدَّثني أبو عبدِ اللهِ بنُ الصائغِ أن الملحَ معدومٌ في داخلِ بلادِ السودان، فمنَ الناسِ من يغرر ويصل به إلى أناسٍ منهم يُبَدِّلونَ نظيرَ كلِّ صَبْرةِ ملحٍ [مثلَها] (١) من الذهبِ، قالَ:

وحُدِّثتُ أنَّ من أمم السودانِ الداخلةِ بل لا يظهرُ لهم (٢) بل إذا جاؤوا وضعوا الملح ثم غابوا فيضعُ السودانُ إزاءه الذهبَ، فإذا أخذَ التجارُ الذهبَ أخذوا هم الملح.

وحكى لي عيسى الزَواويُّ قالَ:

حُدِّثتُ أنَّ رجلاً دخلَ بملحٍ، ووصلَ إلى مدينةٍ من مدنِ كُفّارِ السُّودان ‹قالَ› فأهديتُ إلى ملكِها شيئاً من الملحِ فقبلَه وبعثَ إليَّ (٥٠٩) بجاريتين من أحسنِ السُّودانِ صورة، ثم حضرتُ عندَه بعدَ أيامٍ فقالَ: بعثْنا إليكَ بتلكَ الجاريتين فاذبحْهما وكُلْهما لأنَّ لحمَهما أطيبُ ما يؤكلُ عندَنا فلأيِّ شيءٍ ما ذبحتَهما، فقلتُ: ما يحلُّ هذا عندَنا، قالَ: فأيُّ شيءٍ تأكلُ؟ قلتُ: لحمَ البقرِ والغنمِ، فبعثَ ببقرٍ وغنمٍ، قالَ: وحُدِّثتُ أيضاً أنّ في بلادِ هؤلاءِ السودانِ جبلاً عالياً لا يمكنُ الصعودُ إليه، به أنواعٌ من الفواكهِ والثمارِ، ولا سبيلَ لهم إليها إلا بما ألقتْ إليهمُ الرياحُ مما يتساقطُ من أوراقِها وثمارِها.

---

(١) في الأصل: مثله.

(٢) كذا، والعبارة مضطربة.

قلتُ: ولم يُذكَرْ هذا عن بلادِ الكفارِ، وإن كانَ ليس من شَرْطِنا، لكني ذكرتُه لغرابتِه وزيادةِ فائدة، ولأنه يتعلقُ ببلادِ السودانِ.

وأما ما أقولُه فإنَّه قد كثرَ القولُ عَمن يأكلُ من السودانِ لحومَ الناس، وهم الذين بلادُهم متوغلةٌ في غايةِ الجنوبِ، ومنهم من الزِّنْج.

قالَ الجاحظُ في كتابِ "البيانُ والتبيينُ":

وقد ذكرنا الزِّنْجَ وإنهاءَ ثناياها(١)، قال(٢): سألتُ مباركاً الزِّنْجي الفَشْكار(٣)، فقلت: لم تنزعُ الزِّنْجُ ثناياها؟ ولمَ [يُحَدِّد <دْ>] ناسٌ منهم أسنانَهم؟ فقالَ: أما أصحابُ التحديدِ فللقتالِ والنَّهش، ولأنهم يأكلونَ لحومَ الناسِ، ومتى حاربَ ملكٌ ملكاً فأخذه قتيلاً أو أسيراً [أكله](٤)، وكذلكَ إذا حاربَ بعضُهم بعضاً أكلَ الغالبُ منهم المغلوبَ، وأما أصحابُ [القَلْع](٥) فإنهم نظروا إلى مقادمِ أفواهِ الغنمِ فكرهوا أن تُشبهَ مقادمُ أفواهِهم مقادمَ أفواهِ الغنم.

---

(١) البيان والتبيين ١/٥٨ حيث نقل الجاحظ عن سهل بن هارون قوله: "لو عرف الزنجي فرط حاجته إلى ثناياه في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان لما نزع ثناياه".

(٢) النص التالي في المصدر نفسه (١/٦٠) باختلاف يسير في اللفظ.

(٣) الفَشْكار، كما في حاشية التحقيق (لهارون): لفظة فارسية معربة تعني المزارع أو الفلاح.

(٤) في الأصل: فأكله، والتصحيح من الجاحظ المصدر السابق.

(٥) في الأصل: القلاع، والتصحيح من المصدر نفسه.

الباب الحادي عشر

في مملكة جبال البربر

‹ في مملكةِ جبال البربر[١] ›

وبلادُ السودانِ أيضاً مثلثةٌ: ثلاثةُ ملوكٍ [مستقلينَ مسلمينَ][٢] بيضٍ من البربرِ: سلطانُ أهير، وسلطانُ دمُوسةَ، وسلطانُ دامكَّةَ.

هؤلاءِ الملوكُ الثلاثةُ البيضُ ملكُ أهير ودموسةَ[٣] وتادَمكَّةَ[٤] (٥١٠) ثلاثتُهم ملوكٌ مسلمونَ في جنوبِ الغربِ ‹الأقصى› بينَ بَرِّ العُدْوةِ مملكةِ السلطانِ أبي الحسَنِ[٥] وبينَ بلادِ مالّي وما معَها، وكلٌّ واحدٍ منهم ملكٌ مستقلٌ بنفسِه لا يحكمُ أحدٌ منهم على الآخرِ، وأكبرُهم ملكُ أهير.

وهم بربرٌ زيُّهم نحوُ زيِّ المغاربةِ دراريعُ إلا أنها أضيقُ، وعمائمُ بأحناك، وركوبُهم الإبلُ، ولا خيلَ عندهم ولا للمرينيِّ عليهم حُكمٌ، ولا لصاحبِ مالّي[٦]، وعيشُهم عيشُ أهلِ البرِّ من اللحومِ والألبانِ، والحبوبُ قليلةٌ عندَهم.

وحدَّثني الشيخُ سعيدٌ الدكّاليُّ أنَّه مرَّ بهم في بعضِ أسفارِه ولم يقمْ عندَهم، وهم في قلةِ أقوات.

---

(١) مملكة جبال البربر، أو بلاد البربر: اسم يشتمل على قبائل كثيرة في جبال المغرب أولها برقة ثم إلى آخر المغرب والمحيط وفي الجنوب إلى بلاد السودان، وهم أمم وقبائل لا تحصى ينسب كل موضع إلى القبيلة التي تنزله، انظر: ياقوت: ١/ ٣٨٨ .

(٢) في الأصل: مستقلون مسلمون.

(٣) في القلقشندي (صبح ٥/ ٢٠٤): دمونسة.

(٤) دامكة، وتعرف أيضاً بتادمكة أي على هيئة مكة المكرمة لأنها أشبه بلاد الدنيا بها، وهي مدينة منيعة كبيرة بين جبال وشعاب، انظر: ابن سعيد: الجغرافيا، ص١١٥، الحميري: ص١٢٨–١٢٩ .

(٥) هو السلطان أبو الحسن المريني، وسيفرد المؤلف له ولمملكته الباب الثالث عشر.

(٦) يقصد السلطان سليمان المقدم ذكره، ص٨٥

وحدَّثني الزواويُّ أن لهؤلاءِ البربرِ جبالاً عامرةَ كثيرةَ الفواكه، وقالَ: إن [كلَّ ما][1] بأيدي هؤلاءِ الثلاثةِ يجيءُ قَدْرَ نصفِ ما [الملكِ][2] مالي أو أرجحَ بقليلٍ، وإنما ذلك أكثرُ دخلاً لقربِه من بلادِ الكفارِ، وبها منابتُ الذهبِ، وهو قاهرٌ عليهم، ودخلُه كثيرٌ بهذا السببِ وبكثرةِ ما يُباع بمملكتِه من السلعِ وما يكتسبُه في الغزواتِ من بلاد الكفارِ بخلافِ هؤلاءِ فإنَّ بلادَهم جَدْبَةٌ ولا يد تمتدُ لهم إلى كسبٍ، وغالبُ أرزاقِهم من دوابِّهم، ودونَ هؤلاءِ مما بينَهم وبينَ مَرَّاكُشَ جبالُ المصَامدةِ[3]، وهم خلقٌ لا يُعَدُّ وأُممٌ لا تُحصى، وهم يفخرونَ بالشجاعةِ والكرمِ، فيهم أعيانُ الكرماءِ وبهم تظلُّ [سواكب][4] الدماء، وقد كانوا لا يَدينون لسلطانٍ من سلاطينِ بَرِّ العُدْوة، ولا يقدرُ أحدٌ من ملوكِها يفتلُ لهم في غاربٍ ولا ذِرْوةٍ، وقد وصلتْ الآن إلينا الأخبارُ بأنهم قد دانوا للسلطانِ أبي الحسنِ صاحبِ برِّ العُدْوةِ الآن، وقد دخلوا تحتَ ذيلِ طاعتِه، وتقربَ كلٌّ منهم إليهِ بما فيه وبما في قَدْرِ استطاعتِه، على أنهم لا يُمَلِّكون لأحدٍ قيادَهم، ولا يُسلمون إليه بلادَهم، وهم معَه على كلِّ حال، بينَ صحةٍ واعتلال، وهذا ما انتهى إلينا من أخبارِهم.

---

(١) في الأصل: كلما.

(٢) في الأصل: للملك.

(٣) جبال المصامدة: هو الاسم القديم لجبال الأطلس الكبير، كما كانت تعرف بجبال درن، وكانت موطناً لقبائل كثيرة من المصامدة، وهم مجموعة قبائل من البربر البرانس، وقد لعب المصامدة أدواراً حاسمة في تاريخ المغرب القديم والحديث على السواء، انظر: الحميري: ص٢٣٤-٢٣٥، ابن خلدون: ٦/٢٢٤، القلقشندي: صبح ٥/١٦٨، ابن العربي: ص١١٣-١١٤، ١١٨، ١٨٧.

(٤) الراجح عندي أن السياق التالي يختص بالمصامدة لا بالبربر سكان المملكة - موضوع الباب - وذلك لما فيه من المغايرة لما تقدم في الصفحة السابقة عن عدم خضوع هؤلاء البربر للسلطان أبي الحسن أو دخولهم تحت طاعته.

(٥١١)الباب الثاني عشر

في مملكة إفريقيّة

< في مملكة إِفريقيَّة >

هي مملكةٌ عظيمةٌ ولها شُهرةٌ عظيمةٌ، صحيحةُ الهواءِ، عذبةُ الماءِ، وسيعةُ المدى. كانت في أولِ مَنشأ الدولةِ الفاطميةِ(١) [مقرَّ](٢) مُلكهم، طلعتْ بها شمسُهم من المغربِ، وظهرتْ آيةُ المتعجِّب، ثم صارتْ إلى بني باديس(٣)، واستقلوا بأعبائِها، وامتدتْ لهم فيها أيامٌ قَضوا بُلَهْنيتَها، وبلَغوا أُمنيتَها، ثم كانت في أيامِ جُدودِ ملوكِها الآن(٤)، ذاتَ عزٍّ

(١) ظهرت الدولة الفاطمية في المغرب على يد عبيد الله المهدي في سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م بعد القضاء على دولتي الأغالبة والرستميين هناك، وشهدت أقصى اتساع لها في عهد المعز لدين الله (من طرابلس شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً) ثم مدت نفوذها إلى مصر وانتزعتها من الإخشيديين في شعبان سنة ٣٥٨هـ/ تموز ٩٦٩م، كما ملكت الشام معها واتخذت من القاهرة عاصمة ودار خلافة لها، وقد استمرت الدولة الفاطمية في مصر بعد هذا التاريخ أكثر من مئتي سنة وتعاقب عليها أحد عشر (خليفة) إلى أن دالت على يد صلاح الدين في ٧ محرم سنة ٥٦٧هـ/ ١٠ أيلول ١١٧١م، انظر: الزهري: ص١١٠-١١١، ابن الأثير: الكامل ٨/٢٤-٥٣، ٢٨٤-٢٨٥، ٥٩٠-٥٩٢، ٦٢٠-٦٢٢، ٦٦٣-٦٦٥، ١١/٣٦٨-٣٧١، ابن عذاري: البيان المغرب ١/١٢٤ فما بعدها، القلقشندي: صبح ٥/١١٨-١٢٠، ٤٤٨-٤٤٩

(٢) في الأصل: ومقر.

(٣) انتقل ملك إفريقية والمغرب إلى أمراء بني زيري من صنهاجة بعهد من المعز لدين الله الفاطمي عشية رحيله إلى مصر (٣٦٢هـ/٩٧٣م)، وقد سادت العلاقات الودية بين الجانبين في عهد أبي الفتوح يوسف بلكين بن زيري، إلا أنه بعد وفاة يوسف أخذت هذه العلاقات تنحو منحى آخر، إذ أخذ أمراء بني زيري يتطلعون للاستقلال عن الفاطميين في مصر، ويمثل ظهور المعز بن باديس (من ولد زيري) نهاية الوجود الفاطمي في المغرب، فقد خلع طاعة الفاطميين، وقطع الخطبة عنهم، ودعا للعباسيين وذلك في حدود سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، وقد استمر بنو باديس في حكم إفريقية إلى سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م حيث سقطت عاصمتهم المهدية في أيدي النورمانديين ورحل عنها آخر ملوكهم الحسن بن علي إلى بني عمومته في الجزائر من بني حماد، انظر: ابن الأثير: الكامل ١١/١٢٥-١٢٩، ابن خلكان: ٥/٢٣٣-٢٣٥، ابن عذاري: البيان المغرب ١/٢٦٧-٢٩٨، ابن خلدون: ٦/١٥٦-١٦٤، القلقشندي: صبح ٥/١٢٠-١٢١، سالم: تاريخ المغرب، ص٥٥٥-٥٩٦ .

(٤) هم الحفصيون كما يلي من السياق، وأما الملك المخصوص في هذا الباب فهو المتوكل على الله أبو يحيى واسمه أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم الحفصي، توفي فجأة في تونس في مستهل رجب سنة ٧٤٧هـ/ تشرين الأول ١٣٤٦م، وكانت قد ثارت في وجهه ثوائر قبل أن تصفو له الخلافة في شوال سنة ٧٢٥هـ/ أيلول ١٣٢٥م وقيل: سنة ثلاثين، راجع للمؤلف التعريف، ص٤١-٤٢، وانظر أيضاً: ابن خلدون: ٦/٣٧٦-٣٧٨، القلقشندي: صبح ٥/١٢٥-١٢٦، الزركلي: ٢/٧١

وسُلطان، امتدَّت بها مهابةُ الأميرِ أبي زكريّا(١)، وادَّعى بها ابنُه المُستَنصرُ(٢) الخلافةَ لما غلبَ على السبعةِ ملوكِ المنازلين له من الفرنجِ، ولم يخرجْ بنفسِه إلى لقائِهم، وإنما اكتفى بإخراجِ سبعةِ قُوادٍ نازلوهم ونصبوا مَحلاتِهم بإزاءِ مَحلاتِهم(٣) وليسَ هذا مما نحنُ بصدَدِه.

وإفريقيَّةُ اسمُ الإقليمِ، وقاعدةُ المُلكِ بها مدينةُ تونسَ وأُضيفَ إليها مملكةُ بجايةَ ومملكةُ تدلسَ(٤) يكونُ طولُها خمسةً و[ثلاثين](٥) يوماً، وعرضُها [عشرين](٦) يوماً، وطولُها من تدلس إلى حدودِ بَرقةَ(٧)، وطرابُلُسُ أولُ مدنِها مما يلي بَرقَةَ، وتدلسُ آخرُ مدنِها مما يلي الغربَ الأوسطَ.

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي، استقل بملك الدولة الحفصية عن الموحدين في سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، إلى أن توفي ببونة في أواخر جمادى الآخرة سنة ٦٤٧هـ/ تشرين الأول ١٢٤٩م، ترجمته في: لسان الدين: اللمحة البدارية، ص٩٦،١٠٨، القلقشندي: صبح ٥/١٢٣، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ١٠/٢١٩-٢٢١، الزركلي: ٨/١٥٦

(٢) هو المستنصر بالله أبو عبد الله محمد، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (أبي زكريا) حتى وفاته في تونس يوم الأضحى سنة ٦٧٥هـ/ آيار ١٢٧٧م، وهو أول من تلقب بألقاب الخلافة من الحفصيين، ترجمته في: اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣/٢٠٩-٢١٨، الذهبي: العبر ٣/٣٣٠، ابن خلدون: ٦/٣٢٠-٣٢١، القلقشندي: صبح ٥/١٢٣، ١٣٠-١٣١، ابن العماد: شذرات ٥/٣٤٩

(٣) يقصد الحملة الصليبية الثامنة التي تعرضت لها تونس بقيادة الملك لويس التاسع وانتهت بوفاة قائدها على أبواب قرطاجنة في ربيع الأول سنة ٦٦٩هـ/ آب ١٢٧٠م، انظر: ابن خلدون: ٦/٣١٧-٣١٩

(٤) في القلقشندي (صبح ٥/٩٥): بدليس!، وتدلس: مدينة على شاطئ المتوسط بين بجاية والجزائر وتعرف حالياً بدلّس، انظر: الحميري: ص١٣٢

(٥) في الأصل: ثلاثون.

(٦) في الأصل: عشرون.

(٧) لم يدخلها المؤلف في مملكة إفريقية (الحفصية) باعتبارها كانت في زمنه ذيلاً لمملكة مصر، راجع للمؤلف الباب السادس (ص١٦٣-١٦٤) من مطبوعة "المسالك".

وحدُّها من الجنوبِ الصحراءُ الفاصلةُ بينها وبينَ بلادِ جَناوةَ[١] المسكونةِ بأممٍ من السودانِ، ومن الشرقِ آخرُ حدودِ طرابلسَ وهي داخلةٌ من المحدودِ.

ومن الشمالِ البحرُ [الشماليُّ][٢] البحرُ الشاميُّ، ومن الغربِ آخرُ حدودِ تدلسَ لجزائرِ بني مَزْغِنَّة[٣] آخرِ عمالةِ صاحبِ بَرِّ العُدْوةِ، وملوكُها الآن من بني أبي حفصٍ[٤] أحدِ العشرةِ أصحابِ محمدِ بنِ تُومَرْت[٥] أصحابِ المغربِ.

وحدثني الشيخُ العلامةُ ركنُ الدينِ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ القَويعِ القرشيُّ التونسيُّ[٦] أنها بلادُ خصبٍ تُزْرَعُ على الأمطارِ، ومعاملتُها من الدراهم (٥١٢) نوعان: أحدُهما يُسمى القَديمَ، والآخرُ الجديدَ ووزنُهما واحدٌ، ولكن نقدَ الجديد خالصُ [الفضة]،[٧] ونقدَ القديم

(١) في القلقشندي (صبح ٥/٩٥): بلاد جباوة، وهو خطأ، وقد تقدم ذكر هذه البلاد عند تعريف حاضرتها مدينة غانة.

(٢) في الأصل: الشمال.

(٣) جزائر مَزَغِنَّة، أو مَزْغِنًا ومَزْغِنَّان: هي مدينة الجزائر الحالية.

(٤) هو أبو حفص عمر بن يحيى بن محمد الهنتاتي، توفي في سلا سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، ترجمته في :الزركلي: ٥/٦٩

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي الملقب بالمهدي، توفي في جبل تينملّل من بلاد السوس بالمغرب الأقصى في أواخر شهر رمضان سنة ٥٢٤هـ/ أيلول ١١٣٠م، ويعد واضع اللبنات الأولى لدولة الموحدين أو المؤمنين في المغرب، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ١٠/٥٦٩–٥٧٨، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق١/ ١٥١، ابن خلكان: ٥/٤٥–٥٥، الذهبي: العبر ٢/٤٢١–٤٢٣، الصفدي: الوافي ٣/٣٢٣–٣٢٨، ابن خلدون: ٦/٢٢٥–٢٢٩، القلقشندي: صبح ٥/١٣١–١٣٢، ابن العماد: شذرات ٤/٧٠.

(٦) هو ركن الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفري المعروف بابن القَويع، توفي بالقاهرة في أواخر ذي الحجة سنة ٧٣٨هـ/ تموز ١٣٣٨م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٤/٢٩٩–٣٠٢، السيوطي: بغية الوعاة ١/٢٢٦–٢٢٨

(٧) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/١٠٩

مغشوشٌ بالنحاسِ [للمعاملة]. [١] وإذا قيلَ: درهمٌ ولم يميز يُرادُ به العتيق، وتفاوتُ ما بينَه وبينَ الجديدِ ان كلَّ عَشَرةِ [دراهمَ] [٢] عُتق [بثمانيةِ] [٣] [دراهمَ] [٢] جُددٍ، وفي مصطلحِهم انَّ كلَّ عَشَرةِ دراهمَ من العُتقِ دينارٌ، وهذا الدينارُ هو دينارٌ مُسمىً لا حقيقةَ له كالرائجِ بإيرانَ والجيشيِّ بمصر.

ورطلُها ستَ عَشْرةَ أوقيةً، وزنُ الأوقيةِ أحدٌ وعشرونَ درهماً من دراهمها، والكيلُ اثنان: قفيزٌ وصَحْفةٌ، فأما القفيزُ فهو ستَ عَشْرةَ ويبةً كلُّ ويبةٍ اثنا عشرَ مُدّاً قروياً يُقاربُ المُدَّ النبويَّ، وهي ثمانيةُ [أمداد] [٢] بالكيلِ الحفصيِّ، والحفصيُّ هو كيلٌ قررَه ملوكُها الحفصيون آباءُ ملوكِها الآن [بقدرِ مُدٍّ ونصفٍ من المُدِّ المقدم ذكره] [٢]، وأما الصَّحْفةُ فهي عشرُ صِحافٍ كلُّ صحفةٍ اثنا عشرَ مُدّاً بالحفصي [٤].

وأوسطُ الأسعارِ بها في غالبِ أوقاتِها كلُّ قَفيزٍ [من القمح] [٢] بخمسين درهماً من العيْن، والشعيرُ دونَ ذلك.

والموجودُ بها من الحبوبِ القمحُ، والشعيرُ، [والحمَّصُ] [٢]، والفولُ، والعدسُ، والذُّرةُ، والدُّخْنُ، والجُلْبانُ، والبِسِلَّةُ وتُسمى بإفريقيَّةَ النسيم [٥]، وأما الأرزُّ فمجلوبٌ إليها، وبها

---

(١) في الأصل: المعاملة، والتصحيح من القلقشندي، المصدر السابق.

(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من المصدر نفسه.

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٤) وردت في الأصل متبوعة بعبارة: نحو مد ونصف من المقدم ذكره، وقد تقدم آنفاً وضع هذه العبارة في موضعها الصحيح من السياق وبالصورة التي وردت فيها عند القلقشندي.

(٥) في القلقشندي (صبح ٥/١٠٧): البسين.

من الفواكه العنبُ والتينُ كلاهما على أنواع، والرمانُ الحلوُ والمُزُّ والحامضُ، والسَّفَرجلُ، والتفاحُ، والكُمَّثْرى، والعُنَّابُ، والزعرور، والخَوْخُ أنواعٌ، والمُشْمُشُ أنواعٌ، والتوتُ الأبيضُ والأسودُ المسمى بالفِرْصَاد، والعين[(١)]، والقَراسيا، والزيتونُ، والأُتْرُجُّ، والليمونُ، والليمُ، والنَّارَنْجُ، وأما الجَوْزُ فقليلٌ، وكذلك النخلُ، وأما الفستقُ والبُنْدُقُ فلا يوجد، وكذلك المَوْزُ، وبها فاكهةٌ أخرى تسمى مصغ دونَ الجَوْزةِ المَقشُورةِ الصغيرةِ وأكبرُ من البُنْدُقةِ يجيء في زمانِ الشتاءِ، وطَعمُه بينَ الحمُوضةِ والقَبْضِ شبيهٌ بطعمِ السفرجلِ، ولونهُ بين الحُمرةِ والصُّفرةِ وله نوى وهو يُقطفُ من شجر‹ه› فجًّا ثم يُلَبَّسُ ويُثَقَّل ويُدَفَّأُ [كما يُعملُ بالموزِ فينضجُ ويؤكلُ حينئذ][(٢)].

(٥١٣) قلتُ: وهذا ذكرَه ابنُ وحشيةَ في كتابه "الفلاحةُ النبطيةُ".

وأما قصبُ السكرِ فيوجدُ منه ما قَلَّ بها ولا يُعتصَرُ، وبها البطيخُ الأصفرُ على أنواعٍ، والبطيخُ الأخضرُ، ولكنه قليلٌ ويسمى بها خاصةً وبالغربِ عامةً الدلاع، وبها الخيارُ والقِثَّاءُ، وبها اللوبيا، واللِّفْتُ والباذنْجانُ والقرنبيطُ والكُرُنْبُ والبَقْلَةُ اليمانيةُ واسمُها بليدس[(٣)]، والرِّجلةُ[(٤)] [والخَسُّ][(٥)]، والهِنْدِباءُ على أنواعٍ وسائرُ البُقولِ والملُوخيةُ ولكنها قليلةٌ وبها الهِلْيَوْن[(٦)]

---

(١) لم يرد اسم هذه الفاكهة في المصدر نفسه، ولم أهتد إلى تحقيقها.

(٢) في الأصل: كما يعمل بالموز حينئذٍ ويؤكل، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٣) في القلقشندي (صبح ٥/١٠٨): بلندس!

(٤) الرِّجْلَة: بقلة سنوية عشبية لحمية لها بذور دقاق يؤكل ورقها مطبوخاً ونيئاً، وتجمع على رِجَل (المعجم الوسيط).

(٥) في الأصل: والحص.

(٦) الهِلْيَوْن: جنس نبات من الفصيلة الزنبقية، فيه نوع زراعي مشهور يؤكل وتسميه العامة في مصر "كشك الماس"، وفيه أنواع للتزيين، وأنواع برية يتبقلونها ويستعملونها كالهليون الزراعي (المعجم الوسيط).

والصعْتَرُ، والثّمارُ بريّةٌ كلُّها [و] [١] بها الرياحينُ: الآسُ، والوردُ، ومعظمُه أبيضُ، والياسمينُ، والنّرجسُ، والنيلوفرُ الأصفرُ، والتُّرنْجانُ، والمنثورُ، والمرْزَنْجوشُ [٢]، والبنفسجُ، والسَّوْسَنُ، والزَّعْفرانُ، والحَبَقُ، والنّمام [٣].

وبها من الدوابِّ الخيولُ العرابُ المشابهةُ لخيل بَرقَةَ، والإبلُ، والبغالُ، والحميرُ، والبقرُ، والغنمُ، والمَعْزُ، وبها الإوزُّ ولكن قليل، وأنواعُ الصيدِ من الكُرْكُيِّ ويسمى عندهم الغُرْنُوقَ، وكذلك الوحشُ بها الحُمُرُ الوحشيةُ، والبقرُ ،والنعامُ، والغزالُ وغيرُ ذلك، وغالبُ سعرِ لحمِ الضّأنِ كلُّ رَطلٍ إفريقيٌّ بدرهمٍ عتيقٍ، وبقيةُ اللحومِ دونَه في القيمةِ، وفي الربيعِ يكثرُ ويرخصُ غيرَ هذا رُخصاً كثيراً، والدجاجةُ الجيدةُ بدرهميْن جديديْن، وأحوالُها مقاربةٌ للديارِ المصريةِ في مثلِ ذلك لقُربِ المجاورة.

وأما مدنُها الكبارُ، فالقاعدةُ تونُسُ والمشرقياتُ على الساحلِ: سوسةُ [٤]، والمهديةُ [٥]،

---

(١) في الأصل: أو.

(٢) المرْزَنْجوش أو المردقوش: بقل عشبي عطري زراعي طبي (المعجم الوسيط).

(٣) النَّمام: نوع من النعنع، ويسمى نعنع الماء (لسان العرب والمعجم البسيط).

(٤) سوسة: مدينة قديمة تنسب إليها الثياب الرقيقة السوسية ، ومنها ركب اسد بن الفرات البحر غازياً صقلية في ربيع الآخر سنة ٢١٢هـ/ تموز ٨٢٧م، انظر: ابن حوقل: ص٧٤، ياقوت: ٣/ ٢٨١-٢٨٢، الحميري: ص٣٣١، ابن بطوطة: ص١٨

(٥) المهدية: وتنسب إلى بانيها عبيد الله المهدي صاحب الدعوة الفاطمية، حيث اختار لها موقعاً حيوياً على البحر (بين صفاقس والمنستير) لتكون قاعدة لغزو مصر او الأندلس ومد النفوذ الفاطمي إليهما، انظر: ابن حوقل: ص٧٣، الزهري: ص١١٠-١١١، ياقوت: ٥/ ٢٣٠-٢٣١، الحميري: ص٥٦١-٥٦٢، القلقشندي: صبح ٥/ ٩٧، سالم: تاريخ المغرب، ص٥١٨ فما بعدها.

وصَفاقُس[(١)]، وقصرُ زياد، وقابِس[(٢)]، والمغربياتُ على الساحلِ: بنزرْت[(٣)] وبلدُ العنَّابِ وهي: بونةُ[(٤)]، والقُلّ[(٥)]، وجيجلُ[(٦)]، وبجايَةُ، وتازروت[(٧)]، وآزفونُ، وتدلّس وقبلي تونسَ إلى الجنوبِ القَيْروانُ[(٨)]، وجنوبيُّها بلادُ الجريدِ[(٩)] وأُمُّها تُوزَر[(١٠)]، وبقربها

---

(١) صفاقس: مدينة قديمة عامرة، وجل غلاتها الزيتون، والزيت بها منه شيء كثير، ومن زيتها كان يمتار أهل مصر والمغرب وصقلية والروم، انظر: ابن حوقل: ص٧٣، ياقوت: ٣/٢٢٣-٢٢٤، الحميري: ص٣٦٥-٣٦٦ .

(٢) قابس: مدينة كبيرة توصف بدمشق المغرب، ولها غوطة كغوطتها، واختصت من بلاد إفريقيَّة بشهرتها بالحرير، انظر:ابن حوقل: ص٧٢، ياقوت: ٤/٢٨٩-٢٩٠، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٤٤، الحميري: ص٤٥٠-٤٥٢، القلقشندي: صبح ٥/١٠٠ .

(٣) بَنْزَرْت: مدينة عامرة حصينة ومرسى، بها البحيرة المشهورة وهي من أعاجيب الأرض، انظر: ابن حوقل: ص٧٥، الزهيري: ص١٠٧-١٠٨، ياقوت: ١/٤٩٩-٥٠٠، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٤٣، الحميري: ص١٠٤، القلقشندي: صبح ٥/١٠١ .

(٤) بونة: مدينة حصينة وبها آثار كثيرة، وحولها قبائل كثيرة من البربر، ينسب إليها جماعة، انظر: ابن حوقل: ص٧٧، ياقوت: ١/٥١٢، الحميري: ص١١٥، وهي فيه: "من أنزه البلاد وأكثرها لبناً ولحماً وعسلاً وحوتاً"، القلقشندي: صبح ٥/١٠١ .

(٥) القل: مدينة عامرة ومرسى على ساحل قسنطينة، وبينهما أربعون ميلاً، انظر: الإدريسي: ١/٢٦٩، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٤٢، الحميري: ص٤٦٦ .

(٦) جيجل: مدينة قديمة يحيط بها البحر، وهي كثيرة التفاح والفواكه، انظر:الحميري: ص١٨٤-١٨٥

(٧) كذا ذكرت تازْرُوت هنا خطأ، فهي إحدى مدن سجلماسة في أقصى جنوب المغرب كما في المقدسي (أحسن التقاسيم، ص٢١٩-٢٣١) وهذا يعني أن لا علاقة لها البتة بمملكة إفريقية، وإنما هي من مضافات مملكة بر العدوة.

(٨) القيروان: مدينة عظيمة اختطها عقبة بن نافع في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكانت تعد من قواعد الإسلام الأربع: بغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة، انظر:المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٢٤-٢٢٦، الزهري: ص١٠٩-١١٢، ياقوت: ٤/٢٢١-٢٢٤، الحميري: ص٤٨٦-٤٨٧، القلقشندي: صبح ٥/٩٧، سالم: تاريخ المغرب، ص١١١-١٢٢ .

(٩) بلاد الجريد، وتعرف بجزائر التمر، قال الزهري (ص١٠٧): "لأن فيها نخلاً كثيراً وتمراً غزيراً، وينتهي التمر عندهم إلى أكثر من عشرة أجناس لا يشبه بعضه بعضاً لا في النعت ولا في الطعم" .

(١٠) تُوزَر: مدينة كبيرة وقديمة، وحولها أرباض واسعة وهي أكثر بلاد الجريد تمراً، ومنها تمتار جميع بلاد إفريقيَّة وبلاد الصحراء بالتمر لكثرته بها ورخصه، انظر: ياقوت: ٢/٥٧-٥٨، الحميري: ص١٤٤-١٤٥، القلقشندي: صبح ٥/١٠١-١٠٢ .

تقيوس[(١)]، وهي ثلاثُ بلادٍ ذاتِ نخيلٍ وزيتونٍ، وكامةُ البهاليلِ بينَ تُوزَرَ وتونسَ على طريقِ القَيْروانِ ‹و›قَفصةُ[(٢)] ذاتُ نخيلٍ وزيتونٍ، وبغربي تُوزَرَ على نصفِ يومٍ منها نفطةُ[(٣)]، وغربي تونسَ بعيداً من البحرِ باجَةُ[(٤)] (٥١٤) على يومينِ منها، وبالقربِ خَولانُ على نهر بَجْرَدَةَ[(٥)] في جنوبيِّهما بغربي تونسَ جامةُ[(٦)]، وتبرسقُ، وكسرة، وبالقربِ من ذلك مما يلي الغربَ الأُربُس[(٧)]، وشَقْبناريَّةُ، وفي [القربِ][(٨)] منها مما يلي الغربَ أُبَّةُ[(٩)]، وهي قصورٌ مجتمعةٌ نحوُ مئةٍ وخمسين[(١٠)] قصراً، وبالقرب منها على

(١) تقيوس: من بلاد قسطيلية، وكانت تتالف من أربع مدن متقاربة، وهي كثيرة النخل والزيتون، انظر: ياقوت: ٢/٣٧، الحميري: ص١٣٩-١٤٠ .

(٢) قفصة: مدينة كبيرة تتوسط القيروان وقابس، وهي مشهورة بالنخيل والفستق، كما ان فيها عيوناً كثيرة، انظر: ابن حوقل: ص٩٢، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٢٦، الحميري: ص٤٧٧-٤٧٨

(٣) نفطة: من أعمال الزاب الكبير، وهي مدينة عامرة آهلة بها مساجد وحمامات كثيرة، وغلات ومياه وفيرة سائحة، انظر: ياقوت: ٥/٢٩٦، الحميري: ص٥٧٨ .

(٤) باجة: مدينة كبيرة على جبل شديد البياض يسمى عين الشمس لبياضه، وهي كثيرة الأنهار والعيون، وباسمها سميت باجة الأندلس، انظر: ياقوت: ١/٣١٤-٣١٥، الحميري: ص٧٥، القلقشندي: صبح ٥/١٠٠-١٠١ .

(٥) نهر بَجْرَدَة: على نحو عشرة أميال من تونس، ويقال إن من شرب منه قسا قلبه، فأكثر الناس يجتنبون شربه، انظر: الحميري: ص١٤٤ .

(٦) ذكرها الحميري (ص١٥٥) من بلاد إفريقيَّة، ولم يزد على ذلك.

(٧) الأُربُس: مدينة وكورة واسعة، أكثر غلتها الزعفران، وتعرف ببلد العنبر، انظر: المقدسي: احسن التقاسيم، ص٢٢٦-٢٢٧، ياقوت: ١/١٣٦، الحميري: ص٢٤ .

(٨) في الأصل: الغرب، ولعله يقصد ما أثبتناه.

(٩) أبة: مدينة مشهورة بالزعفران كثرةً وجودةً، انظر: ياقوت: ١/٨٥، الحميري: ص٦ .

(١٠) وردت في الأصل متبوعة بكلمة: نحو، زائدة.

مسيرة يومٍ قلعةُ سَنان، وهي قصرٌ لا يُعرَفُ على وجهِ الأرضِ أحصنُ منه على رأسِ جبلٍ منقطعٍ عن سائرِ الجبالِ [ليس في رأسها ماء إلا المطر بها خمسُ مراحلَ نقرٌ في حجر] (١)، وهو جبلٌ عالٍ يقصرُ سَهمُ العقَّارِ عن الوصولِ إليه ويُرْتَقى إليها من سُلَّمٍ نُقِرَ في حجرٍ طولُه مئةٌ وتسعونَ درجةً وبأسفلها قصبةٌ بها عينُ ماءٍ وبها فواكهُ وثمارٌ.

ومن عمالتِها قُسَنْطينةُ (٢)، وهي بلد<ةٌ> كبيرةٌ متحضرةٌ بها غاية الحصانةِ والمَنَعَة.

فأما تونسُ فهي قاعدةُ المُلكِ وبها مما يليها بجايةُ قاعدةُ ملكٍ ثانيةٌ، وهي مدينةٌ مُسَوَّرةٌ في وطاءةٍ من الأرضِ بسفحِ جبلٍ يُعرَفُ بأُمِّ عمرو، ويستديرُ بها خندقٌ حصينٌ وثلاثةُ أرباضٍ كبيرةٍ من جهاتِها، وأرضُها سِباخٌ (٣)، وبها قصبةٌ وهي القلعةُ في مصطلحِ المغاربةِ هي سكنُ السلطانِ، وجميعُ بناءِ تونسَ بالحجرِ والآجرِ [وأبنيتُها] (٤) مسقوفةٌ بالأخشابِ وتفرشُ ديارُ أكابرِها بالرُّخامِ، ومنذ خلا الأندلسُ من أهلِه وآووا إلى جناحِ ملوكِها مَصَّروا إقليمَها ونوعوا بها الغِراسَ فكثرت مُتَنزَّهاتُها، وامتدَّ بسيطُ بساتينِها على بحيرةٍ من البحرِ الشاميِّ خارجةٍ إلى شرقيِّها من فمٍ ضيقٍ.

قالَ أبو عُبَيْدٍ البكريُّ:

دورُها أربعةٌ وعشرونَ ميلاً في وسطِها جزيرةٌ يقالُ لها سكلةُ لا ساكنَ بها، وربما يركبُ إليها السلطانُ ويقطعُ في المراكبِ إليها زمانَ الربيعِ ويضربُ أخبيتَه بها، ويقيمُ للتنزُّهِ فيها

---

(١) كذا، والعبارة مضطربة.

(٢) قسنطينة: مدينة كبيرة في الجزائر على نظر واسع وقرى عامرة، انظر: ياقوت: ٤ /٣٤٩، الحميري: ص٤٨٠–٤٨١، القلقشندي: صبح ٥ /١٠٥، وهي فيه: قسطينة.

(٣) سباخ: ج سَبْخة، ما لم يحرث من الأرض ولم يعمر لملوحته (المعجم الوسيط).

(٤) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥ /٩٨

أياماً ثم يعودُ، على أنه لا ماءَ فيها ولا مَرعى، ولكن لما تشرفُ عليه من البساتينِ المستديرةِ بتلك البُحيرةِ وما فيها من الجواسقِ المشرفةِ ومنظرِ البحر.

وبتونسَ ثلاثُ مدارسَ: السماعية، والمعرضية، ومدرسة الهواء.

وبها الحماماتُ والأسواقُ (٥١٥) الجليلةُ، ويُعْمَلُ بها القماشُ الإفريقيُّ وهو ثيابٌ رفاعٌ من القطنِ والكَتَّانِ معاً، ومن الكتَّانِ وحدَه، وثيابُها أمتعُ من النصافي البغدادي وأحسنُ، وهو أجَلُّ كساوي المغربِ، وللسلطانِ بستانانِ أحدُهما ملاصقٌ <أ>رياضَ البلدِ اسمُه رأسُ الطابيةِ، والآخرُ بعيدٌ من البساتينِ اسمُه أبو فهرٍ بينَه وبينَ البلدِ نحوُ ثلاثةِ أميالٍ، والماءُ مُساقٌ إليهما من ساقيةِ زَغْوانَ من جبلٍ[1] بُعدُه يومان من تونسَ، ويدخلُ القصبةَ منه فرعٌ وليسَ لأهلِ تونُسَ شِربٌ إلا من الآبارِ أشهرُها بئرُ طبيانٍ، وبالبيوتِ صهاريجُ تجمعُ مياهَ الأمطارِ لغسلِ القُماشِ وغيرِ ذلك.

وأما بجايةُ[2] فهي مدينةٌ قديمةٌ مُسَوَّرَةٌ[3] أُضيفَ إلى جانبِها [ربَضٌ][4] أُديرَ على سورٍ ضامٌّ لنطاقِ المدينةِ فصارا به كالشيءِ الواحدِ، والرَّبَضُ في وطاءةٍ، والمدينةُ القديمةُ المتصلةُ به في سَفحِ جبلٍ[5] يدخلُ إليها جونٌ من البحرِ الشاميِّ يُعْبَرُ بالمراكبِ إليها، وبها عينانِ اثنتانِ من الماءِ إحداهما كبيرةٌ منها شِرْبُ أهلِ البلدِ، ولها نهرٌ جارٍ على نحوِ ميلينِ منها تُحفُّ به البساتينُ ليسَ إلا أنْ يصبَّ في البحرِ الشاميِّ، وبضفتيه بستانان للسلطانِ

---

(١) هو جبل زغوان، كما في الحميري (ص٢٩٤) وهو جبل عظيم.

(٢) ياقوت: ١/ ٣٣٩، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٤٢، الحميري: ص٨٠، دائرة المعارف الإسلامية: ٣/ ٣٥٠-٣٥٤ (بجاية).

(٣) في القلقشندي (صبح ٥/ ١٠٤): مستورة!

(٤) في الأصل: أربض، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٥) هو جبل أمسيول، وهو جبل عال وفيه مياه سائحة وعيون كثيرة وبساتين، انظر: الحميري: ص٨٢

متقابلانِ شرقاً وغرباً، الشرقيُّ يُسَمى الرفيعَ[(١)]، ويُسمى الغربيُّ البديعَ هما مكان فُرجَته، ومَحلُّ نُزهتِه، وفيهما يقولُ محمدُ بنُ محمدٍ المكوديُّ القابِسيُّ بديهاً حينَ رآهما: <الكامل>

هذا البَديعُ كما رأيتُ بديعُ ... وكذا الرفيعُ كما عهدتُ رَفيعُ

هَذي معاهدُ كُلُّها معشوقةٌ ... والحسنُ فيها كُلُّه مَجموعُ

وهي ثانيةُ تونسَ في الرتبةِ والحالِ، وجَميعِ المعاملاتِ والموجوداتِ والأحوال.

ولبجايةَ حَصانةٌ عظيمةٌ ومَنَعةٌ، ولها رفقٌ كثيرٌ بمدخلِ السفنِ إليها من البحرِ.

وبقيةُ مدنِ إفريقيَّةَ جميعِها مُمَنَّعَةٌ مُمدنةٌ ذواتُ جوامعَ ومساجدَ وحماماتٍ وطواحينَ وأسواقٍ وديارات سَرِيَّةٍ لكنها عاطلةٌ من حَلْيِ البرِّ والمعروفِ لا يكادُ يوجدُ بها مدرسةٌ ولا خانقاه ولا زاويةٌ ولا رباطٌ (٥١٦) ولا مارستانٌ إلا فاس ومَرَّاكُشَ وإن لم يَبلُغا أدنى رُتَبِ أمثالِهما، ولا تَعلَّقا بأذيالِهما على أنَّ الذي بمَرَّاكُشَ أجودُ وسيأتي ذكرُهما في موضعه.

وحدَّثني أقضى القضاةِ أبو الروحِ عيسى الزواويُّ أن أبوابَ ملوكِ إفريقيَّةَ كبيرةٌ فإذا جلسَ سلطانُها جلسَ حولَه ثلاثةٌ للرأيِ والمشورةِ، ويجلسُ دونَهم عشرةٌ من أكابرِ أشياخِه، وقد يكونُ هؤلاءِ الثلاثةُ من العَشَرةِ المذكورين، وبعدَ هؤلاءِ خمسونَ نفراً[(٢)] فإذا أمرَ السلطانُ بأمرٍ بلَّغَه وزيرُ الجندِ لآخرَ واقفٍ وراءه، وبلَّغَه الآخرُ الآخرَ، وبلَّغه الآخرُ لآخرَ إلى أنْ يُسْمَعَ الأمرُ السلطانيُّ من خارجِ البابِ بنقلِ أناسٍ [عن ناسٍ][(٣)] كما ذكرنا.

---

(١) في الحميري (المصدر السابق): الربيع.

(٢) في القلقشندي (صبح ٥/١٤٠): "خمسون وقافاً وراء وزير الجند".

(٣) ساقطة من الأصل، الإضافة من المصدر نفسه.

ويقفُ جماعةٌ تُسمى الوقافين بأيديهم السيوفُ حوله وهم دون الخمسينَ المذكورينَ في الرتبةِ.

وأما ركُوبُه إلى صلاةِ العيدين أو إلى سفرٍ فهو على ما يذكرُ يركبُ السلطانُ ويمشي إلى جانبِه رجلانِ مُقلَّدانِ سَيفيْن رَجَّالة إلى جانبه يُمسكُ أحدُهما بركابه اليمينِ والآخرُ بركابه اليسارِ، ويليهما جماعةٌ رَجَّالةٌ من أكابرِ دولتِه مثلُ الثلاثة أصحابِ الرأي والعَشَرة الذين يلونَهم ومن يَجري هذا المَجرى من أعيانِ الجندِ، وتُسمى هذه الجماعةُ ايربان يمشون حولَه بالسيوفِ ،وبأيديهم عكاكيزُ.

قالَ الزواويُّ:

وربما مَشى في هؤلاءِ قاضي الجماعةِ، وهو عندَهم قاضي القضاة، وقدامَ هؤلاءِ الجماعةِ المشائين نفرٌ كثيرٌ من الموجودينَ ‹من› أقاربِ السلطانِ بسيوفٍ ومزاريقَ ويُسمون بالمشاين(١)، وقدامَهم جماعةٌ جَفاوة(٢) [وهم عبيدٌ سودٌ بأيديهم حرابٌ في رؤوسها راياتٌ من حريرٍ وهم لابسونَ جباباً بيضاً مقلَّدونَ بالسيوفِ](٣)، وقدامَهم عبيدُ المخزن، وهو اسمٌ لعوامِ البلدِ يُنادى فيهم ليلةَ العيدِ أو ركوبِ السلطانِ لسفرٍ فيخرجُ أهلُ كلِّ صناعةٍ ويبيتُ بظاهرِ البلد، فإذا أصبحَ مشَوا قدامَ كفاوة وبأيديهم الدَّرَقُ والسيوفُ، ومعهم العلمُ الأبيضُ المُسمى عندهم "العلمُ المنصورُ" [محمولٌ](٤) بيدِ فارسٍ وأهلُ الأسواقِ (٥١٧) [المُسَمَّون](٥) بعبيدِ المخزنِ وحولَه كما ذكرنا.

---

(١) كذا، رسمت في الأصل، ولم أفهم المراد منها.

(٢) كذا، وسترد هذه الجماعة عما قليل بصورة: كفاوة.

(٣) في الأصل: للبس جباب بيض مقلدين بالسيوف بأيديهم هذه الحراب، والتصحيح من القلقشندي (صبح ٥/١٤١)، وبه يستقيم المعنى.

(٤) في الأصل: محمولاً.

(٥) في الأصل: المسمين.

وعلى يمينِ السلطانِ فارسٌ وعلى يساره فارسٌ هما من أكابر أشياخه من العشرة المقدم ذكرُهم.

وخلفَ السلطانِ فارسٌ إليه أمورُ الأعلامِ والصَّناجق يقالُ له صاحبُ العلاماتِ مثل أميرِ علم، ووراءه أعلامُ القبائلِ، ولكلِّ قبيلةٍ في علَمِها ما تمتازُ به من الكتابةِ، والكتابةُ مثل: لا إلهَ إلا الله، أو الملكُ لله أو ما يناسبُهما، ووراءَ الأعلامِ الطبولُ والبوقاتُ وأصحابُ النفيرِ، وخلفَهم فرسانٌ يُعرَفون بمحركي الساقةِ بأيديهم عِصيٌّ يرتِّبون الناسَ، وهؤلاءِ هم بمنزلةِ النقباءِ.

وخلفَ هؤلاءِ العسكرُ والجندُ، والفارسُ الذي على يمينِ السلطانِ إليه أمرُ دقِّ الطبولِ، يقولُ: دُقَّ فلان باسم كبيرِ الطبالةِ.

ويخرجُ السلطانُ لصلاةِ العيدينِ من طريق، ويعودُ من أخرى، وهذا هو زيُّ ملوكِ هذه المملكةِ وترتيبُهم في الخروجِ للعيدين والأسفارِ، ولا يزالُ مَن حولَ السلطانِ ممن ذكرنا أنهم يمشون بقَدْرِ ساعةٍ ثم يركبونَ و[يطوفُ](1) بالسلطانِ جماعةٌ يقرؤونَ حزباً من القرآنِ الكريمِ، ثم يقفُ السلطانُ ويدعو ويؤمنُ الجندُ على دعائِه، ويؤمنُ الناسُ على تأمينه، ويجدُّ السلطانُ والناسُ السيرَ فإذا كانوا في فضاءٍ كانَ مَشيُهم على هذا الترتيبِ [وإن ضاقَ بهم الطريقُ مشوا كيف جاءَ على غيرِ ترتيب](2) إلا أنَّ السلطانَ لا يتقدمُ عليه جندُه، فإذا قربوا من المنزلة وقفَ السلطانُ ودعا وأُمِّنَ على دعائِه كما تقدم.

وأعلامُ هذا السلطانِ الذي تُحمَلُ له سبعةُ أعلامٍ التي تُحمَلُ وراءه الأوسطُ أبيضُ وإلى جانبِه أحمرُ وأصفرُ وأخضرُ.

---

(١) في الأصل: يطيف.

(٢) ساقطة من الأصل كما يستدل من السياق، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/ ١٤٢ .

قالَ العلامةُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ القَويعِ: ولا أتحققُ كيفَ ترتيبُها.

وقد ذكرَ ابنُ سعيد أن شعارَ سلطانِ إفريقيَّةَ يومَ الجُمعةِ لا يجتمعُ بأحدٍ بل يخرجُ عندما ينادي المنادي [بالصلاة] (١) ويشقُّ رحبةَ قصرِه ما بين خواص من المماليكِ الأتراك، فعندما يُعاينونَه ينادون: سلامٌ عليكم نداءً عالياً من صوتٍ واحدٍ يسمعُه من يكونُ بالمسجدِ الجامعِ، ثم يتقدمُه وزيرُ الجند بين يديه في ساباط (٢) يخرجُ هناك للجامعِ (٥١٨) عليه بابٌ مذهبٌ سلطاني، والوزيرُ لا يخرجُ معه من هذا البابِ بل يسبقُ فيفتحُ البابَ، ويخرجُ السلطانُ منه وحدَه، ويقومُ له جماعةُ الوقافين من أعيانِ الدولةِ، ولا يقومُ له في الجامع غيرُهم، وليس له مقصورةٌ مخصوصةٌ، فإذا انفصلَ عن الصلاةِ قعَد في قبةٍ كبيرةٍ له في صدرِ الرحبة، وحضرَ عندَه أقاربُه ثم يدخلُ قصرَه.

قالَ: وربما خرجَ إلى بُستانٍ له من أعظمِ ما تَهمَّمت ببُنيانه الملوكُ، واحتفلتْ بغرسه السلاطينُ، ويخرجُ في نحوِ مئتي فارسٍ من شبابِ أربابِ دولتِه يُعرَفون بالصِّبيان يوصلونَه إلى البُستانِ ويرجعونَ، ويبقى وزراؤُه نواباً له وهم ثلاثةٌ: وزيرُ الجندِ، وهو بمنزلةِ الحاجبِ بمصرَ، ووزيرُ المالِ وهو المُسَمَّى صاحب الأشغالِ، ووزيرُ الفضلِ وهو كاتبُ السرِّ، ومهما تجددُ عندَ كلٍّ واحدٍ منهم أمرٌ يطالعُه بالمكاتباتِ فيما يتعلقُ بشغلِه المَنوطِ به، ويجاوبُهم بما يراه.

قلتُ: وركُوبُه إلى البستانِ في زُقاقٍ من قصبتِه إلى البستانِ محجوبٌ بالحيطانِ لا يراه فيه أحدٌ، والمشهورُ أنَّ سلطانَها الآنَ قليلُ الرُّكُوبِ، فإذا ركبَ إلى البستانِ لا يكونُ معه إلا جواريه وخدمُه.

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥ / ١٤٠ .

(٢) الساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق أو ممر نافذ (المصباح المنير).

قالَ [ابنُ] (١) سعيد :

ويومُ السبتِ مخصوصٌ عندَه لأن يقعدَ في القبةِ الكبيرةِ، يعني بقصبتِه ويحضرَ عندَه أعيانُ دولتِه وأقاربُه والأشياخُ، والجانبُ الأيمنُ لأقاربِه والأيسرُ للأشياخِ، وبينَ يديهِ وزيرُ الجندِ ووزيرُ المالِ وصاحبُ الشرطةِ والمحتسبُ وصاحبُ كتبِ المظالمِ، قلت: هو الموقعُ على القَصَصِ، قال:

ويقرأُ - يعني قَصَصَ المظالمِ - الكاتبُ المعينُ بما وقعَ إليه، ويردُّ إلى وظيفةِ القِصَّةِ المتعلقةِ بوظيفتِه ويُنفِّذُ الباقي (٢) .

قلتُ: والمشهورُ على السنةِ التونسيين أنَّ سلطانَهم الآنَ كثيرُ الاحتجابِ بخلافِ جميعِ سلفِه، قليلُ الاعتناءِ بالنظرِ في مصالحِ أهلِ دولتِه ورعاياه، مقتصرٌ على لذاتِه مع ما هو عليه من الشجاعةِ والإقدامِ وإباءِ النفسِ، ويُحكى عنه في أوائلِ طلبِه للمُلكِ ومنازعتِه الثوارَ عليه ما أقرتْ له به الأبطالُ، وقرتْ بزلزلتِه الجبالُ، ويدلُّ على قولِه فعلُه، وعلى فعلِه (٥١٩) قولُه (٣) : ‹البسيط›

انظرْ إلينا ترانا (٤) مــا بنا دَهَشٌ (٥) وكــيفَ يطرقُ أســدَ الغــابةِ الدَّهَشُ

---

(١) في الأصل: ابو.

(٢) كذا، والعبارة غامضة.

(٣) أورد القلقشندي (صبح ٥/ ١١١) البيتين الأولين منسوبين إلى السلطان أبي العباس وهو خطأ، إذ لم يظهر أبو العباس هذا واسمه احمد بن محمد بن أبي بكر- على مسرح الحوادث وفقاً لتسلسل الملوك الحفصيين عند القلقشندي نفسه (صبح ٥/١٢٧) إلا في سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥١م اي بعد وفاة المؤلف بأربع سنوات.

(٤) كذا، والصواب: ترَنا، بالجزم، غير أن فيه إخلالاً بالوزن، وفي القلقشندي (صبح ٥/ ١١٥): تجدْنا، وهو الأمثل من حيث الإعراب والوزن.

(٥) الدَّهش: ذهاب العقل من الذَّهَل والوله، وقيل: من الفزع ونحوه (لسان العرب).

لا تعرفُ الحادثَ المرهوبَ أنفسُنَا ... فإنَّنا بارتكابِ الموتِ نَنْتَعِشُ

من كفِّ ظبيٍ سقاني من مُدامتِه ... لنرتوي عَطشاً فازداد بي العطشُ

كأنَّ وَجْنتَها من حُمرةٍ شَفَقٌ ... وشعرَها غسَقٌ بالجسمِ مُفترِشُ

فالقوسُ حاجبُها والسَّهمُ مقلتُها ... وإنْ فررتَ فإنَّ السالفَ الخَلِسُ[1]

فانظرْ ما نطقَ به أولَ هذهِ الأبياتِ من إقدامِه ثم ما جذبتْه إليه دواعي النفسِ من ذكرِ حبيبِه ومُدامِه.

وأما ما هو مَحضٌ بوصفِ شجاعتِه وجلدِه فهو قَولُه[2] : ‹الطويل›

وأزمانُنا لم تَعْدُ عنها[3] الغرائبُ ... مواطنُنا في دهرِهنَّ عجائبُ

مواطنُ لم تحكِ التواريخُ مثلَها ... ولا حدَّثتْ عنها الليالي الذواهبُ

وأدلُّ ما فيها على فعله قولُه في الاعتذارِ عن هزيمةٍ لاقى بها كلَّ عظيمة: ‹الطويل›

ومن قاتلَ الصفَّين وامتازَ مانعاً ... وقد نهلتْ منه الظُّبى وهو غالبُ

قالَ هذه الأبياتِ التي هي من قصيدةٍ طويلةٍ عُقَيبَ وقعةٍ جرتْ بينَه وبينَ قوادِ السلطانِ أبي تاشفين عبدِ الرحمنِ[4] صاحبِ تِلِمْسان قَريبَ قلعةِ سنان، وثبتَ لملاقاةِ عدوِّه ثباتاً

(١) الخَلِس: الذي يختلس النفس وينتزعها، فكأنه الموت.

(٢) البيتان التاليان في القلقشندي (صبح ٥/١١٠) منسوبان أيضاً إلى السلطان أبي العباس المذكور.

(٣) في المصدر نفسه: لم تعدُهنَّ.

(٤) هو السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن من بني عبد الواد، ولي الملك بعد قتل أبيه سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٧م، حتى مقتله في أثناء اجتياح تلمسان على يد أبي الحسن المريني في رمضان سنة ٧٣٧هـ/ نيسان ١٣٣٧م، ترجمته في: الذهبي: ذيل العبر، ص١٠٩، اليافعي: مرآة الجنان ٤/٢٩٦، لسان الدين: اللمحة البدرية، ص٨٠-٨١، ابن خلدون: ٧/١٠٥-١٠٦، ١٠٩، ١١١، ابن حجر: الدرر ٢/٤٥٧-٤٥٨، ابن العماد: شذرات٦/١١٥، الزركلي: ٣/٣٣٩ .

كثيراً، وقد انهزمَ كلُّ جندهِ حتى جُرِحَ ثلاثَ جراحاتٍ، وأُخذَ له ولدانِ[١] من أولادهِ وحظا‹يا›ه فقالَ هذه الأبيات، ومدحَ في آخرِها سلطانَ المغربِ[٢] وذكرَ فيها بعثَه ولدَه أبا زكريا[٣] في البحرِ لاستنجادهِ فمدَّ له ساعداً، وسدَّد لأعدائه سَهماً قاصداً[٢] ولما أُخذت أولادُه صبا إليهم واشتاقَهم وقالَ يتسلى بُعدهم وفراقَهم[٤] : ‹الطويل›

طَمَتْ في دُموعي للفراقِ بحورُ ... وأجَّجَ ما بينَ الضلوعِ سَعيرُ

وفارقتُ قلبي يومَ فارقتُ صبيتي ... فللهِ أحياءٌ خَلَتْ وقصورُ

وقلتُ له يا قلبُ صبراً فقالَ لي ... حنانيْك إني نحوَهنَّ أسيرُ

(٥٢٠) عسى اللهُ يُدني للمحبينَ أوبَةً ... فتشفى قلوبٌ منهمُ و صُدورُ

وكم من قَصِيٍّ الدارِ أمسى بحزنِه ... فأعقبَه عندَ الصباحِ سُرورُ

ثم لجأ إلى بلدِ العُنَّابِ، ثم إلى بِجايةَ وبعثَ ولدَه كما ذكرَ إلى أبي سَعيدٍ عثمانَ والدِ سُلطانِها الآن يستصرخُ به فطلعَ إلى قريبِ تِلِمْسانَ لنُصرتِه، ثم رُدَّ لمرضٍ عَرَض له، وأوصى

---

(١) هما أبو العباس أحمد، وأبو حفص عمر كما يلي من السياق.

(٢) هو أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، ولي أمر المغرب بعد وفاة عمه أبي الربيع سليمان بن عبد الله يعقوب في جمادى الآخرة سنة ٧١٠هـ/ تشرين الثاني ١٣١٠م، حتى وفاته في ذي القعدة، وقيل في ذي الحجة سنة ٧٣١هـ/ آب ١٣٣١م، ترجمته في: الذهبي: ذيل العبر، ص٩٠، اليافعي: مرآة الجنان ٤ /٢٨٣، لسان الدين: اللمحة البدرية، ص٩٥، ابن خلدون: ٧ /٢٣٥-٢٤٥، ابن حجر: الدرر ٢ /٤٥٢، ابن تغري بردي: النجوم ٩ /٢٩٠، ابن العماد: شذرات ٦ /٩٧، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٩ /٧-١٥، الزركلي: ٤ /٢١٥ .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن يحيى، توفي في ربيع الأول سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وكان أميراً على بجاية، ترجمته في: ابن خلدون: ٦ /٣٧٦-٣٧٧

(٤) ورد منها في القلقشندي (صبح ٥ /١١١) البيتان الرابع والخامس منسوبين أيضاً إلى السلطان أبي العباس.

ولدَه السلطانَ أبا الحسنِ الآتي ذكرُه في ذكرِ برِّ العُدوَةِ بإتمامِ ما بدأ به من لجدتهم، ثم إنَّ صاحبَ إفريقَّةَ بعثَ الشيخَ العارفَ أبا الهادي إلى صاحبِ تلِمْسان فأعادَ عليه ابنيْه أحمدَ(١) وعُمرَ(٢) ومربيتَه لاعبَ، وأما الحظايا فأبتْ له نفسُه استردادَهن، وهذه الواقعةُ من الأسبابِ في أخذِ صاحبِ برِّ العُدْوَةِ لتلِمْسان، وسيأتي هذا في مكانِه(٣)، وهذه فائدةٌ جاءتْ عرضاً في هذا التأليفِ وإن لم تكن من شأنِه.

ونعودُ إلى ما كنا فيه من ذكرِ قَصصِ الظُّلامات، قالَ ابنُ سعيد:

والذي يتولى إبلاغَ الظُّلاماتِ إلى هذا السلطانِ يُسمى صاحبَ الرَقاعاتِ يأخذُ براءات المتظلمينَ أي قصصَهم ويعرضُها ويخرجُ بجوابِها، قلتُ: وهذا بمثابةِ الدُّوادار(٤).

قالَ ابنُ سعيدٍ في "المُغربُ"، وقالَ العلامةُ أبو عبدِ الله بنُ القَويعِ: فيما حدَّثني به أنَّ هذا السلطانَ لا يُعَلِّمُ على شيءٍ يكتبُ وإنما يعلِّمُ عنه صاحبُ العلامةِ الكبرى، قال ابن القَويع:

وفي الغالبِ يكونُ صاحبَ العلامةِ الكبرى كاتبُ السرِّ، وهذا في الأمورِ الكبارِ

---

(١) هو أبو العباس أحمد، قتل في وقعة مع أخيه عمر في سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، وكان أبوه السلطان أبو بكر قد عهد إليه بالخلافة من بعده وكان ببلاد الجريد في أثناء وفاته فسبقه إليها أخوه فاستجاش على أخيه وقدم عليه تونس إلى أن كان أمره ما ذكرناه، انظر: ابن خلدون: ٦/ ٣٧٨-٣٧٩، القلقشندي: صبح ١٢٦/٥

(٢) هو السلطان أبو حفص، قتل على يد أبي الحسن المريني (٧٤٨هـ) انتقاماً لأخيه أبي العباس أحمد، وبمقتله طويت مملكته تحت جناح المريني، وكمل للمريني بذلك ملك جميع المغرب، انظر: ابن خلدون: ٦/ ٣٧٩-٣٨٠، القلقشندي: صبح ٥/ ١٢٦-١٢٧

(٣) انظر ما يلي، ص١٩٨-١٩٩.

(٤) قلت: ويضاف إلى ما تقدم من أعمال الدوادار تبليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير، والمشاورة على من يحضر إلى باب السلطان وتقديم البريد، انظر: القلقشندي: صبح ٤/ ١٩، المقريزي: المواعظ: ٢/ ٢٢٢.

والعلامةُ: الحمدُ لله والشُّكْرُ لله، وأما مادونَ هذا فإنما تكونُ الكتابةُ فيه عن وزيرِ الجند يكتب عليه صاحبُ العلامةِ الصغرى اسمَ وزيرِ الجندِ، ومن خاصةِ كتبِ هذا السلطانِ أن يكتبَ في ورقٍ أصفرَ، وأما ما يُكتبُ عن وزيرِ الجندِ ففي غيرِ الأصفرِ، ومن عادةِ المغاربةِ كلِّهم أن لا تطولَ كتبُهم ولا تبعدَ بين سطورِهم كما جرتْ بها العادةُ في مِصرَ والشامِ وإيران.

وسألتُ الإمام أبا عبدِ الله بنَ القَويعِ عن طبقاتِ الجُندِ في هذه المملكةِ ومبلغِ أرزاقِهم في ديوانِه، فقالَ:

هؤلاءِ على ما قرَّره لهم المهديُّ يعني مهديُّهم محمدَ بنَ تُومَرْت، هكذا (٥٢١) كان عبدُ المؤمنِ (١) وأبناؤُه لما كانَ لهم المغربُ ليسَ لهم أمراءُ ولا أتباعٌ يطلبُ بعدتهم كعدةِ الأمراءِ بمِصرَ، وإنما لهم أشياخٌ من أعيانِهم لا عدةَ لهم ولا جند ولا المرءُ منهم إلا بنفسه، وإنما هم أعيانُ الجماعةِ ممن يحضرُ عندَ سلطانِهم الرأيَ والمَشُورة.

قلتُ: وقد تقدمَ القولُ عليهم، قالَ: ولكلِّ طائفةٍ مزوار، وهو كبيرٌ لهم يتَولى النظرَ في أحوالهم، وأمَّا الجندُ فهم من المُوحِّدين والأندلسيين ومن قبائلِ العربِ، وقليلٍ ممن هربَ وأقامَ عندهم من مِصرَ، والفرنجُ هم خاصةُ السلطانِ، يقالُ لهم العُلوجُ لا يطمئنُّ إلا إليهم.

---

(١) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلي بن مروان الكومي مؤسس دولة الموحدين في المغرب، وأحد العشرة من أصحاب المهدي بن تومرت، بويع بالخلافة في سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م إلى ان مات في رباط سلا وهو في طريقه إلى الأندلس في جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ/ حزيران ١١٦٣م، ودفن في جبل تينملّل بجوار قبر المهدي المذكور، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ١١/ ٢٩١-٢٩٢، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨/ق١/ ٢٤٥-٢٤٦، ابن خلكان: ٣/ ٢٣٧-٢٤١، الذهبي: سير ٢٠/ ٣٦٦، والعبر ٣/ ٢٩، ابن كثير: البداية ١٢/ ٢٤٦،ابن خلدون: ٦/ ٢٢٩-٢٣٠، ابن العماد: شذرات ٤/ ١٨٣، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٨/ ٣٩١-٣٩٨، الزركلي: ٤/ ١٧٠، سالم: تاريخ المغرب، ص٦٩٩-٧١٠ .

وأما أرزاقُهم فإنَّ أعظمَ بركاتِهم يعني أرزاقَهم التي بمعنى الإقطاعاتِ بمصرَ [وهو الجماعة الموحدين والسلطانُ يأخذُ معهم كواحدٍ معهم سواء بسواءٍ][1] وهذه البركاتُ تُفَرَّقُ أربعَ مراتٍ في كلِّ سنة، في عيدِ الفطرِ تفرقةٌ، وفي عيدِ الأضحى تفرقةٌ، وفي ربيعِ الأولِ المباركِ تفرقةٌ، وفي رجب تفرقةٌ، ولا يصيبُ كلَّ واحدٍ من الموحدين في كل تفرقةٍ من هذه التفريقاتِ الأربعِ إلا أربعونَ ديناراً المسماة فتكون بثلاثِ مئةِ درهمٍ عتيقة، ولأكابرِ هؤلاءِ مع هذه التفرقاتِ أراضٍ مطلقةٌ تُحرَثُ وتُزرَعُ لهم، أو تُحكَرُ ويكون لهم عُشرُ ما يطلعُ منها.

قال القاضي أبو القاسمِ بنُ بنون:

طبقاتُ الجندِ بإفريقيَّة أشياخٌ كبارٌ، وأشياخٌ صغارٌ، ثم الوقَّافون، ثُم عامةُ الجندِ، فأما البركاتُ فهي ما ذكروا، وأما مقدارُ ما لكلِّ واحدٍ فحرثُ عشْرةِ أزواجٍ بقراً، والزوجُ هو محْرثُ أربعٍ من البقرِ لأن الزوجَ بشعبتين، والشعبةُ رأسانِ من البقر.

قلتُ: وهذه الشعبةُ هي المسماةُ في بلدِ دمشقَ بالفدان فتكونُ جملةُ ما لكلِّ واحدٍ من أهلِ هذه الطبقةِ العاليةِ في كلِّ سنةٍ مئةً و[عشرين][2] ديناراً مسماةً عنها ألفٌ ومئتا درهم مغربيةٍ عنها من تفصيلِ مصرَ والشامِ ستُّ مئةٍ وخمسةٌ وسبعونَ درهماً[3]، وما يتحصل من مَغلِّ [عشرين][4] فداناً لعلَّه لا يكونُ بأكثرَ من مثلِها، فيكونُ تقديرُ جملةِ ما لهذا الرجلِ الكبيرِ في الدولةِ في كلِّ سنةٍ (٥٢٢) [ألفاً][5] وثلاثَ مئةٍ وعَشَرةَ دراهمَ

---

(١) كذا، والعبارة مضطربة.

(٢) في الأصل: عشرون.

(٣) في القلقشندي (صبح ٥/١٣٦): ستمائة وخمسون درهما.

(٤) في الأصل: عشرون.

(٥) في الأصل: ألف.

[نُقْرة](١)، وهذا بمنزلةِ أحدِ الأمراءِ الألوفِ(٢) بمصرَ والشامِ والنوينِ أميرِ التومان(٣) بإيرانَ، قالَ:

وأما الأشياخُ الصغارُ [لهم](٤) مع ذلك البركاتُ لكلٍّ [واحدٍ منهم](١) محرثُ خمسةِ أزواجٍ من البقرِ، قالَ: ولعامةِ الأشياخِ الكبارِ والصغارِ والوقّافين والجندِ شيءٌ آخرُ يفرقُه السلطانُ عليهم يسمى المُواساةَ، وشيءٌ آخرُ يُسمى الإحسانَ، فأما المواساةُ فهي غلةٌ تُفَرَّقُ عليهم عند تحصيلِ الغلاتِ التي تتحصلُ في المخازنِ، وأما الإحسانُ فمبلغٌ يُفَرَّقُ عليهم، وكلاهما من السنةِ إلى السنةِ، قالَ: وهذه الإحسانُ والمواساةُ(٥)، ليستْ بمضبوطةٍ بقَدْرٍ مخصوصٍ بل على قَدْرِ ما يراهُ السلطانُ، وبحسْبِ أقدارِ الناس، وإنما هو شيء ...(٦) الجميع ويتفاوتُ مقدارُ العطايا بينهم، قال: وأما القبائلُ ومزاويرُهم فمما يناسبُ هذا، ولكني لا أحررُه.

قالَ ابنُ القَويع:

والجندُ الغرباءُ يتميزون في العطيات على المُوَحّدينَ، وسألتُه عن حقيقةِ معنى الوقّافين ما هم، فقالَ: هؤلاءِ لهم خاصّيةٌ بالسُّلطانِ يسكنونَ معه في القصبةِ يعني القلعةَ، وهم

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي المصدر السابق.

(٢) يقصد أمراء الألوف، وهم الأمراء الذين كانت تحت قيادتهم ألف أو ألوف من الجنود، وكانت لهم الإمرة في جيش المماليك، انظر: البقلي: التعريف، ص٤٢ .

(٣) التومان، أو الطومان: هي الفرقة التي يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل، وتجمع على توامين وطوامين، انظر: المرجع نفسه، ص٧٩

(٤) مكررة في الأصل.

(٥) وردت في الأصل متبوعة بالعبارة التالية: فمبلغ يفرق عليهم عند تحصيل الغلات التي تتحصل في المخازن، وأما الإحسان فمبلغ يفرق عليهم وكلاهما من السنة إلى السنة، قال وهذه المواساة والإحسان، وهي عبارة مكررة.

(٦) أصل البياض كلمة غير واضحة.

طبقتان: [وقَّافون كبارٌ و](١) وقَّافون صغارٌ وهؤلاءِ كلُّهم يقفونَ بين يديْهِ في أوقاتِ جلوسهِ إذا جلسَ للناسِ، وهم بمنزلةِ الأمراءِ الخاصكيَّةِ(٢) بمصرَ.

وقالَ لي القاضي أبو القاسمِ بنُ بنون:

إنَّ سلاطينَ إفريقيَّة ليس يخلعون على مَن يُوَلُّونَه وظيفةً مثلَ ما يُعْمَلُ في مِصرَ، وإنما إذا أرادوا أن يخلعوا على أحدٍ لأمرٍ ما يكسونَه، والكُسْوَةُ [هي](٣) قُماشٌ يُعطى للإنسانِ تفاصيلَ غيرَ مفصلةٍ يتصرفُ بها كيفَ أراد.

وسألتُ الإمامَ أبا عبدِ اللهِ بنَ القَويعِ عن أرزاقِ القضاةِ والوزراءِ والكتابِ، فقال: ليستْ بطائلةٍ، وأما وزيرُ الجندِ فهو مثلُ واحدٍ من الأشياخِ.

قالَ ابنُ بنون:

ومبلغُ ما لقاضي الجماعةِ فهو خمسةَ عشرَ ديناراً مُسَماةً في كلِّ شهرٍ، وكانَ له معها عَليقٌ لبغلتِه، فقُطِعَ العَليقُ، وما أعرفُ غيرَ هذا وعلى هذا فَقِس.

[وسألتُ](٤) (٥٢٣) ابنَ القَويعِ عن أربابِ الوظائفِ ما هم؟ فقال:

شيخُ المُوَحِّدين كأنَّه نائبُ [السلطان](٥)، ويُسمَّى الشيخَ المعظَّمَ، وهو يَتولى عرضَ المُوَحِّدين وأمورَهم.

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/١٣٣-١٣٤.

(٢) الأمراء الخاصكية: هم الذين يلازمون السلطان في خلواته، وهم خاصته والمقربون إليه، انظر: ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص١١٦.

(٣) في الأصل: هو.

(٤) مكررة في الأصل.

(٥) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/١٣٤.

وأما الوزيرُ فليسَ لـه كثيرُ أمرٍ ولا وضعٌ ولا لسائرِ الوظائفِ إلا الأسماء، قالَ أبو عبدِ الله بنُ القَويعِ:

وعِدَّةُ العسكرِ لعلَّها لا تبلغُ عَشَرةَ آلافِ فارسٍ، وأمَّا العربُ أهلُ الباديةِ فعددٌ جَمٌّ، ولهم إقطاعاتٌ كثيرةٌ، وشوكتُهم قويةٌ، ومنهم مَن يخرجُ مع السلطانِ إذا استدعاهم القائمُ بسلطنتِها الآنَ، فأما [من][1] قبلَه [فقلما][2] كانَ يُسكِنُ شغبَهم، أو يُسكِنُ أبْيَهم لانتظامِ أمرِ هذا السلطانِ وما طُبعَ عليه من الشجاعةِ، ولاعتقادِه بالسلطانِ أبي الحسنِ المرينيِّ صاحبِ بَرِّ العُدْوةِ منذُ تزوجَ بنتَه[3] أبو الحسنِ فثبت بنيانُه، ونفذَ أمرُ سلطانِه، وسيأتي ذكرُه في موضعِه بما فيه دَلالة.

وأما زِيُّ صاحبِ إفريقيَّةَ القائمِ الآن في لِبسِه فهو عمامةٌ ليست بمفرطةٍ في الكِبَرِ بحنك وعذبةٍ صغيرةٍ وجبابٌ، ولا يلبسُ هو ولا عامةُ أشياخِه وجندِه خُفاً إلا في السَّفَرِ، وغالبُ لِبسِه ولِبسِ أكابرِ أشياخِه من قُماشٍ يُسمى السَّفْساري يُعملُ عندَهم من حريرٍ وقطنٍ أو حريرٍ وصوفٍ إما أبيضَ أو أحمرَ أو أخضرَ ، وقُماشٍ يُعرَف بالحريري وهو صوفٌ رفيعٌ جداً، وقُماشٍ يُعرَف بالتِلِمْساني مما يُعملُ بتِلِمْسانَ، وهو نوعان: مختَّمٌ وغيرُ مُخَتَّم، منها صوفٌ خالصٌ، ومنها صوفٌ وحريرٌ.

قالَ ابنُ بنون:

والسلطانُ يَمتازُ بلبْسِ الخَزِّ ولونُه لونُ الخُضرةِ والسوادِ، قالَ: وهذا اللونُ هو المُسَمى بالجَوْزي وبالغُبارِ وبالنفطي.

---

(١) في الأصل: ما.

(٢) في الأصل: فقل ما.

(٣) هي فاطمة، وقد قتلت على أيدي النصارى في جماعة من النساء في واقعة طريف سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، وهي الواقعة التي انتهت بكسرة السلطان أبي الحسن المذكور، انظر: ابن خلدون: ٧/٢٥٣-٢٥٤.

قالَ ابنُ سعيد:

وهو مما يخرجُ من البحرِ بصفاقُسَ المغربِ، وأنا رأيتُه كيف يخرجُ، يغوصُ الغواصونَ في البحرِ فيُخرجون كمائمَ [شبيهةً][(١)] بالبصلِ بأعناقٍ في أعلاها زَوْبَرةٌ فتُنشرُ في الشمسِ فتنفتحُ تلك الكمائمُ الشبيهةُ بالبصلِ عن وبَرٍ فيُسْمَطُ ويُخرَجُ صفوُه ويُغزَلُ ويُعمَلُ منه طعمةٌ لقيامِ حريرٍ ويُنسَجُ منه ثيابٌ مختَّمةٌ وغيرُ مُختَّمةٍ، وهو أفخرُ ثيابِ السلطنةِ بتونسَ، ويبلغُ ثمنُ الثوبِ مئتيْ دينارٍ من دنانيرِهم (٥٢٤) المُسمَّاةِ فيكونُ ثمنُ الثوبِ ألفَ درهمٍ من نقدِ مصرَ والشام.

قلتُ: وقد رأيتُ من هذا القماشِ على بعضِ أكابرِ الكتَّابِ بدمشقَ، ثم رأيتُه على بعضِ سفلةِ الكُتَّاب بمصرَ، وهو المُسمَّى بمصرَ والشامِ بوبَرِ السَّمك.

وأما لِبسُ الأشياخِ والدَّواوين والوقَّافينَ والجندِ والقضاةِ والوزراءِ والكتابِ وعامةِ الناس فعلى زيٍ واحدٍ، لا يكادُ يتفاوتُ العمائمُ والجِبابُ، ولا يمتازُ الأشياخُ والوقَّافون والجندُ إلا بشيءٍ واحدٍ لا يكادُ يظهرُ ولا يبينُ وهو صِغَرُ العمائمِ وضِيقُ القُماشِ.

ولباسُ أهلِ إفريقيَّة من الجوخِ ومن الثيابِ الصوفِ ومن الأكسيةِ، ومن الثيابِ القطنِ فمن لبسَ غيرَ هذا[(٢)] مما يُجلَبُ من طرائفِ الإسكندريةِ والعراقِ كانَ نادراً شاذاً.

قلتُ: وقد ذكرَ ابنُ سعيدٍ في "المُغرِب" جملةً من ترتيبِ سلاطينِ إفريقيَّةَ زمانَ [سلطانِها][(٣)] عبدِ الواحدِ بن أبي حَفصٍ[(٤)] مما أذكرُه هنا لأنَّه ليس بالعهدِ من قِدم،

---

(١) في الأصل: شبيه.

(٢) وردت متبوعة بكلمة: كان، زائدة.

(٣) في الأصل: سلطنتها.

(٤) هو أبو محمد عبد الواحد بن (أبي حفص) عمر بن يحيى الهنتاتي الحفصي، ولي تونس في سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م إلى ان توفي بها في سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، ترجمته في: الزركلي: ٤/١٧٦ .

والسلطانُ القائمُ الآنَ من أبناءِ ذلك السلطانِ، ولو تغيرتِ الأحوالُ ما تغيرتْ [وزالت][1] بالجملةِ، فلهذا نذكرُ ما ذكرَه ابنُ سعيدٍ، قال: - وقد ذكرَ عبدَ الواحدِ بن أبي حفصٍ - ما معناه: أنه كانَ يجلسُ في يومِ السبتِ لمطالعةِ ما يُقرأُ عليه من قصصِ المتظلمينَ والسائلينَ حتى من شكا إليه الغربةَ سألَ عنه، فإن كانَ مشكورَ السيرةِ أطلقَ له الصَّداقَ وأجرى عليه رزقاً.

وذكرَ في ترجمةِ ولدِه أبي زكريا بنِ عبدِ الواحدِ أنَّه يلبسُ الثيابَ الصوفَ الرفيعةَ ذواتِ الألوانِ البديعةِ، وأكثرُ ما يلبسُ المُختَّمُ الممتزجُ من الحريرِ والصوفِ، وكمَّاه طويلان من غيرِ كثرةِ طولٍ ،ضيِّقان من غيرِ أن [يكونا مُزَنَّريْن][2]، وثيابُه دونَ شَدِّ نطاقٍ إلا أن يكونَ في الحربِ، فإنَّه يشُدُّ المنطَقَةَ، ويلبسُ الأَقبيةَ، وله طَيلَسانٌ[3] من صُوفٍ في غَايةِ اللُّطافةِ كأنَّه شربٌ يتردى به، ولا يضعُه على رأسِه، وله عِمامةٌ كبيرةٌ من صوفٍ أو كَتان، وفيها طرازٌ من حريرٍ، ولا يُعَممُ أحدٌ من أهلِ دولتِه على قَدْرِها في الكِبَر، قد اختصتْ <به> وبأقاربِه، وليسَ له أخفافٌ في الحاضرةِ (٥٢٥) ولكنَّه يلبسُها في السَّفرِ، وله عَذبةٌ خلفَ أذنه اليُسرى، وهذه العذبةُ مخصوصةٌ به وبأقاربِه، وجندُه مختلفو الأجناسِ، فمنه المُوَحِّدونَ الذين أسَّسُوا له دولةً يَعني من أصحابِ مَهديِّهم ابنِ تُومَرت، قالَ:

ومن قبائلِ زِناتةَ[4] المُنْضافينَ إليهم أصنافٌ مشهورونَ بالفروسيةِ وجموعٌ من الغُزِّ[5]

(١) في الأصل: ما زالت.

(٢) في الأصل: بكونان مزنداان.

(٣) الطيلسان: ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن، والجمع طيالس وطيالسة (المعجم الوسيط).

(٤) زناتة: مجموعة من قبائل منتشرة في الشمال الإفريقي لعبت دوراً مهماً في تاريخ المغرب والأندلس، وقد اعتنقت هذه القبائل الإسلام في عهد عقبة بن نافع، انظر: ابن خلدون: ٧/٥ فما بعدها، ابن العربي: ص١٦١ .

(٥) الغز: المماليك الأتراك.

القُدماءِ الذين هاجروا إلى المغربِ في مدةِ بني عبدِ المُؤمن، ونحوُ ألفِ فارسٍ من المماليكِ الترك ابتيعُوا له من مِصرَ، وجميعُ الجموعِ من الأندلسِ والغرب.

وقاعدتُه في مدينة مملكته يَعني تونسَ أنه يخرجُ با<كر> كلَّ يومٍ إلى موضعٍ يُعرَفُ بالمدرسةِ، ويبعثُ خادماً صغيراً يَستدعي وزيرَ الجُندِ من موضعه المُعين له فيدخلُ عليه رافعاً صوتَه بـ"سلامٌ عليكم" من بُعدٍ من غيرِ أنْ يوميَ برأسه، ولا يقومُ له السلطانُ، ويجلسُ بينَ يَديه، ويسألُه السلطانُ عما يتعلقُ بأمورِ الجُندِ والحروبِ، ثم يأمرُه باستدعاءِ من يريدُ من أشياخِ الجُندِ أو العربِ، أو مَن له تعلقٌ بوزيرِ الجندِ، ثم يأمرُ باستدعاءِ وزيرِ المالِ وهو المعروفُ بصاحبِ الأشغالِ فيأتي معه ويُسلمان جميعاً من بُعْدٍ على السلطانِ، وإن كانَ قد تقدمَ سلامُ وزيرِ الجندِ ولكنَّه عادةُ الدخولِ إليه، فيتقدمُ وزيرُ المالِ إلى بين [يديْ][(١)] السلطانِ، ويتأخرُ وزيرُ الجندِ إلى مكانٍ لا يُسمعُ فيه حديثُهما، ثم يخرجُ وزيرُ المالِ، ويستدعي من يتعلقُ به، ثم يحضرُ صاحبُ الطعامِ بطعامِ الجندِ ويعرضُه على وزيرهم لئلا يكونَ فيه تقصيرٌ، ثم يقومُ السلطانُ من المدرسةِ إلى موضعٍ مخصوصٍ، ويستدعي وزيرَ الفضلِ يعني كاتبَ السرِّ، ويسألُه عن الكتبِ الواردةِ من البلادِ وعما تحتاجُ إليه خزانةُ الكتبِ، وعما تجدَّدَ في الحضرةِ وفي البلادِ مما يتعلقُ بأربابِ العلمِ وسائرِ فنون الفَضلِ والقضاةِ، ويأمرُه باستدعاءِ مَن يخصُّه من الكتابِ ويُملي عليهم وزيرُ الفضلِ ما أُمرَ بكتابتِه ويُعلِّمُ عليه وزيرُ الفَضلِ بخطِّه، والعلامةُ هي أنْ يكتبَ بعدَ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ وصلَّى اللهُ على نبيِّه محمدٍ وآله اسمَ السلطانِ (٥٢٦). وفي ذلكَ المجلسِ يستدعي السلطانُ من شاءَ من العلماءِ والفضلاءِ ويتحاضرونَ مُحاضرةً خفيفةً، وإن كانَ وزيرُ الفَضلِ قد رفعَ قصيدةً لشاعرٍ وافدٍ أو مرتبٍ في معنى استُجدَّ أمرَ السلطانُ بقراءتِها عليه إن لم يأمرْ بحضورِ الشاعرِ، وينشدُها قائماً أو قاعداً على ما يؤهلُ له، ويتكلمُ السلطانُ مع وزيرِ الفَضلِ ومَن يحضرُ في ذلك، ويوقعُ على كلِّ قصيدةٍ بما يراه.

---

(١) في الأصل: يدين.

قالَ ابنُ سعيد:

وقواعدُ الشعراءِ أن ينشدُوا بينَ يديه في الأعيادِ والخروجِ إلى الأسفارِ أو القدومِ منها.

قلتُ: ومواضعُ مما ذكرَه ابنُ سعيدٍ قد تقدمَ شيءٌ منه، وإنما ذكرناه هنا لاتصاله شيئاً بشيءٍ، وليؤكدَ بعضُه بعضاً، وليُعلَمَ في بعضِ ما بينَهما مقدارُ التَّفاوتِ مما تغيَّرَ مع قُربِ الزمان واقتفاء الولدِ لآثارِ الوالدِ، وكيف يكونُ مقدارُ التفاوتِ فيما يُغيِّرُ بدخولِ دولِ الأعداءِ بعدَ الأعداءِ وبُعدِ الزمانِ.

قلتُ: وهؤلاءِ ملوكُ الموحدينِ لم يزالوا منذ مَلكوا ممد(و)حينَ تُصغي إلى المديحِ مَسامعُهم، وتهتزُّ به أنديتُهم ومجامعُهم، ومنهم من له النظمُ الفائقُ والنثرُ الفائتُ، ولأهلِ إفريقيَّةَ لطفُ أخلاقٍ وشمائلُ بالنسبةِ إلى أهلِ بَرِّ العُدوةِ وسائرِ بلادِ المغربِ، وما ذاك إلا بمجاورتِهم لِمصرَ وقربِهم من أهلِها ومخالطتِهم لهم ولمن سكنَها من أهلِ إشبيليةَ[1]، وهم من هم خفة روحٍ وحلاوة نادرة، وهم على كلِّ حالٍ أهلُ انطباعٍ وكرمِ طباعٍ، وسأذكرُ لهم عنوانَ قَولِهم.

وأما اتصالُ الأخبارِ بينَ السلطانِ ونوابِه، فإنَّه إذا كتبَ الكتابَ يُجهِّزُ معَ مَنْ يقعُ الاختيارُ على تجهيزِه من نوعِ النقباءِ أو الوصفانِ، وهم عبيدُ السلطانِ، ويركبُ ذلكَ المُجَهَّزُ على بغلٍ إما أن يكونَ مُلكاً له، أو يستعيرَه من أصحابِه، ويسافرُ عليهِ إلى الجهةِ المُجَهَّزِ إليها، فإذا أعْيا بغلُه في مكانٍ تركَه عندَ الوالي بذلكَ المكان، وأخذَ منه بغلاً عوضَه يعيرُه الوالي له، أو يسخرُه من الرعايا لركُوبِه إلى أن يبلغَ جهةَ قصدِه إلى أن يعودَ، ووالي المدينةِ هو المُسَمى عندهم بالحافظِ والمحتسبِ (٥٢٧) بها، فإذا تجدَّدَ عندَهم أمرٌ أعلموا به وزيرَ الجند.

---

(١) إشبيلية: من أمهات مدن الأندلس، سقطت في يد الأسبان سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م بعد حصار دام عدة أشهر، انظر: ياقوت: ١/١٩٥، الحميري: ص٥٨-٦٠، القلقشندي: صبح ٥/١٤١-١٤٢.

ومن عجائب إفريقيَّةَ ما حدَّثني به القاضي أبو الروحِ عيسى الزواويُّ وأبو عبدِ الله السَّلاجيُّ [قالا](١):

إن بينَ تُوزَرَ قاعدةِ بلادِ الجريدِ وبينَ بَشْتَرى(٢) من بلادِ نفزاوةَ(٣) سَبْخةً عظيمةً آخذةً في الجنوبِ إلى الصحراءِ المجهولةِ المسالك، ‹و›في وسطِ هذه السَّبْخَةِ مع طرفِها الشَّمالي طريقٌ سالكةٌ للمارةِ يَسلُكُها من يطلبُ السرعةَ لقَريبِ مداها مع المخاطرةِ في سلوكِها، لأنها طريقٌ قليلةُ العَرضِ ،ضربها الله طريقاً يَبَساً في وسَطِ تلك السَّبْخةِ، من خرجت رجلُه عنها ولو قيدَ شِبْرٍ واحدٍ نزلت به قدمُه، وهوى في تلك السَّبْخَةِ وغاصَ فيها إلى أن يذهبَ، فلا يبينَ له أثرٌ، ولا يُعرَفَ له خَبر، ورفيقُه إلى جانبه يراه وهو نازلٌ ولا يقدرُ ‹أن› ينفعَه بشيءٍ، ولا ‹أن› يمُدَّ يدَه إليه خوفاً أن يغوصَ معه، وهي مَهلكٌ عظيمٌ، سباخٌ من ملحٍ لا ماءَ [فيها](٤) كم خرجَ فيها عن تلك الجادَةِ إنسانٌ وفرسٌ وجملٌ فَهلك. قالا:

وعلى جنبتي هذه الطريق أعلامٌ منصوبةٌ من الخشب يُمنةً ويُسرَةً، والطريقُ بينَهما، ولولاها لهلكت المارة من الجهال بها.

قالَ السَّلاجيُّ:

وسمعتُ أنَّ هذه الأعلامَ نصبَها هناك أبو إبراهيمَ إسحقُ بنُ غانيةَ الميورقيُّ(٥) الثائرُ على

---

(١) في الأصل: قال.

(٢) كذا في ياقوت (١/٤٢٥)، وفي الحميري (ص١١٤): بشرّى، وهي مدينة قديمة كثيرة النخل والزيتون والفواكه.

(٣) نفزاوة: بلاد كثيرة النخل والثمار وحواليها عيون كثيرة، بينها وبين قابس ثلاث مراحل، ومنها كانت القوافل تسير إلى بلاد قصطيلية، انظر: الحميري: ص٥٧٨ .

(٤) في الأصل: فيه.

(٥) استشهد غازياً في بلاد الروم سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م، وقيل: مات متأثراً بجراحة أصابته في أثناء الغزو، وكان أميراً على الجزائر الشرقية في الأندلس، ترجمته في :الزركلي: ١/٢٩٦ .

المُوَحِّدين بإفريقيةَ.

وقالَ لي الزواويُّ:

وفي هذه الطريقِ ضررٌ آخرُ على السُفَّارِ، وهو أنَّه أيٌّ من وضعَ إناءَ ماءٍ حلوٍ على الأرضِ صَارَ مُراً زُعاقاً لوقتِه وساعتِه، و[إذا][1] احتاجَ المسافرُ في ذلك الطريق أن يضعَ إناءه يعملُ تحته شيئاً يحولُ بينَه وبينَ الأرضِ، قالَ: وطولُ هذه المسافةِ أكثرُ من نصفِ نهارٍ، مقدارُه من الطريق الأُخرى السالكةِ في العُمران يومٌ وليلةٌ، قالَ الزواويُّ:

وفي وسطِ هذه الطريق الآخذةِ في السَّبْخَةِ فُرْجَةٌ يستريحُ فيها بالقعودِ السفَّارُ، قالَ: وأنا سلكتُها، ورأيتُ هذا كلَّه بالمشاهدةِ والعِيان.

قالَ السَّلاجيُّ:

نحن جئنا إلى أطرافِ هذه السَّبْخَةِ، ولم ندخلْها خوفاً منها.

(٥٢٨) قال الزواويُّ:

والمشهورُ بينَ أهلِ تلك البلادِ كلِّها أنَّ الصحراءَ التي في جنوبِ هذه السَّبْخةِ ما سُلِكَتْ ولا تُسلَكُ، ولا يقدرُ أحدٌ على سلوكِها.

وحكى لي السَّلاجيُّ أنَّ أهلَ الجريدِ يتحدثون فيما بينَهم أن رِفقةً كبيرةً وقعَ أهلُها في هذه السَّبْخَةِ فلم يطلعْ أحدٌ منهم، ولا عادَ منهم ولا عنهم مُخبر.

قالَ أبو عبدِ الله السلاجيُّ:

ووقفتُ في تونسَ على شرحِ القصيدةِ الشُّقراطسيةِ[2] الشهيرةِ البديعةِ وتخميسِها،

---

(١) في الأصل: إنما.

(٢) هي القصيدة الشقراطسية لعبد الله بن يحيى بن علي الشقراطسي التُوزَري المتوفى بتُوزَر سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م، انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١/١٣٣٩، مخلوف: شجرة النور، ص١١٧ .

وشارحُها القاضي الإمامُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عليٍّ التُّوزَريُّ المصريُّ[1]، ورأيتُه قد تكلمَ في أوائلِها عندَ ذكرِ ناظمِ هذه القصيدةِ، وتعرضه لموطنِه ومسقطِ رأسِه وهي شقراطِس، وهي - غالبُ ظني على ما ذُكرَ - من إقليمِ الجريدِ، ثم آخر كلامِه إلى ذكرِ تُوزَرَ، ومدحَها وأثنى عليها، وذكرَ هذه السَّبْخَةَ والصحراءَ التي تليها، وقال: إنَّ مدينةَ النحاسِ بها مما يلي هذه السَّبْخَةَ.

قالَ السلاجيُّ: وقفتُ على أولِ مجلدةٍ من هذا الشرحِ، وهو يكونُ في أربعِ مجلداتٍ كبارٍ بمدينةِ تونسَ استعرتُه من بعضِ فضلاءِ أهلِ تُوزَرَ لمطالعتِه، وشارحُ هذه القصيدةِ ناقلُ الحكايةِ أيضاً، وهو مشهورٌ ثقَةٌ مأمونٌ معروفٌ من أهلِ العلمِ المشاركين في كلِّ علمٍ، وله تصانيفُ كثيرةٌ في الفقهِ والأدبِ.

قلتُ: وهذه القصيدةُ الشُّقراطسيَّةُ في المديحِ الشريفِ النبويِّ زادَه اللهُ شرفاً، وأولُها: <البسيط>

الحمدُ لله منا باعثِ الرسُلِ ... هَدى بأحمدَ منا أحمدَ السُّبُلِ

---

(١) ويقال له: ابن الشباط، توفي بتُوزَر في سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، ترجمته في: حاجي خليفة: كشف الظنون١ / ١٣٣٩، مخلوف: شجرة النور، ص١٩١، الزركلي ٦ /٢٨٣ .

الباب الثالث عشر

في مملكة بَرّ العُدْوة

< في مملكة بَرِّ العُدْوة >

هو الآنَ مجموعٌ لسلطانٍ واحدٍ [(١)]، وفيه ثلاثُ ممالكَ: فاس وهي أعظمُها، ومملكة تِلِمْسان، ومملكة سَبْتَةَ [(٢)] مع ما أضيفَ إليهِ من بلادِ الأندلسِ على ما يأتي ذكرُه.

وبلادُ بَرِّ العُدْوةِ بلادٌ خصيبةٌ ذاتُ زرعٍ وضَرْعٍ (٥٢٩) وفواكه.

قالَ ابنُ سعيد:

وبَرُّ العُدْوةِ في الثالثِ والرابعِ، ثم قالَ: والإقليمُ الثالثُ صاحبُ سفكِ الدماءِ والحسَدِ والحقدِ والغِل وما يتبعُ ذلك، ثم قالَ: وأنا أقولُ: إن الإقليمَ الثالثَ وإن كثرَ فيه الأحكامُ المِرِّيخيَّةُ على زَعمهم، فإن للغربِ الأقصى من ذلك الحظَّ الوافرَ ولا سيما في جهةِ سُوسٍ [(٣)]

---

(١) هو المنصور بالله أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، ولي الملك بعد وفاة والده السلطان أبي سعيد في ذي القعدة، وقيل في ذي الحجة سنة ٧٣١هـ/آب ١٣٣١م، ومات في جبال هنتاتة في أحد الربيعين سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م، بعد أن ثار عليه ولده أبو عنان وطلب الأمر لنفسه، ترجمته في: لسان الدين: اللمحة البدرية، ص٩٥-٩٦، ١٠٥-١٠٦، القلقشندي: صبح ٥ /١٩٣، ابن حجر: الدرر الكامنة ٣ /١٥٧-١٥٨، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٩ / ١٧١-١٧٥، الزركلي: ٤ /٣١١.

(٢) سَبْتة: مدينة وميناء عظيم على الساحل المغربي للبحر الأبيض المتوسط في مواجهة جبل طارق، يفصلها عن الشاطئ الإسباني نحو (١٦) ميلاً، وهي واقعة حالياً تحت السيطرة الاستعمارية الإسبانية، انظر: ياقوت: ٣ /١٨٢-١٨٣، الحميري: ص٣٠٣-٣٠٤، ابن العربي: ص٢٢٥-٢٢٧ .

(٣) لعله يقصد السوس الأقصى، وهي بلاد واسعة تضم قرى وعمارات كثيرة متصلة بعضها ببعض، تشتهر بصناعة السكر، انظر: الزهري: ص١١٧-١١٨، الحميري: ص٣٢٩-٣٣٠ .

وجبالِ دَرن(١) فما قتلُ الإنسانِ عِندَهم إلا كعُصفُور، وكم قُتلَ قتيلٌ على كلمةٍ، وبالقتلِ يفتخِرون، ثم قالَ ابنُ سعيد:

وأنا أقولُ: إنَّ الغالبَ على أهلِ المغربِ الأقصى كثرةُ التنافسِ المفرطِ، والمحاقة، وقلةُ التقاضي، والتهورُ، والمفاتنةُ، وليسَ البخلُ إلاَّ في أراذلِهم، وفي كثيرٍ من أغنيائِهم سماحةٌ مفرطةٌ ومفاخرةٌ بإطعامِ الطعامِ، والاعتناءُ بالمُؤَمِّلِ والقاصدِ، ولكنَّ الأوقافَ عندهم على عظمةِ سلطنةِ بني عبدِ المؤمن(٢) والمرابطين(٣) قبلَهم قليلةٌ: لا يقولون بها، ولا يَرَوْنَ الصَّدقةَ على صحيحٍ سويٍّ ولا بنيانِ المدارسِ، وقد بَنى المتأخرون بها ما قلَّ.

قالَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ محمدٍ السَّلاجيُّ: إن بمدينةِ فاسٍ أربعَ مدارسَ وخانقاه واحدة.

قلتُ: وكانَ الأليقُ بهمةِ أهلِ تلكَ الممالكِ مع أصالتِهم في الدينِ وتمسكِهم بسَببهِ

---

(١) يقصد جبال الأطلس الكبير، أو جبال المصامدة، وقد تقدم تعريفها، ص١٢٨حاشية (٣)،وقد عرفت بجبال المصامدة لسكنى قبائل كثيرة من المصامدة فيها، انظر: الحميري: ص٢٣٤-٢٣٥، ابن خلدون: ٦/٢٢٤، القلقشندي: صبح ٥/١٦٨، ابن العربي: ص١١٣-١١٤ .

(٢) يقصد الموحدين أصحاب المهدي بن تومرت من بني عبد المؤمن، وقد تقدم ذكرهم، ص١٤٩.

(٣) المرابطون: قوة إسلامية ظهرت في صحراء شنقيط في أواسط القرن الخامس الهجري / أواسط القرن الحادي عشر الميلادي واتخذت من الرباط والمرابطة في سبيل الله اسماً لها، وقد قدّر لهذه القوة بما أوتي رجالها من رغبة صادقة في الجهاد أن تبسط نفوذها على سائر المغرب والأندلس إلى أن دالت على أيدي الموحدين بعد قرن من الزمان، انظر: ابن عذاري: البيان المغرب ٤/٢١-١٠٤، ابن خلدون: ٦/١٨٣، القلقشندي: صبح ٥/١٨٣-١٨٥، العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٦٧-٣١٠، وانظر حاشية رقم (٧) ص٣٧ من كتاب "تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين" لحمدي عبد المنعم محمد حسين ففيها ثبت واسع بالمصادر والمراجع الخاصة بالمرابطين.

المتينِ لو عَمروا المدارسَ لينتشرَ العلمُ، ويتوفرَ الطالبُ على النفقةِ ولا تنقسمَ أفكارُه، وتتشعبَ في طلبِ المعاشِ والاكتسابِ فيقلَّ تحصيلُهم. **وأقولُ**: فالأمرُ على ما ذكره ابنُ سعيدٍ الآنَ في قلةِ الأوقافِ والمدارسِ عندَهم، وفي جمهورِهم البخلُ وسوءُ الخُلق، إلا الرؤساءَ، فإنَّ الرئيسَ في كل أُفقٍ مطبوعٌ على الرئاسةِ أو منطبعٌ بها، له أتباعٌ يحتاجُ <أن> يبسطَ لهم خُلقَه ويدَه، وأن لا يتجنبَه من لا يعرفُه، وينفرَ عنه مَن يعرفُه.

وقالَ ابنُ سعيد:

والمغربُ قليلُ الصواعقِ والزلازلِ.

قلتُ: ومكانُ السلطانِ من برِّ العُدْوةِ هو بفاسٍ الجديدةِ (٥٣٠) المسماةِ بالبيضاءِ[(١)] في دارٍ لا يختصُّ فيها بزيادةِ رفعة على نَشزٍ ولا رَبْوَة، وتُسمى القصرَ، وهو عالي البناءِ ذُو قبابٍ عليةٍ ضخمةٍ لائقةٍ بالملوك، وغرفٍ مرتفعةٍ ورفارفَ علوية، ومجالسَ سلطانيَّة، وبداخله القبةُ المعروفةُ بقبةِ الرِّضا، وهي قبةٌ عظيمةُ الارتفاعِ خارقةُ الاتِّساع، وقُدَّامَها بركةٌ ممتدةٌ بها مركبٌ لاتساعِها وكبرِها، وخلفَها بركةٌ أخرى مثلُها، بها مركبٌ آخرُ لاتساعِها وكبرِها، ومساحةُ البركتين واحدةٌ، والقبةُ العظمى بينَهما، وفي نهايةِ كلِّ بركةٍ قبةٌ لطيفةُ المقدارِ، وفي جميعِ جُدرِ القبابِ شبابيكُ مطلةٌ، والبستانُ حافٌّ [بالجميع][(٢)]، وهو بستانٌ جليلٌ مُنوَّعٌ بصفوفِ الأشجارِ والغراسِ على اختلافِها، ويجري الماءُ إلى قصرِ السلطانِ

---

(١) هي المدينة البيضاء، أنشأها السلطان المنصور بالله أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني المتوفى بالجزيرة الخضراء في الأندلس في آخر المحرم سنة ٦٨٥هـ / آخر آذار ١٢٨٦م، انظر: القلقشندي: صبح ٥/ ١٩١-١٩٢، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ١٠/ ٢٧٠-٢٧٣، ابن العربي: ص٢٠٨، الزركلي ٨/ ١٩٩-٢٠٠، وكان أبو يوسف قد ورث زعامة بني مَرين عن أخيه أبي يحيى أبي بكر في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م حتى وفاته في التاريخ المذكور، وهو مؤسس الدولة المرينية في المغرب الأقصى.

(٢) مكررة في الأصل.

من مكانٍ يُعرَفُ بأساليسَ على بُعدِ نصفِ نهارٍ أو أقلَّ مرفوعاً في قناةٍ على قناطرَ مبنيةٍ إليها، وإصطبلاتُه إلى جوانبِ قصرِه لا يسكنُ معه في قصورِه إلا حريمُه وفتيانُه وهم الخدمُ الخِصيان، ويبيتُ حولَه في ظاهرِ قصرِه طائفةٌ من الفرنجِ، وأناسٌ يُعرفون بالعُدْويين بمنزلةِ النُّقباء، ووصفانُ السلطانِ و[البوابون][1] ولا ينازلُه في قصرِه أحدٌ من الأشياخِ ولا الجندِ ولا الغرباءِ، ومرجعُ ملوكِ بني مَرين سلاطينُ بَرِّ العُدْوة في زناتةَ، وكذلك مرجعُ بني عبدِ الوادِ سلاطينُ تِلِمْسان.

فأما بنو مَرين فملوكُهم في بني عبدِ الحقِّ، ومن قبائلِهم:[2] بنو عَسكر وبنو وطّاس، وبنو اتكاسن، وبنو بايان، وبنو اتنالفت وبنو بزنت، وبنو برلبان، وأما أتباعُهم فهم الحسم وبنو فودود مع ما ينضافُ إلى هؤلاءِ من الأفرادِ والأمجادِ ممن له فروسيةٌ وشجاعةٌ وهم كثيرٌ جداً فيدخلونَ في سلكِ وُصفان السلطان أو وُصفانِ أشياخِ هذه القبائلِ المذكورةِ، وهم بنو مَرين غير هؤلاءِ الأفراد.

والذين كانوا مع بني عبدِ الوادِ (٥٣١) مغراوةُ وهم أفخاذٌ كثيرة، وبنو راشدٍ، وبنو توجين، وبنو مليكس، وبنو سَدويكش، ومن بني توجين بنو عبدِ القويِّ، ومن بني عبدِ القويِّ من كانَ قد تغلبَ وملكَ حتى قهرَهم بنو عبدِ الواد وملكوا عليهم، واتخذوهم أعواناً، وقد صارَ الكلُّ لهذا السلطانِ جنداً مع من كانَ معه من قبائلِه، ومن جملةِ عساكرِه

---

(١) في الأصل: البوابين.

(٢) انظر بخصوص القبائل التالية من بني مرين وبني عبد الواد وعموم قبائل المغرب من البربر الجزأين السادس والسابع من تاريخ ابن خلدون ففيهما تفصيل وافٍ عن مواطن هذه القبائل وأخبارها ووقائعها وبصورة يضيق التحقيق عن استيعابه، وقد عرض المؤلف في الباب الخامس عشر لذكر بعض هذه القبائل، ولكن بصورة مجتزأة.

قبائلُ من العربِ كثيرةٌ، منهم بنو حسانَ(١)، والعاصمُ(٢)، وبنو جابرٍ(٣)، والحلوطُ، ورياحٌ، وسُوَيْدٌ، والشُّبانات، وبنو عامرٍ(٤)، وبنو سالمٍ، وغيرُهم، وله في عسكرِه من الغُزّ مقدارُ ألفٍ وخمسِ مئةِ فارس، ومن الفرنج مقدارُ أربعةِ آلافِ فارسٍ أو أزيد، وهم يركبونَ خاصةً خلفَ ظهرِه، وله علُوجٌ مماليكه مسلمون مقدارُ خَمسِ مئةِ فارسٍ فرسان رماة، ومن الجندِ رماةٌ وهم الأندلسيون يرمون بقوسِ الرِّجل أزيد من الفيْ فارسٍ، وطائفةٌ كبيرةٌ يقالُ لهم الوُصفانُ خاصُّونَ بالسلطانِ، يَسكنونَ حواليه، وينزلونَ في السفرِ إلى جوانبِ محلته دائرينَ في جملةِ نواحيه يقالُ لهم أهلُ الدُّوَّار، وكلُّ جيوشِه فرسانٌ أبطالٌ نُقاوةٌ لا يُطاقُ هِيَاجُ أُسْدِهم ومُصَالَتَةُ سيوفِهم.

قالَ لِي أقضى القضاةِ أبو الروحِ عيسى الزواويُّ: إن بعضَ أبطالِ الغربِ قال: إنه إذا كان منّا مئةٌ ولاقاهم زناتيٌّ واحدٌ هربوا قُدَّامَه ولم يتجاسَرُوا على إقدامِه ولا ملاقاته(٥).

وقالَ لي: إذا جاء الزناتيُّ مُغيراً فلا يُعتَقدُ أنَّ أحداً يهجمُ عليه، وأما إذا طمعَ وأخذَ الأُخَيذةَ وولى فربما يُنالُ منه غَرض.

وقالَ شيخُنا حُجَّةُ الأدبِ ولسانُ العربِ أثيرُ الدينِ أبو حَيَّانَ(٦): إنَّ بني مَرين يُعَدُّ

---

(١) قبيلة من قبائل الريف تستقر بالمنطقة الواقعة جنوب تطوان على بعد (٣٠ كم) منها، انظر: ابن العربي: ص٨٣-٨٤، كحالة: ١/٢٦٩-٢٧٠، وهم فيه: من بني هلال بن عامر من العدنانية.

(٢) هم حي من الأثبج من بني هلال بن عامر، انظر: ابن خلدون: ٦/٣٤-٣٤، كحالة: ٢/٧٠٢

(٣) هم بنو جابر بن جشم من بني هلال بن عامر، انظر: ابن خلدون: ٦/٣٤، كحالة: ١/١٥٦

(٤) هم بنو عامر بن زغبة، انظر: ابن خلدون: ٦/٥٣، كحالة: ٢/٧٠٧

(٥) وردت في الأصل متبوعة بكلمة: قال، زائدة.

(٦) هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي النحوي، توفي بالقاهرة في أواخر صفر سنة ٧٤٥هـ/تموز١٣٤٤م، ترجمته في: ابن الوردي: تتمة المختصر ٢/٤٨٢-٤٨٣، ابن شاكر: فوات الوفيات ٤/٧١-٧٩، الصفدي: الوافي ٥/٢٦٧-٢٨٣، ابن رافع: الوفيات ١/٤٨٢-٤٨٤، لسان الدين: الإحاطة ٣/٤٣-٦٠، ابن حجر: الدرر ٥/٧٠-٧٦، ابن تغري بردي: النجوم ١٠/١١١-١١٥ .

منهم كلُّ فارسٍ شجاعٍ مثلَ عنترةَ وأمثالِه.

قالَ لي السَّلاجيُّ:

مثلُ أولادِ إدريسَ عامرٍ وحسينٍ ومحمدٍ ومثلُ ريانَ بنِ أبي يَعلى وعامرِ بنِ عبدِ الله(1) وعبدِ الحقِّ بنِ كندوز وعبدِ الحقِّ بن عثمانَ وأبي رزينٍ ثابتٍ ابنِ أخيه [وهما](2) اللذان قُتلا مع (532) أبي تاشفين عبدِ الرحمنِ العبدِ الوادي حينَ دُخِلَتْ عليه تلِمْسان(3)، ومثل عثمانَ بن أبي العلاءِ(4) وأولادِه وبني عمِّه أولادِ سَوْط النساء، وسيفِ المغراوي الباقي في قيدِ الحياةِ الآنَ وغيرِهم من المشاهير، قالَ: ويقالُ إنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاءِ يُعَدُّ بخمسِ مئةِ فارسٍ، وقد صوَّرَهم الفرنجُ عندهم في كنائسِهم لِعُظْمِ ما لاقوا بهم.

---

(1) هو أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني، ولي ملك المغرب بعد وفاة جده أبي يعقوب يوسف في أواخر سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٦م حتى وفاته في طنجة في صفر سنة ٧٠٨هـ/ تموز١٣٠٨م، وخلفه في الملك أخوه أبو الربيع سليمان، ترجمته في: لسان الدين: اللمحة البدرية، ص٦٥، ابن خلدون: ٧/٢٢٧-٢٣١، القلقشندي: صبح ٥/١٩٢، ابن حجر: الدرر٢/٣٣٨، العباس ابن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش٨/٥-١١ .

(2) مكررة في الأصل.

(3) وذلك سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م كما تقدم في ترجمة أبي تاشفين ص١٤٦ حاشية (٤)، وكان عبد الحق وأبو رزين قد خرجا في جماعة عن قومهما بني مرين ونزعا إلى موالاة أبي حمو صاحب تلمسان ومن بعده ولده أبو تاشفين، انظر: ابن خلدون: ٧/٢٣٤-٢٣٦، ٢٤٨-٢٥٠

(4) هو أبو سعيد عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق المريني، توفي بمالقة بالأندلس في ذي الحجة سنة ٧٣٠هـ/ أيلول ١٣٣٠م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٣/ ٥٠-٥١، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٨/٩-١٠ .

وقالَ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ العقيليُّ[(١)]:

إنَّ أبا يعقوبَ[(٢)] أرادَ إنهادَ ألفِ فارسٍ لجهةٍ من جهةِ أعدائه فَعُيِّنَتْ خمسُ مئةِ فارسٍ فقيلَ له: وأينَ تكملةُ الألفِ، فقالَ: يوسفُ بنُ محمدِ بنِ أبي عيادِ بنِ عبدِ الحقِّ[(٣)] يقومُ مقامَ الخمسِ مئةِ الأخرى، فكان كذلك، قالَ، ولقد خالفَ هذا يوسفُ بنُ محمدٍ على أبي ثابتٍ بمرَّاكُشَ، وخرجَ في نحوِ أحدَ عشرَ فارساً، ثم حملَ بمفردِه على سبعِ مئةِ فارسٍ من العساكرِ ففرقَّها، قال:

ومن هؤلاءِ يعيش بنُ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقِّ[(٤)] تعرضَ له مرةً نحوُ خمسِ مئةِ فارسٍ، وهو مرتحلٌ بأهلِه وعيالِه من بلادِ [هسكورةَ][(٥)] إلى مراكش، فلما رأى عيالُه حذاقَ الفرسانِ دُهِشوا فقالَ لهم: ما عليكم سيروا أنتم، ثم إنَّه دفعَ فيهم ففرقَ جمعَهم، ونجا بجميعِ أهلِه

---

(١) في القلقشندي (صبح ٥/١٤٨): العسلي!

(٢) هو السلطان الناصر لدين الله أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني،ولي ملك المغرب في سنة٦٨٥هـ/١٢٨٦م حتى مقتله غيلة في أثناء حصاره لتلمسان في ذي القعدة سنة ٧٠٥هـ/ أيار ١٣٠٦م، وقيل: سنة ٧٠٦هـ ترجمته في: أبو الفدا: المختصر٤/٥٢-٥٣، الذهبي: ذيل العبر، ص١٣، ابن حبيب: تذكرة النبيه ١/٢٧٦-٢٧٧، لسان الدين: الإحاطة ١/٥٥٠، ابن حجر: الدرر ٥/٢٥٦-٢٥٧، ابن تغري بردي: النجوم ٨/٢٢٥ .

(٣) قتل في مراكش سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٨م على يد السلطان أبي ثابت عامر المقدم ذكره بعد ان أطمعته نفسه بملك مراكش واستخلاصها من السلطان المذكور، ترجمته في: ابن خلدون: ٧/٢٢٩، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٨/٧-٨ .

(٤) هو عم السلطان أبي الحسن المريني، قتله عمر أخو السلطان المذكور.

(٥) في الأصل: هسكورية، وبلاد هسكورة تنسب إلى قبيلة هسكورة ومقامها في السوس الأدنى جنوب تارودانت، انظر: ابن العربي: ص٢٤٣

وما معه، وقد كانوا أول خروجهم جهلةً لا تُختطَمُ أنوفُهم، قالَ رجلٌ منهم اسمُه أبو عامرٍ عبدُ اللهِ المعروفُ بالعجبِ: (١) ما أسفي إلا كوني لم أكنْ في زمانِ عليٍّ بن أبي طالبٍ حتى ألقاه. (٢) وعلى هذا، فَقسْ ما كانَ في رجالِ هؤلاءِ القومِ من الشجاعةِ والجهلِ.

قالَ السَّلاجيُّ:

وهُم على شجاعتِهم وأزيدُ، وأما جهلُهم فزالَ من أكثرِهم لسُكْناهم بالحاضرةِ ومداخلتِهم الناسَ، قالَ: ولا تعدُّ للكثرةِ فرسانُهم، ولا تُحصى في الأبطالِ وقائعُهم، قالَ: وهذا عثمانُ بن أبي العَلاء، وسيفٌ المغراويُّ وعبدُ الرحمنِ بنُ يعقوبَ وأخوه [الوطاسيان](٣) لم يزالوا في الأندلسِ تُشَدُّ على الفرنجِ حملاتُهم، وتُعَدُّ على قلتِهم في كثرتِهم فتكاتُهم، قالَ: ولقد أنشأ هذا السلطانُ من (٥٣٣) فرسانِ هذا الزمانِ ورجالاتِ الدهر من أخملَ كلَّ مذكور، وغلبَ على كلِّ مشهور، مع ما هم عليه من العلمِ والتُّقى لا يقدرُ أحدٌ منهم لمهابتِه على ارتضاعِ كأسٍ ولا إهمالِ صلاةٍ، يناقشُهم على هذا، ويُؤاخذُهم به حتى إذا كانوا في السفرِ وأذَّنَ المؤذنونَ نزلَ ونزلوا حتى تُقامَ الصلاةُ و[يصلوا](٤) جماعة.

وحدَّثني أبو عبد الله محمدُ بنُ محمدٍ السَّلاجيُّ أن هذه المملكةَ طولُها ... (٥) يوماً

(١) هو أبو عامر عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق المريني أخو يعيش المقدم ذكره، وعم السلطان أبي الحسن المريني، توفي بكليز في سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م، ترجمته في: العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٨/٢١٩.

(٢) ورد في الحاشية التعليق التالي على هذه العبارة بخط مغاير لخط الناسخ: "كذب أبو عامر في قوله: ما أسفي إلا كوني لم أكن في زمن علي بن أبي طالب"، وتتمة العبارة غير واضحة، وقد أمكن لنا أن نقرأ منها: "ما افلس وادبر وابخس والحس".

(٣) في الأصل: الوطاسيين.

(٤) في الأصل: يصلون.

(٥) أصل البياض كلمة غير واضحة.

أو أزيدُ، وعرضُها ثلاثونَ يوماً بالسَّير المعتادِ، وطولُها من جزائرِ بني مَزْغنَّانةَ، وهي بلد<ةٌ> حسنةٌ على ساحلِ البحرِ الشاميِّ واقعةٌ قُبالةَ جزيرةِ مَيورقةَ[١] بانحرافٍ يَسير، وبُعْدُها عن بجايةَ ستةُ أيامٍ إلى البحرِ المحيطِ، وعرضُها من ساحلِ الزُّقاقِ من سَبتةَ إلى نهايةِ بلادِ البربرِ المتصلةِ بالصحراءِ الكبيرةِ الفاصلةِ بينَ برِّ العُدْوة وبين بلادِ السُّودان لم يخرجْ عن مملكةِ هذا السلطان من بَرِّ العُدْوة الأندلس وأعمالها، خرجَ سلطانُ برِّ العُدْوةِ الآن عنها للموحدين أصحابِ إفريقيَّةَ، وهبَها إحساناً منه لكونِها كانَتْ قديماً لهم، وانتزعها بَنو عبدِ الوادِ أصحابُ تِلِمْسان منهم، وحَدُّ هذه المملكةِ من الجنوبِ الصحراءُ الكبيرةُ الآخذةُ طولاً من بلادِ البربرِ إلى جنوبِ إفريقيَّةَ، ومن الشرقِ جزائرُ بني مَزْغنَّانةَ وما هو آخذٌ على حَدِّها إلى الصحراءِ الكبيرةِ، ومن الشمالِ البحرُ الشاميُّ، ومن الغربِ المحيطُ.

وقاعدةُ الملك بها مدينةُ فاس[٢]، ثُم مَرَّاكُشُ وهي التي كانت قديماً في زمانِ بني عبدِ المؤمنِ قاعدةَ المُلكِ العُظمى، فلما انتقلَ المُلكُ إلى بني مَرينَ، وتحلّى جيدُه بعقْدِهم الثَّمين أبَوا إلاَّ <أنْ> يَتَّخذوا لهم مدينةَ فَاس دارَ مُلكٍ، فاستوطنوها وبَنوا معها ثلاثَ مدنٍ مُوازيةٍ لها على ضفةِ الوادي المَعْروف بوادي الجَوْهرِ غرباً بقبلة.

فأولُها المدينةُ البيضاءُ، وتُعرفُ بالبلدِ الجديدِ بناها أبو يوسفَ يعقوبُ بنُ عبدِ الحقِّ وهو أولُ من استقلَّ بالمُلكِ بعدَ المُوَحدين لأنَّ أخاه [أبا يحيى][٣] أبا بكرٍ ثارَ عليهم وماتَ وما

(١) جزيرة مَيُورْقة: وتقع في شرقي الأندلس وبها حصن أرون الشهير، وهو حجر صلد ارتفع في الهواء في رأسه عين سائلة كبيرة، وتعرف حالياً باسم (Mallorca)، انظر: الزهري: ص١٢٩، ياقوت: ٥/٢٤٦-٢٤٧، الحميري: ص٥٦٧-٥٦٨ .

(٢) الزهري: ص١١٤-١١٥، الإدريسي: ١/٢٤٢-٢٤٣، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٤٠-١٤١، الحميري: ص٤٣٤-٤٣٥ .

(٣) في الأصل: يحيى، وهو أبو يحيى أبو بكر، توفي في فاس في رجب سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، ودفن بمقبرة باب الفتوح، ترجمته في: ابن خلدون: ٧/١٦٨-١٧٤، القلقشندي: صبح ٥/١٩١، الزركلي: ٢/٦٥ .

استقلَّ له سُلطان (٥٣٤)، ولا استقرَّ له من عزِّ المُلكِ أوطان.

ثم مدينةُ حِمصَ ويُعْرَفُ موضعُها بالملاحِ، بناها ولدُه أبو سعيدٍ عثمانُ بنُ أبي يوسفَ والدُ سُلطانِها القائمِ الآنَ، بناها إلى جانبِ البيضاء.

ورَبَضُ النصارى المُتَّخذُ لسُكْنى الطَّائفةِ الفرنجيةِ المختصةِ بخدمةِ السلطانِ، ويطلقُ على هذه الثَّلاثِ المُتَّخذاتِ[(١)] اسمُ فاسِ الجديدةِ.

وهذه المُتَّخذاتُ كُلُّها على ضفةِ الوادي الغَربيةِ على ترتيبِ ما نذكرُه.

فَرَبَضُ النصارى يقعُ قبالةَ فاسِ القديمةِ على بُعدٍ من ضفةِ الوادي من غيرِ مسامتةٍ ولا بر، والبيضاءُ وهي المُسماةُ بفاس الجديدةِ آخذ<ةٌ> من شمالي رَبَضِ النصارى إلى ضفةِ النهرِ، ويقعُ أولُ عمارةِ فاسِ الجديدةِ قُبالةَ آخرِ عمالةِ فاسِ العتيقة.

وحِمصُ راكبةٌ على النهرِ بشمالٍ على جانبِ فاس الجديدة، آخذةٌ إلى رَبَضِ النصارى <وقد> عُقدَ على الوادي قناطرُ، وبُنيت حِمصُ على ضِفَّتيه، وهي فوقَ الجميعِ لأنَّ الوادي منها ينحدرُ على ما بَيَّنته، وهو أنَّ هذا النهرَ ينصبُّ من الجَنوبِ إلى الشَّمالِ، ثم ينعطفُ على زاويةٍ آخذاً من الغربِ إلى الشرقِ [حتى يصيرَ][(٢)] كأنَّه ينحدرُ من الغربِ، وحِمصُ على مجراه هناكَ ،ثم يمرُّ آخذاً إلى الشرقِ على حالِه فوقَ فاسِ الجديدة، ثم ينعطفُ عليها زاويةً إلى الجنوبِ، ثم ينعطفُ إلى الشرقِ جائزاً بها.

وهناك فاسُ العتيقةُ على الضفَّةِ الشماليةِ، والقصبةُ بها في غربيِّها مُرجلةٌ على الأرضِ لا

---

(١) في القلقشندي (صبح ٥/١٤٩): المتجددات.

(٢) إضافة من المصدر نفسه.

تتميزُ على المدينةِ برفعةٍ ولا ببناءٍ عالٍ، وتلك المُتَّخَذاتُ كلُّها على الضفةِ الغربيةِ، ويبقى النهرُ مُستديراً بفاسٍ الجديدةِ من جانبي الشَّمالِ على المجرى المركبةِ عليه حمص، ومن الشرقِ حيث انعطفَ النهرُ [عند] (١) فاسِ العتيقةِ، وهذا الوادي هو متوسطُ المقدارِ يكونُ عرضُه في المكانِ المُتسعِ قريبَ أربعينَ ذراعاً وفي المضايقِ دونَ هذا، وربما تضايقَ إلى خمسةَ عَشرَ ذراعاً وأقلُّ من ذلك، وعُمقُه في الغالبِ يُقاربُ قامةَ رجلٍ، وعليهِ النَّاعُورةُ المَشهورةُ برفعِ الماءِ إلى بستانِ السلطانِ المعروفِ بالمصارة، وهو بستانٌ جليل (٥٣٥)، له فيه قصرٌ جليلٌ جميلٌ ،وهذا البستانُ خارجَ المدينةِ الجديدةِ، وهذه الناعورةُ مشهورةُ الذكرِ يُضْرَبُ بها المثلُ ،ويتحدثُ بها الرِّفاق.

وفاسٌ العتيقةُ ذاتُ عيونٍ جاريةٍ، فيقالُ إنَّ فيها أربعَ مئةِ عينٍ سارحة.

قالَ الإمامُ أبو عبدِ الله العَقيلي (٢):

إنَّها ثلاثُ مئةٍ وستونَ عيناً معدودةً، والماءُ مسلَّطٌ على ديارِاتها ومساكنِها، وأما المُتَّخذاتُ فإنها على عُلُو لا عيونَ بها، ولا يحكمُ الوادي عليها، وجميعُ أرضِ فاسِ العتيقةِ مُجْبلةٌ غيرُ مستويةٍ، وأما المُتَّخذاتُ فمستويةٌ، وعلى كلٌ من عتيقِها وجديدِها أسوارٌ دائرةٌ محصنةٌ ذواتُ بروجٍ وبُدناتٍ، وجميعُ أبنيتِها من الحجرِ والآجُرِّ والكلسِ، موثقةُ البناءِ، مُشيدةُ الأركان، وتزيدُ فاسٌ الجديدةُ على فاسِ العتيقةِ في الحَصانةِ والمنعةِ، والعتيقةُ بسورٍ واحدٍ من الحجارةِ، والجديدةُ بسورين من الطينِ المفرغِ بالقالبِ من الترابِ والرملِ والكلسِ المضروب، وهو أشدُّ من الحجرِ، ولا تعملُ فيه المجانيقُ ولا تؤثرُ فيه.

---

(١) في الأصل: حيث، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥ / ١٥٠

(٢) في المصدر نفسه(٥ /١٤٨): العسلي.

ويلي القصبةَ القديمةَ مخازنُ الغِلالِ داخلها المطاميرُ، وهي مجموعةٌ في مكانٍ واحدٍ، يستديرُ بها سورٌ منيعٌ، عليه بابٌ وغلقٌ، ويُسمى هذا الموضعُ بالمرسى القديمِ.

وأبنيةُ فاسٍ ومُتّخذاتُها جميعُها جليلةٌ مفخمةٌ وإنْ كانت لا تلحقُ بمَرَّاكُشَ فيما كانتْ عليه من عظمةِ مبانيها وفخامةِ مغانيها، وهو باقٍ منه كليلٌ على ما كانَ، وسيأتي ذكرُها في موضعه.

وبفاسٍ العَتيقةِ داخلَ سورها جَنائنُ ورياضٌ ذَواتُ أشجارٍ ورياحين في دارِ الكبراءِ وبُيوتِ الأعيان، وبها أرحاءٌ كثيرةٌ دائرةٌ على الماء، قال السَّلاجِيُّ:

تقاربُ أربعَ مئةِ رحا، وبكلٍّ من فاسِ القديمةِ وفاسٍ المُجدَّدةِ المسماةِ بالبيضاءِ وحِمصَ الجوامعُ والمساجدُ والمواذنُ والحماماتُ والأسواقُ، فأما المدارسُ والخوانقُ والرُّبطُ فما خلتْ صَحائفُ حسناتِ أهلِ المغربِ من أجُورِها إلا النزرَ اليسيرَ جداً.

وبفاسٍ العتيقةِ مارستانٌ، وعمائرُ العتيقةِ كما قدمنا (٥٣٦) القولَ فيه بالآجُرِّ، فأما المُتَّخذاتُ فغالبُها بالقالبِ من نسبةِ أسوارِها، وسقوفُها بالأخشاب، وربما قُرنصَتْ بعضُ السقوفِ بالقصدير والأصباغِ الملونةِ، وتفرشُ بالرُّخامِ دياراتُهم وبالزِّيلِجِ[١] وهو نوعٌ من الآجرِّ [مدهونٌ بدهانٍ مُلونٍ][٢] كالقاشاني بأنواعِ الألوانِ البيضِ والسودِ والأزرقِ والأصفرِ والأخضرِ وما يتركبُ [من][٢] هذه الألوانِ وغالبُه بالأزرقِ الكُحلي، ومنهم من يتخذُ منه وَزْراتٍ لحيطانِ الدورِ، وأما دورُ هؤلاء فتفرشُ بآجرٍ يُسمى المزهري.

(١) في القلقشندي (صبح ٥ / ١٥٠): بالزُّلَيْج.

(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من المصدر نفسه.

ولأهلِ فاسٍ ولعٌ ببناءِ القِبابِ فلا تخلو دارٌ كبير<ةٌ> في الغالبِ من قبتين أو أزيدَ، وصورةُ تفسيرِ أبنيةِ دورِهم مجالسُ متقابلةٌ على عُمُدٍ من حجرٍ وآجرّ، ورفارفُ مطلةٌ على صحنِ الدارِ ،وقُدَّامَها طفافيرُ يجري إليها الماءُ، ثم يخرجُ إلى بركةٍ في وسطِ الصَّحنِ، وتسمى البركةُ عندهم صِهريجاً، وغالبُ أعيانهم يعملونَ لهم حماماتٍ في بيوتِهم أنفةً من الدخولِ مع عامةِ الناسِ، لأنَّ حماماتِهم صحنٌ واحدٌ لا خَلْوةَ فيها تسترُ بعضَ الناسِ من بعض ، ولهم تأنقٌ في البناءِ، و[همٌ لا تقصرُ](١) بهم عن الغاية فيه.

قلتُ: وثَمَّ فائدةٌ لا بأسَ بذكرِها والتنبيهِ عليها، ذكرَها ابنُ سعيدٍ في "المُغرِب" ، وهي أن فاساً القديمةَ هي أيضاً مدينتان، أقدمُهما المعروفةُ بمدينةِ الأندلسيين بُنِيتْ في زمانِ إدريسَ ابنِ عبدِ اللهِ الحَسَنيِّ(٢) أحدِ خلفاءِ المغربِ، ثم المعروفةُ بمدينة القَرويين(٣) بُنيتْ بعدَها.

قلتُ: وهاتانِ المدينتا<نِ> هما المعبَّرُ عنهما الآن بفاسٍ العتيقةِ، فجملةُ فاسٍ الآنَ ما يُذكَر: مدينةُ الأندلسيين ومدينةُ القرويين، ومدينةُ البيضاءِ، ومدينةُ حِمصَ، ورَبَضُ

(١) في الأصل:هم لا تقصير.

(٢) هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توفي غيلة بالسم في سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م، وقيل: ١٧٧هـ وهو مؤسس دولة الأدارسة في المغرب.
وكان إدريس قد وصل إلى المغرب في سنة ١٧٢هـ/٧٨٩م فاراً من أبي جعفر المنصور، وأسس مدينة فاس التي عرفت بعدوة الأندلسيين لنزول الفارين من الأندلس فيها، انظر بشان المدينة ومؤسسها: ياقوت: ٤/ ٢٣٠-٢٣١، ابن العربي: ص٢٠٧-٢١١ وهو يرجع تاريخ بناء مدينة فاس إلى جماعة إدريس الثاني، وهو خطأ، سالم: تاريخ المغرب، ص٤٠١-٤١٥، بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص١-٥٠، وعليه عولت في ضبط التواريخ الخاصة ببناء فاس أمام تضارب الروايات التاريخية بهذا الخصوص.

(٣) بناها إدريس (الثاني) بن إدريس المقدم ذكره في غرب مدينة أبيه في سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٩م وانتقل إليها في السنة التالية، وأنزل بها الوافدين عليه من القيروان فسميت بعُدوة القرويين، ومات إدريس المذكور في مستهل ربيع الأول سنة ٢١٣هـ/آيار ٨٢٨م، انظر:المصادر والمراجع الجغرافية والتاريخية الواردة في الحاشية السابقة.

النصارى، والقصبةُ والذي يُطلَقُ على الجميع فاسٌ القديمة، ولجميع الأندلسيين والقرويينَ وفاسٍ الجديدةِ ولجميعِ البقية، وهي البيضاءُ، وحمصُ، والربضُ، ويطلقُ على الجميعِ اسمُ فاس، وقد ذكر ابنُ سعيد أنها إنما سُمِّيت [بفاسٍ](١) لأنهم لما شَرَعُوا في بناء أساسِها وجدوا فأساً فسموها به.

وقد ذكرَ ابنُ سعيدٍ فاساً، فقالَ:

هي متوسطةٌ بين مدنِ المغربِ يعني الداخلةَ (٥٣٧) من مَرَّاكُشَ وسَبتةَ وسِجِلْماسةَ وتِلِمْسانَ عشرة أيام.

قلتُ: ولتوسطِها صلُحتْ أن تكونَ قاعدةَ المُلْك ليقربَ الملكُ من جميعِ نواحيه.

قالَ ابنُ سعيد:

ولها جناتٌ كثيرةٌ وزروعٌ وضروعٌ وخيراتٌ، وعلى نهرِها الأعظمِ الغربيٌ نحوُ ثلاثة آلاف رَحا، وعلى حافته القرى والضياعُ والمدنُ الجليلة، وهي تُشبَّهُ بدمشقَ وبغَرناطـةَ، والجبالُ تكتنفُها، وهي ممتدةٌ بنفسِها، ونهرُها يلاقي نهر وادي سَبْو(٢)، وهو أعظمُ أنهارِ المغربِ يصبُّ في المحيطِ بين سَلا(٣) وقصرِ عبدِ الكريم(٤)، وفوهتُه هناكَ متسعةٌ، وأمواجُه مضطربة، وهي أكثرُ مياهاً من دمشقَ ومن غرناطةَ.

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي: صبح ٥/ ١٤٨

(٢) وادي سَبْو: ينحدر من جبل غياثة شرقي فاس ويبلغ طوله (٦٠٠كم)، وتتفرع عنه عدة أودية تسقي نواحي فاس ومكناس والغرب، انظر: الزهري: ص١١٥–١٤٠، الحميري: ص٦٠٦، ابن العربي: ص٢٢٨

(٣) سلا: مدينة قديمة تقع على الضفة اليمنى لنهر أبي رقراق في مواجهة الرباط، ويرجع تاريخ بنائها إلى عصر بني يفرن، انظر: ياقوت:٣/ ٢٣١، الحميري: ص٣١٩، ابن العربي: ص٢٣٠–٢٣١، وافردها حمدي عبد المنعم محمد حسين في كتاب مستقل بعنوان "مدينة سلا في العصر الإسلامي" فلينظر.

(٤) قصر عبد الكريم: مدينة متوسطة تقع في مفترق الطرق بين العرائش وفاس وتطوان، تنسب إلى مؤسسها عبد الكريم بن عبد الرحمن بن العجوز الكتامي من عصر الموحدين، انظر: الإدريسي: ٢/ ٥٣٠، ياقوت: ٤/ ٣٦٠، الحميري: ص٤٧٦، القلقشندي: صبح ٥/ ١٦٥، ابن العربي: ص٢١٩–٢٢٠ .

قالَ ابنُ سعيد :

ولم أرَ قطُّ حمامات في داخلِها عينٌ تنبع إلا بها، وأثنى الشريفُ الإدريسي(١) في أخبارِه على مالكِها ومآكلِها ومطاعمِها، ولأهلِها اليدُ الطّولى في صناعةِ المخروطاتِ من الخشبِ والنحاسِ، وهي تشبهُ بدمشقَ في البساتين، وأهلها يُشَبَّهونَ بأهلِ إسكندريةَ في المحافظةِ على علومِ الشريعةِ وتغييرِ المنكرِ والقيامِ بالنّاموس، وفي عامتِها الزعَارَةُ والمفاخرةُ بالقتلِ، وبها بستانُ ابنِ خيدن يشقُّه نهرُ فاسٍ، قالَ ابنُ سعيد :

وما [رأى](٢) أحدٌ ما أُنفق فيه من الأموالِ بينَ بنيانٍ ونجارةٍ وزُخْرُفةٍ وغَرْسٍ، ثم قالَ:

وفي فاسٍ وظاهرٍ من الإيوانِ ما يفوقُ به غيرَها من البلدان، وقد قالَ ابنُ مُنقذٍ(٣) رسولُ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ إلى المنصورِ بنِ عبدِ المؤمنِ(٤) رحمهما الله في رسالتِه

---

(١) نزهة المشتاق ١/٢٤٢-٢٤٣ .

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٣) هو شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن محمد بن مرشد الكناني، توفي بالقاهرة في سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، وكان الناصر صلاح الدين قد أنفذه في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م رسولاً إلى المنصور التالي ذكره يستنجده على الفرنج الواصلين من المغرب إلى الديار المصرية وساحل الشام، إلا إنه أخفق في مهمته، قيل: لأن صلاح الدين لم يخاطب المنصور بأمير المؤمنين بل خاطبه بأمير المسلمين فعزَّ ذلك عليه ولم يجبه إلى ما طلبه، وقيل: بسبب تحالف قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين مع بني غانية أعداء الموحدين، واستيلائه على طرابلس، انظر: ابن خلكان: ٧/١٢، ابن خلدون: ٦/٢٤٧، سالم: تاريخ المغرب، ص٧٢١ .

(٤) هو المنصور أبو يوسف يعقوب بن (أبي يعقوب) يوسف بن عبد المؤمن بن علي، ولي ملك الموحدين بعد وفاة والده في رجب سنة ٥٨٠هـ/تشرين الأول ١١٨٤م، حتى وفاته في مراكش في ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ/كانون الثاني ١١٩٩م، وهو بطل معركة الأراك الشهيرة في تاريخ الأندلس ضد القشتاليين، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ١٢/١٤٧، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢/٤٦٤-٤٦٨، ابن خلكان: ٧/٣-١٩، الذهبي: العبر ٣/١١٣، ابن خلدون: ٦/٢٤٣-٢٤٧، ابن العماد: شذرات ٤/٣٢١ .

المَغربية: ولقد أخرجوني إلى بستانٍ بفاسٍ يقالُ له البحيرةُ، أتفرج فيه، ضمانهُ خمسةٌ وأربعونَ ألفَ دينارٍ، [وفيه بركةٌ ذَرْعُ كلُّ جانبٍ منها مئتان] (١) وستةَ عشرَ ذراعاً بالمِرفقِ، ويكونُ دَوْرُ البركةِ ثماني مئةِ ذراعٍ وأربعةً وستين ذراعاً، وعندَهم ما هو أكبرُ من ذلك.

والذي حكى لي السَّلاجيُّ أن أكثرَ عمائرِ المتنزهاتِ في البساتينِ بها خفيفةٌ الآن (٥٣٨) [لا] (٢) مبالغةَ لها ولا كلفةَ فيها، وقال: أما قولُ ابنِ سعيدٍ، [إنَّ على ضفةِ النهرِ ثلاثةَ آلافِ رَحاً لا حقيقةَ له]، (٣) ولا [بعضه] (٤) إلا ما تقدمَ ذكرُه.

وفاسٌ وخيمةُ البقعةِ، ثقيلةُ الماءِ، يعلو وجوهَ سكانِها صُفرةٌ، ويحدثُ لأجسادِهم [كسلٌ] (٥) وفَتْرة.

وقواعدُ المُلكِ بهذه المملكةِ ثلاثٌ، وهي: فاسٌ وهي قاعدةُ المُلكِ الثالثةُ، فأما سَبْتةُ، فإنا وإن كُنا ذكرنَاها مملكةً، وصدَّرنا بها هذا الفصلَ بالممالكِ فإنَّها ليست لملوكِ بني مَرين بقاعدة، ولا يُنظرُ إليها عندَهم بعين الاحتفالِ، وأما كونُنا ذكرنَا هنا مَرَّاكُشَ ولم نذكرْ<ها> في صَدرِ هذا الفصلِ في الممالكِ فلأنها و[فاساً] (٦) ذاتُ مملكةٍ واحدةٍ، وإنما التقدمةُ اليومَ لفاسٍ، فلم يبقَ لذكرِها معنى، وأما ذكرُها هنا فلأنها ملحوظةٌ عند ملوكِها، يعدُّونها بعدَ فاس.

وأما تِلِمْسانُ: فمملكةٌ تمادى الأمرُ عليها، وهي مستقلةٌ بنفسِها، وقد استضَافَها هذا

---

(١) في الأصل: وفيه دكة دعت كل جانب مائتين ! والتصحيح من القلقشندي: صبح ٥ / ١٥١ .

(٢) مكررة في الأصل.

(٣) مكررة في الأصل، وأصل له فيها:لها،كما، وردت متبوعة بعبارة: وكلفة فيها.

(٤) في الأصل:بعضها

(٥) في الأصل كسلاً.

(٦) في الأصل: فاس.

السلطانُ إليه فصارت له قاعدةً ثالثةً.

وأما المدنُ الكبارُ بهذه المملكةِ فهي اثنتانِ وأربعونَ مدينةً، القائمُ فيها هذا السلطانُ عن آبائِه ستٌّ وعشرونَ مدينةً(١) وهي: فاسٌ، ومَرَّاكُشُ، وأغْمات(٢)، وآسفي(٣)، وآنْفا(٤)، وآزَمُّور(٥)، وتيط(٦)، وسلا، وأزيلا(٧)، والعرائِش(٨)، وطَنْجَة، والقصرُ الصغير(٩)،

---

(١) كذا، وفيما يلي من السياق ثلاث وأربعون مدينة ،القائم فيها هذا السلطان عن آبائه خمس وعشرون مدينة.

(٢) أغمات: مدينة قديمة في جنوب مراكش، اندثرت ولم يبق منها اليوم سوى أطلال بالية، وكانت فيما مضى عامرة مزدهرة تقصدها القوافل التجارية القادمة من السودان، كما كانت مركزاً من مراكز العلم، انظر: ابن حوقل: ص٩٠، ياقوت: ١/ ٢٢٥، الحميري: ص٤٦-٤٧، القلقشندي: صبح ٥/ ١٦٦.

(٣) آسفي: مدينة على شاطئ الأطلسي بين الجديدة والصويرة، تعد اليوم من أهم المراكز الصناعية في المغرب، ومن أعظم موانئ صيد السمك في العالم، انظر: الحميري: ص٥٧، القلقشندي: صبح ٥/ ١٦٣-١٦٤، ابن العربي: ص٦٠-٦٢.

(٤) آنْفا: هو الأسم القديم لمدينة الدار البيضاء، انظر: ابن العربي: ص١٢٩-١٣١.

(٥) آزَمُّور: مدينة صغرى على ضفة وادي أم الربيع قرب مصبه في المحيط الأطلسي، يرجع تاريخها إلى العصور القديمة، وكان لها شأن يذكر في العلم والدين، وأنجبت طائفة من العلماء والصلحاء، انظر: ياقوت: ١/ ١٦٩، وهي فيه: أزُمُّورة، الحميري: ص٥، ابن العربي: ص٥١-٥٢.

(٦) تيط: مدينة تاريخية على شاطئ الأطلسي تقع على بعد (١٢كم) جنوب الجديدة، خربت ولم يبق منها سوى أطلال، انظر: ابن العربي: ص١١٠.

(٧) أزيلا: وتروى حالياً أصيلا، وتقع على شاطئ الأطلسي بين طنجة والعرائش، و احتلها البرتغال ثم الإسبان إلى أن حررها المولى إسماعيل سنة ١١٠٣هـ/ ٩١-١٦٩٢م، انظر: ابن حوقل: ص٨٠، الإدريسي: ٢/ ٥٣٠، ياقوت: ١/ ١٧٠ (أزيلي)، الحميري: ص٤٢-٤٣.

(٨) العرائش: مدينة متوسطة تقع على الشاطئ الأطلسي بين القصر الكبير وأصيلا على الضفة اليسرى لوادي اللكوس، انظر: ابن العربي: ص٢٠٠.

(٩) القصر الصغير: ويسمى قصر مصمودة وقصر المجاز، ويقع إلى الجنوب من طنجة، وكان مركزاً لانطلاق الحملات المغربية إلى الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، وخربه البرتغال عند احتلالهم للشواطئ المغربية سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م، ولم يبق منه اليوم سوى أطلال بالية، انظر: الحميري: ص٤٧٦، ابن العربي: ص٢٢١.

وسَبتةُ، وبادِس[1]، وتيجيساس[2]، وعصاصةُ وهي المسماةُ بالبلدية البيضاءِ، و[قصرُ عبدِ الكريم][3]، وتازا[4]، وصـا، وسِـجِلْمـاسـةُ، و[تطاوين][5]، ومليلةُ[6]، والمزمَّة[7]، وتازوطةُ، ومكناسةُ[8]، والمستجدُ لهذا السلطانِ عند فتحِه بسيفِه لمدينةِ تلمسانَ وقتلِ

---

(١) بادِس، اسم لموضعين، الأول: مدينة بعُدْوَة المغرب من نواحي فاس، والثاني: في ناحية الزاب ببلاد الجريد، انظر: ياقوت: ١/٣١٧، والمشترك، ص٣٤ .
وبادس فاس هي المخصوصة بالسياق، وكانت فيما مضى مركزاً ثقافياً ودينياً إلى جانب أهميتها كمرفأ لمدينة فاس، وقد تعرضت بادس لاحتلال الأسبان الذين خربوها، انظر: الحميري: ص٧٥، القلقشندي: صبح ٥/١٦٧ (باديس)، ابن العربي: ص٧٤

(٢) وتروى حالياً: تجساس، وتقع بساحل بوحمد بقبيلة بني زيات الغمارية، وكانت تعرف عند السكان بالسطيحات، وقد خضعت تجساس لحكمُ الدول التي تعاقبت على المغرب إلى أن خربت تخريباً تاماً في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، انظر: ابن العربي: ص٩٨

(٣) في الأصل: قصر بن عبد الكريم، والتصحيح مما تقدم من السياق، ص١٧٦ .

(٤) تازا، أو تازة: من أقدم المدن المغربية، تقع بين فاس ووجدة فوق هضبة مرتفعة بنحو (٦٠٠م)، تحيط بها الجنان والحقول والبساتين وغابات الزيتون، انظر: الحميري: ص١٢٨، ابن العربي: ص٩٤-٩٥

(٥) في الأصل: تطارين، والراجح انه يقصد ما أثبتناه، وتطاوين هي المدينة المعروفة الآن باسم تطوان، انظر: الحميري: ص١٤٥، وهي فيه: يتطاوان.

(٦) مليلة، أو مَليليَّة: ميناء عظيم على شاطئ المتوسط شيد في رأس داخل في البحر بمسافة (٤٠ كم)، احتله الإسبان منذ سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م، انظر: الإدريسي: ٢/٥٣٣، الحميري: ص٥٤٥-٥٤٦، ابن العربي: ص١٨٦-١٨٧

(٧) المزمة: هي فرضة ببر العُدْوة تقابل فرضة المنكَّب من بر الأندلس من ساحل غرناطة، وتقع إلى الشرق من سبتة بينهما مئتا ميل، انظر: القلقشندي: صبح ٥/١٦٧ .

(٨) مكناسة: من كبريات المدن المغربية، تقع قرب جبل زرهون في موقع جميل يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر (٥٢٢م)، تحيط بها السهول الخصبة وغابات الزيتون، وتنطوي على جملة من المآثر التاريخية، انظر: الزهري: ص١١٥، الحميري: ص٥٤٤، ابن العربي: ص١٨٣-١٨٥

ملكِها أبي تاشفين عبدِ الرحمنِ بن أبي حَمو عبدِ الوادي (١) فهو تسعَ عَشْرةَ مدينةً (٢)، وهي: تِلِمْسان، ووجدةُ (٣)، ومديونةُ، و[ندرومَةُ] (٤)، وهُنَيْنٌ (٥)، ووَهرانُ، وتيمزغران (٦)، وبَرشَكُ (٧)، وشَرْشالُ (٨)، وتونتُ، ومستغانمُ (٩)، وتنس (١٠)، والجزائرُ، والقصباتُ، ومازونةُ (١١)، وتاججمتُ، ومليانةُ (١٢)، والمدْيةُ (١٣)، وأما صَفروي (١٤)

---

(١) وذلك في سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م، وقد تقدم ذكر هذه الواقعة، ص١٤٦ حاشية (٤).

(٢) كذا، وفيما يلي من السياق ثماني عشرة مدينة.

(٣) وجدة: عاصمة المغرب الشرقي، وأقرب مدينة مغربية إلى الحدود الجزائرية، وعليها طريق المار والصادر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب وإلى سجلماسة وغيرها، انظر: الحميري: ص٦٠٧-٦٠٨، ابن العربي: ص٢٤٥-٢٤٦

(٤) في الأصل: تدرومة، وندرومة: مدينة تقع في طرف جبل تاجرا، بينها وبين البحر عشرة أميال، وهي كثيرة الزرع، لها بسائط خصبة ومزارع كثيرة، انظر: الحميري: ص٥٧٦

(٥) هُنَيْن: مدينة على البحر بقرب ندرومة المقدم ذكرها، تقابل المَرِيَّة من الأندلس، انظر:الإدريسي: ٢/ ٥٣٤، الحميري: ص٥٩٧، القلقشندي: صبح ٥/ ١٤٥

(٦) تيمزغران: مدينة بالجزائر بقرب مصب نهر الشليف في البحر المتوسط، بينهما وبين مستغانم ثلاثة أميال، انظر: الحميري: ص١٢٨، وهي فيه: تامزغران.

(٧) برشك: مدينة صغيرة على ساحل المتوسط، ومنها إلى شرشال عشرون ميلاً، انظر: ابن حوقل: ص٧٨، الحميري: ص٨٨

(٨) شَرشال: مدينة بناحية برشك المقدم ذكرها، وهي متحضرة، وبها مياه جارية وآبار عذبة وفواكه كثيرة، انظر: ابن حوقل: ص٧٨، الحميري: ص٣٤٠

(٩) مستغانم: مدينة جزائرية على الساحل، تقع بقرب نهر الشليف، انظر: الإدريسي: ١/ ٢٧١، الحميري: ص٥٥٨

(١٠) تَنَس: مدينة حصينة، بينها وبين البحر ميلان، وداخلها قلعة صعبة المرتقى، وكان يحمل منها الطعام إلى الأندلس وإلى أكثر بلاد إفريقيّة لكثرة الزرع فيها، انظر: ياقوت: ٢/ ٤٨، الحميري: ص١٣٨

(١١) مازونة: مدينة جزائرية بالقرب من مستغانم، وهي بين جبال لها مزارع وبساتين وأسواق عامرة، انظر: الحميري: ص٥٢١-٥٢٢

(١٢) مِلْيانة: مدينة بين تنس والمسيلة بالقرب من نهر الشليف، وفيها آثار رومية، انظر: الحميري: ص٥٤٧

(١٣) في القلقشندي (صبح ٥/ ١٤٦): المرية، وهي من أعمال الأندلس، والصواب ما أثبتناه.

(١٤) صفروي: بلدة في المغرب صحيحة الهواء والماء، وفيها من الفواكه كثير، ومنها يجلب الجوز إلى فاس، انظر: الإدريسي: ١/ ٢٤٣، الزهري: ص١١٥

وهي مما وَرِثَه عن أبيهِ فهيَ قريةٌ كبيرةٌ لا مدينةٌ، (٥٣٩) [وكذا][١] الطحا وتيمزُّوعت مما فتحَه، فمن عَدَّها في المدنِ جعلَ العدةَ خمساً وأربعينَ مدينةً[٢]، وإلا فالصحيحُ ما بيناه، هذا ما تملَّكَه هذا السلطانُ مما على جنوبِ البحرِ الشاميِّ من أولِ مخرجِ بحرِ الزُّقاقِ المحيطِ إلى آخر عمالةِ جزائرِ بني مَزْغَنَّانةَ مع طولِ البحرِ وما يليه في الجنوبِ إلى الصحراءِ الكبيرةِ.

وله بالأندلسِ الجزيرةُ الخضراءُ، ورُنْدَةُ، ومَرْبُلَّة، وما فتحَه بجيوشِه المجهزةِ بها فهو بلدُ طريفٍ، وجبلُ الفتحِ فتكونُ جملةُ المدنِ الكبارِ المنتظمةِ في مملكتِه ثمانياً وأربعينَ مدينةً بما لها من المعاملاتِ والرَّساتيق والقُرى والضياعِ والقلاعِ والحصونِ والبوادي، كلٌّ هذا بيدِ سلطانِها القائمِ الآنَ يتصرفُ تصرفَ الاستقلالِ فيه، وبقيةُ الأندلسِ لولا جيوشُه مع الله تعالى لما بقيت، وقد كانَ على مُلكِها للفرنجِ في كلِّ سنةٍ أربعونَ ألفَ دينارٍ، فمذ أجَالَ بالأندلسِ خيلَه قطعَ تلك القطيعةَ، وأنعشَ بها رمقَ الإسلام.

فأما إفريقيَّةُ فقد نبهْنا فيها على أنَّه لولا إنجادُ هذا السلطانِ لصاحبِها على بني عبد الواد وعلى ذُعَّارِ العربِ وثوارِ أهل بيتِه لما ثبتتْ له قَدم، وقد ذكرنا أنَّه أعادَ عليهم مدينةَ تَدلُّس وبلادَها ،وكانَ قد أخذَها بنو عبدِ الوادِ منهم.

وحدَّثني غيرُ واحدٍ من أهلِ إفريقيّة أنَّ صاحبَها ما بعثَ بنتَه[٣] إلى السلطانِ أبي الحسنِ المَريني صاحبِ برِّ العُدْوةِ إلا ليبقيَ عليهِ مُلكَه، وقد كانَ بعثَ بمفاتيحِ بجايةَ، وأشهدَ على نفسِه أنه خرجَ عنها للسلطانِ المَرينيِّ، ومن وفائِه أنه رَدَّها عليهم وصرفَها

---

(١) مكررة في الأصل.

(٢) كذا،ووفقاً لما ذكره المؤلف ينبغي أن تكون العدة(٤٨) مدينة،ووفقاً لما أحصيناه ينبغي أن تكون(٤٦) مدينة.

(٣) هي فاطمة، وقد تقدم ذكر زواجها من السلطان أبي الحسن، ص١٥٣.

إليهم، ولم يطمعْ لهم في شيءٍ من بلادِهم، بل أعادَ لطارفِهم وتِلادِهم مع المساعدةِ بالإنجادِ حتى استولى على عَدوِّهم بالقتلِ، وتملكَ جميعَ بلادِه كما قدمنا.

ونحنُ وإنْ كنا ذكرنا إفريقيَّةَ بذاتِها مفردةً بسلطانٍ، فإنها في الحقيقةِ جزءٌ من مملكةِ صاحبُ إفريقيَّةَ فيها كالنائبِ له، وإنما صاحبُ بَرِّ العُدْوة ينظرُ إليه بعينِ الإجلالِ لكونه بقيةَ الموحدين، وهم أهلُ بيتِ مُلكٍ، ولهم أصالةُ السلطنة، وصاحبُ إفريقيَّةَ إنما اشتدَّ بمصاهرته له، وبهذا تمَّ له في إفريقيَّةَ (٥٤٠) سلطانُه، وانكفَّت أطماعُ العربِ عنه بعد أن استخفوا في إفريقيَّةَ بالسلاطينِ، وهانَ عليه أمرُ الأمراءِ، وكانوا بأيديهم تتولى الملوك وتُسمنُ السلطنةُ وتهزلُ. فأما السببُ الباعثُ لصاحبِ إفريقيَّةَ على إرسالِ بنتِه إلى هذا السلطانِ أبي الحسنِ المَرينيِّ فهو أنَّ سلطانَ بني عبدِ الوادِ صاحبَ تِلِمْسان(١) كان قد حاصَر بجايةَ، ونزلَ عليها، ونازلَها وضايقَها، ولم يطقْ صاحبُ إفريقيَّةَ دفعَه فأرادَ تأكيدَ معاضدةِ المَرينيِّ له، فزوجَه ابنتَه في أيامِ أبيه أبي سعيدٍ عثمانَ، وبعثَ إليه في البحرِ يستنجدُه، فخرجَ لإنجادِه ثم ماتَ، وأوصى ابنَه [أبا](٢) الحسنِ بإتمامِ النجدةِ لهم، فلم يزلْ على محاصرةِ تِلِمْسانَ، حتى كانَ من فُتوحِه لها ما كان.

وحدَّثني مَن له إطلاعٌ على ما حدَّثني به، قالَ:

وكانَ صاحبُ إفريقيَّةَ مع انقيادِه إلى المَرينيِّ وعداوتِه لسلطانِ بني عبدِ الوادِ وقيامِ المَرينيِّ على عَدوِّه في هواه لا يؤثرُ في الباطنِ أنَّ المَرينيَّ يظفرُ بصاحبِ تِلِمْسانَ عدوِّه، ليكونَ له به شغلٌ عن قصدِه وانتزاعِ إفريقيَّةَ منه لعلمِه أنَّ تِلِمْسانَ حجابٌ بينَهما، وأنَّه لا طاقةَ له بالمَرينيِّ ولا قِبَلَ له به، ويحقُّ له الخوفُ فإنَّه في قبضتِه متى أراد.

---

(١) هو السلطان أبو تاشفين، وقد تقدمت ترجمته، ص١٤٦ حاشية (٤)، وتقدم معها ذكر الواقعة التالية.

(٢) في الأصل: أبي.

قلتُ: ومع ترامي صاحب إفريقيَّة للمَريني وادعاءاته له لا يُخطبُ له على منابره، ولا تُضربُ السِّكَّةُ باسمه، ومع اقتدار المَرينيِّ عليه وكونه لا يُعَدُّ إلا كأحد نُوابه ما طلبَ هذا منه، ولقد قالَ أبو الحسنِ المَرينيُّ في كتابه الوارد إلى حضرة السلطان بمصر مخبراً بفتوح تلِمْسان إنَّ مملكتَه اتصلتْ من البحرِ المُحيط إلى بَرقةَ، وهذا يؤكدُ ما قلْناه من أن إفريقيّة كجزءٍ من بلاده وأن صاحبَها كالنائبِ له لأنَّه قال إن مملكتَه إلى بَرقَةَ، وإفريقيّة هي داخلةٌ في هذا الحد، وهذه المملكة المجتمعةُ لهذا السلطان أبي الحسنِ فإنها هي الغربُ بمجموعه، منها ما هو بيده، ومنها ما هوَ بيدِ ملوكٍ في طاعته، وحيثُ يقالُ اليومَ صاحبُ الغربِ، فهو المرادُ، ولقد كان الناسُ زمانَ أبيه في جَوْرٍ حتى (٥٤١) ولي فبسطَ بساطَ العدلِ، وحملَ على محجةِ الإنصافِ، وأبطلَ المظالمَ و<ضرب> على يدِ كلِّ ظالم، وأسقطَ المكُوس، ولم يدعْ إلا الخراجَ والزكاةَ والعُشْر، وما يوجبُه موجبُ طلبِ الشرع، وحلَّ عَقْد<ةَ> الضمان، وكانت سبباً للظلم والطلبِ المُجْحف، وكان يقالُ إنه بعد أنْ حلَّ البلادَ من الضَّمان تنقصُ الأموالُ فزادتْ، وأدلَّ الله بالعدلِ من البركاتِ أضعافَ ما كان.

قالَ أبو عبدِ الله السَّلاجيُّ:

أما ما ازدادَ وتثَمَّر فلا أعلمُ كم هوَ، وأما ما كانَ في عُقدةِ الضمان في زمانِ السلطانِ أبي سعيدٍ والدِ هذا السلطانِ خارجاً عما كانَ يؤخذُ من أصحابِ الماشيةِ من الإبلِ والبقرِ والغنمِ فهو تفصيلُه:

فاسٌ : مئةٌ وخمسونَ ألفَ مثقال.

مَرَّاكُشُ : مئةٌ وخمسونَ ألفَ مثقال.

سَبتَةْ: خمسونَ ألفَ مِثقال.

آسِفي : خمسةٌ وعشرونَ ألفَ مِثقال.

أغْمات : خمسةٌ وعشرونَ ألفَ مِثقال.

آنْفا : أربعونَ ألفَ مِثقال.

آزَمُّور: عشرونَ ألفَ مِثقال.

طنجة : ثلاثونَ ألفَ مِثقال.

بادِس : عشرةُ آلافِ مِثقال.

مِكناسةُ : ستونَ ألفَ مِثقال.

صَفْروي : ستةُ آلافِ مِثقال.

سِجلماسةُ ودَرْعَةُ[1] : مئةٌ وخمسونَ ألفَ مِثقال.

[تازا][2] : ثلاثونَ ألفَ مِثقال.

عصاصة ومَليلةُ والمَزَمَّة: ثلاثونَ ألفَ مِثقال.

تيـط: خمسةُ آلافِ مِثقال.

تيجيساس: خمسةُ آلافِ مِثقال.

---

(١) دَرْعَةُ: اسم يطلق على المنطقة التي يجري فيها نهر وادي درعة، وكانت في العصور الوسطى محطة تجارية مزدهرة تشقها طريق القوافل القادمة من السودان إلى سجلماسة، كما كانت مركزاً تجارياً لجنوب المغرب، انظر: الإدريسي: ١/٢٢٦–٢٢٧، الحميري: ص٢٣٥–٢٣٦، القلقشندي: صبح ٥/١٦٥- ١٦٦، ابن العربي: ص ١٣٤ .

(٢) في الأصل: ثاري، والمراد: تازي، وهي كلمة من رسوم مدينة تازا.

قالَ السَّلاجيُّ:

وهذا الضمانُ كان جارياً على جميعِ المجابي ما كان يُستأدى من وجوهِ الخَراجِ والزكاةِ والمُوجباتِ والمُكوس خارجاً عن عدادِ المواشي وغلاتِ المجاسرِ والحصونِ والقلاعِ والمجاسرُ وهي القرى، قالَ:

وأما تطاوينُ، والقصرُ الصغيرُ، وصَا، فإنَّها كانتْ بكفلِها لا يُتَحَصلُ شيءٌ منها، قالَ:

هذا المبلغُ هو الذي كانَ يجري عليه الضمانُ، وقد كانَ يزيدُ وينقصُ باختلافِ الأحوالِ والأوقاتِ، وإنما هذا هو الغالبُ، ولا كثيرَ تفاوتٍ فيما يزيدُ وينقصُ منه، قالَ:

والذي استفتحه الآن (٥٤٢) لا يقصرُ عن نظرِ الثلاثينَ فإنما يقصرُ شيئاً يسيراً، لأن تِلِمْسان مملكةٌ جليلةٌ وسيعةُ المدى كثيرةُ الخيراتِ ذاتُ حاضرةٍ وباديةٍ وبَرٍّ وبحر.

وسألتُ السَّلاجيَّ عن عِدَّةِ العسكرِ لاختلافِ الأقوالِ فيهم، فمن مُكثرٍ إلى غايةٍ، ومن متقاربٍ، وكانَ ابنُ جرارٍ قد قالَ إلي: إنهم مئةُ ألفٍ وأربعونَ ألفاً، قال السَّلاجيُّ:

الذي نعرفُه قبلَ فتحِ تِلِمْسان فما كانتْ تزيدُ جريدةُ جيشِه المُثْبتينَ في الديوانِ على أربعينَ ألفَ فارسٍ لا غيرَ، غير حفظةِ المدنِ والسواحل، وكانَ يمكنُه إذا استجاشَ لحربٍ أن يخرجَ في جموعٍ كثيرةٍ جداً لا تنحصرُ بعددٍ ما، ويكونُ الآنَ قد زادَ على ما أعرفُه مثلَه لاستجدادِ تِلِمْسان له، وهي مملكةٌ كبيرةٌ، وسلطنةٌ جليلةٌ تكونُ قريبَ الثلاثينَ مما كانَ بيدِه، ولطاعةِ أممٍ من أهلِ الجبالِ والأطرافِ، وقد كانوا يعصبُ رؤوسَهم التيه، ويجنحُ بهم العِصيانُ، وقد تثعلبَت له اليومَ آسادُهم، وأَصْحَرتْ له وُعولُهم.

قالَ العقيليُّ:

اما جيشُه الآنَ فيكونُ مئةً وأربعينَ ألفاً غيرَ مَن يستجيشُ به.

وسألتُ السَّلاجيَّ عن مقدارِ عمارةِ فاسٍ عتيقِها وجديدِها، فقالَ:

تكونُ قَدْرَ ثُلثِ مصرَ والقاهرةِ وحواضرِهما لكن [عالمها] (١) أقلّ، وبالغَ في وصفِ دياراتِها وأوطانِها، وما اشتملتْ عليه بساتينُها المنوعةُ الثمار المطردةُ الأنهار، وما بها من الرُّخاءِ الدائمِ والأمنِ والدعةِ، فسألتُه عن معاملاتِها وأسعارِها، فقال:

المثقالُ الذهبُ بمئةٍ وعشرينَ دِرهَماً من الدراهمِ الصغارِ، وهي ستونَ درهَماً من الكبارِ، لأنَّ كلَّ درهمٍ من الكبارِ بدرهَمين من الصغارِ، وكلُّ درهمٍ من هذه الدراهمِ الكبارِ يكونُ نظيرَ درهَمٍ أسودَ في مصطلحِ أهلِ مِصرَ، والدرهَمُ الأسودُ بمِصرَ هو ثُلْثُ درهَمٍ نُقْرة من معاملةِ مصرَ والشام، قالَ السَّلاجيُّ:

وكلُّ ثلاثةٍ كبارٍ بدرهَمٍ واحدٍ نُقْرة من معاملةِ مصرَ والشامِ، هذا على جهة التقريبِ لا التحقيق.

وأما الدراهمُ الصغارُ (٥٤٣) فكلُّ درهَمٍ منها نصفُ درهَمٍ كبيرٍ، وهو نصفُ درهَمٍ أسودَ يكونُ سدسَ درهَمٍ نُقْرة من معاملةِ مصرَ والشام، وحيث يقالُ درهَمٌ ويسكَت، لا يرادُ به إلا الدرهمُ الصغيرُ، وهو سدسُ درهمٍ إلا بمَرَّاكُشَ وما جاورَها وقاربَها ‹فإنه› حيثُ قيل درهَمٌ لا يرادُ به إلا الدرهمُ،(٢) الكبيرُ بيض على الصغير،(٣) هذا في مَرَّاكُشَ وعملِها وما قاربَها خاصةً دون بقيةِ بَرِّ العُدْوة على الإطلاق.

والرَّطلُ هو نظيرُ رطلِ إفريقيّةَ سواءٌ على ما تقدمَ ذكرُه، وأما الكيلُ فأكبرُه الوَسْق، ويسمى الصَّحفةَ، وهو ستونَ صاعاً من الصّاعِ النبويِّ محرراً، قالَ:

وأما الأسعارُ، فإن أواسطَ الأسعارِ كلُّ وَسْقٍ قمحٍ بأربعينَ درهماً من الصغار، والشعيرُ دونَ

(١) في الأصل: عالمهما، والمراد هنا عالم فاس أي سكانها.

(٢) وردت في الأصل متبوعة بكلمة: إلا، زائدة.

(٣) كذا، والعبارة مضطربة.

ذلكَ، وكلُّ رَطْلِ لحمٍ بدرهمٍ واحدٍ من الصغارِ، وكلُّ طائرٍ من الدجاجِ بثلاثةِ دراهمَ من الصغارِ، هذا كلُّه من المتوسطِ بالسعرِ المتوسطِ في غالبِ الأوقات.

وبَرُّ العُدْوة به من أرزاقِ الحبوبِ القمحُ، والشعيرُ، والفولُ، والحمصُ، والعدسُ، والدُّخْنُ، والسلْتُ وغيرُ ذلك إلا الأرزَّ فإنَّه قليلٌ، وإن ازدرعَ في بعضِ الأماكن من بَرِّ العُدْوة، ولكنَّه يُجلبُ إليهم من بلادِ الفرنجِ، وما لهم نهمةٌ في أكله ولا عنايةٌ به، ويزرعُ به السِّمْسِمُ، ولكنه ليس بكثير لا يُعْتصَرُ منه بالغربِ شَيْرجٌ، ولا يأكلُ الشَّيْرجَ منهم إلا من وصَفَه له الطبيبُ، وإنما أكلُهم عِوَضَه الزيتُ ومزورات الضعفاء، وهم يعملون الحلوى بالعسل والزَّيت.

وبها أنواعُ الفواكهِ المستطابةِ اللذيذةِ المتعددةِ الأنواع والأجناس من النخلِ والعنبِ، والتينِ، والرمَّان، والزيتونِ، والسَّفرجلِ، والتفاحُ على أصنافٍ، والكُمَّثْرى كذلك، ويُسمى ببرِّ العُدْوة الإنجاصَ كما يُسمى بدمشقَ، والمُشْمُشُ، والعينُ[(١)] والبرقوقُ، والقراسَيا، والخوخُ غالبُ ذلك على عدةِ أنواعٍ، وأما التوتُ فقليلٌ، وبها الجَوْزُ، واللَّوزُ، ولا يوجدُ بها الفُستقُ والبُندُقُ إلاَّ إنْ جاءَ مجلوباً.

وبها الأُتْرُجُّ، والليمونُ، والليمُ، والنَّارنجُ، والزنبوعُ، وهو المُسَمى (٥٤٤) بمصرَ والشام الكُبَّاد، والبطيخُ الأصفرُ، وأما الأخضرُ فهو يُسمى عندَهم بالدلاع، وهو قليلٌ والموجودُ منه لا يُستَطاب.

وبها الخيارُ، والقثَّاءُ، واللِّفتُ، والباذنجانُ، والقَرعُ، والجزرُ، واللُّوبيا، والكُرُنْبُ، والشَّمار، والصَّعترُ، وسائرُ البُقولِ، وأما القُلْقَاسُ فلا يُزرَعُ عندَهم إلا للفرجةِ على ورقِه،[(٢)] لا لأنْ يؤكلَ، ولا يوجدُ بها الموزُ إلا في بعضِ المواضعِ نادراً مما يُهدى ويُباع.

---

(١) في القلقشندي (صبح ٥/١٧٥): والتين، وقد تقدم ذكره آنفاً في السياق.

(٢) في المصدر نفسه (٥/١٧١): عروقه.

وأما قصبُ السكرِ فهو بجزائرِ بني مَزْغنَّا وبالسوسِ وبنواحي مَرَّاكُشَ وبسَلا كثيرٌ، ولولا عدمُ استقامةِ أهلِ السوسِ وتلك الأطرافِ وكثرةِ التوائِهم لكانَ كثيراً جداً، والموجودُ منه يُعْمَلُ منه قَنْد، ويُسبكُ منه السكرُ، ولكنَّه متوسطُ المقدار.

وقد سألتُ ابنَ جرارٍ عما يُعمَلُ بمَرَّاكُشَ من السكرِ، فقالَ:

يُعَملُ منه أنواعٌ ويخلصُ منه مكررٌ يجيءُ في نهايةِ البياضِ والصلابةِ ولطافةِ الذَّوقِ، ويقاربُ مُكررَ مصرَ إنْ لم يكنْ مثلَه، لكنَّ نوعَ السكرِ المعمولِ به بالغربِ غيرُ كثيرٍ، قالَ: ولو أنهم أكثروا من نَصبِ الأقصابِ لكثُرَ.

قالَ العقيليُّ:

إن بَمرَّاكُشَ أربعينَ مَعصرةً للسكرِ أو أزيدَ، وزادتْ على سوسٍ، ومَزارعُه في أرضِ مَرَّاكُشَ [بوادٍ][(١)] يُعرَفُ بوادي نفيس[(٢)]، وإنَّ حِملَ حمارٍ من القصبِ يُباعُ بثلاثةِ دراهمَ يكونُ بدرهمٍ واحدٍ كامليٍّ، فسألتُه عن السببِ المانعِ لهم من الاستكثارِ منه، فقالَ: لكثرةِ وجودِ عسلِ النحلِ واعتيادِ المغاربةِ لأكلِه، ووصفَ العسلَ عندَهم ولذاذةَ طَعمِه وكثرةَ ألوانِه.

ولقد سألتُ كثيراً من المغاربةِ حتى ممَّن أقامَ بمصرَ وتَمصَّر عن السكرِ فوجدتُهم مائلين بالطباعِ إلى تفضيلِ العسلِ في الأكلِ عليه، واستطابتِهم له أكثرَ من السكرِ واستعمالِهم للعسلِ بدلاً منه في أطعمتِهم وحَلوائِهم، وزعَموا أنَّ ما يُعملُ من العسلِ ألذُّ مما يُعمَلُ من السكَّرِ، وهذا مما لا نسلمُه إليهم ولا يَدَّعي هذه الدعوى ذو ذوقٍ سليمٍ ولا نظرٍ مستقيمٍ.

ولقد قالَ لي كَثيرٌ منهم إنَّه ما يستعمَلُ السكرَ عندَهم في الغالبِ إلا المرضى والغرباءُ أو

---

(١) في الأصل: بوادي.

(٢) وادي نفيس: من الأنهار المتفرعة من وادي تنسيفت، يسقي مساحات شاسعة من حقول ناحية مراكش، ويقوم عليه حالياً خزان عظيم للانتفاع بمياهه العذبة، انظر: ابن العربي: ص١٩٣-١٩٤ .

الكبارُ من الناسِ (٥٤٥) [في] (١) المواسمِ والضيافاتِ.

قالوا: وكذلك الأرزُّ لا يُؤكلُ عندَهم إلا في يومِ حفلٍ أو دعوةٍ أو مريضٌ أو غريبٌ اعتادَ أكلَ الرزِّ في بلادهِ، وقد طالَ ما جرَّه الحديثُ في هذا، ونعودُ إلى تكملةِ ما يُوجَدُ في برِّ العُدْوة.

قالَ السَّلاجيُّ:

بها من الرَّياحينِ الوردُ، والبنفسجُ، والياسمينُ، والآسُ، والنرجسُ، والسَّوْسَنُ، والبهارُ، وغيرُ ذلك.

وبها من الدوابِّ الخيلُ، والبغالُ، والحميرُ، والإبلُ، والبقرُ، والغنمُ، ولا يُعدَمُ عندهم إلا الجاموسُ فإنَّه لا يوجدُ عندَهم.

وبها أنواعٌ من الطيرِ من الأوَزِّ والحمامِ، والدجاجِ، وغيرِ ذلك، والكُرْكُيُّ كثيرٌ عندَهم على بعدِ الديارِ وغربةِ الأوطانِ وتُسمى عندَهم الغرانيقَ، وهي عندَهم صيدُ الملوكِ كما هو بمصرَ والشامِ، وفي صحاريها من أنواعِ الوحشِ الحُمُرُ، والبقرُ، والنَّعامُ، والغزالُ، والمها، وغيرُ ذلك.

وأما مَرَّاكُشُ (٢) فهيَ متوسطةٌ بين المحيطِ إلى الصحراءِ إلى البحرِ أربعينَ ميلاً وإلى الصحراء وهي كما قدَّمنا ثانيةُ قواعدِ المُلْك.

حكى لي غيرُ واحدٍ عن سَعةِ دورِها وضخامةِ عمائرِها وما فيها من قصورِ بني عبدِ المؤمنِ وأولادِهم وأجنادِهم، حتى يقالَ إنَّه إذا كانَ الرجلُ في صدرِ الدارِ ونادى رفيقَه وهو في صدرِها الآخرِ بأعلى صوتِه لا يكادُ يسمعُه لاتساعِها.

---

(١) مكررة في الأصل.

(٢) الإدريسي: ١/٢٣٣-٢٣٥، الزهري: ص١١٥-١١٦، الحميري: ص٥٤٠-٥٤١، ابن بطوطة: ص٦٧٢-٦٧٣

قالَ ابنُ سعيد :

ودَوْرُها سبعةُ أميالٍ، وهي بسيطةٌ يمتدُّ فيها البصرُ بناها أميرُ المسلمين يوسفُ بنُ تاشفين[١]، وأولُ ما بُنيَ بها القصرُ المعروفُ بقصرِ الحَجَرِ[٢] ثم بنى الناسُ حولَه، ثم إنَّ يوسفَ العُشريَّ،- وهو أبو يعقوبَ بنُ عبدِ المؤمنِ-[٣] كبَّرَها وفخَّمَها ومصَّرَها وضخَّمها، وجلبَ إليها المياهَ والغِراسَ، ومنارةُ جامعِها المعروفِ بالكُتْبِيِّين[٤] طولُها مئةٌ وعشرةُ أذرع من الحجرِ[٥] وعلى باب جامعِها ساعاتٌ ارتفاعُها في الهواءِ خمسونَ ذراعاً، ينزلُ عندَ انقضاءِ كلِّ ساعةٍ صَنْجةٌ وزنُها مئةُ درهمٍ ،يتحركُ بنزولِها أجراسٌ يُسْمَعُ وقعُها من بعيدٍ،

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصهناجي اللمتوني أمير المرابطين، توفي بمراكش في مستهل المحرم سنة ٥٠٠هـ/ أيلول ١١٠٦م، وخلفه على ملك المغرب والأندلس ولده علي، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ٩/ ٦٢١-٦٢٣، ١٠/ ١٥١-١٥٥، ١٨٧-١٩٣، ٤١٧-٤١٨، ابن خلكان: ٧/ ١١٢-١٣٠، ابن عذاري: البيان المغرب ٤/ ٢١-٤٧، الذهبي: سير ١٩/ ٢٥٢، والعبر: ٢/ ٣٨١، ابن خلدون: ٦/ ١٨٥-١٩٠، ابن العماد: شذرات ٣/ ٤١٢، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ١٠/ ٢٩٨-٣٠٨، الزركلي ٨/ ٢٢٢، سالم: تاريخ المغرب، ص٦١٣ فما بعدها.

(٢) قلت: وفي رواية أن باني مراكش ومعها قصر الحجر هو الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني ابن عم يوسف بن تاشفين وأن ذلك كان في سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م، انظر: العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٩٨-٢٠٢

(٣) خلف أباه في زعامة الموحدين على إفريقيّة والأندلس سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، حتى وفاته في الأندلس في ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ/ تموز ١١٨٤م. والعُشْري: نسبة إلى أبيه أحد العشرة أصحاب المهدي بن تومرت، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ١١/ ٥٠٥، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق١/ ٣٧٤، ووفاته فيه: سنة ٥٧٨هـ، ابن خلكان: ٧/ ١٣٠-١٣٨، الذهبي: العبر ٣/ ٧٩-٨٠، ابن كثير: البداية ١٢/ ٣١٥، ابن خلدون: ٦/ ٢٣٩-٢٤٣، القلقشندي: صبح ٥/ ١٨٧ .

(٤) ويعرف أيضاً بجامع الكتبية، وقد بناه عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين، وأكمله من بعده أبو يعقوب المذكور، انظر: سالم: تاريخ المغرب، ص٧٥٧-٧٦١

(٥) هو طول الجامع في القلقشندي (صبح ٥/ ١٥٧)، وليس المنارة.

وتُسمى عندَهم المنجانةَ،(١) وهي الآنَ بَطَّالةٌ لا تدورُ.

قالَ ابنُ سعيد:

وحضرة (٥٤٦) [مَرَّاكُشَ](٢) مما سكنتُها وعرفتُها ظاهراً وباطناً، ولا أرى العبارةَ تفي بما تحتوي عليه، ويكفي أنَّ كلَّ قصرٍ من قُصورِها مستقلٌّ بالديارِ والبساتينِ والحمامِ والإسطبلات والمياهِ وغيرِ ذلك حتى يغلقَ الرئيسُ منهم بابَه على جميعِ خَوَلِه وأقاربِه وما يحتاجُ [إليه](٣)، ولا تخرجُ له امرأةٌ إلى خارجِ دارِه. ولا يشتري شيئاً من السوقِ لمأكلٍ ولا يُقرئُ أولادَه في مكتبٍ خارجٍ، ويخرجُ هو من بيتِه راكباً لا تقعُ عليه العينُ راجلاً،(٤)[قالَ: ولا أدري كيفَ أصلُ إلى غايةٍ من الوصفِ أصِفُ بها ترتيبَ هذه المدينةِ المُحْدَثةِ، فإنها من عجائبِ هِمَّات السلاطين، ذاتُ أسوارٍ ضخمةٍ وأبوابٍ عالية.

وبظاهرِها مدينةٌ اختطَّها المنصورُ يعقوبُ بنُ ‹يوسفَ› بنِ عبدِ المؤمن له ولخواصه تعرف بتامَرَّاكُش، وبها قصر الخلافة الذي بناه]وبه ديارٌ عظيمةٌ منها دارُ البِلَّوْرِ، ودارُ الرَّيْحانِ، ودارُ المال، وكلُّ دارٍ منها لا تخلو من المياهِ والبساتينِ العجيبةِ والمناظرِ المرتفعةِ المشرفةِ على بسائطِ مَرَّاكُش.

---

(١) في القلقشندي (صبح ٥/١٥٧): البَحَّانة.

(٢) قطع في الأصل يقتضي السياق أن يكون ما أثبتناه، وفي المصدر نفسه (صبح ٥/١٥٦) نقلاً عن ابن سعيد في مثل هذا الموضع: وهي، يقصد مراكش.

(٣) ساقطة من الأصل، والإضافة من المصدر نفسه.

(٤) النص التالي ما بين الحاصرتين ورد مضطرباً والتصحيح من المصدر نفسه (صبح ٥/١٥٧) وهو ينقل عن ابن سعيد وصورته في الأصل هكذا: "وفيها قصور عظيمة، وفيها قصر الخلافة بناه المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وهو وسط المدينة اختطها خارج مراكش خاصة به وبخواصه، وتعرف بتامراكشت. قال ابن سعيد :ولا أدري كيف أصل إلى غاية من الوصف أصف به ترتيب هذه المدينة، فإنها من عجائب همات السلاطين، ذات أسوار ضخمة وأبواب عالية، وبها قصر الخلافة"

ولها ثلاثةُ أبوابٍ مختصةٍ بها: باب البستانِ وكان لا يراه إلا خواصُ بني عبدِ المؤمن يُفضي إلى بستانٍ يُعرَفُ بالبحيرةِ طولُه اثنا عشرَ ميلاً، فيها العمائرُ الجليلةُ والمصانعُ العظيمةُ والبِركَةُ التي لم يُعمَلْ مثلُها.

قالَ العقيليُّ:

وطولُها ثلاثُ مئةٍ وثمانون باعاً، على جانبِها الواحدِ أربعُ مئةِ شجرةٍ من النَّارَنْج، وبينَ كلِّ اثنتيْن إما ليمونةٌ وإما رَيْحانةٌ.

والباب الثاني: باب القَراقين وهو في داخلِ المدينةِ مَرَّاكُشَ، يُتَصرفُ منه إلى ما يُحتاجُ إليه بالمدينة.

والباب الثالث: باب الرياضِ أمامَه رحبةٌ عظيمةٌ تحملُ طرادَ الخيلِ، وكانَ بها أنواعٌ من الوحوشِ في زمانِ بني عبدِ المؤمنِ، وبها قبّةُ الخلافةِ إلى جانبِ البابِ، كانَ يخرجُ إليها خليفتُهم بكرةَ كلِّ نهارٍ، وتكونُ بها الخدمةُ، وفي رحبةِ القصرِ دارُ الكرامةِ والأضيافِ، وفيها (٥٤٧) يقول أبو بكرِ بنُ مجيرٍ المرسيُّ - (١) رحمَه اللهُ: <الخفيف>

ذاكَ دَاعي الهَوى بمَثْوى الإمامَه ... مُوجِبٌ للأنام دارَ الكَرامَهْ

قَدْ دَعا دعوةَ العُمومِ إليها ... مُعلناً كالنِّداءِ أو كالإقامَهْ

فتبارَوْا إلى نَعيمٍ عميمٍ ... فَتحوا بابَه وفَضُّوا ختامَهْ

خيرُ قَومٍ دُعُوا إلى خيرِ دارٍ ... هي للمُلْكِ نضرةٌ وكمامَهْ

عالَمُ السَّبعةِ الأقاليم فيها ... وهُمو في فنائِها كالقُلامَهْ

ما توسَّمْتُ قبلَ جمعٍ أتَاها ... أنَّ ذا الحشرُ قبلَ يومِ القيامَهْ

(١) في القلقشندي (صبح ٥/١٥٧): محمد بن محمد البربري، وأورد البيتين الرابع والخامس فقط.

تَسْأمُ الريحُ حينَ تطوي مَداها وتجولُ العيونُ دونَ بَشامَهْ

وفي هذه الرحبةِ المدينة، وهي مكانٌ جليلٌ به خزائنُ الكتبِ، وفيه كانَ خلفاءُ بني عبدِ المؤمنِ يجالسونَ العلماءَ، وفيها دارٌ مخصوصةٌ للوزارةِ المُحلاَّة بوزيرِ الجُند، وتُفضي هذه الرحبةُ إلى بابِ السَّادةِ وهو يُفضي إلى خارجِ مَرَّاكُشَ كانَ مخصوصاً ببني عبدِ المؤمن، إليه ينتهون على خيلِهم وعليه سلسلةٌ منها ينزلون، وهناكَ مقابرُ أكابرِهم وجنائزُ الأعيانِ في نهايةِ حُسنِ المباني والغِراس.

وفي الرحبةِ بابُ السقَائفِ، وهو بابٌ كبيرٌ يُخرَجُ منه إلى سقائفِ أهلِ الجماعة، وهم ذريةُ العَشَرةِ أصحابِ مَهديِّهم ابنِ تُومَرْت، وسقائفِ أهلِ الخمسينَ، وسقائفِ الطلبة، وهم أهلُ العلمِ والقراءةِ، وسقائفِ الحفاظ، وهم المُقَدَّمون على الأعمالِ لحِفظِها، وسقائفِ أهلِ الدارِ، وهم غلمانُ الخِلافَة.

ثم يُخرَجُ من هذه الرَّحبةِ إلى سَقائفِ القبائلِ وأعيانِ الغُزِّ والجُموع، ثم يُفضي إلى رَحبةٍ عظيمةٍ فيها سقائفُ جنفيسةَ وجدميوةَ، والقبائلِ هسكورةَ وصُنهاجةَ، وهؤلاءِ هم قبائلُ الموحِّدين، وبها مَوضعُ صاحبِ الشُّرطةِ، وبإزائِها الجامعُ المبنيُّ في تامرَّاكشت على صَحْنِه شَبكٌ من الصفرِ الأندلُسيِّ وهو في غَايةِ الزُّخْرُفةِ والإتْقانِ، ولا يبرحُ المنبرُ مستوراً في بيتِ المقصورةِ (٥٤٨)، وهو والمقصورةُ مستوران إلى يومِ الجمعةِ قريبَ الصلاةِ ترفعُ ستورُها، والنهرُ الذي جلبَه المنصورُ إليها يخترقُ قصورَه ثم يمرُّ على السقائِفِ والرِّحابِ المقدمةِ الذكر، ثم يُحدقُ بالجامع، ثم يمرُّ بالجامعِ وبينَ الأسواقِ قَدْرَ ميلٍ إلى أن يخرجَ على بابِ الصالحيةِ من أبوابِ مَرَّاكُشَ في هذه الرحبةِ المقدمةِ الذكر.

بابُ الكُحلِ: كانَ منه دخولُ الموحدين، وأمامَه فضاءٌ عظيمٌ يسعُ وقوفَ الخلائق و[صَرْفَها][(١)].

(١) في الأصل: تصرفها.

وبابُ الربِّ لا يدخلُ هذا النوع إلا منه[١] لاحتمالِ أن يدخلَ المدينةَ خَمر.

وبها الصُّهريجُ الكبيرُ، والصُّهريجُ في [لغة أهل][٢] المغرب: البِركةُ، وهي بركةٌ عظيمةٌ عليها سورٌ وبابٌ يصب فيها النهرُ الثاني الداخلُ إلى مَرَّاكُشَ، وفيها يُوزَّعُ بقياسٍ معلومٍ على قصورِ الناسِ، ثم ينحدرُ بقيةُ الماءِ في نهرٍ يشقُّ المدينةَ[٣] من جهةٍ أخرى في وسَط الأسواقِ وما يمرُّ[٤]، وفيها بركٌ تصبُّ فيها المياهُ ،وفي هذه الرَّحبةِ بابُ الشريعةِ أمامَ مُصلَّى العيديْن و[بينهما][٥] فسيحٌ عظيمٌ به سوقُ الخيلِ، وللسلطانِ به قصرٌ مُطلٌّ عليه.

ويليه بابُ نفيسٍ يُخرَجُ منه إلى بلدِ نفيس[٦] المفضلةِ بالمياه والأعنابِ، وقدامَه بركةُ اقنا يتعلمُ فيها الصبيان العومَ.

ويليه بابُ مخزنِ السلطانِ، كان به وإلى جانبِه قصرُ سعيدٍ، وقصرُ أمةِ العزيزِ، وقصرُ ابنِ جامعٍ، لا يُعلمُ كم غُرِّمَ على كلٍّ واحدٍ منها حتى قالَ ابنُ سعيدٍ في "المُغرِبُ" عن قصرِ ابنِ جامعٍ وهو أحدُ وزراءِ بني عبدِ المؤمن: وإنَّه كانَ في دارِه سَاحةٌ يلعبُ فيها خَمسُ مئةِ جاريةٍ على خيلِ الخَشبِ وتتطاعنَّ.

ويَلي ذلك بابُ مسوفةَ يُفضي إلى المقابرِ.

---

(١) كذا، والعبارة غامضة.

(٢) مكررة في الأصل.

(٣) وردت في الأصل متبوعة بعبارة: من نهر، زائدة.

(٤) كذا، والعبارة غير مكتملة المعنى، ولعل هناك قطعاً في السياق.

(٥) في الأصل: بينها.

(٦) مدينة تعرف بالبلد النفيس فتحها عقبة بن نافع في أثناء غزوه للمغرب، انظر: الحميري: ص٥٧٨

وبَابُ دكّالةَ، وهو مفضٍ إلى المُتَنزَّهات.

ويَليهِ بابُ الرخاء.

ويَليهِ بابُ ناغورت.

ويَليـهِ بابُ فـاسٍ، وهـو مفضٍ إلى فـضـاءٍ يُفـضي إلى نهـرٍ كـبـيـرٍ لا يُخـاضُ إلا في زمـانِ الصَّيفِ، وعليه بساتينُ جليلةٌ ومُتَنزَّهات.

ويَليهِ بابُ الدبّاغين.

ويَليهِ بابُ سـان[1].

(٥٤٩) ويَليهِ بابُ إيلان[2].

ويَليهِ بابُ أغْمات، وأمامَه منازلُ المخدُومين لا يمازجون الحضرة.

ويليه بابُ الصالحيةِ، وخارجَه مقابرُ وبساتينُ.

ولمرَّاكُشَ بوادٍ فسيحةٌ وما اختار ابنُ تاشفين بقعتَها إلا لمراعي إبلِه حولَها وبها [كثيرٌ من][3] أربابِ العَمائرِ.

وأما تِلِمْسانُ[4] وهي قاعدةُ الملك الذي فتحَه هذا السلطانُ بسيفِه، واستضافَه إلى

---

(١) كذا رسمت في الأصل، ولم اهتد إلى تحقيقها.

(٢) إيلان: موضع قرب مَرَّاكُشَ ولعل الباب المذكور يفضي إليها، انظر: ياقوت: ١/٢٩٢.

(٣) كتبت في الهامش ،وأشير إلى مكانها من النص.

(٤) الإدريسي: ١/٢٤٨، ياقوت: ٢/٤٤، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٤٠

مُلْكِه، قالَ الشَّريفُ في كتابِ [رُجّار"] [١] وهيَ في سفحِ جبلٍ وبها آثارُ الأُوَلِ، وماؤُها مَجلوبٌ من عيونٍ على ستةِ أميالٍ، ولها أسواقٌ ضخمةٌ، ومساجدُ جامعةٌ، وأنهارٌ وأشجارٌ، وشجرُ الجَوْزِ كثيرٌ بها، وفيها المُشْمُشُ المُقاربُ في حسنه لِمُشْمُشِ دمشقَ وعلى نهرِها [٢] الأَرحاءُ، ويصبُّ نهرُها في بركةٍ عظيمةٍ من آثارِ الأُوَلِ، ويُسْمَعُ لوقعِه خريرٌ على مسافةٍ ثم يصبُّ في نهرٍ آخرَ [٣] بعدَما يمرُّ على البساتينِ، ويَستديرُ بقبليِّها وشرقيِّها، وتدخلُ فيه السفنُ اللطافُ حيثُ يصبُّ في البحرِ.

وهي دارُ علمٍ متوسطةٌ في قبائلِ البربرِ، ومَقصِدُ تجارِ الآفاقِ، زكيةُ الأرضِ من الزرعِ والضرعِ، وبها حصونٌ كثيرةٌ، وفرضٌ عديدةٌ أشهرُها فرضةُ هُنَيْن وهي قُبالة المَرِيَّة [من الأندلسِ] [٤] ووهرانُ [في شرقيِّ تِلِمْسانَ بشمالٍ قليلٍ على مسيرةِ يومٍ من تِلِمْسانَ، ومستغانمُ تقابلُ دانيةَ [٥] من الأندلس] [٤].

وتِلِمْسانُ على ما بلغَ حدَّ التواترِ في غايةِ المَنَعةِ والحصَانةِ مع أنها في وطاءةٍ لكنها محصَّنةُ البناءِ، ولقد أقامَ أبو يعقوبَ يوسفُ عَمُّ هذا السلطانِ أبي الحَسنِ نحوَ عَشْرِ

---

(١) في الأصل: اجّار، وهو يقصد الشريف الإدريسي وكتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" والمعروف أيضاً باسم "رُجّار" نسبة إلى روجر الثاني الصقلي الذي ألف الكتاب له ولم أجد الوصف التالي لتلمسان في "النزهة".

(٢) هو نهر سطفسيف كما سماه الحميري، ص١٣٥

(٣) هو نهر تافنا، كما ورد في المصدر نفسه.

(٤) إضافة من القلقشندي (صبح ٥/١٤٥)، وبها ينتظم السياق.

(٥) دانية: مدينة وميناء من أعمال بلنسية بشرق الأندلس، يقال إنها من بنيان القوط، وتعرف اليوم باسم (Denia)، انظر: الزهري: ص١٠٣، ياقوت: ٢/٤٣٤، الحميري: ص٢٣١–٢٣٢.

سنين[(١)] وبنى عليها مدينةً سماها تِلِمْسانَ الجديدةَ[(٢)] ثم ماتَ، وسمى أهلُ تِلِمْسانَ تلكَ السنةَ سنةَ الفَرجِ حتى كتبُوا في سِكَّتِهم ونَقَشُوا: ما أقربَ فرجَ اللهِ، وشرعَ حينئذٍ أبو حَمُّو[(٣)] بعدَ إتمامِ سنةٍ من الفرجِ من رحيلِ بني مَرين عنها، وهو والدُ سلطانِها أبي تاشفين المأخوذة منه ‹في› تحصيلِ قوتِها، وتحصينِ أسوارِها، ولم يدعْ ما يحتاجُ إليه المحاصَرُ لعدةِ سنينَ كثيرةٍ حتى حصله من الأقواتِ والآلاتِ[(٤)] حتى سُليتِ الشُّحومُ، وتُمليِّت بها الصَّهاريج ومُلئت أبراجُ المدينةِ بالملحِ والفحمِ والحطبِ واختزن [أرضاً][(٥)] (٥٥٠) داخلَ المدينةِ كلُّها زرعٌ، وماتَ أبو حَمُّو وولي بعدَه أبو تاشفين فزادَها تحصيلاً من الأقواتِ، وتحصيناً من الأسوارِ والآلاتِ، وبنى بها البناءاتِ العجيبةَ الشكلِ، والقِبابَ الغريبةَ المثلِ، والبركَ المتسعةَ، والقصورَ المنيفةَ، وغرسَ فيها بساتينَ، غرسَ بها من سائرِ أنواعِ الثمارِ إلى أنْ حاصرَ بجاية ونازلَها وبنى عليها، فاستنجدَ المُوَحِّدون المرينيَّ، فأرسلَ إليه العلماءَ والصلحاءَ والأعيانَ، وندَبوه إلى الصلحِ بينَهم فأبى إلا عُتواً وفساداً، فنهضَ إليه أبو الحسنِ وحاصرَه أشدَّ حصارٍ، وبنى عليه مدينةً سماها المنصورةَ، وبقي أربعَ سنينَ محاصراً لها، مُضَيفاً

---

(١) في دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٤١ (أبو زيان – الأول والثاني): ان حصار تلمسان بدأ في ٣ شعبان سنة ٦٩٨هـ/ ٦ آيار ١٢٩٩م ولم ينته إلا في ٧ ذي القعدة سنة ٧٠٦هـ/ ١٠ آيار ١٣٠٧م بقتل السلطان المذكور.

(٢) في دائرة المعارف الإسلامية ٥/ ٤٥٨ (تلمسان): المنصورة، وسماها القلقشندي (صبح ٥/ ١٤٥): فاس الجديدة.

(٣) هو أبو حَمُّو موسى بن عثمان بن يغمراس بن زيان من بني عبد الواد، ملك تلمسان خلفاً لأخيه أبي زيان في سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، وقتل غيلة على يد ولده أبي تاشفين في سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، ترجمته في: لسان الدين: اللمحة البدرية، ص٧٢، ٧٤، ٨٠، ابن خلدون: ٧/ ١٠٥–١٠٦ .

(٤) كذا، والعبارة مضطربة، ويجوز ان يكون هناك قطع في السياق بعد: حتى.

(٥) في الأصل: أرض.

عليها آخذاً بخنَاقِها، ونصبَ عليها المَجانيقَ، وأخذَ عليها المسالكَ من كلِّ جهة، ولم يدعْ طريقاً لداخلٍ إليها ولا لخارجٍ منها، وسلطانُها أبو تاشفين وجميعُ أهلِها في ضيق الخِناقِ معَهم، ولا يُفَكُّ لهم وثاقٌ، ولا يُحَلُّ لهم خِناق، ولا تبرقُ لديهم بارقةُ خلاص، وكانوا مع هذا التشديدِ الشديدِ في غايةِ الامتناعِ ،لحصانةِ بلدِهم وكثرةِ ما بها من الماءِ والأقوات، وكان في المدينةِ عَيْنُ ماءٍ لا يقومُ بكفايتها، وكان يجري إليها الماءُ من عَيْنٍ خارجةٍ عن البلدِ لم يعرفْ لها [أحد][1] منبعاً أُخفيتْ بكثرةِ البناءِ المُحكمِ، ولم يظهرْ لها على علمٍ إلى أن خرجَ أحدُ مَن يعرفُها من البنَّائينَ المختصينَ بسلطانِها الكاشف عنها حين بنائها، فاظهرَها للسلطانِ أبي الحَسن وكشفَ عنها فقطعَها عنهم، وأبعدَها منهم، وصرفَها إلى جهةٍ أخرى فقنعوا بالعَيْن التي في داخلِ بلدِهم، واكتفوا بالبلالةِ، ولم يظهرْ منهم وهَنٌ ولا خَوَرٌ لانقطاعِ الميرةِ لما كانَ عندَهم من المخزونِ حتى قدائد اللحومِ ومسلياتِ الشحوم ولم يتغيرْ طعمُها لأن بلادَ الغربِ مخصوصةٌ بطولِ مُكثِ المَخْزوناتِ بها، فإنه ربما بقي القمحُ والشعيرُ في بعضِ أماكنها ستينَ سنةً[2] لا يتغيرُ ولا يُسَوِّسُ ثم يخرجُ بعد خزنِ هذه المدةِ الطويلةِ فيزرعُ وينبتُ وخصوصاً تِلِمْسانَ في بَرِّ العُدْوة، وطليطلةَ[3] في الأندلس.

---

(١) في الأصل: أحداً.

(٢) يجوز أن تكون ما أثبتناه ويجوز أن تكون محرفة عن سنين ستة، ففي القلقشندي (صبح ٥/١٤٥) نقلاً عن المسالك: ست سنين.

(٣) طليطلة: مدينة في شمال الأندلس وكانت دار الملك بالأندلس حينما فتحها المسلمون، وتعرف اليوم باسم (Toledo)، انظر: الزهري: ص٨٣ فما بعدها، ياقوت: ٤/٣٩، الحميري: ص٣٩٣–٣٩٥ .

حكى ابنُ ظافرٍ[١] في كتابه (٥٥١) المترجم بـ " سياسة الملوك "[٢] أن القمحَ يقيمُ بطليطلةَ ثمانينَ سنةً مخزوناً في صهاريجَ، ثم يخرجُ ويُزْرَعُ، قال: ولا يزيدها مدةُ الخزنِ إلا صفاءً، ولا طولُ المُكثِ إلا جِدَّة.

ونعود إلى ذكرِ تِلِمْسانَ، فنقولُ: إنها منحرفةٌ إلى الجنوبِ الشرقيِّ <من> فاس، ولها ثلاثةُ أسوارٍ ومن جهة القصبةِ ستةُ أسوارٍ بعضُها داخلَ بعض، ولم يهجسْ بخاطرٍ أنها تؤخذُ ولكن يسرَ اللهُ لهذا السلطانِ أبي الحسنِ المرينيِّ صعبَها وذللَ له إباءَها حتى ملكَ ناصيتَها، وبلغَ دانيتَها وقاصيتَها، وإذْ قد ذكرنا قواعدَ المُلكِ الثلاثَ فلنذكرْ ما لا بأسَ بذكرِه من هذه البلاد.

وأولُ ما نبدأ بذكره سَبْتةُ[٣] لصيتِها الطائرِ في الآفاقِ لمكانِ بحرِ الزُّقاقِ منها، وهي على ضفةِ بحرِ الزُّقاقِ الداخلِ من البحرِ المحيط، وهي في طرفٍ من الأرض شديدِ الضيقِ من جهةِ الغربِ، والبحرُ المحيطُ محيطٌ بها شرقاً وغرباً وقبلةً، ولو شاءَ أهلُها أن يصلوها به من جهةِ الشمالِ لوصلوه فتكون جزيرةً منقطعةً، ولها فاكهةٌ كثيرةٌ وبها قصبُ سكرٍ ليسَ بالكثيرِ، وعليها أبراجٌ كثيرةٌ، وأسوارُها عظيمةٌ من صخرٍ محيطٍ بها، وكذلك يحيطُ بجبلِ مينائِها الذي بشرقيِّها وبرَبَضِها أسوارٌ، وبها حماماتٌ يُجلبُ إليها الماءُ على الظهرِ من البحرِ في الشواني[٤] وطولُ المدينة من السورِ الغربيِّ المحيطِ على رَبَضِها إلى آخرِ الجزيرةِ خمسةُ أميال،

---

(١) هو جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، توفي بالقاهرة في سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، ترجمته في: الزركلي: الأعلام ٤/ ٢٩٦-٢٩٧ .

(٢) في المرجع نفسه: أساس السياسة.

(٣) الإدريسي: ٢/ ٥٢٨-٥٢٩، ياقوت: ٣/ ١٨٢-١٨٣، الحميري: ص٣٠٣-٣٠٤، ابن العربي: ص٢٢٥-٢٢٧

قلت: وهي الآن واقعة تحت السيطرة الاستعمارية الإسبانية.

(٤) الشواني: ج شنة، وهي القربة (لسان العرب).

ولم تزلْ دارَ علمٍ وفقهٍ، وقد ذكر الحجاريُّ[(١)] أولُ مصنفي كتاب "المُغرِب" أنها أولُ ما بُنيَ في بَرِّ العُدْوة، وهي من فُرَضِ البحرِ الغظيمةِ لكثرةِ ما يردُ عليها من مراكبِ المسلمين والنصارى من كلِّ جهةٍ، وجميعُ طُرَفِ الدنيا أو غالبُها موجودٌ فيها، وهي مليحةٌ نَزِهَةٌ، والبحرُ عندها ضيقٌ، وإذا كانَ الصَّحْوُ بَصُرَ أهلُها منها الجزيرةَ الخضراءَ المسامتةَ لها (٥٥٢) من الأندلسِ، وشربُ أهلِها من الماءِ مجلوبٌ إليهم من البحرِ من بليونشَ[(٢)] وغيرِها من مُتَنزَّهاتِها، وفي داخلِها صَهاريجُ من ماءِ المطرِ، والأغنامُ تُجلَبُ إليها، والقمحُ لا يزكو نباتُه في أرضِها، وإنما يُجلَبُ إليها جلباً كثيراً، وبها الصخرةُ التي يقالُ[(٣)] إنَّ موسى عليه السلام آوى إليها ولا يصحُّ، وبها سمكٌ كثيرٌ منه نوعٌ يُسمى سمكَ موسى نسبةً إلى حوتِه الذي اتخذَ سبيلَه في البحرِ سَرَبا، ولحمُه نافعٌ من الحصا، مقوٍّ للباهِ، وهو يوجدُ بالبحرِ قريبَ جبلِ سَبتَةَ المعروفِ بجبلِ [مُوسى بنِ نُصَير][(٤)]، وبه رمالٌ يُنبطُ منها الماءُ العذبُ، وينبعثُ من

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الكندي الحجاري المتوفى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، وهو صاحب كتاب "المسهب في أخبار أهل المغرب" والذي يعد الأساس الذي نهض عليه كتاب "المغرب في حلي المغرب" لابن سعيد المغربي. يذكر أن كتاب "المُغرِب" توارث كتابته على مدى (١١٥) سنة ستة أشخاص أولهم الحجاري في مصنفه المذكور الذي تناول فيه تاريخ الأندلس حتى سنة ٥٣٠ هـ/ ٥-١١٣٦م، ثم ذيل عليه عبد الملك بن سعيد وابناه أحمد ومحمد، ثم حفيده موسى بن محمد إلى أن أخذ الكتاب صورته النهائية على يد مؤرخنا علي بن موسى المعروف بابن سعيد في سنة ٦٤٥هـ/٧-١٢٤٨م، انظر: العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٩/١٦٧، الزركلي: ٤/٦٣، ومقدمتي التحقيق لكتابي "الجغرافيا" و "المُغرب" لابن سعيد.

(٢) بليونش: من متنزهات سبتة الشهيرة، وقد خربها البرتغاليون عند احتلالهم سبتة في سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، ولم يبق منها اليوم سوى أطلال، انظر: ياقوت: ١/٤٩٣، الحميري: ص٣٠٣، ابن العربي: ص٢٢٦

(٣) وردت في الأصل متبوعة بكلمة: لها، زائدة.

(٤) في الأصل: موسى عليه السلام، ولعله سبق قلم، والتصحيح من الحميري، ص٣٠٣، والقلقشندي، صبح ٥/١٥٢

أجوافٍ على ضفةِ البحرِ، ولقربِ سَبْتَة من الزُّقاقِ الذي منه البحرُ الشاميُّ يقالُ للبحرِ الشاميِّ البحرُ السَّبْتيُّ، وكانتْ سَبْتَةُ دارَ مُلكٍ للعزَفيين (١) حتى أخذها بنو مَرين، تقربَ بها صاحبُها [إبراهيمُ] (٢) إلى السلطانِ أبي سعيدٍ (٣)، وتغلبَ له عليه صاحبُها محمدُ بنُ القائدِ عليٌّ العزفيُّ وأخذها بالملاطفةِ بالسيفِ وسلَّمها إليه وعوضَهم عنها بما أرضاهم من الإحسانِ والضِّياعِ والمُرتباتِ العظيمةِ، وأقاموا معه بفاسٍ ملحوظينَ بالإكرامِ والتَّقديمِ.

ثم نذكرُ طنجةَ (٤) لأنها لا يخلو مُصَنفٌ في هذا الشأنِ من ذكرِها، لأنَّها كانتْ دارَ مُلكٍ قديمٍ وذكرٍ شائعٍ، وهي مدينةٌ مُسَوَّرةٌ متقنةٌ على ساحلِ بحرِ الزُّقاقِ، وهو محطٌّ السفنِ اللطافِ، وكانت قاعدةَ تلك الجهاتِ قبلَ الإسلامِ وحين الكتبِ القديمةِ المصنفةِ في هذا الشأنِ ذكرها (٥)، وهي كثيرةُ الفواكهِ، وخصوصاً العنبَ والكُمَّثرى، وأهلُها مخصوصون ومشهورون بقلةِ العقلِ وسُخفِ الرأي على أن أبا الحسنِ بنَ بَيَّاعٍ الصُّنهاجيَّ الطَّنْجيَّ منها، وقد أثنى عليه الفتحُ صاحبُ "قلائدُ العِقْيانِ" فقالَ: طَوْدُ سكونٍ ووقار، وروضةُ نباهةٍ يانعةِ الأزهار، ووصفَه بالعلمِ والبلاغةِ (٥٥٣) والطبِّ، وأنشدَ له أشعاراً منها يصفُ روضةً ممطورةً: <الكامل>

وَقَفَتْ عليها السحبُ وِقْفةَ راحمٍ ... فبكتْ لها بعيونِها وقلوبِها

(١) في الأصل:للعرتيين،والصواب ما أثبتناه.

(٢) كتبت في الهامش وأشير إلى مكانها من النص، ولم أقع لإبراهيم هذا على ترجمة خاصة فيما توفر لدي من المصادر.

(٣) يقصد السلطان أبا سعيد عثمان بن يعقوب والد أبي الحسن علي المرينيّ.

(٤) الإدريسي: ٢/٥٢٨، ياقوت: ٤/٤٣، الحميري: ص٣٩٥-٣٩٦، القلقشندي: صبح ٥/١٦٥، ابن العربي: ص١٦٤- ١٦٦.

(٥) كذا، والعبارة مضطربة ولم أهتد إلى تحقيقها.

فعجبتُ للأزهارِ كيفَ تضاحكَتْ ... ببكائِها و تباشرتْ بقطوبِها

وقولُه[1]: ‹الوافر›

لقد جَشِمت بقلبكَ متلفاتٌ ... بكلِّ ثنيَّةٍ منها صَريعُ

وقد تحمي الدروعُ من العوالي ... ولا تحمي من الحدَقِ الدروعُ

ومن أهلِ طَنْجةَ أيضاً أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ الحَضرَميُّ الطَّنْجيُّ القائل[2]: ‹الطويل›

فؤادي وإن راموا الحمولَ حَمولُ ... ودَمعي وإنْ بتُّوا الوصولَ وصُولُ

ولم يُرَ واشٍ كالغرامِ بدمعةٍ ... فإنَّا سكتْنا والدموعُ تَقولُ

وقالوا: رحيلٌ كانَ قلنا: فإنّه ... حياةٌ لها عنا نوىً و رَحيلُ

وضنُّوا بتوديعٍ و جادُوا بتركِه ... و رُبَّ دواءٍ ماتَ منه عليلُ

وقد ذكرنا فيما ذكرَه صاحبُ "القلائد"، وأخرجنا للتقليبِ هذه الفوائد، لنعرفَ به أنَّ مِن طَنْجةَ على ما نُسِبَ إلى أهلِها من الحُمْقِ مَن هذا عنوانُ عقلِه وتبيانُ فضلِه.

ثم نذكرُ سِجِلْماسَةَ[3] لأنها من أجلِّ مدنِ برِّ العُدْوةِ، وهي بابُ الصحراءِ إلى أرضِ السودانِ وبلادِ مغزارةِ الذهبِ ولموقعٍ عجيبٍ في زرعِها سنذكرُها بمَشيئةِ اللهِ تعالى، فأولُ ما

---

(١) البيت الثاني في القلقشندي: صبح (٥/١٦٥).

(٢) البيت الأخير في المصدر نفسه.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٣١، الإدريسي: ١/٢٢٥-٢٢٦، ياقوت: ٣/١٩٢، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٢٤، الحميري: ص٣٠٥-٣٠٧، ابن بطوطة: ص٦٧٣، ابن العربي: ص٢٢٨-٢٢٩ وفيه أن سجلماسة اندثرت الآن!

نقولُ:

إنَّ سجِلْماسةَ مدينةٌ جليلةٌ في جنوبيٌ بَرِّ العُدْوَةِ متصلةٌ بالصحراءِ الكبيرةِ، من أكبرِ مدنِ الغربِ وأشهرِها ذكراً في الآفاقِ، وعليها نهرٌ كبيرٌ(١)، ذاتُ قصورٍ مشيدة، وأبنيةٍ عليَّةٍ وأبوابٍ رفيعة، صحيحةُ الهواءِ لمجاورةِ البيداء، وأرضُها سهلةٌ سَبْخيةٌ، ولها أرباضٌ كثيرةٌ، مخصوصةٌ بأن لا يجذمَ أحدٌ من أهلِها، لكن تلحقُهم رطوبةٌ في أجفانِهم، وبها نخيلٌ كثيرٌ، ثمرُه على أصناف يُحَملُ منه إلى عامةِ الغربِ، ويفضلُ ثمرُها ما سواه حتى يضاهى به تمرُ العراق (٥٥٤) وبتمرِها يُضرَبُ في الغربِ المثلُ، ولها بساتينُ خَضِرةٌ نَضِرةٌ، على قُشفِ مكانِها وجَفاءِ سُكانِها.

قالَ ابنُ حَوقل(٢): ونهرُها يزيدُ في الصيفِ كزيادةِ النيلِ، ويزرعُ بمائِه مثلَ زرعِ مِصرَ، وربما زرعُوا الزرعَ ثم حَصدُوه، ويبقى جذرُه في الأرضِ إلى السنةِ الآتيةِ، ثم يُسقى فيطلعُ ويُحصَدُ، هكذا سبعَ سنينَ يستَغلُّ سَبعَ مَغَلَّاتٍ ببذارٍ واحدٍ.

قالَ ابنُ سعيد: قالَ الجدُّ(٣) لي: مَغلُّ أولِ سنةٍ هو القمحُ، ثم المغلَّاتُ الباقيةُ السُّلْتُ وهو [حَبٌّ](٤) ما بينَ الحنطةِ والشعيرِ، قالَ ابنُ سعيد: وأهلُها مياسيرُ ولهم متاجرُ إلى بلادِ السودانِ، قالَ: ولقد رأيتُ صكاً فيه حقٌّ على رجلٍ من سِجلْماسةَ لآخرَ من أهلِها باثنين

(١) هو وادي درعة اعظم انهار بلاد السوس وفيه تصب انهار السوس كلها كما يستفاد من الزهري (ص١٤٠).

(٢) صورة الأرض، ص٩٠ باختلاف في اللفظ.

(٣) في الأصل ،رسمت بصورة :قال الجدلي،والراجح ماأثبتناه،وهو يقصد جده محمد بن عبد الملك بن سعيد، أحد مصنفي كتاب "المغرب في حلي المغرب" كما تقدم، ص٢٠١ حاشية (١).

(٤) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي،صبح ٥/١٥٩

وأربعينَ ألفَ دينار (١).

ومدينةُ سِجلْماسةَ آخرُ العِمرانِ ليس قبليَّها عِمرانٌ بل منها يدخلُ التجارُ إلى بلادِ السودانِ بالملحِ والنحاسِ والوَدَعِ، ويعودون بالذهبِ، وليسَ بعدَها إلا [تافلالتُ] (٢) في البريةِ إلى أولاتن وبينَهما المفازةُ العظمى وهي أربعةَ عشرَ يوماً لا يوجدُ بها ماءٌ ولا يدخلُها إلا الإبلُ المُصَبرةُ على الظمأ، وهي أرضٌ موحشةُ الأقطارِ، مجهولةُ المسالكِ، لا يحملُ سالكَها على ركوبِ خطرِها إلا الفائدةُ العظيمةُ على السودان، فإنهم يتوجهونَ بما لا قيمةَ له ويعودونَ بالذهبِ الصَّامتِ وِقْرَ ركائبِهم.

وأما زِيٌّ هذا السلطانِ وزِيُّ الأشياخِ وعامةِ الجندِ فهي عمائمُ طِو‹ا›لٌ رقاقٌ قليلةُ العرضِ من كَتَّان ويُعمَلُ فوقَها إحراماتٌ يلفونَها على أكتافِهم من الجِباب، ويتقلدونَ بالسيوفِ تقليداً بداوياً، والأخفافُ في أرجلِهم وتُسَمى الأنمقةَ و[يشدُّونَ] (٣) المهاميزَ ولهم [فوقَها] (٣) المضمَّاتُ وهي المناطقُ ولكنهم لا يشدونَها إلا في يومِ الحربِ، أو يومِ التمييزِ وهو يومُ عرضِ سلطانِهم لهم، وتُعمَلُ من فضةٍ، ومنهم من يعملُها ذهباً، ومنها ما يبلغُ [ألفيْ] (٤) مثقالٍ، ويختصُّ سلطانُهم بلبسِ البُرنُسِ الأبيضِ الرفيعِ لا يلبسُه ذو (٥٥٥) سَيفٍ سواه.

---

(١) في القلقشندي، المصدرالسابق: أربعون ألف دينار.

(٢) في الأصل: تابلبلت، وهو تحريف، وتافلالت كما يستفاد من الزهري (ص١١٨) كانت إلى جانب سجلماسة مدخلاً إلى بلاد السودان.

(٣) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/١٩٨.

(٤) في الأصل: الفا، وفي المصدر نفسه: ألف مثقال.

فأما العلماءُ وأهلُ الصلاحِ واسمُهم عندهم المرابطون، فإنهم لا حرجَ عليهم في لِبْسِه هذا ما في البرانسِ البيضِ، فأما سائرُ الألوانِ فلا حرجَ عليهم في لِبْسِها[1] كائناً من كانَ، ولا يدقُّ طبلٌ لأحدٍ في سفرٍ إلاَّ للسلطانِ خاصةً لا غير.

حكى لي السَّلاجيُّ أنَّ بعضَ أربابِ الحِلَق من مصرَ دخلَ إلى فاسٍ وعملَ بها حَلْقةً وبقي يَدقُّ بطبلةٍ له على عادتِه وعادةِ أربابِ الحِلَقِ فحصلَ عليه الانكارُ وأُمِرَ بإبطاله، وضربُ الطبولِ محفوظٌ لأهلِ بيتٍ خاصٍ بهم من أهلِ مرَّاكُش، هذا لِبْسُ ذوي السيوف. فأما القضاةُ والعلماءُ والكتابُ وعامةُ الناسِ فقريبٌ من هذا الزيِّ إلا أنَّ عمائمَهم خُضْرٌ ولا يلبسُ أحدٌ منهم الأنمقةَ وهي الأخفافُ في الحضَرِ، فأما في السفرِ فلا جُناحَ منهم على من لبسها، وليسَ لهؤلاءِ سيوفٌ، ومن عادةِ هذا السلطانِ أن يعرضَ جندَه في رأسِ كُلِّ ثلاثةِ أشهر ليعرفَ منهم الحاضرَ والغائبَ والقادرَ والعاجزَ فيخرجَ إلى مكانٍ مُعَدٍّ لهذا بظاهرِ قصورِه، ويجلسَ على عُلو في ذلك المكان، ويجلسَ تحتَه الكتابُ ويستدعيَ عسكرَه بالأسماءِ اسماً اسماً، ويقابلَ على أسمائهم وحلاهم[2] ثم يصرفَ على كلِّ واحدٍ منهم راتبَه، هذا للجندِ الأندلسيين الذينَ يَرمُون بقوسِ الرِّجلِ والفرنجِ، وأما سائرُ العسكرِ فلهم إقطاعاتٌ وبلادٌ وإحسانٌ من رأسِ السنة إلى رأسِ السنة، والراتبُ يسمى بإفريقيَّة البركةَ ويُسمى بمصرَ والشامِ النقدَ أو الإقطاعَ، ولكنه لا يقاسُ إفريقيَّة بها في هذا ولا يُعرَفُ في هذه المملكةِ ما هم الأمراء اسماً ولا معنى كما هو بمصرَ وإيرانَ بل الأشياخُ الكبارُ والصغارُ كما تقدم القولُ فيه في إفريقيَّة، فإنَّه ليسَ في الغربِ من يُطلَقُ عليه هذا الاسمُ كما يُعرفُ في مصرَ والشام أن هذا الاسمَ يصدقُ على حقيقةِ رجلٍ له عِدَّةٌ من الجُند.

---

(١) وردت بعدها عبارة: هذا ما، مشطوبة.

(٢) كذا رسمت في الأصل، ولم أفهم المراد منها.

قالَ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ محمدٍ السَّلاجيُّ:

والذي للأشياخِ الكبارِ على السلطانِ [الإقطاعاتُ الجاريةُ عليهم](١): يكونُ لكلِّ واحدٍ منهم (٥٥٦) في كلِّ سنةٍ عشرون ألفَ مثقالٍ من الذهبِ(٢) يأخذُها من قبائلَ وقرىً وضياعٍ وقلاعٍ، ويتحصلُ له من القمحِ والشعيرِ والحبوبِ في تلك البلادِ نحوُ عشرين ألفَ وَسْقٍ ،و[لكلِّ واحدٍ مع الإقطاعِ الإحسانُ](١) في [رأس](١) كلِّ سنةٍ [وهو](١) حصانٌ بسَرْجِه ولجامِه ،وسيفٌ ورمحٌ مُحلَّيان وسَبَنِيَّة، وهي بُقْجةُ قماشٍ فيها ثوبُ طردِ وحشٍ مذهبٌ إسكندريٌّ ويسمى عندهم الزَّردخانة، وثوبان بياض من الكَتَّان عملُ إفريقيَّةَ،وإحرامٌ وشاشٌ طولُه ثمانون ذراعاً، وقصبتانِ من ملفٌّ يعني من الجُوخ من أيِّ لونٍ كانَ وربما يزيدُ الأكابرُ [على ذلك](٣) ،وربما ينقصُ مَن لم يلحقْ بهذهِ الرتبةِ من أصاغرِ الأشياخِ.

وأما الأشياخُ الصغارُ فيكونُ لهم من الراتبِ والمجاسرِ نصفُ ما للأشياخِ الكبارِ، والحصانُ المسرجُ الملجمُ والسيفُ والرمحُ والكُسْوَةُ ،ومنهم من لا يلحقُ بهذه الرتبةِ فيكونُ أنقصَ.

وأما ما للجندِ فأعلى طبقاتِ الجندِ [المقربون](٤) إلى السلطانِ فيكونُ للرجل منهم ستونَ مثقالاً من الذهبِ في كلِّ شهرٍ وقليلٌ ما هم، وأما المُعْظَمُ فأعلى طبقتِهم من يكونُ له في الشهرِ ثلاثونَ مثقالاً ثم ما دونَها إلى أن تَتَناهى إلى أقلِّ الطبقاتِ وهي ستةُ مثاقيلَ في كلِّ شهرٍ، هذا المستقرُّ لهم وليسَ لأحدٍ منهم بلدٌ ولا مُزْدَرَعٌ، قالَ: وجميعُ أرزاقِهم ناصبةٌ

(١) إضافة من القلقشندي (صبح ٥/١٩٨) وبها يستقيم السياق.

(٢) وردت في الأصل متبوعة بعبارة: في كل سنة، وهي عبارة مكررة عن سابقتها.

(٣) إضافة من القلقشندي (صبح ٥/١٩٩).

(٤) في الأصل: المقربين.

إليهم مُيسرةٌ عليهم، قالَ:

ومن عادةِ هذا السلطانِ أن يجلسَ في بُكرةِ كُلِّ يومٍ، ويدخلَ عليه الأشياخُ الكبارُ، وهم في[1] دولتِه بمنزلةِ أمراءِ التوأمين بإيرانَ ومُقَدمي الألوفِ بمصرَ، ليسلموا عليه ثم يُمَدُّ لهم سماطُ ثرائدَ في جِفانٍ، وحولَها طوافيرُ وهي الخافي فيها أطعمةٌ ملونةٌ منوعةٌ، ومعها الحَلواء منها ما هو [بالسكَّر][2] ومعظمها بالعسلِ، ومنها النوعان مَوجودان إلا أنَّ السكَّرَ قليلٌ وجمهورُ ما يُعمَلُ من العسل من الحلواء بالزَّيتِ، فإذا أكلوا الطعامَ تفرقوا إلى أماكنِهم، وربما ركبَ السلطانُ بعدَ هذا [والعسكرُ معه وقد لا يركبُ][3] فأما أخرياتُ كُلِّ نهارٍ فقلَّ أن لا يركبَ إلى نهرٍ هناك بعد العصرِ، ويخرج في مكانٍ فسيحٍ من الصحراءِ (٥٥٧) فيقفَ به على نَشزٍ، ويركب العسكرُ حولَه ويتطارد قدامَه الخيلُ فتتطاعنَ الفرسانُ، وتتداعى الأقرانُ، وتمثل الحربُ لديه وتقام صفوفُها المرصوصةُ بينَ يديه كأنَّه حقيقةٌ يومُ الحربِ واللقاءِ على سبيلِ التَّمرين، ثم يعودُ في موكبِه إلى قصرِه وتتفرقُ العساكرُ إلى أماكنِهم، ويحضرُ العلماءُ والفضلاءُ والأعيان إلى مُسامرته ويُمَدُّ لهم سماطٌ بينَ يديه [فيأكلون][3]، ويؤاكلُهم في ذلك الوقتِ ‹و›لكاتبِ سرِّه معه خصوصيةُ اجتماع للأخذِ في المهم وعرضِ القصصِ والرِّقاعِ ويبيتونَ عندَه أكثرَ الليالي إلا كاتبَ السرِّ فإنه في بعضِ الليالي قد يأمرُه بالمبيتِ فيبيتُ بخاصته.

---

(١) وردت في الأصل متبوعة بكلمة: مصر، مشطوبة.

(٢) في الأصل: السكر.

(٣) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥ / ٢٠٠

وأما هيئةُ جلوسِه للمظالِم، فإنه يجلسُ على فُرُشٍ مَرفوعةٍ في قُبةٍ معلومةٍ للجلوسِ له بحضرتِه الأشياخُ [مقلَّدون][(١)] بسيوفِهم، فأما من لا له هذه الرتبةُ ولا له وضعٌ من ذوي السيوفِ، فإنهم إذا دخلوا إلى مجلسِ السلطانِ وقفوا بعيداً منه مُصطفينَ متكئينَ على سيوفِهم، وإذا أرادَ صاحبُ الشكوى إبلاغَ شكواه وهذا إنما يكونُ حينَ ركوبِه وظهورِه صاحَ من بُعدٍ: لا إلهَ إلا اللهُ انصرْني نصرَكَ الله، فيعلم أنه شاكٍ فتؤخذُ قصتُه وتُعطى لكاتبِ سرِّه فإذا رجعَ إلى مقرِّه اجتمع مع كاتبِ سرِّه، وقرأ عليه تلك القصةَ وغيرَها فينظرُ في ذلك بما رآه، وإذا سافرَ السلطانُ وخرجَ من قصره، ونزلَ بظاهرِ بلدِه وارتحلَ من هناك ضُرِبَ له طبلٌ كبيرٌ قبيلَ الصبح إشعاراً بالسفرِ فيتأهبُ الناسُ ويشتغلُ كلُّ أحدٍ بالاستعدادِ للرحيلِ، فإذا صُلِّيتْ صلاةُ الصبحِ ركبَ الناسُ على قبائلِهم وطبقاتِهم ومنازلِهم المعلومةِ، ووقفوا في طريقِ سلطانِهم صفاً بجانبِ صفٍّ. ولكلِّ قبيلٍ وجندٍ علمٌ معروفٌ به ومكانٌ في الترتيبِ لا يتعداه، فإذا صلَّى السلطانُ الصبحَ قعدَ أمامَ الناسِ ودارتْ عليه ما له مَن العبيدِ والوُصفانِ و[العُدْويين][(٢)] الذين هم كالنقباءِ ويجلسُ حولَه ناسٌ يُعرَفون بالطلبةِ يجري عليهم ديوانُه (٥٥٨) يقرؤون حزباً من القرآنِ الكريمِ، ويذكرونَ شيئاً من الحديثِ الشَّريفِ النبويِّ على قائلِه أفضلُ الصلاةِ والسَّلام، فإذا أسفرَ الصبحُ ركبَ وتقدمَ أمامَه العلمُ الأبيضُ الذي هو سَعْدُ الدولةِ، ويقالُ له: المنصورُ، وبينَ يديْه الرَّجَّالةُ بالسلاحِ والخيلِ المجنوبةِ[(٣)] ببراقعِ الوشيِ، والبراقعُ من ثيابِ السُّروجِ، وعندما يضعُ السلطانُ رجلَه في الرِّكابِ يُضرَبُ في طبلٍ

---

(١) في الأصل: مقلدين.

(٢) في الأصل: العديين، ولعله يقصد ما أثبتناه.

(٣) يقصد الجنائب كما يلي من السياق، واحدها جُنَيب، وهي خيول مسرجة معدة للركوب إذا اقتضت الضرورة، انظر: البقلي: التعريف، ص٩٢

كبيرٍ ثلاثُ ضرباتٍ يُقالُ له تريال إشعاراً بركوبه، ثم يسيرُ السلطانُ بينَ صفيَّ الخيلِ ويسلمُ كلُّ صفٍّ عليه بأعلا صوته: سَلامٌ عليكم، ويكتنفانه يميناً ويساراً، وحينئذ تُضربُ جميعُ الطبولِ التي تحتَ البنودِ الكبارِ الملونة خلفَ الوزيرِ على بعدٍ من السلطانِ، وربما ركبَ إلى جانبِه، ولا يَتقدمُ راكبٌ إلا عن بعدٍ كبيرٍ أمامَ العلمِ الأبيضِ إلا من يكونُ من خواصِّ عُلوجه، وربما يأمرُهم بالجَوَلانِ بعضَهم على بعض، ثم ينقطعُ ضربُ الطبولِ إلى أن يقربَ من المنزلِ، فإذا قربَ السلطانُ من المنزلِ وضُربتِ الطبولُ تتقدمُ الزَّمَّالةُ إلى المنزلِ، وهؤلاءِ هم الفرَّاشون، وتُضربُ شقةٌ من الكتَّانِ في قلبِها جلودٌ تقومُ بها عِصيٌّ وحبالٌ من القُنَّبِ في أوتادٍ، وتستديرُ على كثيرٍ من أخبيةٍ وبيوتِ الشَّعَرِ الخاصة به وبعيالِه وأولادِه الصغارِ، وتكونُ هذه الشُقَّةُ كالمدينةِ لها أربعةُ أبوابٍ في كلِّ جهةٍ[(١)] بابٌ، ويحفُّ به عبيدُه وعلوجُه ووُصفانُه.

قالَ السَّلاجيُّ:

وهؤلاءِ [بنو][(٢)] مَرين أكثرُ ميلِهم إلى بيوتِ الشَّعْرِ على عادتِهم الأولى في البداوةِ مع أنهم اليومَ ‹من› أشياخِهم مَن ضربَ أخبيةً كثيرةً مع البيوتِ ولهم في ذلك تنافسٌ، قالَ: ويُضْرَبُ للسلطانِ أمام ذلك قبةٌ كبيرةٌ مرتفعةٌ من كتَّانٍ تُسمى قبةَ الساقةِ لجلوسِه للناسِ فيها وحضورِهم [عندَه][(٣)] بها[(٤)]، وإذا ركبَ هذا السلطانُ لا يسايرُه إلا بعضُ الأشياخِ الكبارِ من بني مَرين أو بعضُ عظماءِ العرب، وكثيراً ما إذا استدعى أحداً (٥٥٩) لا يجيءُ إليه إلاَّ ماشياً فربما حَدَّثه وهو ماشٍ معه، وربما أكرمَه فأمرَه أن يركبَ، وإذا عادَ السلطانُ إلى

---

(١) يضيف القلقشندي (صبح ٥/٢٠٣): "وهذه الشقة هي المعبر عنها في الديار المصرية بالحوش".

(٢) في الأصل: بني.

(٣) في الأصل: عندهم.

(٤) يضيف القلقشندي (المصدر السابق): "وهذه – يقصد قبة الساقة – هي التي تسمى بمصر المدوَّرة".

حضرةِ مُلْكِه ضُربتِ البشائرُ[١] له سبعةَ أيامٍ، وأطعمَ الناسَ طعاماً شاملاً في موضعٍ يَسَعُ الجماهير.

وشعارُ هذه المملكةِ هو اللواءُ الأبيضُ المُقَدمُ الذكر، وهو المسمى عندَهم "العلمُ المنصورُ" كما وُصف، وهو أبيضُ مكتوبٌ بالذهب نسيجاً من الحرير آي من القرآنِ بدائرِ طُرَّته وحولَه أعلامٌ مختلفةُ الألوان.

ومن شعارِه إذا ركبَ في سفرِه من مدينةٍ أو يوم دخولِه أو في يومِ عيدٍ أن يركبَ الأشياخُ حولَه، وقدامَه محمولٌ سيفٌ ورمحٌ وترسٌ وهي الدارقةُ عندهم يحملُها ثلاثةٌ من خاصَّته من الوُصفان، وهم من خدَمةِ السلطانِ أو أبناءِ خدمِ أسلافِه، وحولَه من أهلِ الأندلسِ رَجَّالةٌ بأيديهم [الطَّبـرُزينات][٢]، وهي كالأطبارِ، وقوادُ النصارى الكبارُ بأيديهم ذلك وهم خلفَه، وقُدامَه خمسونَ نفراً مشاةً، وأوساطُهم مشدودةٌ ‹و›بأيديهم رماحٌ[٣] طوالٌ ورماحٌ قصارٌ بيدِ كُلٍّ واحدٍ منهم اثنان طويلٌ وقصيرٌ، [وكلٌّ منهم مقلَّدٌ][٤] مع ذلك بسيفٍ، وأمامه الجنائبُ وتُسمى عندَهم المُقاداتِ يجرُّها أناسٌ مشاةٌ وهي مُسْرَجَة مُلْجَمَةٌ وعلى السروجِ براقعُ حريرٍ منسوجٍ بالذهبِ وهي ثيابُ السروجِ، والسروجُ مخروزةٌ بالذهبِ خرزاً شبيهاً بالزَّركش، وركابُها ذهبٌ مسبوكٌ زِنَةُ ركابي السرجِ ألفُ مثقالٍ ذهباً، فأما تحليةُ

(١) ضُربت البشائر، أو دُقَّت: أعلنت، وكان يقوم بإعلان البشائر في مصر فرقة موسيقية بقلعة القاهرة، ولعلها فرقة الكوسية، انظر: البقلي: التعريف، ص٦٥

قلت: ولا أدري ما إذا كان مثل هذا التقليد متبعاً في المغرب أم لا.

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل، ولعله يقصد ما أثبتناه، والطبرزينات: هي الأطبار، واحدها طبر، وهو لفظ فارسي معناه الفأس، ويقال لحاملها: الطبْرَدار، انظر: القلقشندي: صبح ٥ / ٤٣٠، البقلي: التعريف، ص٢٢٨

(٣) وردت في الأصل متبوعة بعبارة: طول وهم خلفه وقدامه وبأيديهم رماح، وهي عبارة لا تخلو بعض ألفاظها من تكرار للعبارة السابقة.

(٤) في الأصل: وكلاً منهم مقلداً.

السُّروجِ بالأطواقِ وما يجري مَجْراها، فإنه لا يُعرَفُ عندَهم. ومن عادتِه في العيدين أنْ لا تُضرَبَ الطبولُ خلفَه إلا بعدَ أن يفرغَ من الصلاةِ والخُطبة.

قالَ السَّلاجيُّ:

وفي ليلةِ العيدين أو ليلةِ ورُودِ السلطانِ على حضرتِه ينادي والي البلدِ في أهلها بالمسير، ومعناهُ أن أهلَ كُلِّ سوقٍ يخرجون ناحيةً، ومع كلِّ واحدٍ منهم قَوْسٌ أو آلةُ سلاحٍ متجملين بأحسنِ الثياب، ويبيتُ تلكَ الليلةَ الناسُ أهلُ (٥٦٠) كلِّ سوقٍ بذاتِهم خارجَ البلدِ، ومع أهلِ كُلِّ سوقٍ علمٌ يختصُّ بهم عليه رَنْك أهلِ تلك الصناعةِ بما يناسبُهم، فإذا ركبَ السلطانُ بُكْرةً اصطفوا صفوفاً يمشون قدامَه، وركبَ هو والعسكرُ ميمنةً وميسرةً، والعلوجُ خلفَه [ملتفون][1] به، والأعلامُ منشورةٌ وراءه، والطبولُ خلفَها حتى يصليَ ثم يعودَ فينصرفَ أربابُ الأسواقِ إلى بيوتِهم، ولا يحضرُ طعامَ عيدِ السلطانِ إلا خواصُّه وأشياخُه، وله طعامٌ عامٌّ يحضرُه الضعفاءُ والمساكينُ.

وسألتُ أبا عبدِ اللهِ السَّلاجيَّ عن أرزاقِ القضاةِ والكتابِ عندَه، فقالَ:

أما قاضي القضاةِ فله في كلِّ يومٍ مثقالٌ من الذهبِ، وله أرضٌ يسيرةٌ يزرعُ فيها ما يجيءُ منه مؤونتُه وعَليقُ دوابِّه، وأما كاتبُ السرِّ، وهو الفقيهُ الإمامُ العالمُ الفاضلُ أبو محمدٍ عبدُ المهيمنِ بنُ الحَضْرمي[2]، فله في كلِّ يومٍ مثقالان من الذهبِ، وله مَجْسران يعني قريتَيْن يتحصلُ منهما مُتحصَّلٌ جيدٌ وله رسومٌ كغيرِه على البلادِ ومنافعُ وإرفاقات، ولكلِّ واحدٍ

---

(١) في الأصل: ملتفين.

(٢) توفي بتونس بالطاعون العام سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، ترجمته في: ابن خلدون: ٧/ ٢٤٠-٢٤١، المقري: نفح الطيب ٥/ ٤٦٤، مخلوف: شجرة النور، ص٢٢٠، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٨/ ٣٨٨-٣٩١.

منهما في كلِّ سنة بغلةٌ بسرجِها ولجامِها وسبَنيَّةُ قُماشٍ برسمِ الكُسوةِ نظيرُ ما للأشياخِ الكبارِ إلا الثوبَ الزَّردخاناه يعني الطردَوحش، قالَ:

وهذانِ هما المَحْبيَّانِ(١) والبقيةُ لا أعرفُ ما لهم، ولكن لا نسبةَ لأحدٍ إلى هذيْن الرجليْن، وإنما أعلمُ أنه تطلقُ الرواتبُ من المحارثِ والأرضِ للفقهاءِ والعلماءِ والفقراءِ والجُسارِ وهم أربابُ البيوتِ.

وأما ما يُكتَبُ عن هذا السلطانِ فمن عادته أنَّه إذا كُتبَ عنه كتابٌ يُكتبُ في أولِه بخطِّ الكاتبِ بعدَ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ والصلاةِ على النبيِّ ﷺ من أميرِ المسلمينَ المجاهدِ بهم في سبيلِ ربِّ العالمين [أبي الحسن عليٍّ ابنِ أميرِ المسلمينَ المجاهدِ بهم في سبيلِ ربِّ العالمين](٢) أبي سعيدٍ عثمانَ ابنِ أميرِ المسلمينَ المجاهدِ بهم في سبيلِ ربِّ العالمينَ أبي يوسُفَ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقِّ، فإذا انتهى الكتابُ إلى آخره وختمَه الكاتبُ بالتاريخِ، كتبَ هذا السلطانُ بخطِّه في آخرِه ما صورتُه: وكُتِبَ في التاريخِ المؤرخِ به.

قالَ أبو عبدِ اللهِ (٥٦١) السَّلاجيُّ:

ولم يكتبْ أحدٌ من ملوكِ بيتِه هذا بيدِه، بل كانَ كاتبُ السِّرِّ هو الذي يكتبُ هذا إلاَّ هذا السلطانُ أبو الحسنِ وأخوه أبو حَفصٍ عمرُ(٣) حينَ حياتِه هذا مع وثوقِه العظيمِ بكاتبِ السرِّ الفقيهِ الفاضلِ أبي مُحمدٍ عبدِ المُهيمنِ بن الحَضرميِّ واعتمادِه عليه ومشاركتِه

(١) كلمة غير واضحة في الأصل، ولعله يقصد ما أثبتناه.

(٢) إضافة من عندنا يقتضيها السياق، وقد تكون ساقطة من الأصل، لأن الرواية مختصة بالسلطان أبي الحسن وليس بوالده أبي سعيد عثمان، انظر ما يلي.

(٣) قتل في سجلماسة على يد أخيه السلطان أبي الحسن في ربيع الأول سنة ٧٣٤هـ/تشرين الثاني ١٣٣٣م، ترجمته في: ابن خلدون: ٧/٢٤٦-٢٤٧، وعمر فيه: أبو علي، وليس أبا حفص، ابن حجر: الدرر ٣/٢٥١-٢٥٢، الزركلي: ٥/٥٤، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٩/٢٨٧-٢٩٣، وانظر ما يلي من السياق.

[له في كلّ أمرِه] (١).

وأما هذا السلطانُ أبو الحسنِ في ذاته فإنه ممن أصلحَ اللهُ باطنَه وظاهرَه ،وعمرَ بالتقوى قلبَه وسائرَه (٢)، يُساوي العلماءَ ويُواسي الفقراءَ، معدودٌ في أبطالِ الرجالِ وشجعانِ الفرسانِ، تردُ علينا أخبارُه ما يراوحُ النسيمَ، ويُفاوحُ التسنيم، تداركَ اللهُ به أهلَ الأندلس، وقد جاذبتْ معاقلَهم الكفار، وثبَّتَ مدنَهم، وهي على شفا جُرفٍ هار، قد أجرى اللهُ على يديه أجرَ بقائِها في يدِ الإسلام، واستوقفَ به ظعائنَها وقد أذنتْ بسلام، وهو في هذا الطرفِ ماسكٌ بأوتادِه، سالكٌ فيه سبيلَ جهادِه، رادٌّ لأعداءِ اللهِ عن مُنى أطماعِهم، ما لاذ به خائفٌ إلا أجارَه، ولا أملَه آملٌ فخابَ ظنُّه، قد وسعَ الخَلْقَ بخُلقه، وجمعَ أممَهم على ما أطعمَه اللهُ من رزقِه، ولقد حدَّثني غيرُ واحدٍ عن خُلقِه وخلائقِه الرضيَّة، وآثارِه الوضيَّة، وكمالاتِه التامَّة وفضائله المنقية المرضيَّة، ما لحقَ به من سلفَ من السلف، وهو ممن لا يُثْنى له عن الجهادِ عِنان، ولا يُغمَدُ له سيفٌ ولا سِنان، حتى يستردَّ باقيَ ضالتِه المفقودة، وما استولى عليه العدوُّ من الأندلسِ من البلادِ، وجديرٌ بمَن هذه نيتُه أن يسهلَ اللهُ له ببلوغِ مرامِه، واستكمالِ ما بقيَ في أيامِه، وهو رجلٌ فتلَ الأيام، وفتلَ غاربَ الأنام، وخالطَ العلماء، وتأدبَ بآدابِهم وخاللَ الشجعانَ وزادَ عليهم، لو صدعَ الحجرُ لأنفذَه، أو صدفَ المتردي من السماكِ لأنقذَه، لا يلتفتُ طرفُه إلى ما نبذَه، ولا إلى ما تركَه من الدنيا أو ما أخذَه، فلو رمى البحر لما زخرَ زاخرُه، أو قذفَ الزمانُ لما دارتْ دوائرُه، وقد أحيا حولَه من صنائعِ آبائِه ومن اتبعَهم بهم من صنائعه، أسود غيل، وجنودُ صَريرٍ وصليل، لا يبدرُهم إلى إجابةِ صَريخ، ولا يخبرُهم بالطافِ المتجدد مسمع فرسٍ يصيح، (٥٦٢) بهمم غَطتْ على

---

(١) في الأصل: في أمر له، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥/٢٠٣

(٢) يجوز أن تكون محرّفة عن: سرائره.

مَن تقدَّم، وأنسَتْ: عنترَ والرماحُ كأنَّها أشطانُ بئرٍ في لَبانِ الأدهم[١].

وأما كيفيةُ انتقالِ المُلكِ إليه، فنقولُ وباللهِ التوفيقُ:

إنَّ هذا السلطانَ وُلِدَ بفاسٍ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وستِّ مئةٍ، وأخذَ المُلكَ عن أبيه أبي سعيدٍ عثمانَ، كانَ قد عهدَ إليه لما غضبَ على أخيه [أبي حفصٍ][٢] عمرَ، وكانَ عمرُ المرشحَ عندَ أبيه أولاً حتى خرجَ عمرُ على أبيهِ وغلبَه على فاسٍ ثم أخذَها أبوه منه، وحاصرَه في المدينةِ البيضاءِ مقدارَ خمسةِ أشهر، وكانَ عمرُ في هذه المدةِ ضعيفاً، فدخلَ العلماءُ والصلحاءُ بينهما فأعطاهُ سِجلْماسةَ، وأصارَ ولايةَ العهدِ إلى هذا السلطانِ أبي الحسنِ عليٍّ، ثم تغيرَ عليه بسببِ جرحِه لقمر خادمِه وهي التي بيدِها مفاتيحُ بيتِ المالِ، وذلك أنَّ أباه أبا سعيدٍ عثمانَ سافرَ لزيارةِ ضريحِ سلفِه بشالّة، وهو موضعٌ على مقربةٍ من سَلا، وتركَ ولدَه علياً خلفاً [عنه][٣] بفاسٍ فاحتاجَ إلى شيءٍ هو في بيتِ المالِ، فأرادَ أخذَه، وطلبَ من قمرِ المهاجرةِ المفاتحَ فأبتْ أن تمكنَه من ذلك ولا أن تبلغَه <ما> هنالك، فاغتاظَ عليها وجرَّدَ سيفاً كانَ مُعتقلاً[٤] به فجرحَها فبلغَ ذلكَ أباه فغاظَه ما سمعَ فكتبَ كتاباً، وأمرَ بعضَ الأشياخِ بمَسيرِه إليه يأمرُه فيه بالخروجِ من البلد<ة> الجديدة، وسُكناه بقصبةِ البلدِ العتيقةِ برأسِه ليسَ إلاَّ على فرسِه، وأن لا يركبَ معه أحدٌ من جيشِه، وسلبه عن كلِّ شيءٍ.

فلما بلغَه الكتابُ وهو في قصرِه حيثُ جلوسُه للناسِ قرأه وعرفَ ما فيه فأخذَه وألقاه على رأسِه وقبلَه بفيه، وخرجَ من حينِه إلى الموضعِ الذي رُسمَ له فيه، وبقي محجوراً مُدةً إلى أن

---

(١) تضمين لعنترة (ديوانه، ص٦٢) من بيته الشهير: يدعون عنتر ... وقد جرى فيه السياق مجرى السجع.

(٢) في الأصل: أبي علي، والتصحيح مما تقدم من النص، ص ٢١٣.

(٣) في الأصل: منه.

(٤) يجوز أن تكون محرفة عن: مُعتنقاً.

دخلَ العلماءُ والصلحاءُ والخطباءُ والأعيانُ فشفَّعهم فيه، ورضيَ عنه وأعادَه إلى ولايةِ العهدِ.

ثم إنَّ أباه توجَّه على قصدِ تِلِمْسانَ بسَببِ وصولِ الأميرِ أبي زكريا يحيى صاحبِ بجايةَ إليه لاستنجادِه لهم على ما تقدمتْ إليه الإشارةُ على عَدوِّهم المحاصرِ لهم [(١)]، فعرضَ له المرضُ، وصدَّه عن الوصولِ إلى تِلِمْسانَ ضعفٌ أصابَه في طريقِه، فرجعَ إلى مدينةِ تازي وهناكَ (٥٦٣) وصلتْهُ ابنةُ الأميرِ أبي بكرٍ [(٢)] في الأصطولِ الذي بعثَه إليها فرجعَ إلى فاسٍ واشتدَّ به المرضُ فماتَ بعقَبةِ البَقرِ قريبَ فاسٍ، وحينَ ماتَ والدُه وقف أبو الحسنِ راكباً فرسَه حتى بايعَه الناسُ ثم دخلَ فاساً ودفنَ أباه، وجلسَ موضعَه، واستقلَّ بالمُلكِ، وكتبَ إلى أخيهِ عمرَ يُعزِّيه بأبيهِ ويقرُّه على حالِه، فأبى عمرُ، وخرجَ فجهزَ إليه أبو الحسنِ ولدَه يعقوبَ [(٣)] ثم إنَّه في آخرِ الأمرِ قصدَه بنفسِه بالجيوشِ والعساكرِ، وأرادَ أن يقبضَ عليه، ثم دخلَ بينهما العلماءُ وأهلُ الصَّلاحِ فعفا عنه وأقرَّه على حالِه، وكُتبَت بينَه وبينَه وثيقةٌ مشهودةٌ بذلك، ثم بعدَ ذلك خرجَ أبو الحسنِ قاصداً إلى قتالِ [أخيه] [(٤)] عمرَ إلى ممالأةِ أهلِ تِلِمْسانَ عليه، فضربَ أبو الحسنِ وجهَه عن تِلِمْسانَ إلى سِجِلْماسةَ قاصداً لأخيه عمرَ فحاصرَه مدةً ثم إنَّه دخلَ عليه سِجِلْماسةَ، وأمسكَه قبضاً باليدِ، ووَجدَه قد ارتكبَ فظائعَ من المُحرَّماتِ من قتلِ عمِّه أبي البَقاءِ يعيشَ، وجمعَ بينَ حرائرَ ذواتِ عقودٍ أزيدَ مما أباحتِ الشريعةُ فاستفتى أبو الحسنِ عليه العلماءَ فأفتيَ بقتلِه، ففصدَه في يديْه وتركَه ينزفُ دمُه حتى ماتَ، واستقلَّ حينئذ أبو الحسنِ، وثُبِّتَتْ قواعدُ أركانه وانتشرتْ أعلامُ سلطانِه.

---

(١) راجع بهذا الخصوص الصفحات ١٤٧-١٤٨، ١٨٣

(٢) وذلك لتكون زوجاً لولده أبي الحسن على ما تقدم، ص، ١٨٢-١٨٣ .

(٣) هو أبو عبد الرحمن يعقوب، قتله أبوه في سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م، ترجمته في: ابن خلدون: ٧/ ٢٥٠-٢٥١، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ١٠/ ٢٧٣-٢٧٤

(٤) في الأصل: أخوه.

ووالدُه أبو سعيدٍ ورثَ المُلكَ عن أميرِ المسلمينِ أبي الربيعِ سليمانَ بن عبدِ اللهِ بنِ أميرِ المسلمين أبي يعقوبَ يُوسُفَ بن أميرِ المسلمين أبي يوسُفَ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ(١) .

وأبو الربيعِ ورثَ المُلكَ عن أخيهِ لأبيه أميرِ المسلمين [(٢) أبي ثابتٍ عامر(٣) .

وأبو ثابتٍ عامرٌ ورثَ الملكَ عن جدِّه أميرِ المسلمين أبي يعقوبَ يوسفَ بنِ أميرِ المسلمين أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ](٤)

وأبو يَعقوبَ ورثَ الملكَ عن أبيه أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ عبدِ الحقّ(٥) ، وهو أولُ من

(١) ورث أبو سعيد ملك المغرب عن أبي الربيع سليمان في سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م،واستمر به حتى وفاته في سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣١م،وقد تقدم القول في هذه المسألة ،١٤٧حاشية (٢) .

(٢) النص التالي ما بين الحاصرتين ورد في الأصل هكذا: أبي يوسف يعقوب، وأبو يحيى ورث الملك عن أبي يعقوب يوسف أمير المسلمين، وهو نص مضطرب يجعل من أبي يوسف يعقوب المذكور أخاً لأبي الربيع سليمان وهو والد جده (انظر نسب سليمان اعلاه)، كما يجعل من أبي يحيى زكريا بن عبد الحق المتوفى في رجب سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وارثاً للملك عن أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المتوفى سنة ٧٠٥هـ أو ٧٠٦هـ!

(٣) بويع أبو الربيع سليمان في طنجة بعد وفاة أخيه أبي ثابت عامر في صفر سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م، ومات برباط تازة في سلخ جمادى الآخرة سنة ٧١٠هـ/ تشرين الثاني ١٣١٠م، ودفن بصحن جامعها، ترجمته في: لسان الدين: اللمحة البدرية، ص٦٥، ٧٢، ابن خلدون: ٧/ ٢٣١-٢٣٣، القلقشندي: صبح ٥/ ١٩٢، وهو فيه أبو الربيع بن أبي يعقوب يوسف، وهو خطأ، ابن حجر: الدرر ٢/ ٢٥٣، ابن العماد: شذرات ٦/ ٩٧، الزركلي: ٣/ ١٢٨ .

(٤) ورث أبو ثابت عامر ملك المغرب عن جده أبي يعقوب يوسف في آواخر سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٦م،واستمر به حتى وفاته في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م ،وقد تقدم القول في هذه المسألة ،ص١٦٨ حاشية (١) .

(٥) ورث أبو يعقوب يوسف ملك المغرب عن أبيه أبي يوسف يعقوب في سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م،واستمر به حتى قتله في أثناء حصاره لتلمسان في سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٦م،وقيل في سنة ٧٠٦هـ،وقد تقدم القول في هذه المسألة ،ص١٦٩حاشية(٢) .

استقلَّ بالملكِ من ملوكِ بني مَرين[(١)].

وكان أصلُ انتقالِ الملكِ إليهم أن دولةَ الموحدينَ بمَرَّاكُش كانَ قد انحلَّ عِقْدُ نظامِها، وانثلَّ عِقدُ أيامِها لانهماكِ آخرِهم على اللذاتِ وتشاغلهم بها عن الأخذِ بالحزمِ في الأمور، وكانت قبائلُ بني مَرين رحالةً نزالةً أهلَ باديةٍ (٥٦٤) ذوي بأسٍ ومَنعة، فثارَ فيهم أبو يحيى أبو بكرٍ بنُ عبدِ الحقِّ[(٢)]، وجمعَ الجموعَ وتغلبَ على فاسٍ فملكَها وملكَ غيرَها من البلاد، ثم ماتَ أبو يحيى بنُ عبدِ الحقِّ، فقامَ أخوه أبو يوسفَ يعقوبُ[(٣)] بنُ عبدِ الحقِّ فقصدَ مَرَّاكُشَ فخرجَ إليه أبو دبوسٍ أبو العلاءِ إدريسُ[(٤)] فقُتِلَ أبو دبوسٍ وهو آخرُ من كانَ قد انتهى إليه المُلكُ من بني عبدِ المؤمنِ بنِ علي[(٥)] ومن يومئذٍ ظهرتْ دولةُ بني مَرين واستقلَّ سلطانُهم بالمغربِ الأقصى.

---

(١) المخصوص بالسياق هنا هو أبو يوسف يعقوب ،وقد ولى زعامة بني مرين بعد وفاة أخيه أبي يحيى أبي بكر في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ،ومات في سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م،بعد أن دان لهم ملك المغرب الأقصى،وقد تقدم القول في هذه المسالةص١٦٥حاشية(١)،وراجع أيضاً ص١٧١-١٧٢،وانظر مايلي من السياق.

(٢) في القلقشندي (صبح ٥ /١٩٠): أبو يحيى زكريا بن عبد الحق، وقد تقدمت الإشارة إلى وفاته بفاس في رجب سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م،ص١٧١ حاشية (٣).

(٣) في القلقشندي (صبح ٥ /١٩١): "وتصدى للقيام بأمره ابنه عمر، ومال أهل الحل والعقد إلى عمه أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وكان غائباً بمدينة تازا فقدم ثم وقع الصلح بينهما على أن ترك يعقوب الأمر لابن أخيه عمر على أن يكون له تازا وبلادها، ثم وقع الخلف بينهما والتقيا فهزم عمر ثم نزل لعمه يعقوب عن الأمر، ورحل السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق فدخل فاساً ممكنا ثم هلك عمر بعد سنة فكفي يعقوب شأنه واستقام سلطانه".

(٤) هو إدريس بن محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن استقل بأمر الموحدين وتلقب بالواثق بالله والمعتمد على الله إلى أن قتل بظاهر مراكش على يد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م، انظر: الحميري: ص٥٤١، وهو يؤرخ مقتل أبي دبوس سنة ٦٦٦هـ ابن خلدون: ٦/ ٢٦٤، القلقشندي: صبح ٥ /١٨٨-١٨٩

(٥) في القلقشندي (صبح ٥ /١٨٩): "وفر مشيخة الموحدين إلى معاقلهم بعد أن كانوا بايعوا عبد الواحد بن أبي دبوس".

الباب الرابع عشر

في مملكة الأندلس

‹في مملكةِ الأندلس›

المملكةُ الإسلاميةُ بالأندلسِ حماها اللهُ تعالى طولُ مسافتِها عشرةُ أيامٍ، وعَرْضُها ثلاثةُ أيام، وسلطانُها الآن أعني عامَ ثمانيةٍ وثلاثينَ وسبعِ مئةٍ هو يوسفُ بنُ إسماعيلَ بنِ فرجِ بن نصرٍ[(١)]، مستقرُّه غَرناطةُ[(٢)]، وهي الآنَ دارُ هذه المملكةِ، وأضخمُ بلادِها.

مدينةٌ كبيرةٌ مستديرةٌ رائعةُ المنظرِ، كثيرةُ الأشجارِ والأمطارِ والأنهارِ والبَساتينِ والفواكهِ، قليلةُ مَهبِّ الرياحِ، لا تجري بها الريحُ إلا نادراً لاكتنافِ الجبالِ إيَّاها.

وأصلُ أنهارِها نهرانِ عظيمانِ شِنِّيل وحَدَرُّه، أما شِنِّيل فينحدرُ من جبلِ شُلَيْر بجنوبِها، وهو طودٌ شامخٌ لا ينفكُّ عنه الثلجُ شتاءً ولا صيفاً، فهو لذلك شديدُ البردِ، وغَرناطةُ كذلك في الشتاءِ بسببه، إذ ليسَ بينَها وبينَه سوى عشرةِ أميالٍ.

وفي بردِ غَرناطةَ يقولُ [ابنُ صارة][(٣)]: ‹الطويل›

(٤) أحِلُّ لنا تَركُ الصلاةِ بأرضِكم وشُربُ الحُميَّا وهو شيءٌ مُحَرَّمُ

---

(١) هو الملك السابع من ملوك بني نصر بن الأحمر في الأندلس، ولي الملك بعد مقتل أخيه أبي عبد الله محمد في ذي الحجة سنة ٧٣٣هـ/ أيلول ١٣٣٢م، حتى مقتله غيلة يوم الفطر في سنة ٧٥٥هـ/ أيلول ١٣٥٤م، ترجمته في: لسان الدين: اللمحة البدرية، ص١٠٢-١١٢، القلقشندي: صبح ٥/٢٥٢-٢٥٣، ابن حجر: الدرر ٥/٢٢٧، الزركلي: ٨/٢١٧

(٢) الإدريسي: ٢/٥٦٩-٥٧٠، الزهري: ص٩٤-٩٦، ياقوت: ٤/١٩٥، الحميري: ص٤٥-٤٦، لسان الدين: اللمحة البدرية، ص٢١-٣٠

(٣) في الأصل: بن صدره ا ، والصواب ما اثبتناه، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن صارة أو سارة البكري الأندلسي الشنتريني، توفي بمدينة المريَّة في الأندلس سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م، ترجمته في: ابن خلكان: ٣/٩٣-٩٦، ابن العماد: شذرات ٤/٥٥، الزركلي: ٤/١٢٢-١٢٣

(٤) الأبيات الثلاثة التالية في الحميري (ص٣٤٣)، وقدم لها بالقول: "واستغفر الله من كَتب هذا الاستخفاف"، والقلقشندي (صبح ٥/٢٠٨)، وختمها بالقول: " قبحه الله ".

فِراراً إلى نارِ الجحيم [لأنها] (١) أرقُّ علينا من شُلَيْر (٢) وأرْحَمُ

لئن كانَ ربي مُدْخِلي في جَهنَّمٍ ففي مثلِ هذا اليومِ طابَتْ جَهَنَّمُ

وفيه عيونُ ماءٍ كثيرةٌ، وأشجارٌ مختلفٌ ألوانُها، وخصوصاً التفاحَ والقراسيا البعلبكية التي لا تكادُ توجدُ في الدنيا منظراً وحلاوةً حتى إنها ليعصرُ منها العَسلُ، وبها الجَوْز (٣)، والقَسْطَلُ، والتينُ، والأعنابُ، والخوخُ، والبَلُّوط وغيرُ ذلك.

وبذلك الجبلِ عقاقيرُ كعقاقيرِ الهندِ، وعشبٌ يستعملُ في الأدويةِ يعرفُها الشجَّارونَ (٥٦٥) لا توجد لا في الهندِ ولا في غيرِه.

ويمرُّ شِنِّيل على غربي غَرناطةَ إلى فَحْصها يشقُّ منها أربعين ميلاً بينَ بساتينَ وقرىً وضيعٍ كثيرةِ البيوتِ والعلالي (٤) وأبراجِ الحمامِ وغيرِ ذلك من المباني، وينتهي فحصُها إلى لَوشَةَ حيثُ أصحابُ الكهفِ على قول (٥).

وأما حَدَرُّه فينحدرُ من جبلٍ بناحيةِ مدينةِ وادي آش شرقي شُلَير فيمرُّ بينَ بساتينَ ومزارعَ وكرمات إلى أن ينتهيَ إلى غرناطةَ، فيدخلُها على بابِ الدفَّاف بشرقيِّها يشقُّ المدينةَ نصفيْن

(١) ساقطة من الأصل والإضافة من الحميري والقلقشندي، المصدرين السابقين.

(٢) في القلقشندي (المصدر نفسه): شُكَيْر.

(٣) في المصدر نفسه (٥/ ٢٠٩): الحَوْز، وهو العنب.

(٤) في المصدر نفسه (٥/ ٢٠٨): الغلال !

(٥) قال الزهري (ص٩٤): "رأيت هذا الكهف عام اثنين وثلاثين وخمسمائة، وعلى هؤلاء الأشخاص – يقصد أصحاب الكهف وعددهم خمسة – ملحفة من الكتان، وعلى رأس كل واحد منهم شاشية، غير انهم في خِلقتهم أعظم ما يكون من الناس في هذا الزمان وقد يبسوا، وأما حين كانوا أحياء فكانوا – والله اعلم – في أعظم خِلقة"

تطحنُ به الأرحاءُ بداخلِها وعليه بداخلِها قناطرُ خمسٌ: قَنطرةُ ابن رشيق، وقَنطرةُ القاضي، وقنطرةُ حَـمَّـامِ جـاش، والقَنطرةُ الجـديدةُ، وقنطرةُ العـود[١]، وعلى القناطرِ أسـواقٌ[٢] و[مبانٍ][٣] مُحكمةٌ، والماءُ يجري من النهرِ في جميعِ البلدِ في أسواقِه وقاعاتِه ومَساجدِه، يبرزُ في أماكنَ على وجهِ الأرضِ ويُخفي جداولَه تحتَها في الأكثرِ، وحيثُ طُلِبَ الماءُ وُجِد.

وقلعتُها[٤] حيث ‹مقرُّ› سلطانِها تُعرَفُ بالحمراءِ، وهي بديعةٌ متسعةٌ كثيرةُ المباني الضخمة والقصور، ظريفةٌ جداً يجري بها الماءُ تحتَ بُلُطٍ كما يجري في المدينةِ ولا يخلو منه مسجدٌ ولا بيتٌ، وبأعلى برجٍ منها عينُ ماءٍ، وجامعُها وجامعُ المدينةِ[٥] من أبدعِ الجوامعِ وأحسنِها بناء، وتُعلَّقُ بجامعِ الحمراءِ ثُرَيَّاتُ الفضة، وبحائطِ محرابِه أحجارُ ياقوتٍ مرصوفةٌ ‹و›في جملةِ ما نُمِّق به الذهبُ والفضةُ، ومنبرُه عاجٌ وآبَنُوس.

وبالمدينةِ جبلان يَشُقَّان [وَسْطَها][٦]، وفحصُها دورٌ حسانٌ وعلالي مشرفةٌ على الفحص فترى منظراً بديعاً من مُزدرعاتِه، وفروعُ الأنهارِ تسقيها وغيرُ ذلك مما يقصرُ عنه التخيلُ والتشبيهُ، يعرف أحدُ الجبلين بالحَزَّةِ وموزور، ويعرفُ الثاني بالقصبةِ القديمةِ وبالسَّند.

---

(١) في القلقشندي (صبح ٥/٢٠٩): الفود.

(٢) في المصدر نفسه: سواقٍ!

(٣) في الأصل: مباني.

(٤) بناها محمد (الأول) بن يوسف بن نصر المتوفى في منتصف جمادى الآخرة سنة ٦٧١هـ/ كانون الثاني ١٢٧٢م، انظر: القلقشندي: صبح ٥/٢٥١، سالم: المساجد والقصور، ص١٤١ .

(٥) بناهما السلطان محمد (الثالث) بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر المتوفى في أوائل شوال سنة ٧١٠هـ/شباط ١٣١١م، وقد هدم هذان الجامعان ولم يبق لهما أثر، انظر: سالم: المساجد والقصور، ص١٤١-١٤٢، ١٤٤ .

(٦) في الأصل: وسطهما، والتصحيح من القلقشندي، المصدر السابق .

وهنالك برجُ الديكِ عليه ديكُ نحاسٍ رأسُه رأسُ فرسٍ، وعليه صورةُ راكبٍ بحربةٍ ودرقةٍ من حيثُ هبتِ الريحُ دارَ وجهُ الراكب وباقي المدينة وطيء ولها ثلاثةَ عشرَ باباً : باب البيرةِ، وهو أضخمُها، وباب الكُحل (١) وهو باب الفخَّارينَ، وباب الخندقِ، وباب الرُّخاءِ، وباب المرضى، وباب المصـــرعِ (٥٦٦)، وباب الرملةِ، وباب الدباغين، وباب الطوابينَ، وباب الفخارين (٢)، وباب الدفَّاف، وباب البنودِ، وباب [الأسْدر] (٣).

وحولَ غرناطةَ أربعةُ أرباضٍ: ربَضِ الفخارين وربَضِ الأجل، وهو كثيرُ القصورِ والبساتينِ و[كلا] (٤) الربضيْن يلي شنِّيل وربَضِ الرملة، وربضِ البيازين الذي بناحيةِ بابِ الدفَّافِ، وهو كثيرُ العمارةِ يخرجُ منه نحوٌ من خمسةَ عشرَ ألفَ مقاتلٍ كُلُّهم شجعانٌ مقاتلون معتادونَ بالحروبِ، وهو ربَضٌ مُستقلٌ بحكامِه وقضاتِه وغيرِ ذلك.

وجامعُ غرناطةَ محكمُ البناءِ، بديعٌ جداً، لا يلاصقُه بناءٌ، تحفُّ به دكاكينُ للشهودِ والعطارينَ، وقد قامَ سقفُه على أعمدةٍ ظرافٍ، وبداخلِه الماءُ، وبه أسانيدُ منتصبونَ لإقراءِ العلوم وهو معمورٌ بالخيرِ كلَّ حين.

ومساجدُ المدينةِ و[رباطاتُها] (٥) لا تكادُ تُحصى لكثرتها ويقعدُ السلطانُ للناسِ بدارِ العدل بالسبيكةِ من الحمراءِ يومَ الاثنين ويومَ الخميس صباحاً فيُقرأُ بمجلسِه عُشْرٌ من القرآن وشيءٌ من حَديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، ويأخذُ الوزيرُ القصصَ من الناسِ، ويحضرُ معه المجلسَ الرؤساءُ من أقاربِه ونحوِهم.

---

(١) وردت في الأصل متبوعة بعبارة : وهو باب الفخارين، زائدة.

(٢) وردت في الأصل متبوعة بعبارة : وباب الخندق، وقد سبق ذكره في عداد الأبواب.

(٣) كلمة غامضة في الأصل والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥ /٢٠٧

(٤) في الأصل: كلي.

(٥) في الأصل: رباضاتها.

وأهلُ الأندلس لا يتعمَّمون بل يتعهدونَ شعورَهم بالتنظيفِ والحنَّاءِ ما لمْ يغلبِ الشيبُ، ويتطيلسُون فيُلقُون الطَّيْلَسانَ على الكتفِ والكتفيْن مطوياً طيَّاً ظريفاً، ويلبسُون الثيابَ الرفيعةَ الملونةَ من الصوفِ والكتَّانِ ونحوِ ذلك، واكثرُ لباسِهم في الشتاءِ الجوخُ، وفي الصيفِ البياضُ، والمتعممُ منهم قليل.

وأرزاقُ الجندِ بها ذهبٌ بحسبِ مراتبِهم، وأكثرُهم من برِّ العُدْوةِ من بني مَرين وبني عبدِ الوادِ وغيرِهم، والسّلطانُ يُسكِنُهم القصورَ الرفيعةَ وبينهم وبينَ الإفرنجِ حروبٌ ووقائعُ جمةٌ في كلِّ سنةٍ إلاّ أن يكونَ بينهم صلحٌ إلى أمدٍ، وحروبُهم سجالٌ تارةً [لهم وتارةً] [١] عليهم، والنصرُ في الأغلبِ للمسلمين على قِلَّتهم وكثرةِ عدوِّهم بقوةِ اللهِ تعالى.

وقد كانتْ لهم وقيعةٌ في الإفرنجِ سنةَ تسعَ عَشرَةَ وسبعِ مئةٍ على مرجِ (٥٦٧) غَرناطةَ قُتِلَ فيها من الإفرنجِ أكثرُ من ستينَ ألفاً وملكان بطره وجوان عمُّه، وبطره الآن معلقٌ جسدُه في تابوتٍ على بابِ الحمراءِ، وافتديتْ جبفُة [جوان] [٢] بأموالٍ عظيمةٍ، وحازَ المسلمون غنيمةً من أموالِهم قلَّما يذكرُ مثلُها في تاريخٍ [٣] ﴿وما النصرُ إلاَّ مِنْ عندِ اللهِ العزيزِ الحَكيم﴾ [٤].

وبالبلاد البحرية أسطولُ حراريقَ [٥] للغزوِ في البحرِ الشاميِّ يركبُها الأنجادُ من الرُّماةِ والمغاورين والرؤساءِ المهرةِ فيقاتلون العدوَّ على ظهرِ البحرِ، وهم الظافرون في الغالبِ،

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/٢٦٢

(٢) في الأصل: جوبان.

(٣) انظر بشأن هذه الوقعة: الذهبي: ذيل العبر، ص٥٢-٥٣، ابن خلدون: ٧/٢٤١-٢٤٢، ابن حجر: الدرر ٣/٥٠-٥١، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش ٩/٩-١١

(٤) سورة آل عمران (٣) آية: ١٢٦

(٥) الحراريق: ج حرَّاقة، وهي سفينة حربية مهمتها رمي النار على الأعداء، أو حمل الأسلحة النارية، انظر: البقلي: التعريف، ص١٠٤

ويغيرونَ على بلادِ النصارى بالساحلِ أو بقربِ [الساحلِ][١] فيستأصلونَ أهلَها ذكورَهم وإناثَهم ويأتون بهم بلادَ المسلمين فيبرزون بهم ويحملونهم إلى غرناطةَ إلى السلطانِ فيأخذُ منهم ما يشاءُ ويهدي ما يشاءُ ويبيعُ.

والبلادُ البحريةُ أولُها من جهةِ المشرقِ المَرِيَّةُ[٢]، وهي ذاتُ مرسىً على البحرِ الشاميِّ، وهو أول مراسي البلادِ الإسلاميةِ بالأندلس، وكانت العمارةُ قبل [البَجَّانَة][٣] فانتقلتْ إلى الساحلِ لمنافعِ الناسِ.

و[بَجَّانَة][٤] على وادي المَرِيَّةِ، وهي الآن قريةٌ عظيمةٌ جداً ذاتُ زيتونٍ وأعنابٍ وفواكهَ مختلفةٍ وبساتينَ ضخمةٍ كثيرةِ الثمرات.

ووادي المَرِيَّةِ يقالُ فيه إنَّه أبدعُ الأوديةِ على أنَّ الماءَ فيه يقلُّ في فصلِ الصيفِ، فيكونُ بالقِسْطِ للبساتينِ، ويبلغُ متصلاً بمرشانةَ[٥] وقراها أربعينَ ميلاً، والمَرِيَّةُ ثلاثُ مدنٍ[٦]:

الأولى من جهةِ الغربِ تُعْرَفُ بالحوضِ الداخليِّ لها سورٌ محفوظٌ من العدوِّ بالسُّمَّارِ

(١) في الأصل: بالساحل.

(٢) الإدريسي: ٢/٥٦٢–٥٦٤، الزهري: ص١٠١–١٠٢، ياقوت: ٥/١١٩–١٢٠، ابن سعيد: الجغرافيا، ص١٤٠، والمغرب ٢/١٩٣–١٩٤، وأفردها السيد عبد العزيز سالم في كتاب خاص بعنوان "تاريخ مدينة المرية الإسلامية"، فلينظر.

(٣) في الأصل: لبجاية، وبجاية مدينة في الجزائر، أما بَجَّانة هذه فهي من اعمال المرية بالأندلس، وكانت كرسي مملكة الأمويين إلى ان ضعفت وانتقل اهلها إلى المرية فعمرت، وخربت بجانة، انظر:
ابن سعيد: المغرب ٢/١٩٠، ياقوت: ١/٣٣٩، الحميري: ص٧٩–٨٠، سالم: تاريخ مدينة المرية، ص١٧–٣٢

(٤) في الأصل: لبجاية.

(٥) مرشانة: حصن بينه وبين المرية (١٨) ميلاً، انظر:ابن سعيد: المغرب ٢/٢٢٣، الحميري: ص٥٤٢ .

(٦) انظر تفصيل هذه المدن في: سالم: تاريخ مدينة المرية، ص١١٦–١٢٣ .

والحراسِ ولا عمارةَ بها، ويليها إلى الشرقِ المدينةُ القديمةُ، ويليها المدينةُ الثالثةُ المعروفةُ بمُصَلى المَرِيَّةِ، وهي أكبرُ الثلاثِ [ولها قلعةٌ](١) تحوزُ القديمةَ من جهةِ الشمالِ، وتسمى القصبةَ في ألسنتهم وهما قصبتانِ في غايةِ الحُسنِ والمَنَعة.

وساحلُ المَرِيَّةِ أحسنُ السواحلِ، وحولَها حصونٌ وقرىً كثيرةٌ، وجبالٌ شامخةٌ وجامعُها الكبيرُ(٢) بالمدينةِ القديمةِ، وهو بديعٌ.

والمَرِيَّةُ كثيرةُ الفواكهِ، وأما الحِنطةُ فبحسبِ السنينِ المطرةِ لأنَّ أكثرَ زرعِها بالمطرِ، وترتفقُ بما يُجلَبُ إليها من الحِنطةِ (٥٦٨) من بَرِّ العُدْوة.

وبها دارُ الصِّناعةِ لإنشاءِ الحَراريقِ لقتالِ العدوِّ، ويليها الآنَ ولاةٌ من صاحبِ غَرناطةَ، وقد كانتْ فيما مضى مملكةً مُستقلةً وبينها وبينَ غرناطةَ مسيرُ(٣) ثلاثةِ أيامٍ.

ويَلي المَرِيَّةَ من البلادِ البحريةِ من جهةِ المغربين(٤) شَلُوبين(٥)، وهي مُعَدَّةٌ لإرسالِ من يغضبُ عليه السلطانُ من أقاربِه ويرسلُ، ويُزرعُ بها [قصبُ](٦) السكَّرِ، وتقاربُها المُنَكَّبُ(٧)، وهي مدينةٌ دونَ المَرِيَّةِ، وبها أيضاً دارُ صناعةٍ لإنشاءِ السفنِ، وبها قصبُ

---

(١) في الأصل: وهي القلعة، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥/ ٢١٠ .

(٢) وهو المسجد الجامع فيها، ويرجع تاريخ بنائه ترجيحاً إلى عصر الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله، انظر: سالم: تاريخ مدينة المرية، ص١٥٠ .

(٣) ويجوز أن تكون: مسيرة.

(٤) كلمة غير واضحة في الأصل، والمراد بالمغربيين الأوسط والأقصى.

(٥) شَلُوبين: حصن بالاندلس على شاطئ البحر، ينسب إليها جماعة، وتعرف اليوم باسم (Salobrena)، انظر: ياقوت: ٣/ ٣٦٠، ابن سعيد: المغرب ٢/ ١٢٩ (شَلَوْبينة)، الحميري: ص .

(٦) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، المصدر السابق ٥/ ٢١١ .

(٧) المُنَكَّب: مرسى على البحر، يعرف حالياً باسم (Alumuneca)، انظر: الإدريسي: ٢/ ٥٦٤، الحميري: ص٥٤٨ .

السكرِ، والموزُ، ولا يوجدُ شيءٌ في بلدٍ من البلادِ الإسلاميةِ هناك إلاَّ فيها إلا ما لا يُعتَبَرُ، ويحملُ منها السكَّرُ إلى البلادِ، وبها زبيبٌ مشهورُ الاسمِ.

ويلي المُنَكَّبَ بلّش(١) وهي كثيرةُ التينِ والعنبِ والفواكهِ، قالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ السَّديد: إنه ليس في الأندلسِ أكثرُ عنباً وتيناً يابساً منها.

وأما مَالِقَةُ(٢) فمدينةٌ بديعةٌ كثيرةُ الفواكهِ، لها ربَضَان عامرانِ أحدُهما من عُلوِّها، والآخرُ من سُفلِها، وبها دارُ صناعةٍ لإنشاءِ الحراريقِ، وجامعُها بديعٌ وبصحنه نارنجٌ ونخلةٌ، وتختصُّ بعملِ صنائعِ الجلدِ كالأغشيةِ والحُزُمِ والمدوراتِ وبصنائع الحديدِ كالسكينِ والمقصِّ، [وبها الفخارُ](٣) المُذَهَّبُ الذي لا يوجدُ مثلُه في بلدٍ، والتينُ الغزيرُ الذي يُجلَبُ منها إلى جميعِ البلادِ الغربيةِ بالأندلسِ وغيرِها فيعمُّ البلادَ شتاءً وصيفاً فلا يكادُ يخلو منه دكانُ بياعٍ، واللَّوزُ مثلُه في الكثرةِ والحسنِ والطيبِ، وكذلك الزَّبيبُ، وهي خصيبةٌ جداً وفي تينِها يقولُ الشاعرُ(٤): ‹السريع›

مالقةٌ حُيِّيتَ يا تينَها ... فالفلكُ من أجلكَ ياتينَها

نهى طبيبي عنكَ في عِلَّتي ... ما لطبيبي عن حياتي نَهى

(١) ياقوت: ١/٤٨٤.

(٢) الإدريسي: ٢/٥٧٠، ياقوت: ٥/٤٣، ابن سعيد: المغرب ٢/٤٢٢-٤٢٥، الحميري: ص٥١٧-٥١٨، لسان الدين: معيار الاختيار، ص٨٧-٩١، ابن بطوطة: ص٦٦٩-٦٧٠.

(٣) في الأصل: بالفخار، والتصحيح من القلقشندي، صبح ٥/٢١٢.

(٤) البيتان في ابن بطوطة (ص٦٦٩) لأبي محمد عبد الوهاب بن علي المالقي، وفي المقري (نفح الطيب ١/١٥١): لأبي الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي المالقي.
وفي الحميري (ص٥١٨): "ولما ولي القاضي المحدث الشهير أبو محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري قضاء مالقة وقدم عليها، خرج طلبتها إلى لقائه فانشدهم"، وساق البيتين المذكورين.

قالَ ابنُ السديد : إن بها سُوقاً ممتداً لأطباقٍ تُعملُ من الخُوصِ إلى غيرِ ذلك مما يُعمَلُ منه. ويلي مالقةَ مدينةُ مَربَلّة(١) ، وهي صغيرةٌ كثيرةُ الفواكهِ والسمكِ.

وتليها أُشْبُونةُ(٢) ، وهي مثلُها ساحليةٌ كثيرةُ الفواكهِ.

ويلي أُشْبونةَ (٥٦٩) جبلُ الفتحِ(٣) وهو طودٌ شامخٌ يخرجُ في بحرِ الزُّقاقِ ستةَ أميال، وبحرُ الزُّقاقِ أضيقُ مكان في البحرِ الغربيِّ سعتُه ستةُ فراسخَ(٤) وجريةُ الماء به قويةٌ، ولا يكادُ يركدُ، ويُسَمى بحرَ القنطرةِ، والقنطرةُ جسرٌ أخضرُ من شلش إلى ألْش يراه المسافرون إذا سكنَ البحرُ(٥)، وشلش وألْش(٦) ما بينَ طريفٍ(٧) والجزيرةِ(٨) ، وقد كانَ هذا الجبلُ تملكُه الإفرنجُ منذُ

---

(١) الحميري: ص٥٣٤، القلقشندي: صبح ٥ / ٢١١

(٢) أُشْبُونة : هي لشبونة (Lisbonne) عاصمة البرتغال، انظر: الزهري: ص٨٥، ياقوت: ١ /١٩٥، ابن سعيد : المغرب ١ / ٤١٠-٤١١، الحميري: ص٦٥، القلقشندي: صبح ٥ / ٢١٤-٢١٥

(٣) يقصد جبل طارق، وإنما سمي بجبل الفتح لان مبدأ الفتح الاكبر إنما كان منه، ويعرف اليوم باسم (Gibraltar)، انظر: ابن سعيد : الجغرافيا، ص١٣٩، الحميري: ص٣٨٢، ابن بطوطة : ص٦٦٥

(٤) الزهري: ص١٢٨، ياقوت : ٣ /١٤٤-١٤٥، ابن سعيد : الجغرافيا، ص١٣٨-١٣٩، الحميري: ص٢٩٤-٢٩٥، وفي المصادر اختلاف في عرض بحر الزقاق.

(٥) يستفاد من الحميري (ص٢٩٤-٢٩٥، ٣٦١) أن هذه القنطرة كانت مبنية بالحجارة تمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب (طنجة) إلى الاندلس، وأنه قبل فتح المسلمين لمصر بمئة سنة (٥٤٠م) طمى ماء البحر (المتوسط) فاغرقها، قال: "وربما بدت هذه القنطرة لأهل المراكب تحت الماء فعرفوها".

(٦) ألْش : مدينة بالاندلس من اعمال تدمير، مشهورة بزبيبها، وبصناعة البسط الفاخرة، وتعرف اليوم باسم (Elche)، انظر: ابن سعيد : المغرب ٢ /٢٧٣، ياقوت: ١ /٢٤٥، الحميري: ص٣٠

(٧) طريف: تنسب إلى طريف بن مالك أحد موالي موسى بن نصير، نزل بها في سنة ٩١هـ / ٧١٠م في إطار التخطيط لفتح الاندلس، وتعرف اليوم باسم (Tarifa)، انظر:ابن سعيد : الجغرافيا، ص١٣٩، والمغرب ١ /٣١٩، الحميري: ص٩٢

(٨) كذا والسياق يقتضي أن تكون ألْش وحدها ما بين طريف والجزيرة الخضراء على الساحل الأندلسي، أما شلش فيتعين وجودها على ساحل المغرب طالما أن القنطرة المذكورة تصل ما بينهما على ما تقدم في العبارة السابقة.

سنينَ، ثم أعلاه الله إلى الإسلام منذُ قريب[(١)] وعَمَّره السلطانُ أبو الحسنِ المَرينيُّ، واتخذَه عتاداً لجنده إذا دخلوا الجزيرةَ لحربِ الكفار، وقد كانَ أسكنَه طائفةً من عسكرِه، وأخذَ الجزيرةَ الخضراءَ من السلطانِ يوسفَ بنِ الأحمرِ ملكِ الأندلسِ ليكونَ مستقراً لجيشِه، وأعاضَه عنها زروعاً تُؤدّى إليه، ومالاً يُؤدّى عنه، هكذا حدثني الثقاتُ من بني مَرين، والقاضي الفقيه إبراهيمُ بن أبي سالمٍ، ثم أخذتِ الفرنجُ الجزيرةَ الخضراءَ حين قُتل أبو مالكِ بنُ السلطانِ المَرينيِّ وانهزمَ جيشُه[(٢)] بعدَ النصرةِ العظمى[(٣)]، وحينئذٍ زادتِ الهممُ المَرينيَّةُ في تشييدِ هذا الجبلِ وتحصينه وتعميرِ ما عُمِّرَ منه، واللهُ يحمي هذا الملكَ لإكمالِ ما شرعَ فيه من غزوِ الفرنجِ واستعادة ...[(٤)] الإسلام منهم، وينصرُه النصرَ المُؤزَّرَ، ويفتحُ عليه الفتحَ المُبين، وهذا الجبلُ جبلٌ منيعٌ جداً يتمكنُ من حازَه من الجزيرةِ وسبتةَ وما بينهما.

ويلي الجبلَ الجزيرةُ الخضراءُ[(٥)] المشارُ إليها، وهي مدينةٌ محكمةٌ كثيرةُ الزرعِ والماشيةِ، وبها نهرٌ يُعرفُ بوادي العسلِ عليه بَساتينُ وأرحاء وغيرُ ذلك، وبها دارُ صناعة لإنشاءِ الحراريق، وهي آخرُ البلادِ البَحريّةِ الإسلاميةِ بالأندلس، وليس بعدَها [لهم بلادٌ][(٦)]، وهي

(١) استرجع جبل الفتح في ذي الحجة سنة ٧٣٣هـ/ آب١٣٣٣م في أيام محمد بن إسماعيل، أخي السلطان يوسف بن إسماعيل بن نصر، انظر: لسان الدين: اللمحة البدرية، ص٩٤، ابن خلدون: ٧/٢٤٧-٢٤٨، القلقشندي: صبح ٥/٢٥٣

(٢) وذلك في سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م، انظر: ابن خلدون: ٧/٢٥٢-٢٥٣

(٣) يقصد بعد النصرة العظمى المقدم ذكرها في استرداد جبل الفتح من الفرنجة، حيث كان أبو مالك المذكور أحد أبطالها.

(٤) أصل البياض كلمة غير واضحة.

(٥) الإدريسي: ٢/٥٣٩-٥٤٠، الزهري: ص٩٣، ياقوت: ٢/١٣٦، ابن سعيد: المغرب ١/٣٢٠-٣٢١، الحميري: ص٢٢٣-٢٢٤، القلقشندي: صبح ٥/٢١٣ .

(٦) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي، صبح ٥/٢١٣ .

بيدِ النصارى أعادَها الله وقصمَهم.

ومن البلادِ الكبارِ غيرِ البحرية رُنْدَةُ(١)، وهي والجزيرةُ الخضراءُ والجبلُ ومَرْبَلّهُ وما والاهم تحت يدِ صاحبِ برِّ العُدْوةِ السلطانِ أبي الحسنِ أحسنَ اللهُ إليه مراعاته، وبينَ رُنْدَةَ والجزيرةِ الخضراءِ مسيرةُ ثلاثة أيامٍ وهي جبليةٌ كثيرةُ الفواكهِ والمياهِ والحَرْثِ (٥٧٠) والماشيةِ، وأهلُها موصوفونَ بالجمالِ ورقّةِ البَشْرةِ واللُّطافة.

ويليها بلدةُ أنْتَقِيَرةَ(٢) ثم أرحصونةُ(٣) ثم لَوْشَةُ(٤) وبين المَرِيَّةِ وغَرناطةَ مدينةُ وادي آش(٥)، وهي بلدةٌ حسنةٌ بديعةٌ منيعةٌ جداً كثيرةُ المياهِ والفواكهِ والمزارعِ قريبةٌ من شنِّيل، فلذلك هي شديدةُ البردِ بسببِ الثلوجِ، وهي بلدةُ مملكةٍ وأهلُها موصوفون بالشِّعر، ويحكم بها الرؤساءُ وهم من قرابةِ السلطانِ أو من يستقلُّ بها [سلطاناً](٦) أو مَن خُلعَ من سلطانٍ بنفسه، والمياهُ تشقُّ أمامَ أبوابِها كغَرناطة.

ويليها مشرقاً بسطةُ(٧)، وهي كثيرةُ الزرعِ، واختُصَّتْ بالزعفرانِ، وبها [منه ما

(١) رُنْدَة: مدينة حصينة بالاندلس، وهي على نهر ينسب إليها، وبها زرع واسع وضرع سابغ، وتعرف اليوم باسم (Ronda)، انظر: ياقوت: ٣/٧٣-٧٤، الحميري: ص٢٦٩، القلقشندي: صبح ٥/٢١٣

(٢) أنْتَقيرة: حصن بين مالقة وغرناطة، انظر: ياقوت: ١/٢٥٩.

(٣) كذا رسمت في الأصل، ولم أهتد إلى تحقيقها.

(٤) لَوْشة: من أعمال البيرة بينها وبين غرناطة مرحلة من أحسن المراحل بين أنهار وظلال وأشجار في بساط بديع في حسنه، وتعرف اليوم باسم (Loja)، انظر: ياقوت: ٥/٢٦، ابن سعيد: المغرب ٢/١٥٧، الحميري: ص٥١٣.

(٥) وادي آش: كورة من أعمال البيرة، تعرف حالياً باسم (Guadix)، انظر: الحميري: ص٦٠٤-٦٠٥، لسان الدين: معيار الاختيار، ص١١٢-١١٣

(٦) في الأصل: السلطان.

(٧) ياقوت: ١/٤٢٢، الحميري: ص١١٣

يكفي][1] أهلَ الملةِ الإسلاميةِ بالأندلسِ على كثرةِ ما يستعملونَه.

وبهذه المملكةِ من البلادِ بُرْجَةُ[2] وبيرةُ[3] وأندرشُ[4]، وهي مدينةٌ ظريفةٌ كثيرةُ الخصبِ وتختصُّ بالفَخارِ لجودةِ تربتِها، فلا يوجدُ في الدنيا مثلُ فَخَّارِها للطبخِ.

وحصونُها كثيرةٌ جداً فليسَ بها من بلدٍ إلا وحولَه حصونٌ كثيرةٌ محفوظةٌ بولاةٍ من السلطانِ ورجالٍ تحتَ أيديهم وببعضها فرسانٌ مُرَتَّبون، وجندُ السلطانِ معظمُهم بغَرْناطة ثم بمالقةَ وبيرةَ، وبالثغورِ البريَّة.

وأما الثغورُ البحريةُ كالمَريَّةِ فليسَ لها حاجةٌ بالخيلِ إلا قليلاً، وحاجتُها إلى الحراريق آكدُ لأنَّ بلادَ البرِّ تَغزو وتُغزَى من البرِّ، وبلادَ البحرِ بالعكسِ، وأخبارُ الأندلسِ كثيرةٌ مما سبقَ عليه الكتابُ، وسلفَ حديثُه في سلفِ هذه الأبواب مما فيه كفايةٌ، وإليه انتهتِ الغايةُ.

***

---

(١) مكررة في الأصل.

(٢) برجة: من أعمال البيرة، انظر: ياقوت: ١/ ٣٧٤

(٣) بيرة: بليدة قريبة من ساحل البحر ما بين مرسية والمرية، انظر:المصدرنفسه: ١/ ٥٢٦ .

(٤) وتروى: أندراش، وهي بلدة من أعمال البيرة، وتعرف اليوم باسم (Andarax)، انظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٦٠، الحميري: ص٤٢ .

آخرُ الجزءِ الثاني من كتابِ "مسالكُ الأَبصارِ في ممالكِ الأمصار"، يتلوه إِن شاءَ اللهُ تعالى في الجزءِ الثالثِ البابُ الخامسَ عشرَ في ذكرِ العربِ الموجودين في زمانِنا وأماكنِهم.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآله وصحبِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

(٢) الباب الخامس عشر

في ذكر العرب الموجودين في زماننا وأماكنهم

〈توطئة〉

في ذكرِ العَربِ الموجود[ينَ](١) في زَمانِنا وأماكِنهم ومَضاربِ أحْيائِهم ومَساكنِهم على افتراقِ فرقِهم واختلافِ طوائفِهم وأشتاتِ قبائلِهم ومَنازلِهم من أطرافِ العراقِ إلى آخرِ المَغربِ دونَ من في اليمنِ وخُراسانَ، فإنه لم يتحرَّرْ لي [شيءٌ](٢) من أمرهم، وإنما ذكرتُ من عرفتُ منهم إذ لم يكنْ بدٌّ من ذكرِهم، وهم نُزَّالٌ حولَ الحاضرةِ، و[ذوو](٣)، توغلٍ في البادية، ومنهم أسوارُ المُدنِ، وحفَظَةُ الطرقِ، ولم يزلْ منهم أئمةٌ للطلائعِ، و[جناحٌ](٤) للجيشِ، ومنهم بممالكِنا بمصرَ والشام حفظةُ الدروب، والقَوَمةُ بخيلِ البريد، والحَملَةُ للسياقِ في غالبِ المملكةِ، ولم تزل الملوكُ تهش لوفادتِهم، وتهبُ لهم جزيلَ الأموالِ، وتُقطعُهم جُلَّ البلادِ، هذا إلى التنويه بأقْدارِهم، والتعويلِ على أخبارِهم، ورفعِهم في المجالسِ، وقد ذكرناهُم على ما هُم عليه الآنَ من النَسبِ مع ما حصلَ من التداخلِ في الأنْسابِ، والتَّباينِ في الأسبابِ، والتنقلِ في الديارِ، والتبدلِ بالأوطانِ، واعتمدْتُ في أكثرَ من ذلك على ما ذكرَه الأميرُ الثقةُ بدرُ الدينِ أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ أبي المعالي بنِ زَمَّاخٍ المعروفُ بابنِ سيفِ الدولةِ الحَمْدانيُّ المِهْمَنْدار(٥)، وما حدثني به الشيخُ الدليلُ النسَّابةُ

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/٦٩).

(٢) في الأصل: شيئاً.

(٣) في الأصل: ذوي.

(٤) في الأصل: جناحاً، والتصحيح من (ك/٦٩).

(٥) مات على رأس القرن ٨هـ/ ١٤م، وكان نسابة عصره، وغالب من جاؤوا بعده من المشتغلين بقبائل العرب وانسابهم عالة عليه بمن فيهم مؤلفنا، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٥/ ٢٣١-٢٣٢

محمودُ بنُ [عَرَّامٍ](١) من أصحابِ قناةَ بنِ [حارثٍ](٢) وهو من ذوي الثقةِ والعلمِ بقبائلِ العربِ وأنسابِها وبلادِها وتَفرقِ فِرقِها [في أغوارِها وأنجادِها، وأبوه عَرَّامُ بنُ كُويبِ بنِ خليلِ بنِ ماجدِ بنِ ثابتٍ](٣) بنِ ربيعةَ الذي يُنسَبُ إليه آلُ ربيعـةَ قاطبةً، إلى ما كنتُ نقلتُه عن أحـمدَ بنِ عبـدِ اللهِ الواصليِّ وغيرِه من مشْيخَةِ العربِ، وقد كان كلٌّ من الأميرِ فضلِ بن عيسى(٤) وموسى (٣) بنِ مُهَنَّا(٥) يحدثُني بطَرفٍ من أخبارِ العربِ، وكذلك ما نقلتُه عن الشريفِ أبي عبدِ اللهِ بنِ عُميرِ(٦) بنِ الإدريسيِّ من أخبارِ عربِ الغَربِ، وعن الشيخِ زكريّا المغربيِّ.

وقد صحَّحتُ ذلك بحسبِ [الجُهدِ](٧)، وما أَلامُ في تقصيرٍ في هذا البابِ الذي لم أتأنسْ قبلي بداخلٍ منه، والطريق الذي لم أجدْ غيري سابقاً فيه، ولا مُستَخبراً.

على أنه يلزمُ من ذكرِ العُربانِ الموجودين في زمانِنا الكلامُ على قبائلِ العربِ [البائدةِ](٨)

---

(١) في الأصل: غنام، والتصحيح مما يلي من السياق.

(٢) في الأصل: حادث، والتصحيح من (ك/٧٠).

(٣) ساقطة من الأصل، والإضافة من المصدر نفسه.

(٤) هو شجاع الدين فضل بن عيسى بن مُهَنّا بن مانع الطائي، مات في سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٩م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٣/٣١٤

(٥) هو مظفر الدين موسى بن مُهَنّا بن عيسى بن مُهَنّا بن مانع الطائي، توفي بتدمر في جمادى الأولى سنة ٧٤٢هـ/ تشرين الأول ١٣٤١م، ترجمته في: الحسيني: ذيل العبر، ص١٢٧، ابن كثير: البداية ١٤/١٩٣، ابن حجر: الدرر ٥/١٥٤ .

(٦) في (ك/٧١): عمر.

(٧) في الأصل: الجهة، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٨) في الأصل: البادية، ولن يشار إلى هذه الكلمة ثانية اكتفاء بالتنبيه عليها في هذا الموضع.

والعَاربةِ والمُسْتعربةِ لأنَّ هؤلاءِ أغصانُ تلك الشجرةِ، وفروعُ تلك الأصولِ، فلنتكلمْ عليهم على مقتضى ما ذكرَه المؤرخونَ، و[نسقْهم][(١)] إلى أنْ بزغتْ شمسُ الإسلامِ، وآن مولدُ النبيِّ ﷺ، وكانَ الأَوْلى أن نذكُرَ ذلكَ في جُملةِ سكانِ الأرضِ لنلحقَ بعضَه ببعضٍ، وإنما أتينا به لمناسبةٍ بينَه وبينَ الأبوابِ السابقةِ في ذكرِ الممالكِ، إذْ مساكنُ العُرْبانِ مُتَخللةٌ لأكثرِ الممالكِ التي ذكرناها، أو مجاورةٌ لها، وإذا تقدم شيءٌ عن موضعه [لمعنىً][(٢)] اقتضاه وأحيلَ على المتقدمِ في موضعِه كانَ أولى من تأخيرِه وإلفاتِ النظرِ إليه فنقولُ: قسَّمَ المؤرخونَ العربَ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: بائدةٍ وعاربةٍ ومستعربةٍ[(٣)].

أما البائدةُ فهم العرَبُ الأُوَلُ الذين ذهبتْ عنا تفاصيلُ أخبارِهم لتقادُمِ عهدِهم، وهم عادٌ وثمودُ وجُرْهمٌ الأولى[(٤)].

وأما العربُ العاربةُ، فهم عربُ اليمنِ من وَلَدِ قَحْطان.

وأما العربُ المُستْعربةُ، فهم من وَلَدِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهما السَّلامُ.

---

(١) في الأصل: نسوقهم.

(٢) في الأصل: بلغني، والتصحيح من (ك/٧١).

(٣) في السويدي (ص٣٦): العرب نوعان، عاربة، وهم العرب الأول (البائدة) الذين فَهمَّهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها، ومستعربة وهم الذين دخلوا في العربية بعد العُجمة، وهم بنو قحطان بن عابر وبنو إسماعيل عليه السلام، لأن لغة عابر وإسماعيل كانت عجمية، فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة ممن كان في زمنهم، وتعلم بنو إسماعيل العربية من جُرْهُم حين نزلوا عليه وعلى أمه بمكة، وقال: وهذا هو الذي ذهب إليه ابن إسحاق والطبري.

(٤) جرهم الأولى: قبيلة من العرب بادت واندرست آثارها، وهم غير جرهم التالي ذكرها في بني قحطان، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٦٦، ونهاية الأرب، ص١٩٦، السويدي: ص٤٠-٤١.

‹العربُ البائدةُ›

فالعربُ البائدةُ: طَسْم وجَدِيسٌ، وكانتْ مساكنُ هاتين القبيلتين باليمامةِ[(١)] من جزيرةِ العربِ، وكانَ الملكُ عليهم في طَسْمٍ، واستمروا على ذلك برهةً من الزمانِ حتى انتهى المُلكُ إلى رجلٍ ظلومٍ غَشومٍ قد جعلَ (٤) سُنَّتَه أنْ لا تُهدَى بِكرٌ من جَدِيسٍ إلى بَعلِها حتى تدخلَ عليه فَيفْترِعَها.

ولما استمرَّ ذلك على جديسٍ أنِفُوا منه، واتفقوا على أن دفنوا سيوفَهم في الرملِ، وعَملوا طعاماً للملكِ ودَعَوْه إليه، فلما حضرَ في خواصِّه من طَسْمٍ عَمدتْ جَديسٌ إلى سُيوفِهم فانتزعُوها من الرَّملِ وقتلوا الملكَ وغالبَ طَسْمٍ، فهربَ رجلٌ من طَسْمٍ وَشكا إلى تُبَّعِ بنِ حسَّانَ ملكِ اليمنِ، فسَار ملكُ اليمنِ إلى جَدِيسٍ وأوقَعَ بهم وأفنَاهُم، فلم يبقَ لطَسْمٍ وجَدِيسٍ ذكرٌ بعدَ ذلك[(٢)].

---

(١) اليمامة: وتسمى أيضاً بحَجْر، وهي مدينة حسنة خصبة معدودة من نجد، انظر: ياقوت: ٥/٤٤٢، ابن بطوطة: ص٢٨٠.

(٢) قارن هذه القصة – بتفصيل أوفى في الطبري (تاريخه ١/٦٢٩–٦٣٢) والمسعودي (مروج الذهب ٢/١١٤–١١٩)، ونشوان (القصيدة الحميرية، ص١٣٨–١٤٣)، وابن الأثير (الكامل ١/٣٥١–٣٥٤)، وابن خلدون (٢/٢٤–٢٥)، وفي المصادر اختلاف في اسم ملك اليمن.

‹العربُ العاربةُ›

والعربُ العاربةُ: بنو قحطانَ بنِ عابرِ بنِ شالخِ بنِ أرفَخْشَدَ بنِ سامٍ[1]، فمنهم بَنو جُرْهمٍ ابنِ قحطانَ[2]، وكانتْ منازلُهم بالحجازِ، ولما أسكنَ إبراهيمُ الخليلُ ابنَه إسماعيلَ عليهما السلامُ مكةَ، [كانت][3] جُرْهمُ نازلينَ بالقربِ من مكّةَ واتصلُوا بإسماعيلَ وزَوَّجُوه منهم، وصارَ من ولدِ إسماعيلَ العربُ المُسْتعرِبةُ لأنَّ أصلَ إسماعيلَ ولسانه كانَ عبرانياً، فلذلك قيلَ له ولولدِه العربُ المُسْتعرِبَة.

ومن العَربِ العاربةِ: بنو سَبأ، واسمُ سَبأ عبدُ شمسٍ، فلما أكثرَ الغزوَ والسَّبْيَ سُمّي سَبأً، وهو ابنُ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحطانَ، وسَيأتي نسبُ قحطانَ، وكانَ لسَبأ عدةُ أولادٍ، فمنهم حِمْيَرُ وكَهْلانُ[4] وغيرُهم، وجميعُ قبائلِ اليمنِ ومُلوكِها المُتتابعةِ من وَلَدِ سَبأ

---

(١) قلت: وهذا الذي ساقه المؤلف من نسبة قحطان لا يعدو أن يكون مقالة من بين مقالات كثيرة تفرق عليها النسابون، انظر بهذا الخصوص: المسعودي: مروج الذهب ٢/٤٤-٤٧، ابن عبد البر: ص٥١-٥٤، السويدي: ص٤٥، كحالة: ٣/٩٤٠.

(٢) وهم غير جُرهم الأولى المقدم ذكرها، انظر:القلقشندي: صبح ١/٣٦٦، ونهاية، ص١٩٦، السويدي: ص٤٥، الزركلي: ٢/١١٨، كحالة: ١/١٨٣.

(٣) في الأصل: وكانت.

(٤) حمير وكهلان: جذان قديمان، وبنوهما بطون كثيرة (انظر ما يلي من السياق)، وقد اختص حمير وبنوه بالملك بوصية من أبيه، أما كهلان فتقلد حماية الأطراف والثغور والحروب، ولما تقلص ملك حمير بقيت رئاسة العرب في البادية لبني كهلان، انظر: نشوان: القصيدة الحميرية، ص١٢-١٤، ابن خلدون: ٢/٢٤٧ فما بعدها، القلقشندي: صبح ١/٣٦٧، ٣٧٠، السويدي: ص٥٠، ٥٧، الزركلي: ٥/٢٣٥، كحالة: ١/٣٠٥-٣٠٦.

المذكور، وجميعُ تبابعةِ اليمنِ من ولَدِ حِمْيَرَ بنِ سَبأ خلا عِمْرانَ[(١)] وأخيه مُزَيْقِياءَ[(٢)] فانهما ابنا عامرِ بنِ حارثةَ بنِ امرئِ القيسِ بنِ ثَعلَبةَ بنِ مازنِ بنِ الأَزْدِ، والأَزْدُ من ولَدِ كَهلانَ بنِ سَبأ، وفي ذلكِ خلافٌ فنذكرُ هنا أحياءَ عربِ اليمنِ وقبائلَهم المنسوبينَ إلى سَبأ المذكورِ، ونبدأُ بذكرِ بني حِمْيَرَ بنِ سَبأ، فإذا انتهوا ذكرنا كَهلانَ بنَ سَبَأ حتى آخرِهم إن شَاءَ اللهُ [تعالى][(٣)].

---

(١) ويعرف بعمران الكاهن، كان تُبَّعاً، وكانت عاصمة ملكه مارب ومات بها، انظر: وهب بن منبه: التيجان، ص٢٦٤، الزركلي: ٥/ ٧٠ .

(٢) هو عمرو الملقب بمُزَيقياء، وبالبهلول، كان تُبَّعاً، وفي عهده خرب سد مارب، فرحل بجموع من قومه من مارب، وأدركه أجله بوادي عك بتهامة، وتفرق الأزد من بعده، انظر: وهب بن منبه: التيجان، ص٢٦٢، المسعودي: مروج الذهب ٢/١٦٧-١٧٣، الأشرف الرسولي: ص٥٥ .

(٣) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/٧٤).

‹بنو حِمْيَر بنِ سَبأ›

فمن بني حِمْيَر بنِ سَبأ: التبابعةُ، ومنهم:

قُضَاعةُ، وهو قُضَاعةُ بنُ مالكِ بنِ عَمْرو بنِ مُرَّةَ بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ حِمْيَرَ (١)، وكانَ قُضَاعةُ (٥) مالكاً لبلادِ الشِّحْرِ (٢)، وقبرُ قُضَاعَةَ في جَبلِ الشِّحْرِ.

وَمِنْ قُضَاعةَ كَلْبٌ (٣)، وهم بنو كَلْبِ بنِ وَبْرَةَ بنِ ثَعلبةَ (٤) بنِ حُلْوانَ بنِ [عِمْرانَ] (٥) ابنِ الحافِ بنِ قُضَاعَة.

وكانتْ بَنو كَلْبٍ في الجاهليةِ يَنزِلونَ في دُومَةِ الجَنْدلِ (٦) وتَبوك وأطرافِ الشّام.

---

(١) قلت: هذا قول القائلين قضاعة في حمير من القحطانية، وبعض النسابة يرون أن قضاعة من العدنانية، وأنه بِكْرُ ولد معد بن عدنان، وبه كان يكنى، انظر: ابن حزم: ص٤٤٠، ابن عبد البر: ص٥٤-٥٨، الأشرف الرسولي: ص٥١، ٧٨، القلقشندي: صبح ١/٣٦٧، السويدي: ص٥١، الزركلي: ٥/١٩٩، كحالة: ٣/٩٥٧-٩٥٨.

(٢) الشِّحْر: هو ساحل اليمن الممتد بينها وبين عمان، وأرض الشحر متصلة بحضرموت، وفيها قبائل المهرة، انظر: المسعودي: مروج الذهب ١/١٧٠-١٧١، البكري: معجم ما استعجم ٣/٧٨٣، ياقوت: ٣/٣٢٧-٣٢٨، الحميري: ص٣٣٨-٣٣٩.

(٣) ابن حزم: ص٤٥٥-٤٦٠، ابن عبد البر: ص١٠٥، القلقشندي: صبح ١/٣٦٨، الزركلي: ٥/٢٣٠، كحالة: ٣/٩٩١-٩٩٢.

(٤) في ابن حزم، والزركلي: تَغلِب.

(٥) في الأصل: علوان، والتصحيح مما تقدم من المصادر التي عرضت لنسب كلب، فضلاً عن أنه لا يوجد للحاف ولد اسمه علوان، ففي ابن حزم (ص٤٤٠) والأشرف الرسولي (ص٥١، ٧٨) أن ولد الحاف ثلاثة هم: عِمران وعمرو وأسْلم، وزاد السويدي (ص٧٣) عليهم: سناماً.

(٦) دُومَة الجندل: موضع ما بين الحجاز والشام، كما يعد فاصلاً بين الشام والعراق، انظر: البكري: معجم ما استعجم ٢/٥٦٤-٥٦٥، ياقوت: ٢/٤٨٧-٤٨٩، الحميري: ص٢٤٥، القلقشندي: صبح ٤/٢٩٧

وَمن مَشاهيرِ كَلْبٍ زهيرُ بنُ جَنّابٍ الكَلْبيُّ(١)، وهو القائلُ(٢): <الطويل>

الا أصبحتْ أسماءُ في الخَمْرِ تَعذُلُ ... وَتزْعُمُ أنّي بالسَّفاهِ مُوَكَّلُ

فقلتُ لها كُفّي عتابَكِ نصطبحْ ... وإلاّ فبِيني فالتعَزُّبُ أمثَلُ

ومنهم: حارثةُ الكَلْبيُّ(٣)، وهو أبو زَيْدِ بنِ حارثةَ مولى رسولِ الله ﷺ، وكانَ قد أصابَ ابنَه سَبْيٌ في الجاهليةِ، فصارَ إلى خَديجةَ زوجِ النبيِّ ﷺ، فوهَبَتْهُ للنبيِّ ﷺ، وأنشدَ ابنُ عبدِ البَرِّ في كتابِ "الصحابة"(٤) لحارثةَ المذكورِ يبكي ابنَه زَيداً لما فَقَدَه(٥): <الطويل>

بكيتُ على زيدٍ ولَم أدْرِ ما فَعَلْ ... أحيٌّ يُرجَى أم أتى دونَه الأجَلْ

تُذكّرُنيهِ الشمسُ عندَ طلوعِها ... وتعرضُ ذِكراهُ إذا قاربَ الطَّفَلْ(٦)

---

(١) توفي نحو سنة ٥٦٤م، وكان كما يقول الزركلي (٣/٥١):

"خطيب قضاعة وشاعرها وبطلها ووافدها إلى الملوك في الجاهلية، كان يدعى الكاهن لصحة رأيه، وعاش طويلاً، وهو أحد الذين شربوا الخمر صرفاً حتى ماتوا"، وللتوسع في أخباره، انظر:الأصبهاني: الاغاني ١٩/١٩-٣٥.

(٢) كذا، وفي أبو الفدا (المختصر ١/١٠٠) أن البيتين لزهير بن شريك الكلبي.

(٣) قارن ما يلي من السياق بشأن ولده زيد رضي الله عنه في ابن هشام ١/٢٣٠-٢٣١، وابن سعد ٣/٤٠-٤٢، وابن عبد البر، الاستيعاب ١/٥٤٤-٥٤٧، وابن الاثير، أسد الغابة ٢/٢٨١-٢٨٤، وابن حجر، الإصابة ١/٥٦٣-٥٦٤

(٤) يقصد كتاب "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، وهو أحد مصادرنا في التحقيق.

(٥) الاستيعاب ١/٥٤٦، ووردت أيضاً في ابن هشام، وابن سعد، وابن الاثير (المصادر السابقة)، وساق ابن حجر في الإصابة البيت الأول منها فقط.

(٦) الطفل: الوقت قبيل غروب الشمس، أو بعد العصر إذا طفلت (مالت) الشمس للغروب (المعجم الوسيط).

وإنْ [هبّت](١) الأرواحُ هَيَّجْنَ ذِكرَه فيا طولَ ما حُزني عليهِ ويا وَجَلْ

ثُم اجتمعَ حارثةُ بزيدٍ ولدِه عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، فخيَّرَه رسولُ اللهِ ﷺ فاختارَه على أبيهِ وأهلِه.

وَمن قُضاعةَ بَهْراءُ(٢).

وَمن قُضَاعةَ جُهَيْنَةُ(٣)، وهو قبيلةٌ عظيمةٌ يُنسَبُ إليها بطونٌ كثيرةٌ، وكانتْ منازلُها بأطرافِ الحجازِ الشّماليّ من جهةِ بَحرِ جُدّة.

وَمن قُضَاعَةَ بَلِيٌّ(٤).

ومن قضاعةَ تنوخٌ(٥)، وكانَ بينهم وبينَ اللَّخْميينَ ملوكِ الحيرةِ حُروبٌ.

---

(١) في الأصل: وهبت، والتصحيح من (ك/٧٦)، وما تقدم من المصادر.

(٢) هم بنو بَهْراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، والنسبة إليه بَهْرائي، انظر: ابن حزم: ص٤٤١، ٤٧٨، ابن عبد البر: ص١٠٦، القلقشندي: صبح ١/٣٦٩، ونهاية، ص١٧٢، السويدي: ص٨٣-٨٤، الزركلي: ٢/٧٦، كحالة: ١/١١٠.

(٣) هم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلُم بن الحاف بن قضاعة، والنسبة إليه جُهَني، انظر: ابن حزم: ص٤٤٤-٤٤٥، ٤٧٩، ابن عبد البر: ص١٠٧، واسم جده فيه: سَوْد بدلاً من ليث، القلقشندي: صبح ١/٣٦٨، السويدي: ص٨٣، الزركلي: ٢/١٤٢.

(٤) هم بنو بَلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، والنسبة إليه بلَوي، انظر: ابن حزم: ص٤٤٢-٤٤٣، ٤٧٩، ابن عبد البر: ص١٠٦، القلقشندي: صبح ١/٣٦٧، ونهاية، ص١٧٠-١٧١، السويدي: ص٧٥، الزركلي: ٢/٧٤-٧٥، كحالة: ١/١٠٤-١٠٧.

(٥) تنوخ: قبيلة من قضاعة، اختلف النسابون فيها، وقيل: تنوخ قبائل اجتمعت في البحرين وتحالفت على التتنخ أي المقام في مواضعها فعرفت بذلك، انظر: ابن عبد البر: ص١٠٦، القلقشندي: نهاية، ص١٧٨، الزركلي: ٢/٨٨.

وَمن قُضَاعةَ بنو سلِيحٍ[١]، وكانَ لهم باديةُ الشامِ فغلبَهم عليها ملوكُ غسَّانَ وأبادُوهم.

وَمن قُضَاعةَ بنو [عُذْرَةَ][٢] منهم عُروةُ بنُ حِزامٍ[٣]، وجميلٌ صاحبُ بُثيْنَة.

ومن قُضاعَةَ بنو نهْدٍ[٤]، منهم الصَقْعَبُ بُن عَمرو النَّهديُّ، وهو أبو خَالدِ[٥] بنِ الصَّقْعَبِ، وكان رئيساً في الإسلام.

وَمن بُطونِ حِميَر (٦): شَعْبانُ[٦]، ومنهم عامرٌ الشَّعْبيُّ[٧] الفقيه.

انتهى الكلامُ في بني حِمْيَر.

---

(١) هم بنو سَليح، واسمه عمرو بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، والنسبة إليه سَليحي، انظر: ابن عبد البر: ص١٠٨، القلقشندي: نهاية، ص٣/١١٥، الزركلي: ٣/١١٥ .

(٢) في الأصل: عذيرة، والتصحيح من (ك/٧٦)، وهم بنو عذرة بن سعد هُذَيْم بن زيد بن ليث من اسلُم ابن الحاف بن قضاعة، والنسبة إليه عُذْري، انظر: ابن حزم: ص٤٤٨-٤٤٩، ابن عبد البر: ص١٠٧، القلقشندي: صبح ١/٣٦٨، ونهاية، ص٣٢٦، الزركلي: ٤/٢٢٢ .

(٣) شاعر، ارتبط اسمه في تاريخ الأدب بابنة عمه عفراء، وقد قضى حباً بها بوادي القرى قرب المدينة المنورة في سنة ٣٠هـ/٦٥٠م، ترجمته في: الأصبهاني: الأغاني ٢٤/١٢٣-١٣٨، الزركلي: ٤/٢٢٦ .

(٤) هم بنو نهد بن زيد بن ليث من أسلُم بن الحاف بن قضاعة، وهو اخو جهينة المقدم ذكره، انظر: ابن حزم: ص٤٤٦-٤٤٧، ابن عبد البر: ص١٠٧، القلقشندي: صبح ١/٣٦٩ .

(٥) شاعر وفارس من أشراف الكوفة، توفي بعد سنة ٢٠هـ/٦٤٠م، ترجمته في:الزركلي: ٢/٢٩٧ .

(٦) هم بنو شعبان بن عمرو بن زهير، وقيل: ابن قيس، من الهَمَيْسَع بن حمير، انظر:ابن حزم: ص٤٣٣، القلقشندي: نهاية،ص٢٧٩، السويدي: ص٥٥، الزركلي: ٣/١٦٤، كحالة: ٢/٥٩٦ .

(٧) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي، تابعي، توفي فجاة بالكوفة سنة ١٠٣هـ/٧٢١م، ترجمته في: ابن سعد: ٦/٢٤٦-٢٥٦، ابن خلكان: ٣/١٢-١٥، الذهبي: سير ٤/٢٩٤

﴿ بنو كَهْلانَ بنِ سَبَأ ﴾

ومن بني كَهْلانَ بنِ سَبَأ المذكورِ أحياءٌ كثيرةٌ والمشهورُ منها سبعةٌ وهي: الأَزْدُ، وطيٌّ، ومَذْحِجُ، وهَمْدانُ، وكِنْدةُ، ومُرادٌ، وأنْمار.

﴿الأزْدُ﴾

أما الأَزْدُ(١)، فهم من وَلَدِ الأَزدِ بنِ الغَوْثِ بنِ نَبْتِ بنِ مالكِ بنِ أُدَدَ بنِ زيدِ بنِ كَهْلان.

فمن قبائلِهم الغَساسِنةُ(٢) مُلوكُ الشَّام، وهم بَنُو عَمْرو بنِ مازنِ بنِ الأَزْدِ(٣).

ومنهم: الأَوسُ والخَزرَجُ(٤) أهلُ يَثْرِبَ، وهم الأنصارُ رَضيَ اللهُ عَنهم.

ومن الأَزدِ: خُزَاعةُ، وبارقٌ، ودوسٌ، والعَتيكُ، وغافقٌ، فهؤلاءِ بطونُ الأَزد.

---

(١) ابن حزم: ص٤٧٣-٤٧٤، ٤٨٤، ابن عبد البر: ص٩٢ فما بعدها، الأشرف الرسولي: ص٤٦-٤٧، القلقشندي: صبح ١/٣٧٠-٣٧٢، السويدي: ص١٢١، الزركلي: ١/٢٩٠.

(٢) الغساسنة: نسبة إلى غسان، وهو اسم ماء ما بين زبيد ورِمَع بأرض اليمن نزل عليه بنو مازن بن الأزد بعد خراب سد مأرب فسموا به، والاختلاف في غسان كثير، انظر: وهب بن منبه: التيجان، ص٢٨١، المسعودي: مروج الذهب ٢/٨٣-١٧٣، الأشرف الرسولي: ص٥٧-٥٨، الحميري: ص٤٣٠، القلقشندي: صبح ١/٣٧١-٣٧٢، ونهاية، ص٣٤٨، كحالة: ٣/٨٨٤-٨٨٥، الموسوعة اليمنية: ٢/٧٠٦-٧٠٧ (الغساسنة).

(٣) هم بطن من الأزد، انظر: ابن حزم: ص٣٧٤-٣٧٥، القلقشندي: نهاية، ص٣٣٥، السويدي: ص٢٨٤

(٤) الأوس والخزرج: هما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو (مُزَيْقِياء) بن عامر من مازن بن الأزد، انظر: ابن عبد ربه: ٣/٣٤٢-٣٤٧، ابن حزم: ص٣٣٢، ابن عبد البر: ص٩٤-٩٥، الأشرف الرسولي: ص٤٦، القلقشندي: صبح ١/٣٧١، السويدي: ص٣٠٥-٣٠٦.

أما خُزَاعةُ(١) ، فإنها انخزَعتْ عن غيرِها من قبائلِ اليمن الذين تفرقُوا من سيلِ العَرِمِ، وَسكنت ببطنِ مَرٍّ(٢) على قُربٍ من مكةَ، وحصلتْ لهم سِدانةُ البيتِ والرئاسةُ، ولما اصطلحَ رسولُ اللهِ ﷺ مع قُريشٍ في عامِ الحديبيةِ دخلت خزاعةُ في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، وقد اختُلِفَ في نسبِ خُزَاعةَ بينَ المعَدِّيةِ واليَمانيَّةِ، والأكثرُ أنَّها يمانيةٌ، والذي تُنسَبُ إليه خُزاعةُ هو كعبُ [بن عمرو](٣) بنِ لُحَيٍّ(٤) بنِ حارثةَ بنِ عَمرو [مُزَيقِياء](٥) بنِ عامرِ بنِ حارثةَ ابنِ امرئِ القيسِ بنِ ثعلبةَ بنِ مازنِ بنِ الأَزْدِ، وقَد ذُكرَ عَمرو [مُزَيقِياء](٦) .

وما زالتْ سدانةُ البيتِ في خُزَاعةَ حتى انتهتْ إلى رجلٍ منهم يُقَالُ له أبو غُبْشان(٧)،

---

(١) هم بنو خزاعة، واسمه كعب بن عمرو بن لُحي بإجماع النسابين، بيد أنهم اختلفوا في نسب خزاعة بين اليمانية والمعدية لاختلافهم في عمرو بن لحي المذكور، ففيما ألحقه اليمانية ببني مازن بن الأزد (انظر ما يلي) فقد جعله نسابة مضر في ولد قَمَعَة بن خِنْدف وهو عمير بن إلياس بن مضر، وخندف أمه نسب إليها بَنوها من دون أبيهم إلياس، واصبَح هؤلاء بما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "رأيت عَمْرَو بن لُحي بن قَمَعَة بن خِندف أبا بني كعب (خزاعة) هؤلاء يجر قُصْبَه في النار"، انظر: ابن هشام: ١/٨٤-٨٥، ابن عبد ربه: ٣/٣٤٧-٣٥٠، ابن حزم: ص٢٣٣-٢٣٥، ابن عبد البر: ص٨١-٨٣، القلقشندي: نهاية، ٢٢٨، الزركلي: ٢/٣٠٤، ٥/٢٢٨، كحالة: ١/٣٣٨-٣٤٠ .

(٢) بطن مَر: ويعرف بمرّ الظهران، وهو واد مخصب كثير النخل، ومنه كانت تجلب الفواكه والخضر إلى مكة المكرمة، انظر: ياقوت: ١/٤٤٩، الحميري: ص٩٣، ابن بطوطة: ص١٣٠ .

(٣) ساقطة من الأصل ومن (ك/٧٧)، والإضافة من المصادر السابقة نفسها.

(٤) لُحي: هو ربيعة في النسب اليماني لخزاعة، قارن بما ورد بهذا الخصوص بابن عبد البر، ص٨١ .

(٥) في الأصل: بن مزيقياء، وعمرو هو مزيقياء، انظر: ابن حزم: ص٣٣١، ٣٦٧، ٤٧٣، الأشرف الرسولي: ص٥٥، وأماكن عدة.

(٦) في الأصل: بن مزيقياء، ولم يذكر مزيقياء من قبل.

(٧) هو أبو غبشان واسمه في ابن حزم (ص٢٣٦): المُحترِش بن حُلَيل بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب يعني خزاعة، وفي القلقشندي (صبح ٤/٢٦٨): سليمان بن عمرو الخزاعي، وقارن ما يلي من السياق بالميداني (مجمع الأمثال ١/٣٨٥-٣٨٦)، والقلقشندي، المصدر نفسه.

وكان في زمنِ قُصَيٍّ بنِ كِلاب، فاجتمعَ مع قُصَيٍّ بالطائفِ على شربٍ، فأسكرَه قُصَيٌّ، وَخَدعَه واشترى منه مفاتيحَ الكعبةِ بِزِقٍّ خمرٍ، وأشهدَ عليه، وتسلمَ المفاتيحَ، وأرسلَ ابنَه عبَد الدارِ بنَ قُصَيٍّ بها إلى مكةَ، فلما وصلَ إليها رفعَ صوتَه، وقالَ:

يا معاشرَ قُرَيشٍ هذه مفاتيحُ بيتِ أبيكم إسماعيلَ قد ردَّها اللهُ عليكم من غيرِ عارٍ ولا ظُلم، فلما صحا الخُزَا(عيُّ) ندمَ حيثُ لا تنفعُه النَدامةُ، فقيلَ: "أخْسرُ من بني غُبْشان"(١)، وأكثرتِ الشعراءُ القولَ في (٧) ذلك، فمنه: (البسيط)

باعتْ خُزَاعةُ بيتَ اللهِ إذْ سَكرتْ ... بِزِقِّ خَمرٍ فبئستْ صفقةُ البادي

باعتْ سِدانَتَها بالنَّزْرِ وانصرَفتْ ... عن المَقامِ وظلُّ البيتِ والنَّادي

وجمعَ قُصَيٌّ أشتاتَ قُريشٍ، وأخرجَ خُزاعةَ من مكةَ.

ومن خُزَاعةَ بنو المُصْطَلِق(٢) الذين غزاهم رسولُ اللهِ ﷺ(٣).

وأما بارقٌ(٤)، فهم من وَلَدِ عَمرو مُزَيقياءَ الأزْدي، نزلوا جبلاً بجانبِ اليمنِ يُقالُ له بارقٌ فسُمُّوا به(٥).

---

(١) في الميداني، والقلقشندي (المصدرين السابقين): أخسر من صفقة أبي غُبْشان.

(٢) هم بنو المصطلق، واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة، واسم ربيعة لحي وفق النسب المضري لعمرو ابن لحي، انظر: ابن حزم: ص٢٣٩، الزركلي: ٧/٢٤٧، كحالة: ٣/١١٠٤-١١٠٥.

(٣) ابن هشام: ٣/١٨٢-١٨٧، وكانت غزوة بني المصطلق في شعبان السنة السادسة للهجرة.

(٤) هم بنو بارق، واسمه سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو، وهو مُزيقياء، انظر: ابن حزم: ص٣٦٧، ابن عبد البر: ص٩٧، البكري: معجم ما استعجم ١/٢٢١، الزركلي: ٢/٤١، كحالة: ١/٥٧

(٥) في البكري، بارق: " جبل بالسواد قريب من الكوفة نزله سعد بن عدي ... فسمي بهذا الجبل بارقاً، فهم بنو بارق "، وفي ابن عبد البر: " وأما بارق فماء بالسراة فمن نزله أيام سيل العرم كان بارقياً ".

ومنهم مُعَقِّرُ بنُ حِمارٍ البارِقي[(١)] ذكرهَ صاحبُ "الأغاني"، وهو صاحبُ القصيدةِ التي من جُملَتِها البيتُ المشهور: <الطويل>

وألقتْ عَصاها واستقرَّ بها النَّوى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المُسافِرُ

وأما دَوْسٌ[(٢)]، فهو ابنُ [عُدْثانَ][(٣)] بنِ عبدِ اللهِ بنِ وَهْزانَ بنِ كعبِ بنِ الحارثِ بنِ كعبِ بن مالكِ بنِ نصرِ بنِ الأزد.

وسكنتْ بنو دَوْسٍ إحدى السَّرواتِ المطلةِ على تِهامةَ، وكانت لهم دولةٌ بأطرافِ العراقِ، وأولُ من ملكَ منهم مالكُ بنُ فَهْمِ بنِ غُنْمِ بنِ دَوْسٍ[(٤)]، وقدْ تقدمَ ذكرُ مالكِ بنِ فَهْمٍ ومَن ملكَ بعدَه[(٥)].

وَمن الدَّوْسِ أبو هريرةَ، وقد اختُلفَ في اسمِه، والصحيحُ عميرُ بنُ عامرٍ[(٦)].

وأما العَتيكُ[(٧)] وغافقٌ[(٨)] فقَبيلتانِ مَشهورتانِ في الإسلامِ، وهم من وَلدِ الأزد.

---

(١) هو مُعَقِّر بن أوس بن حمار بن الحارث البارقي الأزدي، شاعر وفارس، توفي نحو سنة ٥٨٠م، ترجمته في: الزركلي: ٧/٢٧٠.

(٢) ابن حزم: ص٣٧٦، ٣٧٩-٣٨١، ٤٧٣-٤٧٤، ابن خلدون: ٢/٢٤٨، الزركلي: ٣/٥.

(٣) في الأصل: عدنان، والتصحيح من (ك/٧٩).

(٤) قتل غيلة نحو سنة ١٥٧م، وخلفه على ملك الحيرة ولده جذيمة، ترجمته في: المسعودي: مروج الذهب ٢/٦٥-٦٦، الزركلي: ٥/٢٦٥.

(٥) لم يتقدم ذكر مالك بن فهم من قبل.

(٦) في ابن الأثير (أسد الغابة ٦/٣١٩): "وقد اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً لم يختلف في اسم آخر مثله ولا ما يقاربُه".

(٧) هم بنو العَتيك بن الأزد بن عمران بن مُزَيْقياء عمرو، والنسبة إليه عَتَكي، انظر: ابن حزم: ص٣٦٧-٣٧١، الزركلي: ٤/٢٠٢، كحالة: ٢/٧٥٤.

(٨) هم على قول: بنو غافق بن الشاهد بن عَك بن عُدثان بن عبد الله بن الأزد، انظر: ابن عبد البر: ص٩٧، وفيه اختلاف في نسق النسب عما سقناه، الزركلي: ٥/١١٣، كحالة: ٣/٨٧٥.

ومنِ الأَزدِ: بنو الجُلَنْدى(١) ملوكُ عُمان، والجُلَنْدى لقبٌ لكلِّ مَن مَلكَ عُمانَ منهم، وكان مُلْكُ عُمانَ في أيامِ الإسلام، قد انتهى إلى [جَيفَر وعَبَّاد](٢) ابني الجُلَنْدى، وأسلما مع أهلِ عُمانَ على يدِ عمرو بنِ العاص، انتهى الكلامُ في الأزد.

﴿ طيئ ﴾

وأما طَيئٌ(٣)، فإنها نزلتْ بعدَ الخروجِ من اليمنِ بسببِ سَيلِ العَرِمِ بنَجدِ الحجازِ في جبلَيْ أجَأ وسلْمى فعُرِفا بجبلي طَيئ(٤) إلى يومِنا هذا.

وأما طَيئٌ فهو [ابنُ](٥) أُدَدَ بنِ زيدِ بنِ كَهْلان(٦)، فمن بطونِ طَيئ: جَديلةُ(٧) ونَبهانُ(٨)

---

(١) هم بنو الجُلَنْدى بن كركر بن المستكبر بن مسعود، وهو والد جَيفَر وعَبَّاد التالي ذكرهما، انظر: ابن حزم: ص٣٨٤

(٢) الأصل، وفي (ك/ ٨٠): حبقر وعبد، والتصحيح من ابن حزم، ص٣٨٤ .

(٣) قيل: اسمه جُلْهُمَة، وطيئ لقبه، بنوه بطون وأفخاذ عديدة، والنسبة إليه طائي، انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/ ٣٦٤-٣٦٥، ابن حزم: ص٣٩٨-٤٠٠، ابن عبد البر: ص١٠٠، الأشرف الرسولي: ص٤٨-٤٩، ٦٥، القلقشندي: صبح ١/ ٣٧٢-٣٧٨، ونهاية، ص٢٩٧-٢٩٨ .

(٤) البكري: معجم ما استعجم ١/ ١٠٩-١١١، ٣/ ٧٥٠، ياقوت: ١/ ٩٤، القلقشندي: صبح ١/ ٣٧٢

(٥) ساقطة من الأصل، والإضافة مما تقدم من مصادر الحاشية(٣) .

(٦) قلت: لعل المؤلف أراد الاختصار في نسب طيئ، وإلا فهو في ضوء ما تقدم من المصادر التي عرضت له، طيئ بنُ أُدَدَ بنِ زيدِ بن يَشْجُبَ بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

(٧) هم بنو جَديلة بنت سبيع بن عمرو الطائي، والنسبة إليه جَدَلي، انظر: القلقشندي: صبح ١/ ٣٧٢، الزركلي: ٢/ ١١٤، كحالة: ١/ ١٧٢

(٨) هم بنو نبهان، واسمه سودان، بن عمرو بن الغوث بن طيئ، انظر: ابن حزم: ص٤٠٣، القلقشندي: صبح ١/ ٣٧٣، الزركلي: ٨/ ٧، كحالة: ٣/ ١١٧٠-١١٧١ .

وبَوْلانُ[1] وسلامانُ[2] وهُنَيءٌ[3] وسُدوسٌ[4] – بضم السين– وأما سَدوسٌ[5] التي في قبائلِ (٨) ربيعةَ بنِ نزارٍ فمفتوحةُ السِّين.

ومن سلامانَ: بنو بُحتُر[6] .ومن هُنيءٍ: إياسُ بنُ قَبِيصةَ الذي ملكَ بعَد النُّعمان[7] .

ومن طَيِّئٍ: عَمرُو بنُ المُسَبِّح[8] ، وهو من بني ثُعَلَ الطائيّ[9] ، وكان عَمرو أرمى الناسِ، وفيه يقول امرؤُ القيسِ: ‹المديد›

---

(١) هم بنو بَوْلان، واسمه غُصَين، بن عمرو بن الغوث بن طيئ، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٧٣، السويدي: ص٢٣٥، الزركلي: ٢/٧٨، كحالة: ١/١١٢ .

(٢) هم بنو سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، انظر: ابن حزم: ص٤٠١، القلقشندي: صبح ١/٣٧٣، كحالة: ٢/٥٣٠–٥٣١ .

(٣) هم بنو هُنَيء، أو هِناء بن عمرو بن الغوث بن طيئ، انظر: ابن حزم: ص٤٠٠، القلقشندي: صبح ١/٣٧٣، كحالة: ٣/١٢٣٠ .

(٤) هم بنو سُدوس بن أصمع من بني سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ، والنسبة إليه سُدوسي، انظر: ابن حزم: ص٤٠٤، القلقشندي: صبح ١/٣٧٣، الزركلي: ٣/٨٠، كحالة: ٢/٥٠٦ .

(٥) هم بنو سَدوس بن شيبان وسيأتي ذكرهم.

(٦) هم بنو بُحتُر بن عتود بن عنين بن سلامان المقدم ذكره، انظر: ابن حزم: ص٤٠١–٤٠٢، القلقشندي: صبح ١/٣٧٣، ونهاية، ص١٦٤–١٦٥ .

(٧) ولي إياس الحيرة سنة ٦٠٣م ثم نحي عنها بالنعمان بن المنذر، ثم وليها ثانية بعد مقتل النعمان على يد كسرى أبرويز نحو سنة ٦٠٨م إلى أن مات في سنة ٦١٨م، وهو قائد العجم في وقعة ذي قار، انظر: الزركلي: ٢/٣٣ (إياس بن قبيصة)، ٨/٤٣ (النعمان بن المنذر).

(٨) صحابي، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٢٤هـ/ ٦٤٥م عن مئة وخمسين سنة، ترجمته في ابن سعيد: ١/٣٢٢–٣٢٣، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٥٢٠، ابن الأثير: أسد الغابة ٤/٢٧٠–٢٧١، ابن حجر: الإصابة ٣/١٦، الزركلي: ٥/٨٦

(٩) هم بنو ثُعَل بن عمرو بن الغوث الطائي، انظر: ابن عبد ربه: ٣/٣٦٥، ابن حزم: ص٤٠٠–٤٠٢، القلقشندي: نهاية، ص١٨٠–١٨١ .

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ   مُخرجٍ كفيه من سُتَرِه [(١)]

ومن بني ثُعَلَ الطائيُّ زيدُ الخيلِ، وسمَّاه رسولُ الله ﷺ زيدَ الخَير [(٢)].

ومن طيئ حاتمُ طيئٍ المشهورُ بالكرم.

‹ مَذْحِج ›

وأما بنو مَذْحِج [(٣)]، واسمُ مَذْحِج مالكُ بنُ أُدَدَ [(٤)] بنِ زيدِ بنِ كهلانَ، وهم بطونٌ كثيرةٌ فمنها: خَوْلانُ [(٥)] و[جَنْبٌ] [(٦)]، ومنهم معاويةُ الخيرِ الجَنبي [(٧)] صاحبُ لواءِ مَذْحِج في

---

(١) كذا، وفي المطبوع من ديوانه (ص٧٥)، وردت هذه الشطرة هكذا: مُتلجٍ كفيه في قُتَرِه

(٢) هو زيد الخير بن مهلهل بن زيد بن مُنهب بن عبد رُضَى، صحابي سماه النبي ﷺ زيد الخير، توفي بالقرب من المدينة المنورة في السنة التاسعة للهجرة / ٦٣٠م، وقيل: بل مات في خلافة عمر رضي الله عنه، ترجمته في: ابن حزم: ص٤٠٣-٤٠٤، ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٥٦٣-٥٦٤، ابن الأثير: أسد الغابة ٢/٣٠١، ابن حجر: الإصابة ١/٥٧٢-٥٧٣، الزركلي: ٣/٦١.

(٣) ابن عبد ربه: ٣/٣٥٨-٣٥٩، ابن حزم: ص٤٠٥، ٤٧٦-٤٧٧، ابن عبد البر: ص١٠٠، الأشرف الرسولي: ص٤٨، ٦٤-٦٥، ابن خلدون: ٢/٢٥٤، القلقشندي: صبح ١/٣٧٨، الموسوعة اليمنية: ٢/٨٥٠-٨٥١ (مَذحِج) وفي المصادر اختلاف في اسم مَذْحِج.

(٤) قلت: ووفقاً لنسب طيئ أخي مَذْحِج يأتي بعد أُدَدَ هذا: زيد بن يَشْجُبَ بن عَريب، ولعل المؤلف أسقط هذه الأسماء اختصاراً.

(٥) هم بنو خَوْلان بن مالك وهو مذحج، وقيل: هم بنو عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن كهلان، انظر: ابن حزم: ص٤١٨، ابن عبد البر: ص١٠٠، القلقشندي: صبح ١/٣٧٨

(٦) في الأصل رسمت بصورة: حلب، والتصحيح من (ك/٨١)، وجنب اسم لستة بطون من يزيد بن حرب ابن عُلة بن جَلْد بن مَذحج، سموا بذلك لأنهم جانبوا ولد أخيهم صُداء بن يزيد وحالفوا عليهم سعد العشيرة، انظر: ابن حزم: ص٤١٣-٤١٤، القلقشندي: صبح ١/٣٧٨، وصداء فيه: عمهم

(٧) هو معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث، زوج بنت مهلهل بن ربيعة، انظر: ابن حزم: ص٤١٣.

حربِ بني وائلٍ، وكانَ مع تَغلِبَ[(١)] .

ومن مَذْحِج أَوْدٌ[(٢)] قبيلةُ الأَفْوهِ الأَوْديُّ الشاعر[(٣)] .

ومن بني مَذْحِجٍ بنو سَعدِ العشيرةِ[(٤)] ، وسُمِّي بذلك لأنَّه لم يمتْ حتى ركبَ معه من وَلَدهِ وولَدِ وَلَدهِ ثلاثُ مئةِ رجلٍ، وكان إِذا سُئِلَ عنهم يقولُ: هؤلاءِ عَشيرتي دَفْعاً للعينِ عنهم، فقيلَ له: سعدُ العشيرةِ لذلك.

ومن بطونِ سعدِ العشيرةِ [جُعفيٌّ][(٥)] ،وزُبَيْدٌ[(٦)] قبيلةُ عَمرو بنِ مَعدي كَربِ الزُّبَيْدِيِّ[(٧)] .

ومن بطونِ مَذْحِجِ النَّخَعُ[(٨)] ، ومنهم الأَشْترُ ‹النَّخَعيُّ› واسمُه مالكُ بنُ

(١) يقصد حرب البسوس.

(٢) هم بنو أَوْد بن صعب بن سعد العشيرة، انظر: ابن حزم: ص٤١٠-٤١١، القلقشندي: صبح ١/٣٧٩، السويدي: ص١٩٥ .

(٣) هو صُلاءة بن عمرو بن مالك، شاعر وحكيم يماني جاهلي، توفي نحو سنة ٥٧٠م، ترجمته في: الأصبهاني: الأغاني ١٢/١٩٨-٢٠٣، الزركلي: ٣/٢٠٦ .

(٤) هم بنو سعد العشيرة بن مالك، وهو مَذحِج، انظر: ابن حزم: ص٤٠٧-٤١٢، القلقشندي: صبح ١/٣٧٨-٣٧٩، ونهاية، ص٢٦٨ .

(٥) في الأصل: جُعْف، وهم بنو جُعْفي بن سعد العشيرة، انظر: ابن حزم: ص٤٠٩-٤١٠، الأشرف الرسولي: ص٤٨، ٦٥، القلقشندي: صبح ١/٣٧٩ .

(٦) هم بنو زُبَيْد، واسمه منبه بن صعب بن سعد العشيرة ويعرف بزُبَيد الأكبر، انظر:ابن حزم: ص٤١١-٤١٢، القلقشندي: صبح ١/٣٧٩، ونهاية، ص٢٤٨ .

(٧) توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه على خلاف في سنة ومكان الوفاة، ترجمته في: ابن سعد: ٥/٥٢٥-٥٢٦، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٥٢٠-٥٢٣، ابن الأثير: أسد الغابة ٥/١٥-١٧، ابن حجر: الإصابة ٣/١٨-٢١، الزركلي: /٨٦ .

(٨) هم بنو النَّخَع، واسمه جَسْر بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْد بن مَذْحِج، سمي النَّخَع لأنه انتخع عن قومه، أي بعد، انظر: ابن حزم: ص٤١٤-٤١٥، القلقشندي: صبح ١/٣٧٩، السويدي: ص١٥٠ .

الحارثِ(١) صاحبُ رسولِ الله ﷺ، ثم عليٌّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

ومن النَّخَعِ سِنانُ بنُ أنسٍ قاتلُ الحُسَيْن.

ومنهم القاضي شَريك(٢).

ومن مَذْحِجٍ عَنْسٌ بالنونِ(٣)، وهي قبيلةُ الأسودِ الكَذابِ العَنْسي.

وعَنْسٌ أيضاً رهطُ عمارِ بنِ ياسرٍ(٤) صاحبِ رسولِ اللهِ ﷺ.

‹ هَمْدان ›

وأما هَمْدانُ(٥)، فهم من وَلَدِ ربيعةَ بنِ حيانَ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كَهْلانَ، ولهم صيتٌ في الجاهليةِ والإسلام.

---

(١) توفي سنة ٣٧هـ/ ٦٧٠م، وهو في طريقه إلى مصر لتولي إمارتها من قبل علي رضي الله عنه، ترجمته في: ابن حجر: الإصابة ٣/٤٨٢، الزركلي: ٥/٢٥٩.

(٢) هو أبو عبد الله شَريك بن عبد الله بن الحارث النُّخَعي، توفي بالكوفة سنة ١٧٧هـ/٧٩٤م، ترجمته في: ابن خلكان: ٢/٤٦٤-٤٦٨، الذهبي: العبر ١/٢٠٨-٢٠٩، الزركلي: ٣/١٦٣.

(٣) هم بنو عَنْس بن مالك، وهو مَذْحِج، انظر: ابن حزم: ص٤٠٥-٤٠٦، القلقشندي: صبح ١/٣٨٠.

(٤) قتل يوم صفين في ربيع الأول أو ربيع الآخر سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م، ترجمته في: ابن سعد: ٣/٢٤٦-٢٦٤، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٤٧٦-٤٨١، ابن الأثير: أسد الغابة ٤/١٢٩-١٣٥، ابن حجر: الإصابة ٢/٥١٢-٥١٣.

(٥) هم بنو هَمْدان، والاختلاف في اسم هَمْدان ونَسَبه كثير، وما يلي من نسبه لا يعدو ان يكون مقالة من مقالات عدة تفرق عليها النسابون، انظر: ابن عبد ربه: ٣/٢٥٥-٢٥٧، ابن حزم: ص٣٩٢-٣٩٧، ابن عبد البر: ص١٠٤، الأشرف الرسولي: ص٤٧-٤٨، القلقشندي: صبح ١/٣٨٠.

‹كِندَة›

وأما كِنْدَةُ(١)، فهم بنو ثَوْرٍ، وثَوْرٌ هو كِنْدةُ بنُ عُفَيْرِ بنِ [عديٍّ](٢) بن الحارثِ من وَلَدِ زيدِ بنِ كَهْلانَ، وسُمِّي كِنْدةَ لأنَه كندَ أباه، أي كفرَ نعمتَه.

وبلادُ كِنْدةَ باليمنِ تلي حَضْرَمَوْتَ، وقد تقدمَ ذكرُ(٩) ملوكِهم(٣).

ومن كِنْدَةَ حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ(٤) صاحبُ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ، قتله معاويةُ صبراً.

ومنهم شُرَيْحٌ القاضي(٥).

ومن بطونِ كِنْدَةَ السَّكَاسِكُ(٦).

---

(١) ابن عبد ربه: ٣/٣٥٧-٣٥٨، ابن حزم: ص٤٢٥-٤٣٢، الأشرف الرسولي: ص٤٩-٥٠، ٦٤، القلقشندي: صبح ١/٣٨١، ونهاية، ص٣٦٦، الزركلي: ٥/٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) ساقطة من الأصل، ومن (ك/٨٢)، والإضافة من المصادر نفسها.

(٣) لم يرد لملوك كندة ذكر فيما تقدم من السياق.

(٤) قتل بمرج عذراء من قرى دمشق سنة ٥١هـ/ ٦٧١م، ترجمته في: ابن سعد: ٦/٢١٧-٢٢٠، ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٣٥٦-٣٥٩، ابن الأثير: أسد الغابة ١/٤٦١-٤٦٢، ابن حجر: الإصابة ١/٣١٤-٣١٥، الزركلي: ٢/١٦٩ .

(٥) هو شُرَيْحُ بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، توفي بالكوفة سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م، ترجمته في: ابن سعد: ٦/١٣١-١٤٥م، ابن خلكان: ٢/٤٦٠-٤٦٣، الذهبي: سير ٤/١٠٠

(٦) هم بنو السَّكْسك بن أشرس بن ثور، وهو كندة، والنسبة إليه سَكْسَكي، انظر: ابن حزم: ص٤٣١-٤٣٢، القلقشندي: صبح ١/٣٨١، الزركلي: ٣/١٠٥، كحالة: ٢/٥٢٧ .

والسَّكُونُ بنو أشرسَ بنِ كِنْدَةَ(١) .

فَمن السَّكونِ معاويةُ بنُ خُدَيج قاتلُ محمدِ بنِ أبي بكرِ الصِّديقِ(٢) رضيَ الله عَنهما .

ومنهم حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ السَّكُونيُّ(٣) الذي صارَ صاحبَ جيشِ يزيدَ بنِ معاويةَ بعدَ مُسْلمِ بنِ عُقْبَةَ ‹صاحبِ› نَوْبةِ الحَرَّةِ(٤) بظاهرِ مدينةِ الرسولِ صلّى اللهُ عليهِ وسَلَّم.

‹ مُراد ›

وأما مُرادٌ(٥) فبلادُهم إلى جانبِ زَبيدٍ من جبالِ اليمنِ، وإليهِ نَسبُ كُلِّ مُراديٍّ من عربِ اليمنِ.

---

(١) ابن حزم: ص٤٢٩–٤٣١، ابن عبد البر: ص٩٩، السويدي: ص٢١٩ .

(٢) صحابي، توفي بمصر سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م، وكان معاوية قد سيَّره في سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م على رأس جيش إلى مصر لأخذها من محمد بن أبي بكر عامل علي عليها، فقبض عليه وقتله، انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٤٠٦–٤٠٧، ابن الأثير: أسد الغابة ٥/ ٢٠٦–٢٠٧، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٣١، الزركلي: ٧/ ٢٦٠–٢٦١ (معاوية بن خديج)، ٦/ ٢١٩–٢٢٠ (محمد بن أبي بكر الصديق).

(٣) قتل مع عبيد الله بن زياد أمير جيش الشام في حربه مع إبراهيم بن الأشتر النَّخعي بالقرب من الموصل سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م، وقيل: سنة ٦٧هـ ترجمته في: الزركلي: ٢/ ٢٦٢، وانظر ما يلي من التحقيق.

(٤) وكان مسلم هذا، أو مسرف كما سماه أهل الحجاز قد غزا المدينة المنورة في سنة ٦٣هـ/ ٦٨٣م بعد أن خلعت طاعة يزيد، ونكل بأهلها، ثم خرج عنها إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير فهلك في الطريق فخلفه الحصين المذكور على قيادة الجيش، فسار حتى أتى مكة فحاصرها، ولم يرفع الحصار إلا بعد ورود الأنباء بوفاة يزيد، انظر: المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٦٨–٧٣، الزركلي: ٧/ ٢٢٢

(٥) هم بنو مُراد بن مالك، وهو مَذْحِج، ويقال: إن اسمه يحابر فتمرد فسمي مراداً، انظر: ابن حزم: ص٤٠٦–٤٠٧، القلقشندي: صبح ١/ ٣٨١، ونهاية، ص٣٧٣ .

‹ أنمار ›

وأما أنْمارٌ[١] ففرعانِ وهما: بَجيلةُ وخَثْعَم[٢]، وبجيلةُ رهطُ جَريرِ بنِ عبدِ الله[٣] صاحبِ رسولِ الله ﷺ، وكانَ يقالُ لهذا جريرٍ يوسفُ الأمةِ[٤] لحُسْنهِ وفيه قيلَ[٥]: ‹الرجز›

لولا جريرٌ هلكتْ بجيلةْ نِعمَ الفتى وبئستِ القبيلةْ

‹ بنو عَمْرو بن سَبَأ ›

وأما القبائلُ المنتسبةُ إلى عَمْرو بنِ سَبأ[٦] فمنهم لخْمُ بنُ عَدِيٍّ بنِ عمرو بنِ سَبأ[٧].

---

(١) هم بنو أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، انظر: ابن حزم: ص٣٨٧، القلقشندي: صبح ١/٣٨١-٣٨٢، الزركلي: ٢/٢٨ .

(٢) هما ابنا أنمار بن أراش، فأما بجيلة فاسمه عبقر، وبجيلة أمه غلب اسمها عليه، وهي بنت صعب بن سعد العشيرة.

وأما خثعم، واسمه أقيل، وقيل: أفتل، فامه هند بنت مالك بن الغافق بن الشاهد بن علك، وقيل: بجيلة وخثعم ابنا أنمار بن نزار بن معد بن عدنان الذي فارق إخوته ولحق باليمن، انظر: ابن حزم: ص٣٨٧-٣٩٢، ابن عبد البر: ص٨٧-٨٩، الأشرف الرسولي: ص٦٢-٦٣، القلقشندي: صبح ١/٣٨١-٣٨٢، الزركلي: ٢/٤٣، ٢/٣٠٢، كحالة: ١/٦٣-٦٥، ٣٣١-٣٣٢ .

(٣) توفي - على خلاف - في قرقيسياء سنة ٥١هـ/ ٦٧١م، ترجمته في: ابن سعد: ٦/٢٢، ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٢٣٢-٢٣٥، ابن الأثير: أسد الغابة ١/٣٣٣-٣٣٤، الذهبي: سير ٢/٥٣٠، والعبر ١/٤٠، ابن حجر: الإصابة ١/٢٣٢ .

(٤) ينسب هذا القول في ابن عبد البر، وابن الأثير، وابن حجر (المصادر نفسها) إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) ورد في المصادر السالفة غير منسوب.

(٦) هم بطن من القحطانية، انظر: كحالة: ٢/٨٣٢

(٧) لخم وأخوه جذام التالي ذكره هما ابنا عدي، وفي نسق نسبهما ما فوق عدي اختلاف كبير بين النسابين بمن فيهم النسابون المجمعون على نسبتهما إلى قحطان، وهناك من يخرجهما من القحطانية أصلاً ويلحقهما بعدنان، انظر-على خلاف- في هذه المسألة: ابن هشام: ١/١١، ابن حزم: ص٤٢٠-٤٢٥، ابن عبد البر: ص٩٠-٩١، الأشرف الرسولي: ص٤٩-٦٣، القلقشندي: صبح ١/٣٨٣-٣٨٨، وقلائد، ص٥٤-٧١، ونهاية، ص١٩١-١٩٢، ٣٦٧، السويدي: ص١٦٢ .

ومن لخمٍ بنو الدارِ (١) رَهْطُ تَميمِ الدَّارِيّ (٢). ومن لخمٍ المناذرةُ ملوكُ الحِيرةِ، وهم بنو عمرو ابنِ عديٍّ بنِ نصرٍ اللخميّ (٣)، وكانتْ دولتُهم من أعظم دول العربِ، وقد ذكرناهم (٤).

ومنهم [جذامُ بنُ عديٍّ بن عمرو بنِ] (٥) سَبأ، وهو أخو لخمٍ، وجميعُ جذام من ابنيه حَرام وحِشْم (٦).

وكان في بني جُذام (٧) الشرفُ، ومن بطونِ حِشْم بنِ جُذام عَتيبُ بنُ أسلمَ (٨).

‹بنو الأشْعرِ بنِ سَبَأ›

أما بنو الأشْعر بنِ سَبأ (٩)، فهم الأشْعريون، وهم رهطُ أبي موسى، واسمهُ عبدُ اللهِ بنُ قَيْس (١٠).

---

(١) هم بنو الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم، انظر: ابن حزم: ٤٢٢، القلقشندي: صبح ١/٣٨٨، الزركلي: ٢/٣٢٩.

(٢) صحابي مشهور توفي بفلسطين سنة ٤٠هـ/ ٦٢٠م، ترجمته في: ابن سعد: ٧/٤٠٨-٤٠٩، ابن عبد البر: الاستيعاب ١/١٨٤، ابن حجر: ١/١٨٣-١٨٤.

(٣) توفي بالحيرة في تاريخ غيرمعروف، وهو أول ملك للعراق من بني لخم، ترجمته في: الأشرف الرسولي: ص٦٣-٦٤، الزركلي: ٥/٨٢.

(٤) كذا، ولم يرد ذكرهم من قبل.

(٥) إضافة من عندنا يقتضيها السياق، وفقاً لنسب أخيه لخم المقدم ذكره.

(٦) القلقشندي: صبح ١/٣٨٣ فما بعدها.

(٧) في (ك/٨٤): حرام.

(٨) هم بنو عتيب، وقيل: عتيت، بن أسلم بن مالك بن شنوءة بن تديل بن حشم بن جذام، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٨٣-٣٨٤، ونهاية، ص٣١٧، السويدي: ص١٧٦، كحالة: ٢/٧٥٢.

(٩) قلت: وفي بني الأشعر هؤلاء من الاختلاف في نسبتهم مثل ما تقدم من الكلام على لخم وجذام لكن لم يخرجهم أحد من القحطانية، انظر: ابن عبد ربه: ٣/٣٦٥-٣٦٦، ابن عبد البر: ص١٠٠، الأشرف الرسولي: ص٤٩، ٦٦-٦٧، القلقشندي: صبح ١/٣٨٨-٣٨٩، ونهاية، ص٥١.

(١٠) توفي بمكة المكرمة، وقيل: بالكوفة سنة ٤٢هـ / ٦٦٢م، ترجمته في: ابن الأثير: أسد الغابة ٣/٣٦٧-٣٦٩، ٦/٣٠٦-٣٠٧.

‹بنو عامِلةَ بن سَبَأ ›

وأما بنو عامِلةَ بنِ سَبَأ[١] فمن القبائلِ الثمانيةِ[٢] التي خرجتْ إلى الشامِ زمنَ سيلِ العَرِمِ، ونزلوا قُربَ دمشقَ في جبلِ عاملةَ[٣]. فمن عاملةَ عَدِيُّ بنُ الرِّقاعِ[٤] الشاعرُ.

‹ العربُ المُستَعرِبة ›

وأما العربُ المسْتعرِبةُ فهم وَلَدُ إسماعيلَ، وقيلَ لهم المستعربةُ لأنَّ إسماعيلَ لم يكنْ لغتُه عربيةً بل عبرانيةً (١٠) ودخلَ في العربية فلذلك سُمِّيَ وَلَدُهُ المُستعرِبة.

سببُ سُكنى إسماعيلَ وأمِّه مكةَ [أنَّ][٥] ذلك كانَ بسببِ سارةَ رضيَ الله عنها، وأنَّ الله تعالى أمرَ إبراهيمَ أنْ يُطيعَ سَارةَ، وأنْ يُخرجَ إسماعيلَ عنها، فخرجَ إبراهيمُ من الشامِ ومعه إسماعيلُ، وقدمَ بهما مكةَ، وقال: ﴿ **ربِّ إني أسْكَنْتُ من ذُرِيَتي بوادٍ غيرِ ذي زَرْعٍ عندَ بيتِكَ المُحَرَّمِ** ﴾[٦] فانزلهما إبراهيمُ هناكَ وعادَ إلى الشامِ، وكانَ عُمرُ إسماعيلَ أربعَ

---

(١) **قلت**: وكذا وقع في بني عاملة من الاختلاف مثلما تقدم في لخم وجذام والأشعر، وهناك من عدهم من العدنانية، انظر: ابن عبد ربه: ٣/٣٦٧–٣٦٨، ابن عبد البر: ص٨٩–٩٠، القلقشندي: صبح ١/٣٨٩، ونهاية، ص٣٠٣، الزركلي: ٣/٢٥٦ .

(٢) في (ك/٨٤): اليمانية.

(٣) جبل عاملة: هو جبل ممتد في شرقي ساحل البحر (اللبناني) وجنوبه حتى يقرب من مدينة صور، نزله بنو عاملة بنت سبأ بعد تفرقهم بسيل العرم، فعرف بهم، انظر: القلقشندي: صبح ٤/٨٩ .

(٤) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقّاع، توفي بدمشق نحو ٩٥هـ/ ٧١٤م، ترجمته في: المرزباني: معجم الشعراء، ص٨٦–٨٧، الزركلي: ٤/٢٢١

(٥) في الأصل: وأن.

(٦) سورة إبراهيم (١٤) آية: ٣٧ .

عَشْرةَ سنةً، وذلك لمضيٍّ مئةِ سنةٍ من عمرِ إبراهيمَ، فمن سُكْنى إسماعيلَ عليهِ السلامُ مكةَ إلى الهجرةِ ألفانِ وسبعُ مئةٍ وثلاثٌ وتسعونَ سنةً، وكانَ هناكَ قبائلُ جُرهمٍ، فتزوجَ إسماعيلُ منهم امرأةً، وَولدتْ له اثني عشرَ ولداً ذكراً فمنهم قَيْدار، وماتت هاجرُ ودُفنت بالحِجْرِ [١]، وماتَ إسماعيلُ ودُفنَ معها، وقد اختلَفَ المؤرخونَ كثيراً في أمرِ مُلْكِ جُرْهُمٍ على الحجازيينَ وبني إسماعيلَ، فمن قائلٍ: المُلْكُ على الحجازيينَ في جُرْهُمٍ ومفتاحُ الكعبةِ في وَلدِ إسماعيلَ، ومن قائلٍ إنَّ قَيْدارَ تَوَّجَتْه أخوالُه، وعقدوا له المُلكَ عليهم بالحجازِ، وأما سِدانةُ البيتِ ومفاتيحُه فكانت مع بني إسماعيلَ بغيرِ خلافٍ حتى انتهى ذلك إلى نابتٍ من بني إسماعيلَ، فصارَت السِّدانةُ بعدَه لجُرْهُمٍ، ويدلُّ على ذلكَ قولُ عامرِ بنِ الحارثِ الجُرْهُمي [٢] من قصيدتهِ منها: ‹الطويل›

وكُنّا ولاةَ البيتِ من بعدِ نابتٍ … نَطوفُ بذاكَ البيتِ والأمْرُ ظاهرُ
كأنْ لم يكنْ بينَ الحَجُونِ [٣] إلى الصَّفا … أنيسٌ ولم يَسْمرْ بمكةَ سَامرُ
بلى نحنُ كُنّا أهلَها فأبادَنا … صُروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ

ثم ولد لقيدار ابنهُ حَملٌ، ثُمَّ وُلِدَ لحَملٍ نَبْتٌ، ويقالُ: نابتٌ، وقيل: هو ابنُ قيدار، وقيلَ: ابنُ إسماعيلَ، وفي ذلكَ خِلافٌ.

---

(١) يقصد حِجْرَ الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة فسمي حجراً لذلك، انظر: ياقوت: ٢/٢٢١

(٢) الأبيات من قصيدة طويلة اختلف في صاحبها اختلافاً يضيق التحقيق عن استيعابه، انظر بهذا الخصوص: ابن هشام: ١/١٠٥-١٠٦، المسعودي: مروج الذهب ٢/٢٢٣، الأصبهاني: الأغاني ١٥/١٦-١٧، ابن جبير: رحلته، ص٧٨، ياقوت: ٥/١٨٦، ابن خلدون: ٢/٣٢٥-٣٢٦، القلقشندي: صبح ٤/٢٦٧، وذكرت كرافولسكي (ك/٨٦) مزيداً من المصادر فلتنظر.

(٣) الحَجون: جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها، وقيل: هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين، انظر: البكري: معجم ما استعجم ٢/٤٢٧، ابن جبير: رحلته، ص٧٨، ياقوت: ٢/٢٢٥

ثم وُلِدَ لنَبْتٍ سَلامانُ، ثم وُلِدَ لسلامانَ الهُمَيْسَعُ، ثُم وُلِدَ للهُمَيْسَعِ اليسعُ، ثمَّ وُلِدَ (11) لليسعِ أُدَدُ، ثمَ وُلِدَ لأُدَد أُدٌّ ، ثم وُلِد لأدٌّ ابنُه عَدنانُ[1] ثُم وُلِدَ لعدنانَ وَلدان، وهما عَكٌّ، ومنه بنو عَكٍّ[2] ، ومَعَدٌّ[3] ، ثم وُلِدَ لمَعَدٌّ قُضَاعةُ[4] ومنه بَنو قضاعَةَ، ونزارٌ[5] .

‹ذكر النسب النبوي الشريف›

ثم وُلِدَ لنزَارٍ أربعةٌ فمنهم مُضر[6] على عمودِ النَّسبِ النَّبَويِّ، وثلاثةٌ خارجونَ عن النَّسَبِ.

أولُهم إيادٌ[7] ،وكانَ أكبرَ من مُضَرَ، وإليه يَرجعُ كلُّ إياديٍّ من بني مَعَدٍّ، وفارقَ إيادٌ الحجازَ وسارَ بأهلهِ إلى أطرافِ العراقِ، فمن بني إيادٍ كعبُ بنُ مامةَ الإياديُّ[8] ، وكانَ

(1) الذي عليه أهل العلم بالنسب أن النسب إلى عدنان متفق على صحته، وأن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإنما اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء سواء من حيث العدد، أو الأسماء، ولعل النسب الذي ساقه المؤلف لعدنان واحد من هذه الأنساب، انظر: ابن حزم: ص7، ابن عبد البر: ص42-46، الأشرف الرسولي: ص51،79-80، 85، السويدي: ص59، الزركلي: 4/218، كحالة: 2/761 .

(2) هم بنو عك بن عدنان، وقيل: ابن الدِّيث بن عدنان، وهم بنو الشاهد وعبد الله ابني عك، انظر:ابن حزم: ص328-329، الأشرف الرسولي: ص53-54، 83-84 .

(3) معد: إليه ينتهي نسب العدنانية عند من لا يرون لعدنان ولداً سواه، ومنه تناسل عقب عدنان كلهم، انظر: ابن عبد البر: ص50-51، الأشرف الرسولي: ص51-53، كحالة: 3/1121

(4) هذا على قول القائلين بمعدِّية قضاعة، وقد تقدم القول في اختلاف النسابين في قضاعة، وفي ابن عبد البر، المصدر السابق: "وأنكر أهل العلم أن يكون لمعد ولد غير نزار وأجمعوا كلهم على أن كل معدي وعدناني اليوم نزاري" .

(5) ابن عبد البر: ص58، الأشرف الرسولي: ص79 فما بعدها، السويدي: ص63، الزركلي: 8/16، كحالة: 3/1178

(6) ابن عبد البر: ص58، الأشرف الرسولي: ص79، السويدي: ص64، الزركلي: 6/249، كحالة: 3/1107

(7) الأشرف الرسولي: ص53، القلقشندي: صبح 1/390، ونهاية، ص96-97 .

(8) هو كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة بن إياد، انظر:ابن حزم: ص: 327، القلقشندي: نهاية، ص97 .

يُضْرَبُ بجُودِهِ المثلُ.

والثاني ربيعةُ(١) ،ويُعْرَفُ بربيعةَ الفَرَس لأنه ورثَ الخيلَ من أبيه، وولدَ لربيعةَ أسدٌ(٢) وضُبَيْعةُ(٣) ، فولدَ لأسدٍ جَديلةُ(٤) وعَنَزَةُ(٥) ، ومن جَديلةَ وائلُ(٦) ، ومن وائلٍ بكرٌ(٧) وتَغلِبُ(٨) ، فمن تَغلِبَ كليبٌ ملكُ بني وائلٍ، وقتلَه جَسَّاس.

ومن بكرِ بنِ وائلٍ بنو شَيْبانَ(٩) ، ومن رجالِهم مُرَّةُ(١٠) وابنه جَسَّاسٌ قاتلُ كُليب، وطَرَفَةُ ابنُ العَبدِ الشاعرُ.

(١) ابن حزم: ص٢٩٢، الأشرف الرسولي: ص٥٣، كحالة: ٢/٤٢٤-٤٢٥ .

(٢) ابن حزم: ص٢٩٣، القلقشندي: صبح ١/٣٩٠-٣٩٢، الزركلي: ١/٢٩٨ .

(٣) ابن حزم: ص٢٩٢-٢٩٣، القلقشندي: صبح ١/٣٩٢، وفيه: "وهي قبيلة لم تكثر بطونها"، الزركلي: ٣/٢١٤، كحالة: ٢/٦٦٣، والنسبة إلى ضُبيعة ضُبَعي.

(٤) ابن حزم: ص٢٩٥، القلقشندي: صبح ١/٣٩١، الزركلي: ٢/١١٤، والنسبة إلى جديلة: جَدَلي.

(٥) في الأصل، وفي (ك/٨٧): غيره، والصواب ما أثبتناه، وهو عنزة بن أسد بن ربيعة، انظر: ابن حزم: ص٢٩٤، القلقشندي: نهاية، ص٣٤١، الزركلي: ٥/٩٢، كحالة: ٢/٨٤٦-٨٤٧، وهي فيه: "أكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر" .

(٦) هم بنو وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمي بن جديلة، انظر: ابن حزم: ص٣٠٢، القلقشندي: نهاية، ص٣٩٥، السويدي: ص٢٢٨، الزركلي: ٨/١٠٧

(٧) هم بنو بكر بن وائل المقدم ذكره، انظر: ابن حزم: ص٣٠٧، السويدي: ص٢٢٨، الزركلي: ٢/٧١ .

(٨) هم بنو تَغْلِب بن وائل بن قاسط، والنسبة إليه تغلَبي بفتح اللام، ويجوز كسرها، انظر: ابن حزم: ص٣٠٣، القلقشندي: نهاية، ص١٧٥-١٧٦، السويدي: ص٢٢٨

(٩) هم بنو شيبان بن ثعلبة بن عُكَابَة بن صعب بن علي بن بكر، انظر:ابن حزم: ص ٣٢١، القلقشندي: صبح ١/٣٩٢، الزركلي: ٣/١٨٠، كحالة: ٢/٦٢٢ .

(١٠) هو مرة بن ذُهل بن شيبان المقدم ذكره، انظر: ابن حزم: ص٣٢٤-٣٢٥، الزركلي: ٧/٢٠٥، كحالة: ٣/١٠٧١

ومن بكرٍ المُرَقشان الأكبرُ[(١)] والأصغرُ[(٢)].

ومن بكرٍ بنو حَنيفةَ[(٣)]، ومنهم مُسَيلمةُ الكَذَّابُ.

وأما [عَنَزةُ][(٤)] بنُ أسدِ بن ربيعةَ فمنه بنو عَنَزَةَ وهم أهلُ خيبرَ.

ومن بني عَنَزَةَ القارظان[(٥)].

وأما ضُبَيْعَةُ بنُ ربيعةَ فمن ولدِه [المُتَلَمِّسُ][(٦)] الضُّبَعيُّ الشاعرُ.

---

(١) هو – على خلاف في اسمه – أبو عمرو عوف بن سعد بن مالك، توفي سنة ٥٥٠م، وهو عم المرقش الأصغر التالي ذكره، ترجمته في:الأصبهاني: الأغاني ٦/١٣٦-١٤٤، المرزباني: معجم الشعراء، ص٤، الزركلي: ٥/٩٥

(٢) هو – على خلاف في اسمه – ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك، توفي نحو سنة ٥٧٠م، وهو عم طرفة ابن العبد الشاعر المعروف، ترجمته في: الأصبهاني: الأغاني ٦/١٤٥، المرزباني: معجم الشعراء، ص٤-٥، الزركلي: ٣/١٦

(٣) هم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، انظر: ابن حزم: ص٣٠٩، القلقشندي: صبح ١/٣٩٢، ونهاية، ص٢٢٣-٢٢٤ .

(٤) في الأصل: غيره، والتصحيح من (ك/٨٧)، وابن حزم، ص٢٩٣-٢٩٤

(٥) هما – على خلاف – يذكرُ بن عَنَزَة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وعامر بن رهم بن هميم، قتل الأول وفي مقتله ضرب المثل: لا آتيك أو يؤوب القارظ، وغاب الثاني عن أهله في اجتناء القَرَظ، وهو شجر تدبغ بورقه الجلود، ولم يرجع فقيل: حتى يؤوب القارظ، وقيل في القارظين: حتى يؤوب القارظان، أي أصبحا مثلاً للغائب الذي لا يرجى إيابه، وللمفقود الذي يُؤيس منه، انظر:لسان العرب: (قَرَظ)، الزركلي: ٨/١٧٨

(٦) في الأصل: الملتمس، والتصحيح من ابن حزم: ص ٢٩٣، وهو فيه: جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد.

ومن قبائلِ ربيعةَ النَّمِرُ[(١)]، والجُيْمُ[(٢)]، والعِجلُ[(٣)]، وبنو عبدِ القَيْسِ[(٤)] و[هم][(٥)] من ولدِ أسدِ بنِ ربيعةَ.

ومن وَلَدِ ربيعةَ سَدَوس[(٦)] – بفتح السِّين – واللهازمُ[(٧)].

والثالث أنمارٌ[(٨)]، ومضى أنمارٌ إلى اليمنِ، فتناسلَ بنوه بتلك الجهاتِ، وحُسِبوا من اليمن.

<و> لما حضرتْ نزارَ الوفاةُ[(٩)]، دعا إياداً وعندَه جاريةٌ شمطاءُ، وقالَ: هذه الجاريةُ

---

(١) هم بنو النَّمِر بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، والنسبة إليه نَمَري، انظر:ابن عبد ربة: ٣/٣٢٣-٣٢٤، ابن حزم: ص ٣٠٠-٣٠٢، القلقشندي: نهاية، ص٣٨٥

(٢) هم بنو لجُيْم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة، انظر:ابن حزم: ص٣٠٩، الزركلي: ٥/٢٤١، كحالة: ٣/١٠٠٩ .

(٣) هم بنو عِجل بن لجُيم بن صعب، انظر:ابن حزم: ص٣١٢-٣١٤، القلقشندي: صبح ١/٣٩٢، الزركلي: ٤/٢١٦، كحالة: ٢/٧٥٧ .

(٤) هم بنو عبد القيس بن أفصى بن دُعْمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، والنسبة إليه عبيدي، وقيسي، وعبد قيسي، انظر:ابن حزم: ص ٢٩٥-٢٩٦، الزركلي: ٤/٤٩، كحالة: ٢/٧٢٦-٧٢٧ .

(٥) في الأصل: هو.

(٦) هم بنو سَدُوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل، وفي نسق نسبه اختلاف بين النسابين، انظر: ابن حزم: ص ٣١٧-٣١٩، القلقشندي: صبح ١/٣٩٢، كحالة: ٢/٥٠٦

(٧) اللهازم: هم عنزة بن أسد بن ربيعة، وعجل بن لجيم، وتيم الله وقيس ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل وهم حلفاء، انظر: ابن عبد ربه: ٣/٣٢٨، كحالة: ٣/١٠١٥، وساق عدداً من المقالات في نسبهم.

(٨) في الأشرف الرسولي (ص٨٢): " وأما نسب أنمار ... فقيل إنه لم ينسل، وقيل: إنه درج في قحطان " .

(٩) القصة التالية بتمامها في المسعودي (مروج الذهب ٢/٨٩-٩٣) وعليه عولت في ضبطها.

[الشمطاءُ](1) وما أشبهها(2) لَكَ.

[ودعا أنماراً، وهو في مجلسٍ له، وقالَ: هذه البَدْرةُ(3) والمجلسُ وما أشبههما(2) لك](1).

ودعا ربيعةَ فأعطاه حبالاً سُوداً من شَعْرٍ، وقالَ: هذا وما أشبهه(2) لك.(4)

وأعطى مُضرَ قبةً حمراءَ، وقال: هذه وما أشبهها(2) لك، ثم قالَ: وإنْ أشكلَ عليكم شيءٌ فائتوا الأفعى بنَ (12) الأفعى الجُرْهُميَّ(5)، وكان ملكَ نَجْرانَ.

فلما ماتَ نزارٌ ركبوا رواحلَهم آمِّينَ الأفعى، فلما كانوا من نَجْرانَ على يومٍ إذا هم بأثرِ بعيرٍ، فقالَ إيادٌ: بعيرٌ أعورُ، فقالَ أنمارٌ: وإنَّهُ لأبترُ، فقالَ ربيعةُ: وإنهُ لأَزْوَرُ، وقالَ مضرُ: وشارِدٌ لا يستقرُّ، فلم ينشبوا أنْ وقعَ لهم راكبٌ، فلما غشيَهم قالَ: هل رأيتمْ من بَعيرٍ ضالٍ؟ فوصَفُوه له، فقالَ: إنَّ هذهِ لَصفتُهُ عيناً فأينَ بَعيري؟ قالوا: ما رأيناهُ، قالَ: أنتم

(1) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/88).

(2) يضيف المسعودي: من مالي.

(3) البَدْرة: كيس فيه مقدار من المال يُتعامل به ويقدم في العطايا ويختلف باختلاف العهود، والجمع: بِدَر (المعجم الوسيط).

(4) في المسعودي: ودعا ربيعة وقال له: هذا الفرس الأدهم والخباء الأسود وما أشبههما من مالي لك.

(5) هو حكيم جاهلي، قيل اسمه القُلَمس بن عمرو، وكانت تقصده العرب في قضاياها فيحكم بينها، ولا يرد حكمه، انظر: الزركلي: 2/5، الموسوعة اليمنية: 1/121 (أفعى نجران).

أصحابُ بَعيري وما أخطأتم من نعته شَيئاً [فتبعهم حتى قَدموا نَجْرانَ][١]، فلما أناخُوا بباب الأفْعى واستأذَنوه وأذِنَ لهم، صاحَ الرجلُ بالباب، فدعا به الأفْعى وقَالَ: ما تَقولُ؟ قالَ: أيها الملكُ ذهبَ هؤلاءِ ببعيري، فَسألَهم الأفعى عن شأنه فأخبرُوهُ، فقالَ لإيادٍ: ما يدريكَ أنَّه أعورُ؟ قالَ: قد رأيْتُه قد لَحسَ الكَلأ [من شِقٍّ][٢] والشِّقُّ الآخرُ وافرٌ، وقالَ أنمارٌ: إنَّما رأيتُه يَرمي بَعرَه مُجتَمعاً ولو كانَ أهلبَ لمصَع به فعلمتُ أنَّه أبتَرُ، وقالَ ربيعةُ: [رأيت][١] أثرَ إحدى يديه [ثابتاً][٣] وأثرَ الأخرى فاسد‹اً›، فعلمتُ أنَّه أزْوَرُ، وقالَ مُضَرُ: رأيتهُ يرعى الشِّقَّةَ من الأرضِ ثم يتعداها فيمرُّ بالكلأ [الملتفِّ][١] الغضِّ فلا ينهشُ منهُ شيئاً فعلمتُ أنَّه شَرودٌ، فقالَ الأفعى: صَدقْتمْ [قد أصابوا أثرَ بعيرِك][١] وليسُوا بأصحابِك فالتمسْ بعيرَك.

ثُم سألَهم الأفعى عن نَسبِهم فأعلموه، فرحبَ بهم وحَيَّاهم ثُم قَصُّوا عليهِ قصةَ أبيهم فقالَ لهم: كيفَ تحتاجونَ إليَّ وأنتم على ما أرى؟ قالوا: قد أمَرنا بذلكَ أبونا، فأمرَ خادمَ دارِ ضيافتهِ أن يُحسنَ إليهم ويُكرِمَ مَثواهم، وأمرَ وصيفاً له أنْ يلزمَهم ويتفقدَ كلامَهم، فأتاهم القَهرمانُ بشُهدٍ فأكلوه، وقالوا: ما رأيْنا شُهْداً أعذبَ ولا أحسنَ منه، فقالَ إيادٌ: صدقتمْ لولا أنَ نَحلَه [ألقاه][١] في هامةِ جبارٍ، ثم جاءهم بشاةٍ مَشْويَّةٍ فأكلوها واستَطابوها، فقال أنمارٌ (١٣) صدقتم لولا أنها غُذِّيتْ بلبنِ كلبةٍ، ثم جاءهم بالشرابِ فاستَحسنوه فقالَ

(١) إضافة من المسعودي.

(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/٨٩).

(٣) في الأصل: ثابت.

ربيعةُ: صدقتمْ لولا انَّ كَرْمَتَه نبتتْ على قبرٍ، ثُم قَالوا: ما رأيْنا منزلاً أكرمَ قِرىً ولا أخصبَ [رَحلاً][(١)] من هذا الملكِ، فقال مضرُ: صدقتمْ لولا أنَّه لغيرِ أبيه، فذهب الغلامُ إلى الأفعى فأخبَره، فدخلَ الأفعى إلى أمِّه، فقالَ: أقسمتُ عليكِ إلا ما [أخبرتني][(٢)] [مَن أنا و][(٣)] مَن أبي، قالتْ: أنْتَ الأفعى ابنُ الملكِ الأكبرِ، قال: حقاً لتصدقينني، فلما ألح عليها قالتْ: أيْ بُنيٌّ: إنَّ الأفعى كانَ شيخاً قد أثقلَ فخشيتُ أن يخرجَ هذا الأمرُ عنا أهلَ البيتِ، وكانَ عندنا شابٌّ من أبناء الملوكِ[(٤)] اشتملتُ عليكَ منه، ثم بعث إلى القَهرمانِ، فقالَ: أخبرني عن الشُّهدِ الذي قدمتَه إلى هؤلاءِ النفرِ ما خطبُه؟ قال: [أُخْبرنا بدَبْرٍ][(٥)] في كهفٍ[(٦)] فيه عظامٌ نَخِرَةٌ وإذا النحلُ قد عَسَلَتْ في جمجمةٍ من تلك العظامِ فأمرتُ باشتياره[(٧)] فأتوا بِعسلٍ لم يُرَ مثلُه قطُّ، فقدمتهُ إليهم لجودتِه، ثم بعث إلى صاحبِ مائدتِه، فقالَ ما هذه الشاةُ التي أطعمتَها هؤلاءِ النفرَ؟ قالَ: إني [بعثت][(٨)] إلى الراعي أن يبعثَ لي بأسمنِ ما عندَه، فبعثَ بها، فسألتُه عنها، فقالَ: إنها أولُ ما ولدتْ من غنمي فماتت أمُّها [وكانت كلبةٌ لي قد وضَعت][(٣)] وانِستِ السَّخلةُ بجراءِ الكلبةِ ترضعُ معهم فلم أجدْ في غنمي

---

(١) في الأصل: رجلاً، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٢) في الأصل: أخبرتيني.

(٣) ساقطة من الأصل،والإضافةمن المسعودي.

(٤) عبارة المسعودي: وقد كان قدم إلينا شاب من أبناء الملوك.

(٥) في الأصل: اجتزنا بدير، والتصحيح من (ك/ ٩٠) ، والدَّبر: جماعة من النحل.

(٦) في المسعودي: طَف.

(٧) اشتار العسل: شاره، أي استخرجه من الخلية (المعجم الوسيط).

(٨) في الأصل: بعت، والتصحيح من (ك/ ٩٠).

مثلها، فبعثتُ بها إليكَ، ثم بعثَ إلى صاحب الشرابِ فسألَه عن شأنِ الخمرِ فقالَ: هي كَرْمةٌ غرستُها على قبر أبيك فليسَ في بلادِ العربِ مثلُ شرابِها، فعجبَ الأفعى من القوم، وقالَ: ما هم إلا شياطين، ثم أحضرَهم وسألَهم عن وصيةِ أبيهم.

فقالَ إيادٌ: جعلَ لي خادماً شمطاءَ وما أشبهها، فقالَ الأفعى: إنه تركَ غنماً بُرشاً فهي لك ورِعاؤُها مع الخادم.

وقالَ أنمارٌ: جعل لي بدرةً ومجلسه وما أشبههما [(١)]، فقالَ: لك ما تَركَ من الرقَّةِ والأرض.

وقالَ رَبيعةُ: جعلَ لي حبالاً سوداً (١٤) وما أشبَهها [(٢)]، فقالَ: تَركَ أبوك خيلاً دُهْماً وسِلاحاً فذلك لكَ وما فيها من عَبيدٍ، فقيلَ: رَبيعةُ الفَرَس.

وقالَ مُضَرُ: جعلَ لي قبةً حمراءَ وما أشبهَها [(١)]، قالَ: إنَّ أباكَ تركَ إبلاً حُمراً فهي لك ‹وما أشبهها›، فقيلَ: مُضَرُ الحَمْراء، فكانوا كذلك حيناً من الدهرِ إلى أن أصابتْهم سَنَةٌ فهلكتِ الشاةُ وعامةُ الإبلِ [وبقيتِ الخيلُ] [(٣)] وذهبتْ بالرقَّة والمتاعِ، وكانَ رَبيعةُ يغزو على خيلِه ويغيرُ ويعُولُ إخوتَه، وكانَ سببَ تحولِ أنمار إلى اليمنِ أنَّه تعرقَ عظماً في جُنْحِ الليلِ ثُمَّ دَحا به وهو لا يُبصرُ ففقأ عينَ مُضَر، فصاحَ مُضَرُ [عيني عيني] [(٤)] وتشَاغلَ به إخوتُه

---

(١) يضيف المسعودي: من ماله.

(٢) في المصدر نفسه: إن أبي جعل لي فرساً ادهم وبيتاً اسود وما اشبههما من ماله.

(٣) إضافة من المصدر نفسه، وبها ينتظم السياق، قارن بالعبارة التالية: "وكان ربيعة يغزو على خيله ...".

(٤) ساقطة من الأصل،والإضافة من المصدر نفسه.

فاعرورى أنمارٌ بعيراً من إبله فلحقَ بأرضِ اليَمن.

ثم وُلد لمضرَ المُقدم ذكرُه إلياسُ[(١)] على عمودِ النسبِ، وولدَ له خارجاً عن عمودِ النَّسبِ قيسُ عَيْلانَ[(٢)] بنُ مضرَ بالعين، وقيلَ: إنَّ عَيْلان فرسُه، وقيلَ: كلبُه، وقيلَ: عَيْلانُ أخو قيسٍ وهو [إلناسُ][(٣)] بنُ مضر، وقد جعلَ اللهُ تعالى من الكثرةِ لقيسٍ أمراً عظيماً.

فمن ولده قبائلُ هوازنَ[(٤)]، ومن هوازنَ بنو سعدِ بنِ بكرِ بنِ هَوازنَ[(٥)] الذين كان فيهم رسولُ اللهِ ﷺ رضيعاً.

ومن قبائلِ قيسٍ بنو كِلابٍ[(٦)]، وصارَ منهم أصحابُ حلبَ وكانَ أولَهم صالحُ بنُ مِرداس[(٧)].

---

(١) ابن حزم: ص ١٠، القلقشندي: صبح ١/ ٤٠٠، الزركلي: ٢/ ١٠.

(٢) ابن عبد ربه: ٣١٥/٢٣-٣١٧، وهو فيه: قيس بن عيلان، ابن حزم: ص ١٠، ٢٤٣، ٤٦٨-٤٦٩، ٤٨٠-٤٨٣، ابن عبد البر: ص٧٣-٧٨، الأشرف الرسولي: ص٥٢-٥٣، ٨١، الزركلي: ٥/ ٢٠٧-٢٠٨، كحالة: ٣/ ٩٧٢-٩٧٣.

(٣) في الأصل: إلياس، والتصحيح من (ك/ ٩١).

(٤) هم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان، انظر: ابن عبد ربه: ٣/ ٣١٨، ابن حزم: ص٢٦٤، الأشرف الرسولي: ص٨١، القلقشندي: صبح ١/ ٣٩٣، ونهاية، ص٣٩١، الزركلي: ٨/ ١٠١، كحالة: ٣/ ١٢٣١-١٢٣٣.

(٥) ابن حزم: ص ٢٦٥، القلقشندي: صبح ١/ ٣٩٣، ونهاية، ص٢٦٨، كحالة: ٢/ ٥١٣.

(٦) هم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن، وسيأتي المؤلف على ذكرهم.

(٧) ولي حلب سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م، حتى مقتله بالقرب من طبرية في ذي الحجة سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ٩/ ٣٩٢، ابن خلكان: ٢/ ٤٨٧-٤٨٨، الزركلي: ٣/ ١٩٦-١٩٧.

[ومن قبائلِ قيسٍ بنو عُقَيل][(١)] الذين كان منهم ملوكُ المَوْصلِ المُقلدُ[(٢)] والقِرواشُ[(٣)] وغيرُهما. ‹و›من وَلدِ قيسٍ بنو عامرٍ[(٤)]، وصَعْصَعَةُ[(٥)] وخفاجةُ[(٦)]، وما زالتْ لخفَاجةَ إمرةُ العراقِ من قديمٍ وإلى الآنَ.

ومن هَوازنَ أيضاً بنو ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ بنِ مُعاويةَ بنِ بكرِ بنِ هوازنَ بنِ منصورِ بنِ عِكرمةَ بنِ خَصَفةَ بنِ قيسِ بنِ عَيْلانَ[(٧)]. ومن هَوازنَ أيضاً جُشَمُ بنُ معاويةَ بنِ بكرِ بنِ هَوازنَ[(٨)] ومن جُشَم دريدُ بنُ الصِّمَّةِ[(٩)].

(١) في الأصل: ومن قبل قبائل فقيل، وفي (ك/٩٢): ومن قبلُ قبائل عُقَيْل، والتصحيح من القلقشندي (صبح ١/٣٩٦)، وهم بنو عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، انظر: ابن حزم: ص ٢٩٠-٢٩٢، القلقشندي: صبح ١/٣٩٦-٣٩٧، السويدي: ص١٧٠، كحالة: ٢/٨٠١ .

(٢) هو حسام الدولة المقلد بن المسيب بن رافع العُقَيْلي، ولي الموصل سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٥م حتى مقتله بالانبار في صفر سنة ٣٩١هـ/ كانون الثاني ١٠٠١م ودفن على الفرات، ترجمته في: ابن خلكان: ٥/٢٦٠-٢٦٩، ابن الاثير: الكامل ٩/١٦٤، الزركلي: ٧/٢٨٣ .

(٣) هو معتمد الدولة قرواش، ولي ملك الموصل بعد مقتل والده المقلد حتى مقتله في رجب سنة ٤٤٤هـ/ تشرين الثاني ١٠٥٢، ترجمته في: ابن خلكان: ٥/٢٦٣-٢٦٧، ابن الأثير: الكامل ٩/١٦٤، ٥٨٧-٥٨٨

(٤) هم بنو عامر بن عقيل، وكان لهم ملك البحرين في أواسط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، انظر: ابن حزم: ص٢٩٠-٢٩١، القلقشندي: صبح ١/٣٩٦، ونهاية، ص٢٣٠ .

(٥) هم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن، انظر: ابن حزم: ص٢٧١، القلقشندي: نهاية، ص٢٨٨-٢٨٩، الزركلي: ٣/٢٠٤ .

(٦) هم بنو خفاجة بن عمرو بن عُقَيل بن كعب من بني عامر بن صعصعة، انظر: ابن حزم: ص٢٩١، القلقشندي: صبح ١/٣٩٦، ونهاية، ص٢٣٠، السويدي: ص١٧٥، الزركلي: ٢/٣٠٩ .

(٧) ابن حزم: ص٢٨٠، القلقشندي: نهاية، ص٢٤٢، كحالة: ٢/٤٢١-٤٢٢

(٨) ابن حزم: ص٢٧٠-٢٧١، القلقشندي: صبح ١/٣٩٧، ونهاية، ص١٩٨، الزركلي: ٢/١٢٠ .

(٩) شاعر وفارس مشهور، قتل يوم حنين سنة ٨هـ/ ٦٣٠م، ترجمته في :ابن هشام: ٤/٧١-٧٣ .

ومن قيس أيضا بكر(١)، وبنو هلالٍ(٢)، وثَقيفٌ(٣)، واسمُ ثَقيفٍ عَمرو(٤) بنُ مُنَبِّه [ابنِ بكرٍ](٥) بنِ هوازنَ وقد قيلَ (١٥) إنَّ ثقيفاً من إياد، وقيلَ: من بقايا ثَمودَ، وهم أهلُ الطائفِ.

ومن قَيسِ عَيْلان أيضاً بنو نُمَيْرٍ(٦)، وباهلةُ(٧)، ومازنٌ(٨)، وغَطَفانُ وهو ابنُ سعدِ بنِ قيسِ عَيْلان(٩). ومن قيسٍ أيضا بنو عَبْسِ بنِ بَغيضِ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ بنِ سعدِ بنِ قَيسِ عَيْلانَ(١٠)،

(١) يجوز أن يكون بكر بن أشجع بن ريث من غطفان، انظر: القلقشندي: نهاية، ص١٦٩، الزركلي: ٢/٦٣.

(٢) هم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، انظر: ابن حزم: ص٢٧٣-٢٧٥، القلقشندي: صبح ١/٣٩٤-٣٩٥، السويدي: ص١٦٠-١٦١، الزركلي: ٨/٩١، كحالة: ٣/١٢٢١-١٢٢٢

(٣) ابن حزم: ص٢٦٦-٢٦٩، ابن عبد البر: ص٧٨-٨٠، وأفرد لثقيف باباً لما في نسبها من التنازع، القلقشندي: صبح ١/٣٩٧، ونهاية، ص١٨٦، الزركلي: ٢/١٠٠

(٤) في المصادر نفسها: قسي.

(٥) ساقطة من الأصل، والإضافة من المصادر نفسها.

(٦) هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، انظر: ابن حزم: ص٢٧٩-٢٨٠، القلقشندي: نهاية، ص٣٨٥، كحالة: ٣/١١٩٥-١١٩٦.

(٧) هم بنو سعد مناة واسمه منبه بن مالك بن أعصر، وباهلة أمه عرف بها، وهي باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة من مَذْحِج، انظر: ابن حزم: ص٢٤٥، القلقشندي: نهاية، ص١٦١-١٦٢، الزركلي: ٢/٤٢

(٨) هم بنو مازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة، انظر: ابن حزم: ص٢٦٠-٢٦١، القلقشندي: صبح ١/٣٩٧، الزركلي: ٥/٢٥٦

(٩) ابن حزم: ص٢٤٨-٢٤٩، الأشرف الرسولي: ص٨٢، القلقشندي: صبح ١/٣٩٨، ونهاية، ص٣٤٨، الزركلي: ٥/٢٠، كحالة: ٣/٨٨٨-٨٨٩.

(١٠) ابن حزم: ص٢٥٠-٢٥٢، القلقشندي: صبح ١/٣٩٨، ونهاية، ص٣١٣-٣١٤، الزركلي: ٤/١٨٧، كحالة: ٢/٧٣٨-٧٤٠.

وكان بينَ عَبْسٍ وذُبْيانَ[١] حروبُ داحسٍ المقدمُ ذكرُها[٢].

ومن بني عَبْسٍ عنترةُ العَبْسيُّ، وادعاه أبو‹ه› شدادٌ بعدَ أن كَبُر.

ومن قَيْسٍ أشْجَعُ[٣]، وهم أيضاً من وَلدِ غَطَفانَ.

ومن قَيْسٍ قبائلُ سُلَيْم[٤].

ومن قَيْسٍ بنو ذُبْيانَ بنِ بَغيضٍ، ومن بني ذُبيانَ المذكورين بنو فَزَارةَ[٥]، فمنهم حِصْنُ بنُ حُذَيْفةَ بنِ بدرٍ الذي يمدحُه زُهَيرٌ بقولِه[٦]: ‹الطويل›

تَـراه إذا مـا جـئـتَـه مُـتَـهلِّلا كـأنكَ تُعطيـهِ الذي أنتَ سـائلُه

وأسلمَ حصنٌ ثُمَّ نافَقَ، وكانَ بينَ ذُبْيانَ وبينَ عَبْسٍ إِحَنٌ وحروبٌ معروفَة.

ومن بني ذُبْيانَ النابغةُ الذُّبيانيُّ.

---

(١) هم بنو ذبيان اخي عبس، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٩٨، ونهاية، ص٢٣٧، الزركلي: ٣/٧، كحالة: ١/٤٠٢-٤٠٣.

(٢) لم يرد ذكر هذه الحروب من قبل.

(٣) هم بنو أشجع بن رَيْث بن غطفان، انظر: ابن حزم: ص٢٤٩، القلقشندي: صبح ١/٣٩٨، ونهاية، ص٥٠، الزركلي: ١/٣٣١.

(٤) هم بنو سُلَيم بن منصور بن عكرمة، والنسبة إليهم سُلَمي، انظر: ابن حزم: ص٢٦١-٢٦٤، القلقشندي: صبح ١/٣٩٩-٤٠٠، ونهاية، ص٢٧١-٢٧٢، الزركلي: ٣/١٢٠، كحالة: ٢/٥٤٣-٥٤٦.

(٥) هم بنو فَزَارة بن ذبيان بن بغيض بن رَيث بن غَطَفان، انظر: ابن حزم: ص٢٥٥-٢٥٩، القلقشندي: صبح ١/٣٩٨-٣٩٩، ونهاية، ص٣٥٢، الزركلي: ٥/١٤٥، كحالة: ٣/٩١٨-٩٢٠.

(٦) شرح شعر زهير، ص١١٣، وشعر زهير، ص٥٧.

ومن قَيْسٍ: عَدْوانُ بنُ عَمرو بنِ قَيْسِ عَيْلانَ[١]، وكانوا ينزلونَ الطّائفَ قبلَ ثقيفٍ، ومنهم ذو الإصْبعِ العَدْوانيُّ الشاعرُ[٢].

انتهى الكلامُ عن قَيْس.

وَوُلِدَ لإلياسَ مُدرِكةُ[٣] على عَمودِ النَّسبِ، ووُلِدَ له خارجاً عن العَمودِ طابخةُ[٤]، وبعضُهم يَنْسُبُ مُدْرِكةَ وطابخةَ[٥] إلى أمِّهما خِنْدِف واسمُها ليلى بنتُ حلوانَ بنِ عِمرانَ ابنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ[٦] وجميعُ أولادِ إلياس من خِنْدِف، وإليها يُنسَبون دونَ أبيهم فيقولونَ: بني خِنْدِف ولا يذكرون إلياس.

وصارَ من طابخةَ الخارجِ عن العَمودِ قبائلُ فمنهم: بنو تميمِ بنِ طابخةَ[٧]، والربابُ[٨]،

---

(١) ابن حزم: ص٢٤٣-٢٤٤، القلقشندي: صبح ١/ ٤٠٠، الزركلي: ٤/ ٢١٩

(٢) هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة، توفي نحو سنة ٦٠٠م، ترجمته في: الزركلي: ٢/ ١٧٣ .

(٣) هو مُدركة، واسمه عامر، انظر: ابن هشام: ١/ ٨٥، ابن حزم: ص١٠-١١، القلقشندي: صبح ١/ ٤٠٢،

(٤) هو طابخة، واسمه عمرو، انظر: ابن حزم: ص١٠، الأشرف الرسولي: ص٨١، السويدي: ص٧٠،

(٥) قلت: لعل المؤلف سها عن عمير فلم يذكره إليهما، وهو قمَعة المقدم ذكره في خزاعة، ص٢٥٤حاشية(١)، وانظر: ابن حزم: ص١٠، ٤٦٧-٤٦٨، القلقشندي: صبح ١/ ٤٠٢، كحالة: ٣/ ٩٦٥

(٦) القلقشندي: صبح ١/ ٤٠٠، الزركلي: ٥/ ٢٤٨-٢٤٩

(٧) هم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة، انظر: ابن عبد ربه: ٣/ ٣٠٩، ابن حزم: ص٢٠٧، ٤٦٦-٤٦٧، القلقشندي: صبح ١/ ٤٠١، ونهاية، ص١٧٧-١٧٨، كحالة: ١/ ١٢٦-١٣٣ .

(٨) هم - على خلاف - بنو عبد مناة بن أد بن طابخة، وهم: عدي وتميم وثور وعكل، انظر: ابن عبد ربه: ٣/ ٣٠٨، كحالة: ٢/ ٤١٥ .

وبنو ضَبَّةَ[١]، وبنو مُزَيْنةَ[٢] وهم بنو عَمرو بنِ أدٍّ بنِ طابخةَ نُسِبُوا إلى أُمهم مُزَيْنَةَ بنتِ كلبِ بنِ وَبْرة.

ثم وُلد لمدرِكةَ بن إلياس خُزَيْمَةُ[٣] على عَمودِ النَّسبِ، وَوُلدَ له خارجاً عن العمودِ هُذَيلٌ[٤] وغالبٌ[٥] وسعدٌ[٦] وقيسٌ المنسوبُ إليهم أبناؤُهم ومن هذيلٍ (١٦) جميعُ قبائلِ الهُذَليين فمنهم عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ صاحبُ رسولِ الله ﷺ، وأبو ذُؤَيْبٍ الهُذَليُّ[٧] الشاعرُ، وغيرُه.

ثم وُلدَ لخُزَيْمَةَ المذكورِ كِنانةُ[٨] على عمودِ النَّسبِ، ووُلدَ له خارجاً عن العَمودِ الهُونُ

---

(١) هم بنو ضبة بن أد بن طابخة، انظر: ابن حزم: ص٢٠٣-٢٠٦، القلقشندي: صبح ١/٤٠١-٤٠٢، كحالة: ٢/٦٦١-٦٦٢.

(٢) هم – على قول – بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أد بن طابخة، ومزينة أمهما نسبا إليها، وفي نسبها اختلاف عند النسابين، انظر: ابن عبد ربه: ٣/٣٠٨، ابن حزم: ص٤٨٠، الأشرف الرسولي: ص٨١، القلقشندي: صبح ١/٤٠٢، ونهاية، ص٣٧٥، الزركلي: ٧/٢١٢، كحالة: ٣/١٠٨٣-١٠٨٤.

(٣) ابن حزم: ص١١، القلقشندي: صبح ١/٤٠٢

(٤) وينسب له بنو هذيل، والنسبة إليهم هُذَلي، انظر: ابن حزم: ص١٩٦-١٩٨، ٤٦٦، الأشرف الرسولي: ص٨٠، القلقشندي: صبح ١/٤٠٢، وهذيل عنده الفرع الوحيد على حاشية عمود النسب، كحالة: ٣/١٢١٣-١٢١٥.

(٥) ابن حزم: ص١١، وفيه: "وقيل: وغالب بن مدركة".

(٦) لم أقع لمدركة على ولد اسمه سعد فيما توفر لدي من المصادر، وإنما هناك سعد بن هذيل بن مدركة (ابن حزم: ص١٩٦)، ويبدو ان المؤلف وهم فيه فضمه إلى مدركة.

(٧) هو أبو ذؤيب خالد بن خويلد الهذلي، ترجمته في: ابن خلكان: ٦/١٦٥-١٦٦

(٨) ابن هشام: ١/٨٥-٨٦، ابن حزم: ص١١، ١٨٠، ٤٦٥، القلقشندي: صبح ١/٤٠٣-٤٠٤، الزركلي: ٥/٢٣٤، كحالة: ٣/٩٩٦-٩٩٨

وأسدٌ ابنا خُزَيْمَةَ، فمن الهُون[1] عَضَلٌ، وهي قبيلةٌ، أبوهم [عَضَلُ][2] بنُ الهُونِ بنِ خُزَيْمَةَ[3]. ومنه أيضا الدَّيشُ بن الهُون وهو أخو عَضَلٍ[4] ويقالُ لهاتين القبيلتين وهما عضلٌ والدَّيش القارةُ[5].

وأما أسدُ بنُ خُزَيْمةَ[6] فمنه الكاهِليةُ[7] ودُودانُ[8] وغيرُهما، وإليه يرجعُ كُلُّ أسديٍّ. ثم وُلِدَ لكنانةَ المذكورِ النَّضْرُ بنُ كنانةَ[9] على عَمودِ النَّسبِ، فكانَ للنَّضْرِ عدةُ إخوَةَ ليسوا على العَمودِ وهم مِلْكانُ[10]، وعبدُ مناةَ، وعمروٌ، وعامرٌ، ومالك أولادُ كنانةَ ،

---

(١) ابن حزم: ص١٩٠، الأشرف الرسولي: ص٨٠، القلقشندي: صبح ١/٤٠٢-٤٠٣

(٢) في الأصل: عقيل، وهو تحريف، وفي القلقشندي (صبح ١/٤٠٣) بالحروف: عَضَد ، وفي النهاية، ص٣٢٩: عضل!.

(٣) كذا نسبه في الزركلي (٤/٢٣٤-٢٣٥)، وكحالة (٢/٧٨٧) وفي ابن حزم (ص١٩٠): "عضل بن الديش بن مُحَلِّم بن غالب".

(٤) كذا، وهو في ابن حزم (ص١٩٠): "الديش بن مُحَلِّم بن غالب"، وفي القلقشندي: صبح (١/٤٠٣): "الدبش بن مليح بن الهون".

(٥) في الزركلي (٤/٢٣٥): " وسموا القارة لاجتماعهم والتفافهم"، وانظر أيضاً: القلقشندي: صبح ١/٤٠٣، كحالة: ٣/٩٣٥ .

(٦) ابن عبد ربه: ٣/٣٠٤-٣٠٥، ابن حزم: ص١١، ١٩٠-١٩٢، ٤٦٥-٤٦٦، ٤٧٩-٤٨٠، القلقشندي: صبح ١/٤٠٣، السويدي: ص٢٥٧، الزركلي: ١/٢٩٧ .

(٧) هم بنو كاهل بن أسد بن خزيمة، انظر: ابن حزم: ص١٩٠-١٩١، القلقشندي: صبح ١/٤٠٣، كحالة: ٣/٩٧٦ .

(٨) ابن حزم: ص١٩٠-١٩٢، القلقشندي: صبح ١/٤٠٣، ونهاية، ص٣٦٣ .

(٩) قيل: اسمه قيس، ولقب بالنضر لجماله، وقيل: إنه قريش، انظر: ابن هشام: ١/٨٧، ابن حزم: ص١١-١٢، الزركلي: ٨/٣٣، كحالة: ٣/١١٨٣

(١٠) ابن حزم: ص١١، ١٨٩، القلقشندي: صبح ١/٤٠٤، الزركلي: ٧/٢٨٨، كحالة: ٣/١١٣٧ .

فصارَ من مِلْكانَ بنو مِلْكانَ، وصارَ من عبدِ مَناةَ[(١)] عدةُ بطون، وهم بنو غِفَارٍ[(٢)] رهطُ أبي ذَرٍّ، وبنو بكرٍ[(٣)]، ومن بني بكرٍ الدُّئِلِ[(٤)] رهطُ أبي الأسودِ الدُّؤَلي[(٥)]، ومن بطونِ عَبدِ مَناةَ بنو ليثٍ[(٦)]، وبنو الحارثِ[(٧)]، وبنو مُدلجٍ[(٨)]، وبنو ضُمْرَةَ[(٩)]، وصارَ من عمرو ابنِ كنانةَ[(١٠)] العَمْرِيُّونَ، ومن أخيه عامرٍ[(١١)] العامريون، ومن مالكِ بنِ كنانةَ[(١٢)] بنو

---

(١) ابن حزم: ص١١، ١٨٠-١٨٢، ٤٦٥، القلقشندي: صبح ١/٤٠٤، الزركلي: ٤/١٦٧.

(٢) هم – على خلاف في نسبهم – بنو غفار بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، انظر: القلقشندي: صبح ١/٤٠٤، الزركلي: ٥/١٢١، كحالة: ٢/٨٩٠.

(٣) هم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، انظر: ابن حزم: ص٤٦٥، القلقشندي: صبح ١/٤٠٤

(٤) هم بنو الدُّئِل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، انظر: ابن حزم: ص١٨٤-١٨٥، القلقشندي: صبح ١/٤٠٤، ونهاية، ص٦١-٦٢، السويدي: ص٣٧، ٢٧١-٢٧٢.

(٥) هو عمرو بن ظالم، وفي رواية: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جُنْدب الدُّؤَلي الكناني، توفي بالبصرة سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م، وهو واضع علم النحو بأمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ترجمته في: الأصبهاني: الأغاني ١٢/٣٤٦-٣٨٧، المرزباني: معجم الشعراء، ص٦٧، ابن حزم: ص١٨٥، الزركلي: ٣/٢٣٦-٢٣٧

(٦) هم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، انظر: القلقشندي: صبح ١/٤٠٤، الزركلي: ٥/٢٤٨، كحالة: ٣/١٠١٩-١٠٢٠.

(٧) هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، ويقال فيهم: بلحارث، انظر: القلقشندي: صبح ١/٤٠٤، الزركلي: ٢/١٥٩.

(٨) هم بنو مُدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وفيهم القيافة والعيافة، انظر: ابن حزم: ص١٨٧، القلقشندي: صبح ١/٤٠٤، السويدي: ص٢٧١، الزركلي: ٧/١٩٧، كحالة: ٣/١٠٦١.

(٩) هم بنو ضَمْرة بن بكر، وقيل: ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، انظر: ابن حزم: ص١٨٠، ١٨٥-١٨٦، ٤٦٥، القلقشندي: صبح ١/٤٠٥، ونهاية، ص٢٩٣، الزركلي: ٣/٢١٦، كحالة: ٢/٦٦٧-٦٦٨.

(١٠) ابن حزم: ١٨٠، القلقشندي: صبح ١/٤٠٥، السويدي: ص٢٥٧.

(١١) القلقشندي: صبح ١/٤٠٥.

(١٢) ابن حزم: ص١٨٨-١٨٩، القلقشندي: صبح ١/٤٠٥، الزركلي: ٧/٢٨٨، كحالة: ٣/١٠٣٢.

فِراسٍ[(١)]، ومن بطونِ كنانةَ الأحابيشُ[(٢)]، وليسوا من الحَبشَةِ بل هم من عربِ كنانةَ فهؤلاء إخوةُ النَّضْرِ وولدُهم، وأما النَّضْرُ فقيلَ إنه قريشٌ، والصَّحيحُ أن قريشاً هم بنو فِهْر.

وولدَ للنَّضْرِ مالكٌ[(٣)] على عَمودِ النَّسبِ، ‹وولد له خارجاً عن العمود› الصَّلت[(٤)]، ويخلد[(٥)].

وولد لمالكٍ فِهْرٌ[(٦)] على عمودِ النَّسبِ، وفهرٌ هو قُرَيشٌ وكلُّ من كانَ مِن وَلَدِه فهو قُرَشيٌّ[(٧)] وسُمي قُريشاً لشدَّتِهِ تشبيهاً له بدابةٍ من دوابِّ البحرِ يقالُ لها القِرْشُ، وقيلَ: إنَّ قُصَيّاً لما استولى على البيتِ وجمعَ أشتاتَ بني فِهْرٍ حَولَ الحَرمِ سُمُّوا قريشاً لأنَّه قَرَشَهم أيْ

---

(١) هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، انظر: ابن حزم: ص١٨٨، ٤٦٥، القلقشندي: صبح ١/٤٠٥، الزركلي: ٥/١٣٩، كحالة:٣/٩١١-٩١٢ .

(٢) الأحابيش: سموا بذلك نسبة إلى جبل أسفل مكة اسمه حبشي، اجتمع عنده بنو المصطلق وبنو الهُون بن خزيمة فحالفوا قريشاً على أنهم يد واحدة على عدوهم ما سجا ليل، ووضح نهار، وما أرسى حبشي مكانه، انظر: القلقشندي: نهاية، ص١٥٧، السويدي: ص٢٧٨

(٣) ابن حزم: ص١١-١٢

(٤) المصدر نفسه: ص١٢، ٢٣٨-٢٣٩

(٥) المصدر نفسه: ص١١

قلت: وفي ابن عبد البر (ص٦١): "وولد النضر ملكاً وتملكاً ومخلداً والصلت".

(٦) ابن هشام: ١/٨٨، ابن حزم: ص١٢-١٥، ٤٦٤-٤٦٥، ابن عبد البر: ص٦٠

(٧) هذا على سبيل النسب حصراً، ويقول ابن عبد البر: " والدليل على صحة هذا القول أنه لا يعلم اليوم قرشي في شيء من كتب أهل النسب ينتسب إلى أب فوق فهر دون لقاء فهر"، أما على سبيل المعنى الذي من أجله سميت قريش قريشاً، فللمؤرخين والنسابين مقالات شتى، انظر: ابن هشام: ١/٨٦-٨٧، ابن عبد ربه: ٣/٢٧٦-٢٧٧، ابن عبد البر: ص٥٩-٦٢، ابن خلدون: ٢/٣١٧، القلقشندي: صبح ١/٤٠٥، ونهاية، ص٣٥٦-٣٥٧، الزركلي: ٥/١٩٥، كحالة: ٣/٩٤٧-٩٤٨، وانظر مايلي من السياق.

جمَعهم كذا نقلَ ابنُ سعيد المغربي، فعلى هذا يكونُ لفظةُ قُرَيشٍ اسماً لبني فِهْرٍ لا لَه، ولم يُولَد لمالكٍ (١٧) غيرُ فِهْرٍ على عَمودِ النَّسب.

وَوُلِدَ لِفهْرٍ غالبٌ[(١)] على عَمودِ النَّسبِ، وَوُلِدَ له خارجاً عن العَمودِ ولدانِ محاربٌ والحارثُ.

فمن محاربٍ[(٢)] بنو محاربٍ وهم شَيْبانُ[(٣)].

ومن الحارثِ[(٤)] بنو الخُلج[(٥)]، ومنهم أبو عُبَيْدةَ بنُ الجراحِ أحدُ العَشَرةِ رضيَ اللهُ عنهم.

ثم وِلدَ لغالبٍ لُؤَيٌّ[(٦)] على عَمودِ النَّسبِ، وَوُلِدَ له خارجاً عن العَمودِ تَيم[(٧)] الأَدْرَمُ، والأَدْرَمُ الناقصُ الذقنَ، ومن تيمٍ بنو تيم الأدرمِ، وكانَ لؤيٌّ سيدَ قومهِ فاقَ شجاعةً وكرماً وحلماً وخطابةً، وكان ذا مالٍ وإبلٍ كثيرةٍ، وحكي أنه ندَّ له بعيرٌ فخرجَ يردُّه فاستصعبَ فتناولَ حجراً فضربَه به في جبهته فأنفذَه من الجانبِ الآخَر، فعجبَ لذلك، ثم أخذ الحجرَ فوجدَه حديداً أخضرَ فأتى به قَيْناً من يهود فقال له: اطبع هذا سيوفاً، ثم أتاه يتقاضاه نجازها، وكانت قد نجزتْ، فأخذَ القَيْنُ سيفاً منها وهزَّه بيدهِ ثم قالَ: <الطويل>

---

(١) ابن هشام: ١/٨٨، ابن حزم: ص١٢، القلقشندي: صبح ١/٤٠٦، الزركلي: ٥/١١٤-١١٥، كحالة: ٣/٨٧٥-٨٧٦.

(٢) ابن عبد ربه: ٣/٢٨٣، ابن حزم: ص١٧٨-١٨٠، ٤٦٤، القلقشندي: صبح ١/٤٠٦.

(٣) هم بنو شيبان بن محارب بن فهر، انظر: ابن حزم: ص١٧٨، الزركلي: ٣/١٨١.

(٤) ابن عبد ربه: ٣/٢٨٣، ابن حزم: ص١٢، ١٧٦، ١٧٨-١٧٨، القلقشندي: صبح ١/٤٠٦.

(٥) ابن حزم: ص١٧٦، وفيه: "ويقال إنهم من بقايا العماليق".

(٦) ابن هشام: ١/٨٩، ابن حزم: ص١٢، القلقشندي: صبح ١/٤٠٦، الزركلي: ٥/٢٤٥.

(٧) ابن حزم: ص١٢، وتيم فيه: تميم، القلقشندي: صبح ١/٤٠٦، وجعل الأدرم ابناً للؤي بن غالب!

سُـيـوفٌ حـداد يالؤيُّ بنَ غـالـبٍ حـدادٌ ولكن أينَ بالسَّـيفِ ضـاربُ

فتناولَه لؤيٌّ بيَدِه، وضربَ به عنقَه.

ثم وُلدَ للؤيٍّ أولاد: كعبٌ(١) على عمودِ النَّسبِ وإخوتُه خارجون عن العَمود، وهم سَعدٌ(٢)، وخُزَيْمةُ(٣)، والحارثُ(٤)، و[هو](٥) جُشَمُ(٦)، وعَوفٌ(٧) وعمروٌ وعامرٌ(٨) و[سامةُ](٩) أولادُ لؤيٍّ بنِ غالبٍ، ولكلٍّ منهم ولدٌ يُنْسَبون إليه خَلا الحارثَ.

ومن وَلَدِ عامرِ بنِ لؤيٍّ عمروُ بنُ عبدِ وُدٍّ فارسُ العَربِ[الذي قتله](١٠) عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عَنه.

ثم وُلدَ لكعبٍ مُرَّةُ(١١) على عَمودِ النَّسبِ، وَوُلِدَ له خارجاً عن العمودِ هُصَيْصٌ وعَدِيٌّ ابنا كَعْب.

---

(١) ابن حزم: ص١١،١٢، القلقشندي: صبح ١/٤٠٧، ونهاية، ص٣٦٤-٣٦٥ .

(٢) ويقال لبنيه: بنو بنانة، وبنانة أمهم غلب اسمها عليهم، انظر: ابن هشام: ١/٨٩، ابن حزم: ص١٢، ١٣، ١٧٥، ٢٩٢، القلقشندي: صبح ١/٤٠٦ .

(٣) ويقال لبنيه: بنو عائذة، وعائذة أمهم غلب اسمها عليهم، وهي بنت الخمس بن قحافة بن خثعم، انظر: ابن حزم: ١٣، ١٧٤-١٧٥، القلقشندي: صبح ١/٤٠٦، كحالة: ٢/٧١٦ .

(٤) ابن حزم: ص١٢، ١٣، ١٧٥، ٢٩٤ .

(٥) ساقطة من الأصل، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٦) في ابن حزم، ص٢٩٤: "وجُشَم كان عبداً لأبيه، فحضنه فسمي به".

(٧) المصدر نفسه: ص١٢، ١٣، ١٧٥

(٨) ابن حزم: ص١٢، ١٦٦-١٦٧، القلقشندي: صبح ١/٤٠٦، الزركلي: ٣/٢٥٤

(٩) في الأصل: أسامة، والتصحيح من ابن هشام ١/٩٠-٩١، وابن حزم، ص١٢

(١٠) في الأصل: قبل، والتصحيح من القلقشندي (صبح ١/٤٠٦).

(١١) ابن حزم: ص١٣، القلقشندي: صبح ١/٤٠٨، كحالة: ٣/١٠٧٣

فمن هُصَيْصٍ (١) بنو جُمَح (٢)، ومن مشاهيرهم أميةُ بنُ خلفٍ (٣) عدوُّ النبيِّ ﷺ، وأخوه أبيٌّ بنُ خلفٍ (٤) وكانَ مثلَه في العداوةِ.

ومن هصيصٍ أيضاً بنو سَهْمٍ (٥)، ومن بني سَهمٍ عمرُو بنُ العاصِ السَهْمي.

ومن عديٍّ بنِ كعبٍ (٦) بنو عديٍّ، ومنهم عمرُ بنُ الخطاب (١٨) وسعيدُ بنُ زيدٍ (٧) من العَشَرةِ رضيَ الله عنه.

ثم وَلِدَ لمُرَّةَ على عَمودِ النَّسبِ ابنُه كِلابٌ (٨)، وَوُلِدَ له خارجاً عن العَمودِ تيْمٌ ويَقَظَةُ.

فمن تَيْمٍ (٩) بنو تَيْمٍ، ومنهم أبو بكرٍ الصدِّيقُ، وطلحةُ من العَشَرةِ رضيَ اللهُ عنهم.

---

(١) ابن حزم: ص١٣، ١٥٩، القلقشندي: صبح ١/٤٠٧، الزركلي: ٨/٨٩ .

(٢) هم بنو جمح، واسمه تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب، انظر: ابن حزم: ص١٥٩-١٦٣، القلقشندي: صبح ١/٤٠٧، الزركلي: ٢/١٣٦ .

(٣) أسر يوم بدر وقتل بعدها، انظر: ابن هشام: ٢/٢٥٥، الزركلي: ٢/٢٢ .

(٤) طعنه النبي ﷺ بحربة يوم أحد، ومات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة، انظر: ابن هشام: ٣/٣١ .

(٥) هم بنو سهم، واسمه زيد، وهو أخو جمح المقدم ذكره، انظر: ابن حزم: ص١٥٩، ١٦٣-١٦٦، القلقشندي: صبح ١/٤٠٧، ونهاية، ص٢٧٤، السويدي: ص٢٨٢، الزركلي: ٣/١٤٤، كحالة: ٢/٥٦٠ .

(٦) ابن حزم: ١٥٠-١٥٩، ٤٦٤، القلقشندي: صبح ١/٤٠٧، الزركلي: ٤/٢٢١ .

(٧) توفي بالعقيق سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، أو ٥١هـ ودفن بالمدينة المنورة، ترجمته في: ابن سعد: ٣/٣٧٩-٣٨٥، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٢-٨، ابن حجر: الإصابة ٢/٤٦ .

(٨) ابن حزم: ص١٣-١٤، القلقشندي: صبح ١/٤٠٩، كحالة: ٣/٩٨٩-٩٩٠ .

(٩) ابن حزم: ص١٣، ١٣٥-١٤٠، القلقشندي: صبح ١/٤٠٨، الزركلي: ٢/٩٥ .

ومن يَقَظَةَ(١) بنو مَخْزومٍ(٢)، ومنهم خالدُ بنُ الوليدِ رضيَ اللهُ عنه، وأبو جَهلِ بنُ هِشامٍ، واسمُه عمرو المَخْزُوميُّ.

ثم وُلِدَ لكلابٍ قُصَيٌّ(٣) على عَمودِ النَّسبِ، وَوُلِدَ له خارجاً عن العَمودِ زُهرَةُ(٤)، ومنه بنو زُهرَةَ ‹ومنهم› سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ أحدُ العَشَرةِ، ونسبُ آمنةَ أمِّ رسولِ اللهِ ﷺ، ونسبُ عبدِ الرحمنِ بن عَوْفٍ رضيَ اللهُ عنهم.

وقصيٌّ كانَ عظيماً في قُرَيشٍ، وهو الذي استعادَ سِدانةَ البيتِ من خُزَاعة، وجمَع قُريشاً، وأثَّلَ مجدَهم، وجاءَ الإسلام وهو على ذَلك في التعظيمِ لشأنِه، وكانوا لا يُبْرِمُونَ أمراً إلا بدارِ النَّدْوة لأنها كانت دارَه، وبهِ اجتمعتْ قبائلُ قُرَيشٍ في الحرمِ وفي ذلك يقولُ الشاعرُ(٥): ‹الطويل›

أبوكم قُصَيٌّ كانَ يُدعَى مُجَمِّعاً ... به جمعَ اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

ثم وُلِدَ لقصيٍّ عبدُ مَنافٍ(٦)، واسمُه المغيرةُ على عَمودِ النَّسب، ووُلِدَ له خارجاً عن العَمود عبدُ الدارِ وعبدُ العزّى ابنا قُصَيٍّ.

---

(١) ابن حزم: ص١٣، ١٤١-١٤٩، القلقشندي: صبح ١/٤٠٨-٤٠٩، كحالة: ٣/١٢٦٨ .

(٢) ابن حزم: ص١٤١ فما بعدها، القلقشندي: صبح ١/٤٠٨-٤٠٩، السويدي: ص٢٨٧ .

(٣) ويكنى أبا المغيرة، واسمه يزيد، انظر: ابن هشام: ١/١١٤-١١٩، ابن عبد ربه: ٣/٢٧٦-٢٧٧، ابن حزم: ص١٤، القلقشندي: صبح ١/٤٠٩، السويدي: ص٢٩٦، الزركلي: ٥/١٩٨-١٩٩، كحالة: ٣/٩٥٥-٩٥٦ .

(٤) ابن حزم: ص١٢٨-١٣٥، القلقشندي: صبح ١/٤٠٩، السويدي: ص٢٩٥

(٥) البيت في ابن سعد (١/٧١)، وابن عبد البر (ص٦١) لحذافة بن غانم العدوي، ودون نسبة في ابن هشام (١/١١٦)، وابن عبد ربه (٣/٢٧٦)، والقلقشندي (صبح ١/٤٠٩).

(٦) ابن حزم: ص١٤، القلقشندي: صبح ١/٤١١، الزركلي: ٤/١٦٦، كحالة: ٢/٧٣٥ .

فَمن بني عبدِ الدَّارِ (١) بنو شَيْبَةَ (٢) الحجَبَة.

ومن وَلَدِ عبدِ الدَّارِ النَّضْرُ بنُ الحارثِ، وكانَ شديدَ العداوةِ لرسولِ اللهِ ﷺ، وقتلَه رسولُ اللهِ ﷺ يومَ بدرٍ صَبْراً (٣).

ومن عبدِ العُزَّى (٤) خديجةُ بنتُ خُويلد زوجُ النبيِّ ﷺ.

ومن عَبدِ العُزَّى ورقةُ بنُ نَوفَل بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى.

ولبني عبدِ منافٍ في قُريشٍ النسبُ الصميمُ والحَسَبُ الكريمُ، وإلى هذا أشارَ أبو طالبٍ عمُّ النبيِّ ﷺ بقوله (٥): <الطويل>

إذا افتخرتْ يوماً قُريْشٌ بمَفْخَرٍ ... فعبدُ مَنَافٍ أصلُها وصميمُها

(١٩) وَوَلَدُ عبدِ منافٍ أربعةُ أبناء، وهم: نَوفل (٦) وعبدُ شمسٍ (٧) والمُطَّلبُ (٨)

---

(١) ابن حزم: ص١٢٥-١٢٨، القلقشندي: صبح ١/٤٠٩-٤١٠، السويدي: ص٣٠٠، الزركلي: ٣/٢٩٢، كحالة: ٢/٧٢٣، والنسبة إلى عبد الدار: عَبْدَري، وعَبْدي.

(٢) هم بنو شيبة بن عثمان بن طلحة حجبة الكعبة إلى يومنا هذا، انظر: القلقشندي: صبح ١/٤١٠، والنهاية، ص٢٨٣-٢٨٤، السويدي: ص٣٠٠، كحالة: ٢/٦٢٢-٦٢٣.

(٣) ابن هشام: ٢/٢٥٣، وفيه: قتله علي بن ابي طالب صبراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) ابن حزم: ص١١٧-١٢٥، القلقشندي: صبح ١/٤١٠، الزركلي: ٤/١٢.

(٥) البيت في القلقشندي: صبح ١/٤١١.

(٦) ابن حزم: ص١٤، ١١٥-١١٧، القلقشندي: صبح ١/٤١٢، كحالة: ٣/١٢٠٢-١٢٠٣

(٧) ابن حزم: ص١٤، ٧٤، ابن عبد البر: ص٦٣، القلقشندي: صبح ١/٤١١

(٨) واسمه الفيض لسماحته وفضله، انظر: ابن حزم: ص١٤، ٧٢-٧٤، ابن عبد البر: ص٦٢-٦٣، القلقشندي: صبح ١/٤١٢.

وهاشم(١)، ويقال: إنَّ عَبدَ شمسٍ و[هاشماً](٢) شقُّ التَّوم، وُلدا لبطن وجلداهما معتلقان، فلما فُرِّقا سالَ بينهما الدمُ، فقالوا: إنه سيكونُ بينَهما، وهكذا كانَ، وقد تظارفَ مَن قالَ: <الخفيف>

عبدُ شمسٍ قد أوقدَتْ لبني ها شمٍ ناراً يشيبُ منها الوليدُ

فابنُ حربٍ للمُصطفى، وابنُ هندٍ لعليٍّ، وللحُسينِ يَزيدُ(٣)

وكان نَوفل وعبدُ شمسٍ متآلفَيْن بينهما منافريْن [هاشماً](٤) والمُطَّلبَ، وكذلك كان هاشمٌ والمُطَّلبُ متآلفَيْن بينهما منافريْنِ لنَوفل وعبدِ شمسٍ مذ كانوا، ولم يفترقْ هاشمٌ والمُطَّلبُ في جاهليةٍ ولا إسلام، وإلى هذا أشارَ النبيُّ ﷺ بقولهِ: [**«إنهم لم يفارقوني في جاهليةٍ ولا إسلام، وإنما هم بنو هاشمٍ وبنو المطلبِ شيءٌ واحدٌ»**](٥)، ولهذا حُرِّمَتِ الصدقةُ على بني [المُطَّلبِ](٦) مع بني هاشمٍ ولم تُحَرَّمْ على نَوفَل وعبدِ شمسٍ، وكلُّهم لأبٍ.

(١) واسمه عمرو، وهاشم لقبه، انظر: ابن هشام: ١/١٢٥-١٢٦، ابن حزم: ص١٤، ابن عبد البر: ص٦٢.

(٢) في الأصل: هاشم.

(٣) قلت: هذا ليس "تظارفاً"، وإنما هو "كيد" ما فتئ أصحابه يكيدونه ضد بني أمية، وكان بني أمية انفردوا وحدهم دون قريش كلها بلواء العداء والحرب للإسلام فلم يكن الإسلام عندهم سوى قشرة تغلي تحتها نيران العصبية، وهذه من المغالطات الكبيرة في التاريخ التي لا ترى لبني أمية أي فضل في الإسلام وفيهم السابقون السابقون إلى الإسلام، فضلاً عما تنطوي عليه هذه المغالطات من تجريح للصحابة وهم الذين عدلهم الله ورسوله ومن بينهم ابو سفيان وولده معاوية رضي الله عنهما، انظر بشأن هذه المسألة: عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، المقدمة فما بعدها.

(٤) في الأصل: هاشم.

(٥) قطع في الأصل يقتضي السياق ان يكون ما أثبتناه، والحديث رواه جبير بن مطعم، قال: ثم شبك -ﷺ- بين أصابعه، انظر: مسند أحمد (٤/٨١) رقم الحديث: (١٦٢٩٩).

(٦) في الأصل: عبد المطلب، والتصحيح من (ك/١٠٠).

فأما عبدُ شمسٍ فهو أبو أميةَ[١] المنسوب إليه كلُّ أُمَويٍّ، ومنه أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنه، وهو عثمانُ بنُ عفَّانَ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ بنِ عبدِ منافٍ.

ومنه معاويةُ بنُ أبي سُفيانَ صخرِ بنِ حربِ بنِ أميةَ.

ومنه مروانُ بنُ الحكمِ بنِ أبي العاصي بنِ أميةَ[٢]، وسيأتي إن شاءَ الله [تعالى][٣] ذكرُ معاويةَ ومروانَ وأبنائِهما فيما بعدُ لمكانِهما وأولادِهما من الخلافةِ في موضعِه.

ومن ولَدِ المُطَّلبِ الإمامُ الشافعيُّ، وهو مُحمدُ بنُ إدريسَ بنِ العباسِ [بنِ عثمانَ][٤] بن شافعِ بنِ السائبِ بن عُبيدِ بنِ عبدِ يزيدَ بنِ هاشمِ بنِ [المُطَّلب][٥].

وأما الابنُ الرابعُ من بني عبدِ منافٍ الذي علا قَدرُه بأبنائه فهو هاشمٌ، وعليه عمُود النَّسبِ فإليهِ انتهتْ سيادةُ قومِه وكانت إليهِ الرِّفادَةُ والسِّقايةُ، وكان رجلاً موسراً، وكان إذا حضرَ الحَجُّ قامَ في قُرَيشٍ فقالَ[٦]:

« يا معشرَ قُريشٍ ! إنكم جيرانُ اللهِ وأهلُ بيتهِ، وإنه يأتيكم في هذا الموسمِ زوارُ اللهِ

---

(١) ابن حزم: ص٧٨-٨٠، ابن عبد البر: ص٦٣، القلقشندي: صبح ١/٤١١-٤١٢.

(٢) توفي بدمشق سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م، وإليه ينتسب جميع الخلفاء الأمويين الذين تعاقبوا بعده على الدولة الأموية حتى نهايتها، ترجمته في :الزركلي: ٧/٢٠٧.

(٣) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/١٠٠).

(٤) ساقطة من الأصل، والإضافة من ابن حزم، ص٧٣، وابن عبد البر، ص٦٣.

(٥) في الأصل: عبد المطلب، والتصحيح من المصدرين السابقين نفسيهما.

(٦) الخطبة التالية في ابن هشام (١/١٢٥) باختلاف في بعض الألفاظ، وقد سبق لابن هشام أن أوردها (١/١٢١) على لسان قصي فلعل هاشماً قد ورثها عن جده، وكان يدخرها لمثل هذا الوقت من موسم الحج في كل سنة.

وحُجَّاجُ بيتهِ (٢٠) وهم ضيوفُ اللهِ وأحقُّ الضيفِ بالكرامةِ ضيفُه، فاجمعوا لهم ما تصنعونَ لهم به طَعاماً أيامَهم هذه التي لابُدَّ لهم من الإقامةِ بها، فواللهِ لو كانَ مالي يسعُ ذلك ما كلّفْتُكُموه.

[فيُخرجونَ][1] لذلك خَرْجاً من [أموالِهم][2] كلُّ امرئٍ بقدْرِ ما عندَه فيصنعُ بهِ للحاجِّ طعاماً حتى يصدُروا منها.

وكان هاشمٌ أولَ من سَنَّ الرِّحلَتيْن لقُرَيش رحلةَ الشتاءِ والصيفِ وأولَ من أطعمَ الثَّريدَ بمكةَ، وإنما كانَ اسمُه عَمْراً فسُميَ هاشماً لهَشْمِه الثَّريدَ بمكةَ فقالَ بعضُ العربِ[3] : ‹الكامل›

عَمْرو الذي هَشمَ الثَّريدَ لقومِه ... قومٍ بمكةَ مُسْنِتِين عِجافِ

كانتْ إليهِ الرِّحلتانِ كِلاهما ... سَفَرُ الشتاءِ ورحلةُ المُصْطافِ

وقبرُ هاشمٍ بغَزَّةَ من الشام.

‹و›ولدَ ‹هاشمٌ› ولديْن[4] : أحدُهما أسدٌ أبو فاطمةَ[5] أُمِّ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ عليهِ

---

(١) في الأصل: فتخرجون، والتصحيح من (ك/ ١٠١).

(٢) في الأصل: أموالكم، قارن بالتصحيح السابق.

(٣) البيت الأول في ابن سعد (١/ ٧٦) لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وفي ياقوت (٥/ ١٨٥) والقلقشندي (صبح ١/ ٤١٢، والنهاية، ص٣٨٦) دون نسبة، وباختلاف في صورة الشطر الثاني وهي فيهما هكذا:
ورجالُ مكةَ مسنتون عِجافُ
وأورد المرزباني (معجم الشعراء، ص٣) البيتين منسوبين لمطرود بن كعب الخزاعي، كما أوردهما ابن هشام (١/ ١٢٦) ولكن دون نسبة.

(٤) كذا، وسيذكر المؤلف نفسه عما قليل لهاشم ولداً ثالثاً هو أبو صيفي، كما ذكر له ابن حزم (ص١٤) إلى جانب هؤلاء نضلة.

(٥) هي من المهاجرات المبايعات، توفيت بالمدينة، وهي أم جميع ولد أبي طالب، ترجمتها في: ابن سعد: ٨/ ٢٢٢، ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٣٨١-٣٨٢، ابن الأثير: أسد الغابة ٧/ ٢١٧، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٣٨٠ .

السَّلامُ، وعبدُ المُطَّلبِ(١) وعليه عَمودُ النَسب، وهو حفرَ بئرَ زَمْزَم لرُؤيا رآها، وكانتْ قد تتابعتْ على قريشٍ سنوَن أقحلتِ الضَّرْعَ، وأذهبَتِ العظمَ، فرأت رُقَيقَةُ بنتُ [أبي](٢) صَيْفيٌ بنِ هاشمٍ(٣) في منامِها هاتفاً يقولُ(٤): يا معشرَ قريش! إنَّ هذا النبيَّ المبعوثَ منكم قد أظلتكم أيامُه فحَيْهلا بالخصبِ فانظروا رجلاً منكم وَسيطاً، ووصفَ صفةَ عبدِ المطلب، فليخلصْ هو وولدهُ وليهبطْ إليه من كلِّ بطنٍ رجلٌ، فليسنوا من الماءِ(٥)، وليمسوا من الطيبِ واستلموا الركنَ ثُم ارتقوا أبا قُبَيسٍ، وليستسقِ الرجلُ وليؤَمِّن القومُ فغثتُم ما شئتم، فأصبحتْ رُقَيقَةُ مذعورةً، وقصَّتْ رؤياها فقيلَ: هو شَيْبَةُ الحَمْدِ عبدُ المُطَّلب ففعلَ ومعه رسولُ الله ﷺ وهو غلامٌ قد أيفَع أو كرَب، فقالَ: اللهمَّ سادُّ الخَلَّةِ وكاشفَ الكُرْبَةِ أنتَ مُعَلَّمٌ غيرُ مُعلَّمٍ، ومسئولٌ غيرُ مُبخَّل، وهذه عبدُاؤُك وإماؤُك بعَذَراتِ حَرمِك يَشكون إليك سَنَتَهم أذهبت الخُفُّ (٢١) والظِّلْف، اللهم فأمطرْ غيثاً مُغْدقاً ضريعاً، قالتْ رُقَيقَةُ: فوربِّ الكعبةِ ما راحوا حتى تفجرتِ السَّماءُ بمائها، واكتظَّ الوادي بثجيجه، فسمعتُ ساداتِ قُرَيشٍ يقولونَ لعبدِ المُطَّلبِ: هنيئاً لك أبا البطحاءِ أي عاشَ بك أهلُ البطحاء، وقالتِ رَقَيقَةُ: <البسيط>

بِشَيْبَةِ الحَمْدِ أسقى اللهُ بلدتَنا لما فَقَدْنا الحيا واجلَوَّذَ المطَرُ

---

(١) ابن هشام: ١/١٢٧، ١/٩٩-١٠٠، ابن حزم: ص١٤-١٥، القلقشندي: صبح ١/٤١٢-٤١٤ .

(٢) في الأصل: بنت.

(٣) صحابية، وقيل: إنها لم تدرك لا البعثة ولا الإسلام، انظر: ابن سعد: ٨/٢٢٢-٢٢٣، ابن الأثير: أسد الغابة ٧/١١١-١١٣ .

(٤) الرؤيا والشعر في المصدرين نفسيهما.

(٥) فليسنوا: بالسين والشين، أي فليصبوا من الماء، ومعناه: فليغتسلوا (ابن الأثير).

فجادَ بالماءِ جَونيٌّ له سَبَلٌ ... سحّاً فعاشتْ به الأنعامُ والشَّجرُ

مباركُ الأمرِ يُستسقى الغمامُ به ... ما في الأنامِ له عِدلٌ ولا خَطَرُ

وولَدُ عبدِ المُطَّلبِ عَشَرَةُ أولادٍ[١] الذين أعقبَ منهم ستةٌ: حمزةُ والعباسُ رضيَ الله عنهما وأبو طالبٍ وأبو لهبٍ والحارثُ وعبدالله.

فأما حمزةُ فانقرضَ عَقِبُه.

وأما العباسُ رضيَ اللهُ عنه فكانتْ إليه السِّقايةُ <و>الرِّفادةُ بعدَ أبيه عبدِ المُطَّلب، وفي سُقْيا الحجيجِ والفخرِ بزَمْزَم، يقول القائلُ[٢]: <الهزج>

وَرِثْنا المجدَ من آبا ... ئِنا فَسَما بنا صُعُدا

ألم نَسقِ الحجيجَ ونَنْـ ... ـحرِ الدلافةَ الرُّفُدا

فإنْ نهلكْ ولمْ نملكْ ... ومن ذا خالدٌ خلَدا

فزمزمُ في أرومتِنا ... ونَفْقأُ عينَ مَن حَسَدا

وهو أبو الخلفاءِ قدسَ اللهُ أرواحَهم، وسيأتي ذكرُهم إنْ شاءَ اللهُ تعالى في مكانِه.

وأما أبو لهبٍ والحارثُ فلهما عَقِبٌ باقٍ.

وأما أبو طالبٍ فقد كثَّر اللهُ بركاتِ البضعةِ الطاهرةِ النَّبويةِ <من> أبنائه، ووصلَ نسبَه وحسَبَه.

---

(١) في القلقشندي (صبح ١/٤١٢): "وكان له اثنا عشر ولداً".

(٢) الأبيات في ابن هشام (١/١٣٩) لمسافر بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد مناف باختلاف في اللفظ

وكانَ عمرُ رضيُ الله عنه خطبَ أمَّ كُلثومٍ [١] إلى عليٍّ رضيَ الله عنه فقالَ عليٌّ: إنَّها صغيرةٌ، فقالَ عمرُ: زَوِّجنيها يا أبا الحَسنِ، فإني أرصدُ من كرامتها ما لا يَرْصُدُ أحَد، فقالَ لهُ عليٌّ: أنا أبعثُها إليكَ، فإنْ رضَيتَها فقد زوجتُكَها، فبعثَها إليه ببُرْدٍ، وقالَ لها: قولي له هذا البُردُ الذي قلتُ لك، فقالتْ ذلك لعمرَ، فقالَ: قولي له قد رضيتُه رضيَ الله عنكَ، ووضعَ يدَه على سَاقِها فكشفَها (٢٢) فقالتْ له: أتفعلُ هذا ! لولا أنَّك أميرُ المؤمنينَ لكسرتُ أنفَكَ، ثم خَرجَتْ حتى جاءتْ أباها وأخبرتْه الخبرَ، وقالتْ: بعثتَني إلى شيخٍ سوءٍ، فقالَ: مهلاً يا بنيةُ فإنَّه زوجُك، فجاءَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ الله عنه إلى مجلسِ المهاجرين في الروضةِ [٢] <حيث> كان يجلسُ فيه المهاجرونَ الأوَّلون، فجلسَ إليهم، وقالَ: رفئوني، فقالوا: بماذا يا أميرَ المؤمنين ؟ قالَ: تزوجتُ أمَّ كلثوم بنتَ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ [٣]: " **كلُّ نَسبٍ وسَببٍ وصِهرٍ منقطعٌ يومَ القيامةِ إلا نسبي وسببي وصِهري** " فكانَ لي به صلىَّ الله عليهِ وسلَّم النسبُ والسببُ وأردتُ أنْ

---

(١) القصة التالية وردت بتمامها في ابن عبد البر (الاستيعاب ٤ / ٤٩٠)، وابن الأثير (أسد الغابة ٧/٣٨٧-٣٨٨) ، وباختلاف في اللفظ في ابن سعد (٨/٤٦٣-٤٦٤)، وبالغ ابن حجر (الإصابة ٤/٤٩٢) في اختصارها.

(٢) في ابن سعد (٨/٤٦٣): " فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر "، وإنما سمي المكان بالروضة لحديث النبي ﷺ : "ما بين قبري (وفي رواية: بيتي) ومنبري روضة من رياض الجنة" رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضل الصلاة، برقم: (١١٩٥).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣/١٤٢) بلفظ: " كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي "، وقال صحيح ولم يخرجاه (البخاري ومسلم) .لكن قال الذهبي عنه: منقطع، ورواه الطبراني بلفظ: " كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا صهري ونسبي "، وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك، انظر: الهيثمي: مجمع الزوائد ١٠/ ٢٠ .

أجمَع إليه الصّهرُ فرفُؤوه.

وولدَ أبو طالبٍ أبناء ثلاثةً، وهم: عقيلٌ، وجعفرُ الطيارُ، وأميرُ المؤمنينَ وابنُ عَمّ سَيدِ المُرْسلين الواجبُ الحبُّ أبو الحَسنِ عليٌّ عليهِ وعليهما السّلام (١)، ولكلٌ من عَقيلٍ وجَعفرٍ وعليٌّ أبناء (٢)، وسنذكرُ المشاهيرَ من أبناءِ عليٌّ رضيَ الله عنه إنْ شاءَ اللهُ، فعليهم عمودُ النَّسبِ المتصلِ بالنبيٌّ ﷺ.

وأما عبدُ اللهِ فعليه عَمود نسبِ النبيٌّ ﷺ، هو أبو سَيدِنا ونبيِّنا وشَفيعِنا مُحمدٍ خَاتمِ الأنبياءِ ﷺ.

انتهى الكلامُ على طوائفِ العربِ البائدةِ والعاربةِ والمُستعربَةِ بتوفيق اللهِ سبحانَه وتعالى.

---

(١) قلت: وذكر له ابن حزم (ص١٤، ٣٧) طالباً، مات ولم يعقب.

(٢) انظر بهذا الخصوص: ابن حزم: ص٣٧-٦٩ حيث استغرق جميع أبنائهم وأعقابهم.

‹ طوائفُ العربِ الموجودينَ في زَمانِنا ›

‹ عرب الشام ›

وأما طوائف العرب الموجدين في زماننا فهم :عربُ الشَّامِ ثعلَبَةُ[(١)] الشامِ تلي مصرَ إلى الخروبةِ[(٢)] وهم من دَرْما[(٣)] [آلُ][(٤)] غياثِ الجَواهِرةِ[(٥)]، ومن الحنابلةِ[(٦)]، ومن بني وَهْمٍ[(٧)]، ومن الصُّبَيْحيين[(٨)]، ومن أحلافِهم فرقةٌ من النُّعَيْمِيينَ[(٩)]، ومن العارِ والخمان[(١٠)].

ثم جَرْم[(١١)]، وهي ببلادِ غزةَ والداروم[(١٢)] مما يلي الساحلَ إلى الجبلِ وبلدِ الخليلِ عليهِ

(١) هم بنو ثعلبة بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، من كهلان، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٧٥، ونهاية، ص١٨٣، السويدي: ص٢٣٩، الزركلي: ٢/٩٩

(٢) الخروبة: من منازل الرمل بين مصر والشام، انظر: ابن بطوطة: ص٥٤

(٣) هم بنو درما بن عوف بن ثعلبة المقدم ذكره، وقيل: درما بن ثعلبة، واسم درما عمرو، ودرما اسم أمه غلب عليه فعرف بها، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٧٥، السويدي: ٢٣٩، كحالة: ١/٣٧٨

(٤) في الأصل: إلى.

(٥) ويقال لهم: الجواهرة، وهم بطن من ثعلبة طيئ، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٧٥ .

(٦) هم بطن من بطون درما، من طيئ، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٧٥، السويدي: ٢٧٥

(٧) هم بطن من زُرَيق أخي درما المقدم ذكره، انظر:القلقشندي: صبح ١/٣٧٥، السويدي: ص٢٦١ .

(٨) هم بطن من بني زريق، انظر:القلقشندي: صبح ١/٣٧٥، السويدي: ص٢٧٤، كحالة: ٢/٦٣٣

(٩) هم بطن من العرب ، لم تنسبهم المصادر في قبيلة، انظر: القلقشندي: نهاية، ص١٥٤ .

(١٠) في (ك/١٠٦): الحمان، ولم أقع للعار والخمان، أو الحمان على ذكر في قبائل العرب يفضي إلى تعريفهما ولا يبعد عندي أن يكونا اسمين لموضعين في الشام وأن المقصود هنا أهل هذين الموضعين.

(١١) يقصد جرم طيئ، انظر ما يلي من السياق.

(١٢) الداروم: ويقال لها الدارون أيضاً، وهي قلعة بعد غزة لقاصد مصر بينها وبين البحر مقدار فرسخ، انظر: ياقوت: ٢/٤٢٤

السَّلامُ، وفي العَرُوب[(١)] جرومٌ كثيرةٌ: جَرْمُ قُضاعةَ[(٢)]، ومنهم بنو جُشَم[(٣)]، وبنو قُدامةَ[(٤)]، وبنو عَوف[(٥)]، (٢٣) وجَرْمُ بجيلةَ[(٦)] وجَرْمُ عاملةَ[(٧)] وجرمُ طيئ[(٨)]، ومنها هؤلاءِ الذين نحنُ في ذكرِهم.

قالَ الحَمْدانيُّ: واسمُه ثَعْلَبَةُ واسمُ أمِّه جَرْمٌ فحضنتْهُ فسُمِّي بها وهو [جَرْمُ بنُ عمرو بنِ الغوثِ][(٩)] بنِ طيئ وهم: [شمَجى][(١٠)]، وقمرانُ[(١١)]، وحَيَّان[(١٢)]، قالَ: وكانوا متفقينَ مع ثعلبةَ بالشامِ يداً مع الإفرنجِ على المُسلمين، فلما فتحَ السلطانُ صلاحُ الدينِ البلادَ جاءتْ ثعلبةُ وطائفةٌ من جَرْمٍ ومُضَر وبقيت بقايا جَرْمٍ مكانَها، قالَ:

(١) العروب: اسم قريتين بناحية القدس فيهما عينان عظيمتان وبركتان وبساتين، انظر: ياقوت: ٤/١١٢

(٢) هم بنو جَرْم واسمه علاف، أو عمرو بن ربّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، انظر: ابن حزم: ص٤٥١، القلقشندي: نهاية، ص١٩٥-١٩٦، الزركلي: ٢/١١٨، كحالة: ١/١٨٢.

(٣) القلقشندي: نهاية، ص١٩٩، كحالة: ١/١٨٧.

(٤) هم بنو قدامة بن جَرْم قضاعة، انظر: ابن حزم: ص٤٥١، القلقشندي: نهاية، ص٣٥٦.

(٥) هم بنو عوف بن ربّان، أخي جرم المذكور، انظر: المصدرين نفسيهما.

(٦) هم بطن من بجيلة بن أنمار بن أراش، من القحطانية، انظر: القلقشندي: نهاية، ص١٩٤.

(٧) يجوز أن يكون المراد بني جرم بن سعد بن معاوية، وهم بطن من عاملة، انظر: كحالة: ١/١٨٢.

(٨) ابن حزم: ص٤٠٠، ٤٠٣، القلقشندي: صبح ١/٣٧٤، ونهاية، ص١٩٤-١٩٥، الزركلي: ٢/١١٨

(٩) في الأصل: جرم بن الغيث، والتصحيح من المصادر نفسها.

(١٠) في الأصل: شمجان، والتصحيح من ابن حزم، ص٤٠٣

(١١) ابن حزم: ص٤٠٣، القلقشندي: صبح ١/٣٧٤، كحالة: ٣/٩٦٥

(١٢) ابن حزم: ص٤٠٣، القلقشندي: صبح ١/٣٧٤، السويدي: ص٢٣١، كحالة: ١/٢٢٣

والمشهورُ من جَرْمٍ هذه الآنَ جَذيمَةُ[1]، ويُقالُ ‹إنَّ› لهم نسباً في قُرَيْشٍ، وزعَم بعضُهم أنها ترجعُ إلى مخزوم. وقالَ آخرون: بل من جَذيمةَ بنِ مالكِ بنِ حِسلٍ[2] بنِ عامرِ بن لؤيٍّ ابنِ غالبِ بنِ فِهْرٍ، قالَ: وجَذيمَةُ هذه آلُ عَوْسجةَ، وآلُ أحمدَ، وآلُ محمودٍ، وكلُّهم في إمارةِ شاور بنِ سِنانَ ثم في بنيه، وكانَ لسِنانَ أخوان فيهما سُؤددٌ وهما غانمٌ وخِضرٌ.

ومن هؤلاء جَذيمَةَ: جمائعُ الرائديين[3] جماعةُ منصورِ بنِ جابرٍ، وجماعةُ عامرِ بنِ سلامَةَ[4].

[ومنهم][5] بنو أسلَم، قالَ: وهذه أسلمُ من جُذَام لا من جَذَيمةَ لكنها اختلطتْ مع جَذيمةَ.

ومنهم شبلٌ، ورضيعةُ ‹من› جَرْمٍ، ونيفور[6]، والقَدَرَةُ جماعةُ عُلَيْمِ بنِ رُمَيح، والأحامدةُ، والرفثة، وكور من جَرْمٍ، جماعة جابرِ بنِ سعيدٍ، وموقع، وكانَ كبيرَهم مالكٌ الموقعيُّ، وكانَ مقدماً عندَ السلطانِ صلاحِ الدينِ وأخيهِ العادلِ[7].

(١) القلقشندي: صبح ١/٣٧٤-٣٧٥، ونهاية، ص١٩٤، السويدي: ص٢٣٤، كحالة: ١/١٧٦

(٢) في القلقشندي (صبح ١/٣٧٤): حنبل، وهو تحريف، قارن بابن حزم، ص١٧٠

(٣) في (ك/١٠٨): الرائدين.

(٤) في القلقشندي (نهاية، ص١٩٤): سلام.

(٥) في الأصل: وهم، والتصحيح من (ك/١٠٨).

(٦) في القلقشندي (صبح ١/٣٧٤): ينور.

(٧) هو الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب بن شاذي، توفي بعالقين من قرى دمشق في جمادى الآخرة سنة ٦١٥هـ/ أواخر آب ١٢١٨م، ثم حمل إليها فدفن في قلعتها إلى سنة ٦١٩هـ حيث نقله ولده الملك المعظم عيسى إلى مدرسته (العادلية الكبرى)، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ١٢/ ٣٥٠-٣٥٢، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ق٢/ ٥٩٤-٥٩٧، ابن خلكان: ٥/ ٧٤-٧٩، الذهبي: سير ٢٢/١١٥، والعبر ٣/١٦٧-١٦٨، ابن كثير: البداية ١٣/ ٧٩، ابن العماد: شذرات ٥/٦٥، الزركلي: ٦/ ٤٧.

ومنهم بنو [عَوْفٍ][١] قالَ: ويقالُ إنهم من جَرْمِ بنِ [حِرمِز][٢] من سُنْبُسٍ[٣]، ومن هؤلاءِ العاجلةُ، والضمانُ، والعبادلةُ، وبنو تمامٍ، وبنو جميلٍ، ومن بني جميلٍ، بنو مِقْدامٍ، ومن بني [عَوْفٍ][١] أيضاً [آلُ][٤] نادرٍ وبنو غَوثٍ، وبنو بَهـا[٥]، وبنو خولةَ، وبنو هرماسٍ، وبنو عيسى، وبنو سُهيل، وأرضُهم الدارومُ وكانوا سفراءَ بينَ الملوكِ وجاورَهم قومٌ من زُبَيْدٍ تُعرفُ ببني فُهَيْدٍ، ثم اختلطوا بهم.

قالَ الحَمْدانيُّ: فهذه جَرْمُ الشامِ (٢٤) وحلفاؤُهم ومن جاورَهم ولاذَ بهم، وبنو جابرِ [بدمرى][٦] من غزةَ وتعرفُ بالحُرَيْثِ <وهم> جماعةُ فهدِ بنِ بدرانَ، وأما بنو صَخرٍ وهم الدُعَيْجيُّون[٧]، والعَطَوِيُّون، والصُوَيتيون، وبلادُهم ماحولَ الكركِ[٨] ومنهم طائفةٌ بمصرَ، وبنو خصيبٍ وهم أشتاتٌ بمصرَ والشام.

---

(١) في الأصل: عور، والتصحيح من (ك/١٠٨).

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل، والتصحيح من ابن حزم (ص٤٠٢)، وفي (ك/١٠٨): جرمز، ولم أجد لحِرمز هذا ولداً اسمه جرم فيما توفر لدي من المصادر.

(٣) هم بنو سُنْبُس - بضم السين أو فتحها أو كسرها- بن معاوية بن جرول بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، انظر: ابن حزم: ص٤٠٢، القلقشندي: صبح ١/٣٧٤، ونهاية، ص٢٧٣، السويدي: ص٢٤٩، كحالة: ٢/٥٥٧-٥٥٨

(٤) في الأصل: إلى، والتصحيح من (ك/١٠٨).

(٥) كذا رسمت في الأصل، ويجوز أن يكون المقصود: بهاء، أو بهي كما في (ك/١٠٨)، والقلقشندي (نهاية، ص١٧٣).

(٦) في الأصل رسمت: تدمرى، وفي (ك/١٠٩): بدرمى.

(٧) ويقال لهم: الدعاجنة، انظر: القلقشندي: نهاية، ص١٢٩، السويدي: ص١٩٢ .

(٨) الكرك: مدينة مشهورة في جنوب الأردن ذات قلعة حصينة، وقد أفاض المؤلف في وصفها في الباب السادس (ص٢١٢-٢١٤) من مطبوعة "المسالك"، وقارن بياقوت ٤/٤٥٣ .

وبنو هَوبر، ووفدتْ منهم طائفةٌ على المُعزِّ أيْبَكَ[١] بمصرَ وبقيتُهم بالشام، وبنوُ مُرَّةَ خفراءُ القدسِ، وبنو فيضٍ وبنو شُجاعٍ بالقدسِ أيضاً، والعناترة ببلدِ الخليلِ عليهِ السَّلامُ، وبنو أيوبَ بجينين[٢]، وبنو نُمَيْرِ بنِ قَيْسٍ خفراءُ غَور الكَفْرين ونَمْرين، وبنو وَهْرانَ بجبلِ عَوفٍ[٣] وبنو [عَمرو][٤] عربُ الصَّلْتِ[٥] ومرجعُها إلى جُذام.

‹و›بنو طريفٍ من جُذَام. ومنهم مِسْهرُ، وعَجْرَمَةُ، ومهدي[٦]، وبنو مهديٌّ منهم: المَشَاطبةُ ومنهم: أولادُ ابنِ عسكر ومن الأدْعياءِ جماعةُ نُعَيم[٧]، ومن بني مَهديٌّ أيضاً [العناترةُ][٨] جماعةُ أولادِ راشدٍ، والبتراتُ، اليعاقبةُ، والمطارنةُ، والعفيرُ، والزُّوَيْم، والقطاربة، وأولادُ الطابية، وبنو دَوسٍ، وآلُ سيارٍ، والمخابرةُ، والسماعةُ، والعجارمةُ من بني

---

(١) هو الملك المعز عز الدين أيبك التركماني، ولي السلطنة في أواخر ربيع الأولى سنة ٦٤٨هـ/ تموز ١٢٥٠م إلى أن قتل في ربيع الأول سنة ٦٥٥هـ/ نيسان ١٢٥٧م، وخلفه على عرش مصر ابنه الملك المنصور علي، انظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٥٤-٦٠، الذهبي: العبر ٣/٢٧٥، ابن شاكر: عيون التواريخ ٢٠/١١١، ابن كثير: البداية ١٣/١٩٨-١٩٩، ابن تغري بردي: النجوم ٧/٥٦-٥٧، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/٣٨، الزركلي: ٢/٣٣ .

(٢) يقصد مدينة جنين، وهي من المدن الشهيرة بالضفة الغربية بفلسطين، انظر: ياقوت: ٢/٢٠٢ .

(٣) جبل عوف: جبل مطل على غور الأردن ينسب إلى قوم من بني عوف، وتقوم عليه قلعة عجلون، راجع للمؤلف الباب السادس (ص١٨٨) من مطبوعة "المسالك"، وقارن بالقلقشندي (صبح ٤/٨٩).

(٤) في الأصل: عمر والتصحيح من (ك/١٠٩).

(٥) الصلت: مدينة مشهورة في الأردن من عمل البلقاء وبها قلعة حصينة، راجع للمؤلف الباب السادس (ص١٨٨-١٨٩) من مطبوعة "المسالك"، وقارن بالقلقشندي (صبح٤/١١٠) .

(٦) السويدي: ص١٨٤-١٨٥، وتحرف فيه مهدي إلى مهري، كما لحق التحريف ببنيه وبطونه، فنهم فيه: بنو مهري، الزركلي: ٧/٣١١، كحالة: ٣/١١٥١ .

(٧) هم النعيميون، وقد تقدم ذكرهم في أحلاف ثعلبة الشام، ص٢٩١ .

(٨) في الأصل العناتر، والتصحيح من (ك/١٠٩).

طريفٍ، وكان شيخُهم مسعودُ بنُ جريرٍ ذا مكانةٍ عندَ ولاةِ الأمورِ، وبنو خالدٍ، والسلمانُ، والفرانسيةُ، والدرالاتُ، و[الحمالاتُ][1]، والمساهرةُ، والمعاورةُ[2]، وبنو عطاءٍ، وبنو ميادٍ، وآلُ شبلٍ، وآلُ رُوَيْمٍ وهم غيرُ الرُّوَيْمِ[3]، والمحارقةُ، وبنو عِياضٍ وهؤلاءِ ديارُهم البَلْقاءُ[4]، و[آلُ][5] بايرٍ، و[آلُ][5] الصوانِ و[آلُ][5] علمِ أعفر، وهؤلاءِ بالبلقاءِ طائفةٌ من حارثةَ، ولهم نسبٌ بقرى بني عُقْبَةَ[6].

ومن بني مهديٍّ أيضاً بنو داودَ، وجماعةُ فضل بنِ عُلَيم من المشاطبةِ، وجماعةُ زائدِ بنِ بشيرٍ من العناترةِ، وجماعةُ فرسةَ[7] بنِ جريانَ من السمَّاعةِ، وجماعةُ غضبانَ بنِ عمرو بن جريرٍ من العجابرةِ، وجماعةُ سلمانَ العبَّاديِّ من بني عَبَّادٍ، وجماعةُ (٢٥) عساكر بنِ حَياشٍ، وهؤلاءُ ديارُهم حولَ الكَرَكِ، وبنو جَوشن خفراءُ المُوجِبِ[8] و[بنو بَعْجةَ][9] من

---

(١) في الأصل: الحمالان، والتصحيح من(ك/ ١١٠).

(٢) في المصدر نفسه: المغاورة.

(٣) يقصد الرويم المقدم ذكرهم في الصفحة السابقة.

(٤) البلقاء: كورة بين الشام ووادي القرى، قصبتها عَمان، وفيها قرى كثيرة، انظر: ياقوت: ١/ ٤٨٩، الحميري: ص٩٦-٩٧، القلقشندي: صبح ٤/ ١١٠

(٥) في الأصل: إلى.

(٦) هم بنو عقبة بن (محربة) بن حرام، من جذام، من القحطانية، وكان عليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة المنورة إلى حدود غزة من بلاد الشام، انظر: القلقشندي: نهاية، ص٣٣٠، السويدي: ص١٧٧، الزركلي: ٤/ ٢٤٠، كحالة: ٢/ ٧٩٧

(٧) في (ك/ ١١٠): قرسة.

(٨) الموجب: وادٍ ذكره المؤلف في معرض الحديث عن حصانة الكرك باسم الوادي الملوي، وقال: "وعصم سوار الوادي الملوي معصمها"، راجع الباب الساس (ص٢١٢) من مطبوعة "المسالك".

(٩) في الأصل: نعجة، والتصحيح من (ك/ ١١٠).

هلْباء خفراءُ الزُوَيرةِ، وبنو عَجْرَمةَ خفراءُ الرقطانةِ والحَسَبةُ من بني عُقْبَةَ، وعُقْبَةُ من جُذامٍ وديارُهم من الشَّوْبَكِ[١] إلى حِسْمى[٢] إلى تبوكٍ إلى تَيْماءَ[٣] إلى بردٍ ورؤاف[٤] إلى الحُرَيداء[٥] وهو شرقي الحِجْرِ[٦]، وآخرُ أمرائهم كانَ شطيٌّ بنَ عُبيَّةَ[٧] وكانَ سلطانُنا الملكُ الناصرُ قد أقبلَ عليه إقبالاً أحلَّه فوقَ السماكيْن، وألحقَه بأمراءِ آلِ فضلٍ وآل مِرا، وأقطَعه الإقطاعاتِ الجليلةَ، وألبسَه التشريفَ الكبيرَ، وأجزلَ له الحبَاءَ، وعَمَّر له ولأهلهِ البيتَ والخباء.

وبنو زهيرٍ[٨] عربُ الشَّوْبكِ أيضاً، والحُرَيْثُ وهم بالساحلِ الغزاوي، وغزوا عَسقلانَ[٩] أيامَ الملكِ الصالحِ مع بَيْبَرسَ الكَنْجيِّ فاقطَعهم هناك.

وبنو سعيدٍ عربُ صَرخدَ[١٠] وهم من سعدِ جُذام.

---

(١) الشوبك: قلعة حصينة باطراف الشام (داخل الأردن حالياً)، انظر: ياقوت: ٣/٣٧٠، ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٤٣-٤٤.

(٢) حِسْمى: أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان، انظر: ياقوت: ٢/٢٥٨-٢٥٩.

(٣) تَيماء: بلدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق الحج الشامي، انظر: ياقوت: ٢/٦٧، الحميري: ص١٤٦-١٤٧.

(٤) برد ورؤاف: جبلان مستديران في مفازة بين تيماء وجفر عنزة، انظر: ياقوت: ٣/٧٥.

(٥) الحُرَيْداء: رُميلة ببلاد بني أبي بكر بن كلاب، انظر: المصدر نفسه: ٢/٢٥٠.

(٦) الحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، انظر: البكري: معجم ما استعجم ٢/٤٢٦، ياقوت: ٢/٢٢١.

(٧) توفي ليلة عيد الأضحى سنة ٧٤٨هـ/ آذار ١٣٤٨م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٢/٢٨٧.

(٨) هم بطن من بني جذام من القحطانية، انظر: القلقشندي: نهاية، ٢٥٤.

(٩) عسقلان: مدينة من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبين جبرين، انظر: ياقوت: ٤/١٢٢، ابن بطوطة: ص٥٩-٦٠.

(١٠) صرخد: بلدة وقلعة حصينة بحوران، انظر: ياقوت: ٣/٤٠١.

وزُبَيْدٌ فرقٌ شتى بصَرخَد[1] منهم، وبغوطةِ دمشق[2]، وببلادِ سِنْجار[3]، وبالحجازِ[4]، وباليمنِ[5] والذين بصرخَد منهم آلُ ميَّاسٍ، وآلُ صَيْفيٌّ، وآلُ بَرَّةَ، وآلُ محسنٍ، وآلُ جحشٍ، وآلُ رجاء، وبغوطةِ دمشقَ آلُ رَحَّالٍ، وآلُ بَدَّالٍ، والدَّوْسُ، والحُرَيْثُ وهم جماعةُ نوفل الزُّبَيدي.

‹ آلُ رَبيعةَ ›

وأما آلُ رَبيعةَ[6] - وهم ملوكُ البَرِّ وأمراءُ الشامِ والعراقِ والحجازِ - فهم: آلُ فضلٍ، وآلُ مِرا، وآلُ عليٍّ من آلِ فضل.

---

(١) لم يبين السياق من أي زبيد هم، أو إلى من مرجعهم، ولم أهتد إلى تحقيقهم.

(٢) غوطة دمشق: اسم اصطلح على كل ما يحيط بدمشق من قرى وبساتين تروى من نهر بردى أو من متفرعاته، انظر: ياقوت: ٣/٤٠١، كرد علي: غوطة دمشق (ينظر كله).

(٣) سِنْجار: مدينة مشهورة في شمال العراق، وتتبع حالياً لواء الموصل، انظر: ياقوت: ٣/٢٦٢-٢٦٣ .
وأما زبيدُ سنجار، فهم: بنو زبيد بن معن بن عتود بن عنين بن سلامان، من طيئ، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٧٣-٣٧٤، ونهاية، ص٢٥٤ .

(٤) زبيد الحجاز: بطن من سعد العشيرة يعرف بنوه بزبيد الأكبر، واسمه منبه بن صعب ابن سعد العشيرة من بني زيد بن كهلان من القحطانية، وكان عليهم درك الحاج المصري من الصفراء إلى الجحفة ورابغ، انظر: ابن حزم: ص٤١١-٤١٢، القلقشندي: نهاية، ص٢٤٨، السويدي: ص١٤٤

(٥) زُبيد اليمن: بطن من زبيد الأكبر، ويعرف بزبيد الأصغر واسمه منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة ابن زبيد الأكبر، انظر: القلقشندي: نهاية، ص٢٤٩، السويدي: ١٤٤، كحالة: ٢/٤٦٥

(٦) القلقشندي: صبح ١/٣٧٦-٣٧٨، سعيد: آل ربيعة (ينظر كله).

قالَ الحَمْدانيُّ: ورَبيعةُ رجلٌ من سلسلةَ [١]، نَشأَ في أيامِ أتابكْ زَنْكي [٢] وولدِه نورِ الدينِ [٣] رحمَهما اللهُ تعالى ونبغَ بينَ العربِ، قالَ: ويقالُ إنَّ أباه رجلٌ من عَلقى [٤]، قالَ: وتقولُ ربيعةُ الآنَ إنَّه من ولَدِ جعفرِ بنِ خالدِ بنِ بَرمَكْ [٥]، قالَ: وهذا ليسَ بصَحيح.

قلتُ: وأصلُهم إذا نُسبُوا إليه أشرفُ لهم لأنَّهم من سلسلةَ بنِ عُنَيْنِ بنِ سلامانَ من طيئ، وهم كرامُ العربِ، وأهلُ البأسِ والنجدةِ فيهم، والبرامكةُ (٢٦) وإن كانوا قوماً كراماً

(١) هو سلسلة بن عمرو بن غَنْم بن ثَوب بن معن بن عتود بن عنين بن سلامان، من طيئ، من القحطانية، انظر: ابن حزم: ص٤٠١، القلقشندي: نهاية، ص٢٦٩، الزركلي: ٣/١٠٨، وهو في المصدرين الأخيرين: سلسلة بن غَنْم.

(٢) هو عماد الدين زنكي بن آقسنقر التركي، قتل غيلة في أثناء حصاره لقلعة جعبر في ربيع الآخر سنة ٥٤١هـ/ أيلول ١١٤٦م، ودفن بصفين، ترجمته في :ابن الأثير: الكامل ١١/١١٠-١١٢، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: جـ٨ ق١/١٨٩-١٩١، الذهبي: سير ٢٠/١٨٩، والعبر ٢/٤٥٩-٤٦٠.
وأتابك: لفظ تركي كان السلاجقة يطلقونه على كبير أمرائهم، يولونه الوصاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر، ثم أطلق في أيام المماليك بمصر على مقدم العساكر أو القائد العام على اعتبار أنه أبو العساكر والأمراء جميعاً وكان يسمى أتابك العساكر، انظر:البقلي: التعريف، ص١٤ .

(٣) قلت: يجوز أن يكون ربيعة قد أدرك طرَفاً من أيام عماد الدين زنكي، أما أن يكون قد عاصر عماد الدين ومن بعده ولده نور الدين المتوفى سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، فأمر بعيد لا يحمل على إطلاقه حتى على ولده فضل الذي عاصر عماد الدين ومات في أيامه نحو سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م.

(٤) هو علقى بن حوط كما يلي من نسب ربيعة، ولم أجد لذكره دلالة في السياق سوى التصعيد في النسب العربي لربيعة في مواجهة النسب البرمكي الفارسي المزعوم.

(٥) قتل على يد هارون الرشيد في سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م، وهو إلى جانب والده وجده يشكلون أركان أسرة البرامكة، وهي أسرة كان لها مكانتها في الدولة العباسية إلاّ أن ذكرها في التاريخ اقترن بالنكبة التي حلت بها على يد الرشيد، انظر: ابن خلكان: ١/٣٢٨-٣٤٦، دائرة المعارف الإسلامية: ٣/٤٩٢-٤٩٨ (البرامكة).

فأنَّهم قومٌ عَجَمٌ وشتانَ بينَ العجمِ والعَربِ، وقد شرَّفَ اللهُ العربَ إذْ بعثَ فيهم محمداً صلىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم نبيَّه، وأنزلَ فيهم كتابَه، وجعلَ فيهم الخلافةَ والمُلكَ وابتزَّ بهم مُلْكَ فارسَ والرومِ، وقرعَ بأسنتِهم تاجَ كِسْرى وقيصرَ، وكفى بهذا شرفاً لا يُطاوَلُ وفخراً لا يقَاول.

قالَ المهْمنْدارُ الحَمْدانيُّ: وزَعموا أنَّه من وَلدِ جعفر من أختِ الرشيدِ[١] التي عُقِدَ له عليها كما قالوا لتخرجَ عليهِ على أنْ لا يطأَها فوَطِئها على حينِ غرَّةٍ فحبلتْ بغلامٍ وكانَ هذا ربيعةُ من بَنيه، قالَ: وهذا الخبرُ ليسَ بصحيحٍ، وإن كانَ صحيحاً فقد دُفِنَتِ المرأةُ وولدُها كما قيلَ في تمامِ الحكاية، ولم يُعْلَمْ لهما أثرٌ، قالوا: وكانتْ نكبةُ البرامكةِ بهذا السَّببِ ومما يدلُّ على بُطلانِ هذه الدَّعوى ما نُقِلَ عن ثقاتٍ أنَّ مَسْروراً الخادمَ سُئِلَ عن سببِ الإيقاعِ بالبرامكةِ فقال: كأنَّكَ تظُنُّ حديثَ المرأةِ [صحيحاً][٢]، وأنَّ الإيقاعَ بهم كانَ بسببِه، فقلتُ: نعم، فقال: ما لهذا الخبرِ صحةٌ، وإنما حسدُ موالينا ومُلكِهِم.

قلتُ: ولا يبعدُ ذلكَ مِن ملكِ الملوكِ ولا سيما البرامكة كانَ قد عَلا صيتُهم، وانتشرَ ذِكرُهم، وكَثُرَتْ فيهم المدائحُ، وقصدَهم الشعراءُ، ووفدَتْ عليهم الوفودُ حتى تضاءلتِ الخلافةُ بهم.

قالَ الحَمْدانيُّ:

والأصحُّ في نسبِ ربيعةَ هذا أنَّه ربيعةُ بنُ حازمِ بنِ عليٍّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ دَغْفَلِ بنِ جَرَّاحِ بنِ شَبيبِ بنِ مسعودِ بنِ سعيدِ بنِ حُرَيْثِ[٣] بنِ السَّكنِ بنِ رفيعِ بنِ عِلقى بنِ حَوْطِ بنِ عمرو

---

(١) يقصد العباسة، توفيت ببغداد سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م، ترجمتها في: النجوم ٢ / ١٩١، ابن العماد: شذرات ١ / ٣١١، الزركلي: ٥ / ٣٥، واسمها فيه: عُلية بنت المهدي بن المنصور.

(٢) في الأصل: صحيح.

(٣) في (ك/١١٣): حرب.

ابنِ خالدِ بنِ مَعبدِ بن عَديٍّ بن أفلتَ بنِ سلسلةَ بنِ عَمرو(١) بنِ غَنْمِ بنِ ثَوبِ بنِ مَعنِ بنِ عَتودِ بنِ عُنَيْن بن سلامانَ بن ثُعَلَ بنِ عَمرو بنِ الغَوْثِ بن طيئٍ، فهذا ما ذكرَه الحَمْدانيُّ.

وأما نسبُ ربيعةَ إلى بَرمك، فقالوا: ربيعةُ (٢٧) بنُ سالمِ بنِ شبيبِ بنِ حَازمِ بنِ عليٍّ ابنِ جَعفرِ بنِ يَحيَى بنِ خالدِ بن بَرْمُك.

قالَ الحَمْدانيُّ: ولدُ ربيعةَ أربعةٌ، وهُم: فضلٌ، ومِرا، وثابتٌ، ودَغْفل، وسنذكرُهم على ما هم في وقتِنا على ما ذكرَه لي محمودُ بنُ [عرّامٍ](٢) من بني ثابتِ بنِ رَبيعةَ، قالَ:

‹ آل فضل ›

فضلٌ(٣) منهم آلُ عيسى(٤) وقد صاروا بُيوتاً: بيتَ مُهَنّا بنِ عيسى(٥) وأميرُهم

(١) في الأصل، وفي (ك/١١٣) ورد بعد ابن عمرو: بن سلسلة، والتصحيح من ابن حزم، ص٤٠١

(٢) في الأصل: غدام، والتصحيح من (ك/١١٤).

(٣) هم آل فضل بن ربيعة المتوفى نحو سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، انظر: ابن خلدون: ٦/٩، ١١، السويدي: ص٢٦٠، الزركلي: ٥/١٤٨، كحالة: ٣/٩٢٢.

(٤) هم آل عيسى بن مُهَنّا بن مانع بن حديثة بن عُصية بن فضل بن ربيعة، توفي في سلمية في ربيع الأول سنة ٦٨٣هـ/ آيار ١٢٨٤م، ترجمته في: الذهبي: العبر ٣/٣٥، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨/١٢-١٣، ابن تغري بردي: النجوم ٧/٣٦٣، ابن العماد: شذرات ٥/٣٨٣، الزركلي ٥/١٠٩، سعيد: آل ربيعة، ص١١٥-١١٩.

(٥) هو حسام الدين مُهَنّا بن عيسى بن مُهَنّا بن مانع الطائي، توفي في ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ/ حزيران ١٣٣٥م، ترجمته في: الذهبي: ذيل العبر، ص١٠٢، اليافعي: مرآة الجنان ٤/٢٩١، ابن كثير: البداية ١٤/١٧٢، ابن حجر: الدرر ٥/١٣٨-١٤٠، ابن العماد: شذرات ٦/١١٢، الزركلي: ٧/٣١٦، سعيد: آل ربيعة، ص١١٩-١٢٤.

وأميرُ سائرِ آلِ فضلٍ أحمدُ بنُ مُهَنَّا[(١)] وبيتُ فضلِ بنِ عيسى وأميرُهم سيفُ بنُ فضلٍ[(٢)]، وبيتُ حارثِ بنِ عيسى وأميرُهم قناةُ بنُ حارثٍ.

وأما أولادُ محمدِ بنِ عيسى[(٣)]، وأولادُ حُدَيْثَةَ بنِ عيسى، وآلُ هبةَ بنِ عيسى فتُبّاع، وهذا البيتُ أسعدُ بيتٍ في العَربِ وفي وقتِنا الذي أشرقت فيه طوالِعُ سُعودِهم، وأينعَ [فيه][(٤)] مُخضرُّ عودِهم.

وأما بقيةُ بيوتِ آلِ فضلٍ فمنهم آلُ فرجٍ، والأميرُ فيهم زيدُ بنُ طاهرٍ، وغنامُ بنُ وهيبةَ، وآلُ سُمَيْطٍ، والإمرَةُ فيهم في صافيةَ بنِ حُجَيْرِ بنِ الصُّمَيْدِ، وآلُ مُسْلمٍ والإمرةُ فيهم في طامي بنِ عباس، وآلُ عامرٍ، والإمرةُ فيهم في بني عَامرِ بنِ درَّاج.

وأما آلُ عليٍّ، فهم وإنْ كانوا من [ضِئْضِئ][(٥)] آلِ فضلٍ، فقد انفردوا منهم واعتزلُوا عنهم حينَ صَاروا طائفةً أخرى وسيأتي ذكرُهم، فهؤلاءِ آلُ فضل.

---

(١) هو أحمد بن مهنا بن عيسى، توفي في سلمية في رجب سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ١/٣٤٢، الزركلي: ١/٢٦١، سعيد: آل ربيعة، ص١٥٧ .

(٢) هو سيف بن فضل بن عيسى، توفي قتيلاً في حرب مع أولاد عمه مهنا بن عيسى في أوائل سنة ٧٦٠هـ /١٣٥٩م، وقيل في ذي القعدة سنة ٧٥٩هـ ترجمته في:ابن حجر: الدرر ٢/٢٧٩-٢٨٠، الزركلي: ٣/١٥٠، سعيد: آل ربيعة، ص١٣٤-١٣٥

(٣) هو شمس الدين محمد بن عيسى بن مهنا، توفي في سلمية في رجب سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٤/٢٤٩، الزركلي: ٦/٣٢٣، ابن العماد: شذرات ٦/٢٦٦، سعيد: آل ربيعة، ص١٢٧-١٢٨

(٤) في الأصل: فيهم.

(٥) في الأصل، رسمت هكذا: صيفى، والتصحيح من (ك/١١٤).

وأما مَنْ ينضافُ إليهم ويدخلُ فيهم فَمن يُذْكَرُ وهم: زُغْبٌ[(١)] والحُرَيْثُ[(٢)] وبنو كلبٍ وبعضُ بني كِلابٍ، وآلُ بشارٍ، وهم موالٍ، وخالدُ حمصَ، وطائفةٌ من سُنْبُس، وسُعَيْدة[(٣)]، وطائفةٌ من قُرَيْر[(٤)]، وبنو خالدِ الحجازِ، وبنو عُقَيلٍ من كُرْزٍ[(٥)]، وبنو رميمٍ، وبنو حيٍّ، وقمران والسراحينُ، ويأتيهم من عربِ البَرِّيةِ من يُذكَرُ.

فمن غَزِيَّة: غالبٌ، وآلُ أجودَ، والبطنينُ، وساعدةُ.

ومن بني خالدٍ: آلُ جناحٍ، و[الصبيات][(٦)] من مياس، والجبورُ، والدَّغمُ، والقرسةُ، وآلُ مُنَيْخر، وآلُ بيوتٍ، [والمعامرةُ][(٧)]، والعلجاتُ وهؤلاءِ مِن خالدٍ، وفرقةٌ (٢٨) من عائذٍ وهم آلُ يزيدَ وشيخُهم ابنُ مُغَامِسٍ، والمرابدةُ وشيخُهم كُلَيْبُ بنُ أبي محمدٍ، وبنو سعيدٍ وشيخُهم محمدُ العُلَيْمي، والدواشرُ[(٨)] وشيخُهم رواءُ بنُ بَدرانَ، هؤلاءُ غيرُ من يخالِفُهم في بعضِ الأحايينِ، على أنني لا أعرفُ في وقتنا من لا يُؤْثِرُ صُحبتَهم ويُظْهرُ محبتَهم، وأميرُ القومِ كما تقدمَ أحمدُ بنُ مُهَنَّا، وهذا نسبُه إلى ربيعةَ [أبوه مُهَنَّا بنُ عيسى بنِ مُهَنَّا بنِ مانعِ بنِ حُدَيثةَ بنِ عُصَيَّةَ بنِ فضلِ بن ربيعةَ][(٩)]، وديارُهم من حمصَ إلى

(١) هم بنو زُغْب بن مالك بن خُفَاف بطن من سُليم بن منصور من قيس عيلان، انظر: ابن حزم: ص٢٦١، ابن خلدون: ٢/٣٠٣، القلقشندي: نهاية، ص٢٥١، الزركلي: ٣/٤٤، وفيه: زِعب.

(٢) يقصد بني جابر من غزة، وقد تقدم ذكرهم، ص٢٩٢

(٣) يجوز أن يكون المراد هنا: سُعَيْدة، وهم قسم من زُبَيْد، انظر: كحالة: ٢/٥٢٤-٥٢٥ .

(٤) هم بنو قُرَيْر بن عنين بن سلامان، بطن من طيئ، انظر: المصدر نفسه: ٣/٩١٧-٩١٨ .

(٥) هن بطن من جرم (ثعلبة) طيئ، انظر: المصدر نفسه: ٣/١٠٠٣ .

(٦) في الأصل: رسمت بصورة: الصبيان، والتصحيح من (ك/١١٥).

(٧) في الأصل: المعامر، والتصحيح من المصدر نفسه، ص١١٦

(٨) في المصدر نفسه: الدواسر.

(٩) ساقطة من الأصل، والإضافة من المصدر نفسه.

قلعةِ جعَبر[١] إلى الرَّحبةِ[٢] آخذينَ على سَعةِ الفراتِ[٣]، وأطرافِ العراقِ حتى ينتَهيَ حَدُّهم قِبلةً بشَرقٍ إلى الوشْمِ[٤] وآخذينَ يَساراً إلى البصرةِ، ولهم مياهٌ كثيرةٌ ومناهلُ مَوْرُودَة: ‹الخفيف›

ولهـا منـهلٌ علـى كُـلِّ مـاءٍ وعلـى كُـلِّ دِمـنـةٍ آثـارُ

قلتُ: وكانَ من خبرِ هذا البيتِ الذي رُفِعَتْ عُمُدُه، وشُدَّ بطُنُبِ الجَوزاء وَتَدُه، يدٌ سَلَفتْ لعيسى بنِ مُهَنّا عند الظاهرِ بَيْبَرْس[٥] حالَ تَشْريدِه وتَطْريدِه احتاجَ فيها إلى فرسٍ يركبُه، فبالغَ في إكرامِه، وأركبَه خيرَ خيلِه، فلما ملكَ قَلَّده الإمرةَ ورقَّاه وأنهلَه رِيَّ الأملِ ورواه، ثم لم [يزل][٦] يزدادُ سُمواً ويَترقى في عُلُوٍ حتى مَات.

---

(١) قلعة جعبر: على الفرات بين بالس والرقة، وكانت قديماً تسمى دوسر، انظر: ياقوت: ٢/١٤٢، القلقشندي: صبح ٤/١٤٣-١٤٤ .

(٢) الرحبة: مدينة على الشاطئ الغربي للفرات، وتقوم مقامها حالياً مدينة (الميادين) السورية، انظر: ياقوت: معجم البلدان ٣/٣٤-٣٦، دائرة المعارف الإسلامية: ١٠/٧١-٧٩ (الرحبة).

(٣) في (ك/١١٦): "على شِقَّي الفرات"، وفي ابن حجر (الدرر ١/٣٤٢) في ترجمته لأحمد بن مهنا: "على سقي الفرات".

(٤) الوَشْم: موضع باليمامة، انظر: ياقوت: ٥/٣٧٨ .

(٥) هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي رابع ملوك الدولة المملوكية، ولي السلطنة في ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ/ تشرين الأول ١٢٦٠م، حتى وفاته في دمشق في المحرم سنة ٦٧٦هـ/ تموز ١٢٧٧م، ترجمته في: ابن خلكان: ٤/١٥٥-١٥٦، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣/٢٣٩-٢٦٢، ابن شاكر: فوات الوفيات ١/٢٣٥-٢٤٧، ابن كثير: البداية ١٣/٢٧٨-٢٧٩، ابن تغري بردي: النجوم ٧/١٧٥-٢٠٠، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/٩٥-١٠٥ .

(٦) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/١١٧).

وقُلِّد في الأيامِ المَنْصورية(١) مُهَنّا ولدُه الإمرةَ وعظمَ بنفسه وبأبيه، وعُرِفَ بعُلُوِّ الهِمَم، وبلغَ المرجُوَّ من رعايةِ الذِّمم، وعَفَّ عن الفواحشِ إلا اللَّمم، فزادَ قدرُه ارتفاعاً وصدرُه اتساعاً.

قلت: هذا البيتُ أولُه رجلٌ من طيئٍ من بني سلسلةَ بن عُنَيْنِ بنِ سَلامان.

نشأ هذا الرجلُ في أيامِ أتابكِ زَنْكي وأيامِ ولدِه نورِ الدينِ الشَّهيدِ كما تقدم(٢)، وفدَ عليه فأكرمَه وشادَ بذكره، وإلى هذا عُنَيْن(٣) يَنتسبُ كُلُّ عربِ عُنَيْن مَن كانَ من ولدِه أو من حلفائه أو من استخدَمه الأمراءُ الذين من ولَدِه، ومُهنَّا(٤) جَدُّ مُهَنَّا هذا [أبي أحمد](٥) الأميرِ الآنَ هو [ابنُ](٦) الأميرِ مانعِ بنُ حُدَيثَةَ [بنِ عُصَيَّة](٦) بنِ فضلِ بنِ ربيعةَ الطائيُّ (٢٩) الشاميُّ التدمريُّ، وكان أميرَ عربِ الشامِ في دولةِ طُغْتَكين صاحبِ

(١) يقصد أيام الملك المنصور سيف الدين قلاوون بن عبد الله الصالحي الألفي، وهو الملك السابع من ملوك الدولة المملوكية، ولي السلطنة في رجب سنة ٦٧٨هـ/ تشرين الثاني ١٢٧٩م حتى وفاته بظاهر القاهرة في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/ تشرين الثاني ١٢٩٠م، ترجمته في: الصقاعي: تالي، ص١٢٩-١٣١، أبو الفدا: المختصر ٤/٢٣-٢٤، ابن شاكر: فوات الوفيات ٣/٢٠٣-٢٠٤، ابن كثير: البداية ١٣/٣١٧-٣١٨، ابن حبيب: تذكرة النبيه ١/١٣٥، المقريزي: السلوك جـ١ق٣/ ٦٦٣-٧٥٦، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/١٠٦-١١١، ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ ق١/ ٣٦٠-٣٦٣، الزركلي: ٥/٢٠٣.

(٢) انظر ما سبق ص٢٩٩.

(٣) هو عنين بن سلامان بن ثُعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، انظر: الزركلي: ٥/٩٢، كحالة: ٢/٨٤٨.

(٤) يقصد مُهَنا بن مانع بن حديثة بن عقبة (عُصَيَة) بن فضل بن ربيعة، توفي في سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م، انظر: الزركلي: ٧/٣١٧.

(٥) في الأصل: أبو احمد، وهو يقصد حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا، وسيأتي السياق على ذكره.

(٦) ساقطة من الأصل، والإضافة مما تقدم من نسب مهنا (الجد).

دمشق[١]، ولم يصرحْ لأحدٍ من هذا البيتِ بإمرةٍ على العربِ بتقليدٍ من السُّلطانِ إلا من أيامِ العادلِ أبي بكرٍ أخي السُّلطانِ صَلاحِ الدينِ أَمَّرَ منهم حُدَيْثَةَ ثمَ إنَّ ابنَه الكاملَ[٢] قَسَّمَ الإمرةَ نصفَيْن نصفاً لمانعِ بنِ حُدَيْثَةَ ونصفاً لغنَّامٍ أبي طاهرِ بنِ غنَّام.

ثم إنَّ الإمْرَةَ انتقلتْ إلى أبي بكرِ [بن عليٍّ][٣] بنِ حُدَيْثَةَ وعلا فيها قَدْرُه، وبَعُدَ صيتُه، فلما كانَ من البحريةِ[٤] ما كانَ[٥] ساقَتْ تصاريفُ الدهرِ الملكَ الظاهرَ بَيْبَرسَ إلى بيوتِهم وهو طريدٌ مُشَرَّدٌ، ولم يكنْ قد بقيَ معه سوى فَرَسٍ واحدٍ يَعولُ عليه، فسألَ عليٌّ ابنَ حُدَيْثَةَ فَرَساً يركبُه فلم يعطِه شيئاً، وكانَ ذلك بمحضرٍ من عيسى بنِ مُهَنَّا فأخذَه عيسى

(١) قلت: كأنه يعني الأمير مانعاً، وهذا بعيد، فقد توفي طُغْتكين في سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م (ابن الأثير: الكامل ١٠/٦٢٥) في حين توفي مانع في سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م (الزركلي: ٥/٢٦٨)، والراجح أن إمارة عرب الشام في عهد طغتكين كانت من نصيب فضل بن ربيعة وكان فضل هذا كما يقول الزركلي (٥/١٤٨) تابعاً لخلفاء مصر، وصانع الإفرنج فطرده أتابك دمشق (يعني طغتكين) من بادية الشام فرحل بعربه إلى جوار الموصل.

(٢) هو الملك الكامل ناصر الدين محمد بن محمد بن أيوب بن شاذي، توفي بقلعة دمشق في رجب سنة ٦٣٥هـ/ آذار ١٢٣٨م، ترجمته في: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ق٢/٧٠٤-٧٠٧، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص٢٢، ابن خلكان: ٥/٧٩-٩٢، الذهبي: العبر ٣/٢٢٣-٢٢٤، الصفدي: الوافي ١/١٩٣، ابن كثير: البداية ١٣/١٤٩، ابن العماد: شذرات ٥/١٧١-١٧٢.

(٣) في الأصل: احمد، والتصحيح مما يلي من السياق.

(٤) البحرية: هم طائفة من الجند المماليك، انشاهم الملك الصالح نجم الدين أيوب (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، واسكنهم في جزيرة الروضة ببحر النيل، فعرفوا به ونسبوا إليه، وقد آلت إليهم فيما بعد مقاليد الدولة المملوكية الأولى، انظر: القلقشندي: صبح ٤/١٦، المقريزي: المواعظ ٢/٢٣٦، وحول سبب تسمية هؤلاء المماليك بالبحرية انظر: العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٧٧-٨٢.

(٥) يقصد ما كان من أمر هؤلاء المماليك حينما فروا من مصر إلى ملوك الأيوبيين في الشام خوفاً من بطش الملك المعز أيبك بعد أن قتل استاذهم فارس الدين أقطاي (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) وكان على رأس الفارين الأميران بيبرس وقلاوون الألفي، انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ق٢/٧٩٢-٧٩٣.

وضَمَّه إليه وآواهُ وأكرمَه وقَراه وخَيَّرَه في رباطِ خَيلِه، فاختارَ منها فَرَساً فأعطاهُ ذلكَ الفرسَ وزودَه وبالَغ في الإحسانِ إليه فعرفَها له الظاهرُ، فلما تَمَلَّكَ انتزعَ الإمرَةَ من أبي بكرِ بنِ عليٍّ وجعلها لعيسى بنِ مُهَنَّا، وأتاه أحمدُ بنُ طاهرِ بنِ غنَّامٍ وسألَه أنْ يشركَه معه في الإمْرَةِ، فأرضاه أنْ يعطيَه إمْرَةً ببوقٍ وعلمٍ، وبقيَ أبو بكرِ بنُ عليٍّ شريداً طريداً تارة بنجدٍ وتارةً بأطرافِ الشامِ إلى أن مات، وأمَّنَه الملكُ الظاهرُ غيرَ مرةٍ وحلفَ له فما وَثِقَ به ولا اطمأنَّ، ثم إنَّ درجةَ عيسى بنِ مُهَنَّا علتْ عندَ الملكِ الظاهرِ، ولم يزلْ مُعَظَّماً إلى أنْ مَات، ثُم إنَّ الإمْرَةَ صارتْ [لولده][1] الأميرِ حُسامِ الدينِ مُهَنَّا بنِ عيسى في أيامِ الملكِ المنصورِ قلاوونَ، وعلَت مكانتُه في أيامِ المنصورِ أكثرَ من مكانةِ أبيه.

حكى لي شَيخُنا شهابُ الدينِ أبو الثناءِ محمودٌ[2]، قالَ: حضرتُ طُرُنْطايَ المنصوريَّ[3] وهو مخيمٌ بالحُرْبةِ[4]، وقد حضره أحمدُ بنُ حَجيٍّ[5] أميرُ آلِ مِرا يَدَّعي

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/١١٨).

(٢) هو شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سلمان، أو سليمان بن فهد الحلبي، توفي بدمشق في شعبان سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، ودفن بتربته بجبل الصالحية، ترجمته في: ابن شاكر: فوات الوفيات ٤ /٨٢-٩٦، ابن كثير: البداية ١٤ / ١٢٠، ابن حجر: الدرر ٥ /٩٢-٩٤، ابن تغري بردي: النجوم ٩ / ٢٦٤-٢٦٥ .

(٣) هو الأمير حسام الدين طرنطاي الخازندار المنصوري، ولي نيابة السلطنة المنصورية (قلاوون) بمصر في رمضان سنة ٦٧٨هـ/ كانون الثاني ١٢٨٠م، ومات قتيلاً في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/ تشرين الثاني ١٢٩٠م، ترجمته في: الصقاعي: تالي، ص٩٤، الذهبي: العبر ٣ /٣٦٨-٣٦٩، ابن كثير: البداية ١٣ /٣١٨، ابن حبيب: تذكرة النبيه ١ /٤٩-١٣٩، ابن تغري بردي: النجوم ٧ /٣٨٣-٣٨٥، ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ق١ /٣٦٥-٣٦٦ .

(٤) الحَرِبة أو الحُرْبة: اسم لعدة مواضع في ياقوت (المعجم والمشترك)، وأقرب ما يكون إلى السياق الحُرْبةُ التي بنواحي النُّبك (٢ /٣٥٥)، أو الحَرِبة، وهي ماءة بالبادية (المشترك، ص١٥٣) وما عداهما خارج عن الشام.

(٥) هو شهاب الدين أحمد بن حجي بن بريد، توفي ببصرى الشام في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، ترجمته في: ابن كثير: البداية ١٣ /٣٠٣، ابن تغري بردي: النجوم ٧ /٣٥٧، الزركلي: ١ /١١٠ .

بألفِ بعيرٍ أخذَتْها آلُ فضلٍ لعربِه، ومُهَنَّا (٣٠) حاضرٌ، وكلٌّ منهما جالسٌ إلى جانبِ من طُرُنْطاي، فألحَّ أحمدُ بنُ حَجيٍّ في المطالبةِ، واحتَدَّ وارتفعَ صوتُه، ومُهَنَّا ساكتٌ لا يتكلمُ، فلما طالَ تمادى في الضجيجِ وتمادى مُهَنَّا في السكوتِ، أقبل طُرُنْطاي على مُهَنَّا، وقالَ: ما تقولُ يا ملكَ العربِ؟ فقالَ: وما أقولُ نعطيهم ما طلبوا هم أولادُ عَمِّنا وإنْ كانتْ لهم عندنا هذه البُعَيْرات أعطيناهم حقَّهم، وإن كان ما لهم شيء فما هو كثيرٌ إذا أعطيْنا بني عَمِّنا من مالنا، فقال له أحمدُ: لا، ألا قُلْ إتكلم، وزادَ في هذا ومثلِه ومُهَنَّا ساكتٌ فلما زادَ رفعَ مُهَنَّا رأسَه إليه، وقال له: يا أحمدُ إنْ كانَ كلامُك عليك هيناً فكلامي علي ما هو هين، وهذهِ الأباعرُ أقلُّ من أنْ يحصلَ فيها كلام، وأنا معطيكَ إياها، ثم قام فقالَ طُرُنْطايُ: هكذا واللهِ يكونُ الأميرُ [١]، ودامَ مُهَنَّا على هذا حتى جاءتِ الدولةُ الأشْرفيةُ [٢]، ولما خرجَ الأشرفُ لفتحِ قلعةِ الرومِ [٣] مرتِ

---

(١) استبعدت كرافولسكي ان تكون هذه القصة قد وقعت بحضور مهنا بن عيسى- موضوع هذا الفصل - وقالت في مقدمة تحقيقها لهذا الباب (ك/٣٣) إنها تصح في حالة مهنا بن مانع لا في حالة مهنا بن عيسى، وهذا يعني ان الواقعة قد جرت قبل سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م، وهي سنة وفاة مهنا بن مانع، وهو رأي خاطئ يقتضي الأخذ به إلغاء الواقعة برمتها، ذلك انه يصطدم بعمر الراوي وهو الشهاب محمود، حيث إنه لم يكن وقتها استناداً لتاريخ مولده (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) ليتجاوز السادسة عشرة ! وأنى لفتى بمثل هذا العمر أن يحضر مجلس طرنطاي أو ان يكون له شغل به !

(٢) يقصد دولة الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الصالحي، الملك الثامن من ملوك الدولة المملوكية، ولي السلطنة بعد وفاة والده في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/ تشرين الثاني ١٢٩٠م، حتى مقتله في تروجة من أعمال محافظة البحيرة في المحرم سنة ٦٩٣هـ/كانون الأول ١٢٩٣م، ترجمته في: الصقاعي: تالي، ص٧٠-٧١، أبو الفدا: المختصر ٤ /٣٩-٤٠، الذهبي: العبر ٣ /٣٧٩-٣٨٠، ابن شاكر: فوات الوفيات ١ /٤٠٦-٤١٥، ابن كثير: البداية ١٣ /٣٣٤-٣٣٥، ابن تغري بردي: النجوم ٨ /٣-٢٧، السيوطي: حسن المحاضرة ٢ /١١١ .

(٣) قلعة الروم: قلعة حصينة على الشاطئ الغربي للفرات وكانت حاضرة بلاد الأرمن وكرسي البطريركية عندهم، انظر: ياقوت: ٤ /٣٩٠-٣٩١، ابو الفدا: تقويم البلدان، ص٢٦٨-٢٦٩ .

وكان الأشرف خليل قد خرج من القاهرة في سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م على راس جيش كبير، وقد امكن له فتحها في رجب من السنة المذكورة (حزيران ١٢٩٢م) بعد حصار استمر ثلاثة وثلاثين يوماً، انظر: المنصوري: زبدة الفكرة ٩ /١٧٥ب-١٧٧آ، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣ /١٠آ-١٣ب، ابو الفدا: المختصر ٤ /٢٧، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر ٨ /٣٢٣، ابن الوردي: تتمة المختصر ٢ /٣٣٨، ابن كثير: البداية ١٣ /٣٢٧، ابن حبيب: تذكرة النبيه ١ /١٤٩، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨ /١٣٧، ابن تغري بردي: النجوم ٨ /١٢

العساكرُ بسِرْمين[1] إقطاعِ مُهَنَّا، فأكلتْ زروعَها وآذت أهلَها فشكوا إلى مُهَنَّا أذية العساكرِ، فشكا إلى الأشرفِ فعزَّ عليه واستنقصَ همتَه، وقالَ: كم جهد ما آذوا حتى تواجهَني بالشكوى، وما كانَ يُغتَفرُ هذا الفعلُ لهذا الجيشِ العظيمِ الخارجِ لأجل إذلالِ العدوِّ وقصِّ جَناحِ الكفرِ، وأسمعَه من هذا ومثله.

ثم لما كانَ الفتحُ ركبَ الأشرفُ في الفراتِ في خواصِّه ومعه جُلَساؤه من بني مهديٍّ، وكانوا يضحكونَه، فجاءَ مُهَنَّا بنُ عيسى فأمرَ بمدِّ الإسقالةِ ليدخلَ فلما دخلَ عليها غمزَ عليه فَحُرِكتِ الإسقالةُ فوقَع في الماءِ وتلوثَ بالطينِ فهزئتْ به بنو مَهديٍّ وضحكَ الأشرفُ ومن حولَه، وطوى مُهَنَّا جوانحَه على ألمها، ثم إنه استأذنَ في الانصرافِ إلى بيوته فأذنَ له وقالَ إلى لعنةِ اللهِ، فأسرَّها مُهَنَّا في نفسِه ولم يبدِها، وركبَ من وقته، وتوجَّه إلى أهلِه، وأقامَ عندَهم على حذَرٍ ثم (٣١) عادَ الأشرفُ ونزلَ بحماةَ بعثَ إليه مُهَنَّا بخيلٍ وجمالٍ فقَبلها وخلَع على رسولِه وبعثَ له خُلعةً سَنيّةً ليُطمئنَه ثم يكبسَه، فلما جاءتْ لبسَها إظهاراً للطاعةِ، وارتحلَ لوقتِه ضارباً في وجهِ البَرِّ فلم يتمَّ للأشرَفِ ما أراده منه، وعادَ إلى مصرَ وفي نفسِه من إمساكِ مُهَنَّا وإخوتِه وبنيه، وظنَّ مُهَنَّا أن لا حقدَ عنده، فلم يلبثِ الأشرفُ أنْ خرجَ إلى الكركِ وخرجَ إلى دمشقَ، وخرجَ منها على أنه يصيدُ كباشَ الجبلِ، ثم إن مُهَنَّا عملَ له ضيافةً عظيمةً فحضرَها الأشرفُ وأكلَ منها، ولما فرغَ ذلك أمسكَ مُهَنَّا ومعه جماعةٌ وجهزَهم إلى مصرَ وحبسَهم ببرجٍ في القلعةِ وضيقَ عليهم إلا في الراتبِ لهم، وكان مُهَنَّا في الحَبْس لا يأكلُ إلا بعدَ مُدّةٍ، وإذا أكل أكلَ ما يقيمُ رمقَه ويُصلي الصبحَ، ويديرُ وجهَه إلى الحائطِ ويصمتُ ولا يكلمُ أحداً حتى تطلعَ الشمسُ، ثم يقومُ بعجلةٍ وسرعةٍ ويأخُذ كفاً من حصىً وتُرابٍ كانَ هناك ثم يُزمجرُ وَيرمي به إلى الحائطِ كالأسد الصائلِ، فلما خرج الأشرفُ إلى الصَّيدِ تركَ ذلكَ الفعلَ، فقيلَ له في ذلك، فقالَ: قُضيَ الأمرُ، ولم يُرَ

(١) سرمين: بلدة في شمال سورية بين المعرة وحلب، وتتبع حالياً محافظة إدلب، انظر: ياقوت: ٣/٢١٥، ابو الفدا: تقويم البلدان، ص٢٦٤-٢٦٥ .

مُنْبسِطاً إلا في ذلكَ الحين.

قالَ، وحدثني مُظَفرُ الدينِ موسى ولدُ مُهَنَّا، قالَ: لما كنا بالاعتقالِ كانَ عمي محمدُ بنُ عيسى مُغْرى بدخولِ المُرتَفَقِ والتطويلِ فيه، وكان المُرْتَفَقُ مقارباً لدورِ حريمِ السُّلطانِ ولبعضِ الأُمراءِ، فقلتُ له في ذلك، [فقالَ:] [(١)] يا ولدَ مُهَنَّا لعلي أسمعُ خبراً من النسوانِ فإنهُنَّ يتحدثْنَ بما لا يتحدثُ به الرجالُ، فبينَا نحن ذاتَ يومٍ، وإذا بمُحمدٍ قد خرجَ، وقالَ: بُشراكم قد سَمعتُ صائحةَ النساءِ تقولُ: واسُلطاناه !، فقلنا له: دعنا مما تقولُ، فقالَ: ما أقولُ لكم حقٌّ، وكانَ لنا صاحبٌ من العَربِ تنكرَ وأقامَ بمصرَ، وكانَ يقفُ قُبالةَ مرمى البُرجِ الذي نحنُ فيه، ويُومئُ إلينا ونومئُ إليه غيرَ أنَّه (٣٢) لا يسمعُنا ولا نسمعُه، فلما كانَ في تلكَ الساعةِ ومحمدٌ يحدثُنا، وإذا بصاحبنا قد جاءَ وأومأَ ثم مدَّ يدَهُ الى الترابِ وصنعَ فيه هيئةَ قبرٍ ونصبَ عليه عوداً عليه خرقةٌ صفراءُ كأنَّها سَنجَقُ السلطانِ ثم نكسَها، وقعَد كأنه يبكي، ثم وقفَ قائماً ورقصَ فتأكدَ الخبرُ عندنا بموتِ الأشرفِ، فلما فُتح علينا من الغدِ سألْنا الفتاحَ والسجَّانينَ فأنكرونا ثم اعترف لنا بعضُهم وكان ذلك أعظمَ سُرورٍ دخلَ على قلوبِنا.

ولما خَرجوا من السجنِ شَكوا احتياجَهم إلى النساءِ فأُطلقَ لهم جماعةٌ من الجواري الأَشْرفياتِ ولم يكن مرادُهم بذلك إلا التشفِّيَ، وأعيدَ الجماعةُ الى أهلِهم إلا مُهَنَّا فإنه أُخِّرَ مدةً ثم جُهِّزَ فلما خرجَ من دمشقَ لحقَه البريدُ إلى ثَنيَّةِ العُقابِ [(٢)] بأن يعودَ فامتنعَ وقد توجَّه إلى أهلِه وكانوا قد ندموا على إطلاقِه، ثم إنَّه قدمَ مصرَ بعدَ ذلك مراتٍ وهو كالطائرِ الحذرِ الذي نُصِبَ له الشَّركُ بكلِّ مكان، وآخرُ مدةٍ قَدِمها في أوائلِ الدولةِ الناصريَّةِ

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/١٢٠).

(٢) ثنية العُقاب: جبل مطل على الغوطة ومرج راهط (عدرا) يبعد عن دمشق نحو (٣٠)كم إلى الشمال على طريق حمص، انظر: ياقوت: ٢/٨٥، كرد علي: غوطة دمشق، ص١٣٣ حاشية (١).

الأخيرةِ[(١)] سنةَ عشرٍ وسبعِ مئةٍ، وكانَ بُرُلْغي الكبيرُ[(٢)] مملوكَ مُهَنَّا وهو الذي قَدَّمَه[(٣)] فلما وجَده قد أُمسكَ تحدثَ فيه مع السلطانِ، وقالَ: هذا مملوكي وقدَّمتُه ليُعطى إقطاعاً في الحَلْقة، فأُعطيَ فوقَ حقِّه حتى جَعلتُموه ملكاً من الملوكِ، وأنا أريدُ أن تأخذَ كلَّ مالهِ ومماليكهِ وتعطيني إياه برقبتِه ليكونَ عندي إلى أن يموتَ فوُعِدَ بذلك، ثم إنَّ بُرُلْغي ماتَ في ذلك الوقتِ فقيلَ له: قد ماتَ، فعزَّ ذلك عليهِ عدمُ قبولِ شفاعتِه مع ما كانَ يمتُّ به من سوابقِ الخِدَم.

ولما كانَ السلطانُ في الكركِ فخرجَ مُهَنَّا، وقد طارَ خوفاً ورعباً ولما اجتمعَ بقَراسُنْقُر[(٤)] وكانتْ بينهما صداقةٌ قديمةٌ مؤكدةٌ، وكلٌّ منهما مستوحشٌ، [فجَدَّدا][(٥)] الأيمانَ والعهودَ على المضافَرةِ وأنْ لا يُسلمَ واحدٌ منهما (٣٣) صاحبَه فلما توجهَ قَراسُنْقُرُ إلى حلبَ زارَه مُهَنَّا فخلا به مُهَنَّا فأراه قَراسُنْقُرُ كتاباً من السلطانِ فيه إعمالُ الحيلةِ على إمساكِ مُهَنَّا، فقالَ له مُهَنَّا: ما أنتَ صانعٌ ؟ فقالَ أنا أطيعُه فيكَ وأجاهرُه وهو يجعلُني دأبَه وَوَكْدَه فمن

---

(١) يقصد السلطنة الثالثة والأخيرة للملك الناصر محمد بن قلاوون، وتبدأ من شوال سنة ٧٠٩هـ/ آذار ١٣١٠م، وتنتهي بوفاته في ذي الحجة سنة ٧٤١هـ/حزيران ١٣٤١م، قارن بمصادر ترجمته، ص٣٧ حاشية (٢).

(٢) هو الأمير سيف الدين بُرُلْغي بن عبد الله المنصوري الأشرفي، توفي بمحبسه في قلعة القاهرة في رجب سنة ٧١١هـ/ تشرين الثاني ١٣١١م، ودفن بالحسينية، ترجمته في: اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٤/١٩٣آ، ابن حجر: الدرر ٢/٩-١٠، ابن تغرى بردي: الدليل ١/١٩٠، والنجوم ٩/١٦ .

(٣) وكان مهنا قد أسره في بعض غاراته على التتار، وقدمه إلى المنصور قلاوون والد الناصر محمد، انظر: ابن حجر: الدرر ٢/٩

(٤) هو شمس الدين قَراسُنْقُر بن عبد الله المنصوري، توفي بمدينة مراغة من أعمال أذْرَبيجان في سنة ٧٢٨هـ/ ٢٧-١٣٢٨م، وكان قد خرج من الشام في سنة ٧١١هـ/ ١٣١٢م فراراً من الملك الناصر محمد، واتصل بخرْبَنْدا ملك التتار الذي أكرمه وأقطعه مراغة، وقد بقي قراسنقر فيها إلى حين وفاته، انظر:أبو الفدا: المختصر ٤/٦٤-٦٧، ابن كثير: البداية ١٤/٦٣، ١٤٠، ابن حجر: الدرر ٣/٣٣٠-٣٣٢، دهمان: ولاة دمشق، ص١٤٩-١٥١ .

(٥) في الأصل: فجدد، والتصحيح من (ك/١٢٢).

يحميني منه إذا قصدَني فقالَ له مُهَنَّا: تجيءُ إلينا فتحالفَا على ذلك، ثُم إنَّ مُهَنَّا [وفى][1] لقَراسُنْقَرَ لما توجَه إليه على ما هو معروف في موضعه حتى أنَّ زوجةَ مُهَنَّا عائشَةَ بنتَ عَسَّاف بالغتْ في خدمة قَراسُنْقُرَ، وكانت تقولُ لمُهَنَّا: يا مُهَنَّا ذكرُ الدهرِ لا تدعْهُ، وكذلك محمدُ بنُ عيسى[2] [إلا][3] فضل بن عيسى أخو مُهَنَّا فما كانَ رأيُه إلا التقربَ بإمساكِ قراسُنْقُرَ والجماعة إلى السلطانِ، فكانت عائشةُ تقولُ: تعساً لأمٍّ ولدت الفضلَ بعدَ مُهَنَّا و< محمد بن > عيسى.

وكتب مُهَنَّا إلى السلطانِ يَسْتعطفُه ويقولُ: هؤلاءِ مماليكُكَ ومماليكُ أبيك وكبار بيتِكم وقد هربوا من الموتِ وسألوا أن تكفَّ عنهم وتجعلَ البيرةَ[4] لقراسُنْقُرَ، والرحيةَ للأفْرمِ[5]، وبَهَسْنا[6] للزَّردكاشِ[7]، وإذا حضرَ مُهِمٌّ جامعٌ للإسلام حضروا إليه، وجاهدوا بينَ يديك

---

(١) في الأصل: وافا.

(٢) وردت في الأصل متبوعة بعبارة: ابن علي، زائدة على نسبه، فهو محمد بن عيسى بن مهنا أخو حسام الدين مهنا موضوع الرواية.

(٣) في الأصل: ابن، والتصحيح من (ك/١٢٢).

(٤) البيرة: مدينة على ضفة الفرات إلى الشمال الشرقي من حلب (داخل تركيا حالياً)، انظر: ياقوت: ١/٥٢٦.

(٥) هو جمال الدين آقوش بن عبد الله المنصوري المعروف بالأفرم، توفي بهمذان - على خلاف - في سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م، ترجمته في: أبو الفدا: المختصر ٤/٦٦ (حوادث سنة ٧١٢هـ)، الصفدي: الوافي ٩/٣٢٦، ابن حجر: الدرر ١/٤٢٤-٤٢٦، ابن تغري بردي: المنهل ٣/٩-١٤، والنجوم ٩/٢٣٦، دهمان: ولاة دمشق، ص١٤٤-١٤٨.

(٦) بَهَسْنا: من أهم القلاع التي اعتمد عليها المماليك في صد غارات "بلاد الدروب" عبر طوروس، وقد ظلت في أيديهم حتى سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م حيث سقطت مع بقية القلاع الشامية الشمالية في أيدي العثمانيين، انظر: ابن إياس: بدائع الزهور ٥/٦٤، دائرة المعارف الإسلامية: ٤/٢٦٧-٢٦٨ (بَهَسْنا).

(٧) هو الأمير بدر الدين بكتاش الزُّردكاشُ، كان نائباً ببَهَسْنا كما يستدل من حوادث سنة ٦٩٨هـ في اليونيني (ذيل مرآة الزمان ٣/١٤٤آ-١٤٤ب)، ولم أقع له على ترجمة خاصة فيما توفر لدي من المصادر. والزُّرْدكاشُ: لفظ فارسي معناه صانع الزَّرَد، أي السلاح وعمله داخل السلاح خاناه، انظر: القلقشندي: صبح ٤/١١-١٢.

فأجابَهم بإطابةِ القلبِ، وأنه قد جعلَ الصُّبَيْبَةَ[١] لقَراسُنْقُرَ، وعَجْلونَ[٢] للأفرمِ، والصَّلْتَ للزَّردكاش، أو إمريَّةً كما كانَ فما اطمأنوا لذلك، وزادَهم نفوراً فجهزَهم إلى خَرْبَنْدا[٣]، وقالَ له: متى حَمَيْتَ هؤلاء كنتُ أنا في طاعتِك معهم، وأخفرَ الركبَ العراقيَّ وسَيَّرَهم مع ابنهِ سليمانَ[٤]، وبعثَ معهم من جهتِه لخَرْبَنْدا ومن حَوله خيولاً مُسَوَّمَةً فقوبلوا بالإكرام والرعايةِ، وخَلعَ على سليمانَ وأطلقَ له أموالاً جمةً، وجُهِّزتْ لمُهَنَّا خلعٌ وإنعاماتٌ وبرالغُ[٥] بالبَصرةِ له ولأهلهِ ومعها الحِلَّةُ والكُوفةُ وسائرُ البلادِ الفُراتيةِ، واشتدَّتِ الوَحْشةُ بينَه وبينَ السلطانِ الملكِ الناصرِ، وتأكدتْ فأعطى الإمرةَ لأخيه (٣٤) فضلٍ، وتظاهرَ مُهَنَّا بالمنافرةِ والمباينةِ والوَحشةِ، وحضرَ إلى عندِ خَرْبَنْدا فأكرمَه غايةَ الإكرام وأجلَّه نهايةَ الإجلال، وقرَّرَ أمرَ الركبِ العراقيِّ وأعطى عصاه خِفارةً لهم وتأميناً، وضاعَ الزمانُ وامتدتِ الأيامُ والليالي في المُراوغةِ من مُهَنَّا وهو يَعِدُ السلطانَ أنَّه يحضرُ إليه ويُمَنيه، ويُسَوِّفُ به من وقتٍ إلى

---

(١) الصُّبَيْبَةُ: قلعة حصينة كانت تتبع مدينة بانياس بمنطقة الجولان السورية، انظر: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٢٤٩–٢٥٠ .

(٢) عجلون: مدينة (أردنية) لها قلعة وإقليم يشتمل على عدة قرى، انظر: ابن بطوطة: ص٦١، ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص٤٦ .

(٣) هو خَرْبَنْدا، أو خُدابندة، بن أرغون بن آباقا بن هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان، تولى إيلخانية فارس في شوال سنة ٧٠٣هـ/ آيار ١٣٠٤م، واستمر بها إلى حين وفاته في أواخر رمضان سنة ٧١٦هـ/ كانون الأول ١٣١٦م، ودفن بمدينة السلطانية التي أنشأها قرب قزوين، ترجمته في: الذهبي: ذيل العبر، ص٤٤، اليافعي: مرآة الجنان ٤/ ٢٥٥، ابن تغري بردي: النجوم ٩/ ٢٣٨، ابن العماد: شذرات ٦/ ٤٠، عاشور: العلاقات السياسية، ص١٧٤–١٨٦ .

(٤) توفي بسلمية في ربيع الأول سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٢/ ٢٥٨–٢٥٩، ابن تغري بردي: النجوم ١٠/ ١٠٣، الزركلي: ٣/ ١٣٥، سعيد: آل ربيعة، ص١٢٨–١٣٠ .

(٥) برالغ: ج برلغ، وهي لفظة تركية معناها المرسوم بالإكرام والمسامحة، انظر: البقلي: التعريف، ص٦٢ .

وقتٍ، والبـريـدُ يروحُ ويجيءُ، والرسلُ تتـرددُ، وجَـهـزَ إليـه أَرْسَـلانَ الدَّوادار[١] وأَلْطُنْبُـغَا الحـاجـبَ[٢]، الذي عـمل <في> نيـابةِ حلب، والـشيـخَ صـدرَ الدينِ الـوكـيـلَ[٣] ولا ألوى ولاعاج، ثـم كانَ أولادُه وإخوتُه يتناوبونَ الحضورَ إلى السُّلطانِ وهو يُنعمُ عليهم بمئينَ ألوفٍ وبالإقطاعاتِ العظيمـةِ والأملاكِ وهم يُمنونَه حضورَه ويَعدُونَه بقدومِه، ومُهَنَّا لا يزدادُ إلا حَذراً، والسلطانُ لايزدادُ إلا طمعاً، وإذا حضرتْ للمُسلمين نصيحةٌ أو مصلحةٌ كانَ مُهَنَّا يُنبهُ عليها ويشيرُ بها، وكانَ السلطانُ يقبلُ نصحَه ويعرفُ ديانتَه.

ثـم لما كـانت سنةُ أربعٍ وثلاثينَ توجَّه مُهَنَّا بنفسـِه إلى السلطانِ ودخلَ إلى مصرَ فأكرَمَه غايةَ الإكرامِ، وأنعمَ عليه إنعاماتٍ كثيرةً إلى الغايةِ، وعادَ مُهَنَّا راجعاً إلى بلادِه، ولم يزلْ إلى أن تُوفيَ في ذي القَـعْدَةِ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وسَبعِ مئـةٍ بقُـربِ سَلَمـيَّـةَ، وأقاموا عليه المآتمَ ولبسوا السَّوادَ وعاشَ نَيِّفاً وثمانينَ سنةً، وكانَ وقوراً مُتواضعاً لا يَحتفلُ بملبَس.

تَتْمِيم

وهؤلاءِ آلُ عيسى هم في وقتِنا ملوكُ البَرِّ ما بَعُدَ واقترب، وساداتُ الناسِ ولا تصلحُ إلا عليهم العَرب[٤]، قد ضربوا على الأرضِ نطاقاً، وتفرقوا فجاجَها حِجازاً وشاماً وعِراقاً، أنى

---

(١) هو الأمير بهاء الدين أرسلان بن عبد الله الدوادار، توفي بالقاهرة في رمضان سنة ٧١٧هـ/ تشرين الثاني ١٣١٧م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ١/ ٣٧٢ .

(٢) هو الأمير علاء الدين الطنبغا الحاجب الناصري، ولي نيابة حلب مرتين (٧١٣هـ، ٧٣١هـ) كما ولي نيابة الشام في سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م إلى أن غلبه عليها الأمير قطلوبغا الفخري في السنة التالية ففر إلى القاهرة ولم يمكث بها إلا قليلاً حيث قبض عليه وسير إلى الإسكندرية واعدم هناك، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ١/ ٤٣٦-٤٣٧، دهمان: ولاة دمشق، ص١٨٠ .

(٣) هو صدر الدين محمد بن عمر بن مكي المعروف بابن الوكيل وابن المرحل الشافعي، توفي بالقاهرة في ذي الحجة سنة ٧١٦هـ/ آذار ١٣١٧م، ودفن بالقرافة، ترجمته في: الذهبي: ذيل العبر، ص٤٥، ابن كثير: البداية ١٤/ ٨٠-٨١، ابن حجر: الدرر ٤/ ٢٣٤ .

(٤) تضمين لعبيد الله بن قيس الرقيات، وصورته في ديوانه (ص٤١) هكذا: <المنسرح>

وأنهم معدنُ الملوكِ فلا   تصلح إلا عليهم العربُ

نزلوا خِلْتَ الأرض قد رَمَتْ أفلاذها أو السماء قد مَرَت رَذاذَها، ترتَجُّ بخيولها صهيلا، وتحتجُّ (٣٥) بسيوفها على الرقابِ صَليلا، تجمعُ قنابل(١)، وتلمعُ مناصل، وتَنبتُ قنا، و[تُميتُ](٢) فِتَنا، قد نصبوا بمدرَجةِ الطريقِ خيامَهم، وأوقروا في علم الأسماعِ إعلامَهم، أنَّ الكرم أعلامُهم، وتقارعوا في قِرى الضِّيفان، وسارعوا إلى تقريب الجفان، قَد داروا على البلادِ أسواراً حصينة، وسواراً على معصم كُلِّ نَهر وعقداً في جيدِ كُلِّ مدينة، وأحاطوا بالبَرِّ من جميعِ أقطارِه، وحَالوا بينَ الطيرِ المُحلق وبين مطارِه، وحفظوه من كلِّ جهاتِه، وحرسُوه من سائرِ مواضعِه وآفاتِه، وصانوه من كلِّ طارقٍ يتطرق، وسارقٍ يتسلَّلُ أو يَتَسرق، فلا تبصرُ إلاَّ مرسى خيام، ومَسْرى هَيام، وموردَ كِرام، وموقدَ ضِرام، ومقعدَ هُمام، ومعقدَ ذِمام، ومَجال غَمام وآجالَ رزق أو حِمام، ومعهدَ أيادِ جسام، ومشهدَ يومٍ يرعُفُ به أنفُ قناةٍ أو حسام، وتكبيرَ وتكثيرَ [صلاة](٣) ومكانَ مَفْزَع، وأمانَ من يجزَعْ، وملجأ خائف، وملجمَ حائف، وسجايا ملكية، وعطايا بَرْمُكية، ومواهبَ طائيَّة، ومذاهبَ حاتميَّة، وبوادرَ ربيعيَّة، ونوادرَ مرعيَّة، وصوارمَ تتحسسُ بذيلها الرقاب، ومكارمَ يتحسرُ على آثارِها السَّحاب، لا يُطرَقُ لهم غاب، ولا يطرقُ لهم بذلُ رغاب، ولا يطرحُ لهم بيتُ مضيف، ولا يطيحُ إلا إليهم تابعُ مشتَى ومَصيف، لا يخلو ناديهم عن سيدٍ مُسَوَّد، وكريمٍ مقدَّم، وشجاعٍ بطل، وجوادٍ كريم، وحليمٍ وقور، ووافدِ آمل، وقاصدِ [نائل](٤) وصارخٍ ملهوف، وهاربٍ مستجير، لا تنفكُّ لهم نارا قِرىً وقِراع، ومنارا مُنىً ومناع، يسرحُ عددَ الرملِ لهم إبلٌ وشاء،

(١) قَنابل: ج قَنبل، الطائفة من الناس، ومن الخيل، قيل: هم ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه (لسان العرب).

(٢) في الأصل: تنبت، والتصحيح من (ك/١٢٤).

(٣) في الأصل: وفي (ك/١٢٥): صلات، ولعله يقصد ما أثبتناه.

(٤) في الأصل: بنائل، والتصحيح من (ك/١٢٥).

ومدَ البحرِ ما يريدُ المريدُ منهم وما يشاء، تطلُّ منهم على بيوت قد بُنيتْ بأعلا الرُّبى، وبلغتِ السحابَ وعُقدت عليها الحُبى[١] قد اتُّخذت من الشَّعرِ الأسودِ وبُطِّنَتْ (٣٦) بالدِّيباجِ والحَرير والوَشي المَرْقوم، وفُرشَتْ بالمفارشِ الروميَّة، والقطائفِ الكُرْجيَّة، ونُضِّدتْ بها الوسائد، وقامتْ حولها الولائد، وشُدَّت بوتدِ السماء أطنابُها، وأُعِدت لطوالعِ النجوم قبابُها، وأُرخيتْ سُجُفُها وشُرِعتْ أبوابُها إلى الهواء، واستُصرخَت واستُغيثَ بها لدفعِ اللأْواء ورُفِعتْ عُمُدُها، ووُضعت حجلاتُها وقُرِّرَ في الأرضِ وتدُها، وطلعتِ البدورُ في أكلَّتِها، ورتعَتِ الظِّباءُ في مشارقِ أهلَّتِها، وحولَهم خيولٌ تحمي حُجبَها وترمي إزاءَ البيوت سحبَها، وتعرفُ بينَ العرب الأتراب عُربَها، وتعرضُ في الشهبِ الحسانِ نُخَبَها من كرائمِ الخيلِ المخبورة، وعظائمِ السيلِ معنىً وصُورة، قد تمايلتْ ألوانا، وتقابلتْ في مناسبِ الخيلِ إخوانا، وتنوَّعتْ شياتُها فبرزتْ بستانا، وتسَرَّعت أعْوجيَّاتُها السوابقُ، فقَصُرَ مدى لاحق، وتقدمت قُدَّامَه ميدانا .

وتَفَرَّعتْ من أصولِ العربِ في ربيعةَ ومُضَر، وتبرَّعتْ بما لا يلزمُها، فمنها ما انتظرَ ما خلفَه، ومنها ما فاتَ النظَر، وتقدمتْ وأمهلتْ وراءها الرياح، وأقدمتْ وأنهلتْ ظمأها موردَ الصباح، ومرَّ كلُّ طرفٍ منها وطَرفُ البرقِ حائر، ومد [وجوارُ][٢] المجرة ما فيها طريقٌ لسائر، وحُفَّتْ والطيرُ في وُكناتِها لم تَبرح، ووفُت والوحوشُ في مكان بياتِها لم تَسرَح، تَمَّتْ كأنُّها كثبان، وهَمَّت كأنها عِقْبان، قد صَلدَت حوافرُها كأنها قَعْبُ حَالب، وصلدتْ مشاعرُها كأنها وجهُ عاتِب، واتَّسعَ مِنْخرُها كأنَّه وجارُ ثَعالب، وارتفعَ مُؤخَّرُها كأنه رَبوةُ مُراقب، وطالَ غُرتُها كأنَّه انتظارُ غائب، ومالتْ نواصيها كأنها عقودُ ترائب ودَقَّ مِنْخرُها

(١) في القاموس المحيط: "الحِبي كغَنِيٍّ، ويُضم: السحاب يشرف من الأفق على الأرض، أو الذي بعضه فوق بعض".

(٢) في الأصل: وجواد، والتصحيح من (ك/١٢٦).

كأنَّهُ طرفُ قاضِب، ورَقَّ أديمُها كأنه حديثُ حبايب، واتسعَ ذيلُها كأنَّه ذيلُ راهب، و[تلبد][1] (٣٧) مغرزُها كأنه إقعاءُ أرانب، وقَصُرَ [عَجْبُ][2] ذَنبها كأنه بقاءُ ذاهب، ونهدَ موضعُ لُبَبِها[3] كأنه نهدُ كاعبٍ، و[نَتَا][4] صدرُها كأنَّه نهضةُ واثب، وَوَلَّوَلتْ، آذانُها كأنها [أقلامُ][5] كاتب، ولانتْ شعرتُها كأنما عليها لوفُ سَليطٍ ذائب، ولانتْ عريكتُها كأنها للتأديبِ لعبةُ لاعب، ونظرتْ نظرَ حادرٍ[6]، وتلفتتْ التفاتَ ربائب، وأشبهت الوحشَ والطيرَ، فطوْراً تحلقُ وطَوْراً تُواثب، وقد برزتْ شُهْباً ودُهْماً وحُمْراً وشُقْراً وصُفراً وخُضراً وما بينَ هذه الألوان، وما بينَ [صِنْوان][7] وغيرِ صنوان[8]، قد رتعتْ كالظِّباء، ورُفعتْ كالخِباء، وطلعتْ [كالكواكب][9] وتطلعتْ كالرقباء، وحالت أمامَ بيوتِ الحي تهزُّ ندوةَ عِطفِه وخطوةُ فارسِه المُعلَم في موقف صفِّه، فكم ترى من سابقٍ وسابِقةٍ توافقا فلم ترَ أيُّهما سليلةَ سابقيْن تناحلاها، ولا بأيِّهما تعقد الظبيةُ الأدماء[10]

---

(١) في الأصل: تلتذ، والتصحيح من(ك/١٢٦).

(٢) في الأصل: عجم، وعَجْبُ الذَّنَب هو العظم الذي في أسفل الصُّلب عند العَجُز، وفي الحديث: كل ابن آدم يبلى إلا العَجْب، وفي رواية: عَجْب الذنب (لسان العرب).

(٣) اللَّبَب: موضع القلادة من الصدر من كل شيء (القاموس المحيط).

(٤) في الأصل: بنا، والتصحيح من (ك/١٢٦).

(٥) في الأصل: أعلام، والتصحيح من المصدر نفسه (١٢٧).

(٦) في المصدر نفسه: حاذر، والحَدْرُ: الحطُّ من علو إلى سُفْل (القاموس المحيط).

(٧) في الأصل: صنوانا.

(٨) اقتباس من سورة الرعد (١٣) آية: ٤

(٩) في الأصل: كالكوكب، والتصحيح من (ك/١٢٧).

(١٠) الأُدْمة في الظباء: لون مُشْرَب بياضاً، وفيناً: السُّمرة (القاموس المحيط).

طُلاها[(١)]، ولا أيُّهما بلغَ السماءَ واغتصبَ النجوم حلاها، ولا أيُّهما الموصوفَ في كرائمِ الخيل، ولا أيُّهما ائتزر[(٢)] برداءِ النهارِ أو أطاحَ رداءَ الليل، من حصونٍ كالحصونِ الشوامخِ تتحصَّنُ على صَهواتِها، ويتحصَّل الظفرُ ولا تَرْوى فواغرُ لهواتِها، قد اشتدتْ مبانيها الوثيقة، وتشيدت فكانتْ حُصوناً لاحصناً على الحقيقة، ومن حِجْرٍ كالحجرِ بل شيءٌ أشدُّ من الحجارة، وأشدُّ من السَّهمِ في مهاجمةِ الغارة، قد تبرجتْ تبرجَ الحِسان، وتخرَّجتْ تخرُّجَ الكاعِب وبرزتْ للفرسان، وأقبلتْ في ميدانِها تتمطَّر، وجالتْ وعِنانُها لا يزيدُ على أنَّه[(٣)] يَتخطَّر، كلاهما محفوظُ النَّسب، ملحوظُ الحسب، محظوظُ البَخْتِ لاعن غيرِ سَبب.

فمن قرطاسيةٍ بيضٍ ذابَ على أعطافِها اللُّجَيْن، وبقي عليها أثرُ الفضة وذهبَ العَيْن، أقبلتْ كأنها البيضُ الكواعِب، واستقبلت كأنها أيامُ وَصلِ الحبايب، كأنما جُلِّلَت بالنهار، أو حُولَتْ (٣٨) إلى مطالعِ الأقمار، أو خُولَتْ مما تلبس الشمسُ من حُلَل الأنوار، وجاءتْ قرطاسيةً لما قُرطسَتْ سهامُها، وقَرَّبتْ مواعيدَ الظفرِ أيامُها.

ومن دُهْمٍ لم ترضَ بالليل رُدَّ ردائِها، ولا بلَمَم الشبيبة شبيةَ ظلمائِها، ولا بالأهلَّةِ إلا تحتَ مواطئِ حوافِرها، ولا بالصباح إلا لما بين وظيفها ومشاعرِها، فأما ما سالَ أو استدارَ من الغدرِ الصُّباح، فإنه مما قَرَّ أو [تموَّجَ بين عينيْها][(٤)] من لوامعِ الأسنةِ لا من طلائعِ الصَّباح.

ومن حُمْرٍ أوقدَ الشفقُ عليها جَمْرَه، وبدَّدَ الشقيقُ على كأسِها خمرَه، منها مُعصَمٌ بسوادٍ

---

(١) الطُّلا: ولد الظبي ساعة يولد، والصغير من كل شيء (القاموس المحيط).

(٢) في (ك/١٢٧): ابترد.

(٣) في المصدر نفسه: أن.

(٤) في الأصل: يَمُوج بين عينها ،والتصحيح من المصدر نفسه (١٢٨).

كأنما ذُرَّ المسكُ على وَرْدِها، أو أمسكَ الليلُ فحمتَه [على][1] وَقدِها.

ومنها كُمَيْتٌ يميلُ براكبِه ميل الكُمَيْتِ بشاربِها، ويستطيلُ باقي ظلماته في شفق الصباح على ذاهبِها.

ومنها وَرْدٌ كأنه أباةٌ قد قُطِف، أو رَباةٌ إذا شُبِّه بخدٌ غانيةٍ أو وُصِف، وفيها صامَتٌ، وأعزٌّ منها ما طلعَ كوكبُ الصبحِ بمحلِّقِه، ومنها ماهابَ خوضَ الدماءِ فتغطى بسجافِ أُفقِه.

فأما الحجولُ فمنها ما أدارَ عليه جباها، ومنها ما قالَ هذه حيلةٌ لنقيصةٍ فأباها، وبَدتْ تعرفُ الأَنَفةَ في مناخيرِها الشُّم، وتُقَوضُ الجبالَ إذا أقبلتْ شوامخُها الصُّم.

ومن شُقْرٍ قدحَ الفرقُ فيها فما أفاد، وقَرَّحَ الذهبُ عينَه حتى لبست منه جيداً من جساد، واصطدمت جيادُ الخيلِ فطارَ منها شرارةٌ من زِناد، واقتحمتْ حلبةَ السباقِ فجاءت سابقةً عليها آثارُ الخَلوقِ دونَ بقيةِ الجِياد، ومنها رافلةٌ في أعلام الشيات، ومنها عاطلةٌ من أعلامِها، هذه قد تجلتْ بالغُرَرِ والحُجول، وتلك جَعلتْها حِليةً لأيامِها.

ومن صُفْرٍ هي في العَصْرِ الأصائل، وفي الفجرِ آخرُ ما بقيَ من شُعاعِه السائل، شاقتِ اللهب[2] وهو الطائرُ والطائل، وفاقتِ الذهبَ وهو الحائرُ والحائل، وراقَتْ فهي الشَّمولُ، ورقَّتْ (٣٩) فهي الشمائل، وتاقت إليها لُمَعُ البرقِ فحال دونَها حائِل، وضاقَتْ بها الحُزُم واتَّسعتْ مُصَبَّغاتُ الغلائِل، وساقت إليها الشمس وأوقعتها من خيطِ سوادِها الممتدِ في الحبائل، ونَوَّهَتْ بالحَبَشِ لما قيل إنها حَبشيَّة، وأفاضتْ [عليهم][3] النائل، من فواضلِ

(١) في الأصل: عن، والتصحيح من (ك/١٢٨).

(٢) في المصدر نفسه: اللجب.

(٣) في الأصل: عليها، والتصحيح من المصدر نفسه (١٢٩).

حُللِها المَوْشية، وسَعِدَ بها هذا الجنسُ لما نُسبتْ إليه، وحَمِدَ لَمّا كانَ النَّسبُ يصحُّ أن يُطلقَ عليها وعليه، وفَخَرَ كلُّ حبشيٍّ لكونها تُعَدُّ منه وهو من أعدادِها، وتطاولَ حتى مَوَّهَ عليها بالشبَه، وأخذ في وجهه محاسنَ التخطيطِ من خطِّ سوادِها، فكأنها نارٌ تُرفَعُ في الليلةِ الظَّلماءِ لها لهب، فتوقدتْ شعَلُها إلا ما اعتلقَ به الليل من العُرفِ والناصيةِ والذَّنَب.

ومن حصيرٍ ما منها إلا من بَيتِ العَرب، وما فيها إلا ما يهتدي إلا إلى الهرَب، كأنها إليه ظلٌّ دائب أو علاها رحيقُ سحائب، أو أُلقى عليها زَبَرْجد، أو أُبقِيَ منها أثرُ شُعاعةِ مُهنَّد، قد أفادتها الجباهُ نُضرتَها، والشِّفاهُ من كثرةِ التَّقبيل خُضرتَها، وبَدتْ ولا هي بيضٌ ولا جَوْن، وغَدتْ تنتشي وما قُطعت بها عناقدُ النواصي ولا عُصِرتْ من أعطافِها ابنةُ الزَّرْجُون[1].

ومن بُلْقٍ كرامٍ ما قعدت بها هُجنَة، ولا بَعُدت عن شبهيْن أخذتْ من كلٍّ منها حُسنَه، لا كما يقالُ إنَّ الطبيعةَ قصَّرَت في إنضاجِها، ولا إنَّ حُسنَها كلَّه ذهبَ في ديباجِها، بل كلٌّ منهما علمٌ على صاحبِه يُعرَف به إذا ركبَه، ويحلف أنه اقتادَ الروضَ وتوقَّلَ منكبَه.

منها ما يقابلُ بينَ صباحٍ وظلام، ومنها ما ماثلَ بين البياضِ والحُمْرةِ خدَّ غُلام، فأما الأولُ فقد طلع منظراً حَسَناً، وجمع بينَ ضديْن لما اجتمعا حَسُنا[2]، كأنه توليعُ السُّحُب وترضيعُ السُّخُب، أو قِطَعُ ليلٍ يهزُّ بالشهب، أو نَقعُ (٤٠) حربٍ ظهرَ في وجوهِ لمعانِ القُضُب، في كلٍّ منهما ما أظلَمَ وما أنار[3]، وما أظلَّ جانبي الأرض ففي وقتٍ واحدٍ في هذا ليلٌ وفي هذا نَهار، وأما الثاني فكأنَّه اختلاطُ ماءٍ ورَاح، واختلافُ مجاري شفقٍ على صَباح، لا

---

(١) الزَّرَجُون: الخمر، والكرم أو قضبانها (القاموس المحيط).

(٢) العبارة مستقاة من بيتٍ لدوقلة المنبجي (القصيدة اليتيمة، ص٣٠): < مرفل الكامل >

ضِدان لما استُجْمِعَا حَسُنَا والضِدُّ يُظهِرُ حسنَه الضِدُّ

(٣) وردت في الأصل متبوعة بعبارة: وما أناره، زائدة.

يُقاسُ [به][1] البرقُ، وهو أحقر، ولا يُتَشَبَّه به إلا كانَ هو إلى التشبيهِ [به][1] أفقر، ولا يبالغُ واصفُه إلا قالَ كظهرِ الحصانِ الأنبطِ البطن[2] يكشفُ الجُلَّ واللونُ أشقر، ومما سوى ذلك جميعُه من ألوانِ الخيلِ مما يُمزَجُ من أحمرَ [وأبيضَ][3] يَقِقٍ[4] وأصفرَ أصيلٍ وأخضرَ سَحَر، وأشهبَ نهار، وأدهمَ ليل.

ومنه كلُّ دَيْزَج[5]، ذلك بفَيْروزج، كأنما لُوِّنَ من ماءٍ يَتَموَّج، أو كُوِّنَ من سَماءٍ صَدْرُه بصدادٍ على سناه ينْسج، وأصدأُ لا يقدرُ جَونُ الغمام لمعارضته يتصدى، وأكهبُ، لا هو كالأحمرِ أو كالأشْهب، وهي فتيَّةٌ وما فيها إلا عتيقٌ وكثيرة، وما فيها إلا ما هو قليلٌ كالصِّديق[6]، ما استنكرَها إلا من مجرِّب، ولا استكبرها[7] إلا من جاءَ بنقعِها في وجهِ السماءِ يُتَرِّب، وكأنما عنيتُها، في قصيدةٍ كنتُ في وصفِ الخيلِ بينتُها[8]، وهي: ‹الخفيف›

أقبلت في ميدانها تتجارى ... هي والريحُ في المدى تتبارى

ودَعتْ سابقَ [الغمائم][9] للسبـ ... ـقِ فأضحى بذيلها يتوارى

سابقاتٌ ما قصَّرَ البرقُ لما ... أدركَ البرقُ بَعْدَها الآثارا

---

(١) في الأصل: بها، والمراد: الثاني.

(٢) نبط الشيء: أظهره وأبرزه، فيكون المعنى: الظاهر والبارز البطن (المعجم الوسيط).

(٣) إضافة من عندنا يقتضيها المعنى، قارن بمعنى يقق التالي ذكرها.

(٤) اليقق: شديد البياض (القاموس المحيط).

(٥) الدَّيزج: من الخيل، مُعَرَّب ديزَه بالكسر، ولما عربوه فتحوه (المصدر نفسه).

(٦) العبارة مستقاة من بيت للمتنبي (ديوانه ٢/ ٢٧٦): ‹الطويل›

وما الخيلُ إلا كالصديقِ قليلةٌ ... وإن كثرتْ في عينِ من لا يجربُ

(٧) في (ك/ ١٣٠): ولا استكبرها.

(٨) في المصدر نفسه: بنيتها.

(٩) في الأصل: الغمام، والتصحيح من (ك/ ١٣٠) وبه يستقيم الوزن.

سابقاتٌ ما فاتت الطَّرفَ حتى خلّت الشُّهب في الظلامِ حيارى
وأرتنا يومَ الرِّهانِ أناسيّ سُكارى وما همُ بسُكارى (١)
من جيادٍ منسوبةٍ في بيوت ليس ترضى من غيرها الإضمارا
كُلُّ حجْرٍ كأنه الحجرُ الصَّلْـ ـدُ لهذا تُفجَّرُ الأنهارا
وحصانٌ كأنه شِعْبُ رَضْوى (٢) رابطُ الجأشِ لايخافُ وقارا
نخبةُ الخيلِ من خيول كرام ردّدتْ في اختيارها الاختيارا
(٤١)وأتتْ بالجياد من كلّ فجٍّ واستجادتْ منها الخيارَ خيارا
علمتْها في حَرْبها كلّ شيء في مجال للموت إلاّ الفِرارا
مشرقاتٌ كأنها روضةُ الحَزْ ن بنل الحزم أينعتْ أزهارًا
أبيضٌ جاءَ مثلَ يوم وصال قد تعالى ضياؤُه واستنارا
مُلفتاً جَيدَه إلى ذاتِ حُسْن مثله قد بدتْ نهاراً جِهارا
لا يباري الشهباء شيءٌ سواها ليس مثل الشَّهباء مما يُبارى
وكذا أخضرٌ هو الآسُ غضاً لا أشبه المُرْد سالفاً وعِذارا
وأتانا ما بينَ لونيه يحكي مُذْ تبدّى مساءةً واعتذارا
معه من شرواه (٣) خضراءُ تجري حيثُ تجري زُمُرُّداً مُنهارا

(١) اقتباس من سورة الحج (٢٢) آية: ٢
(٢) رَضْوى: جبل ضخم من جبال تهامة يتردد كثيراً على ألسنة الشعراء، ويزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية به مقيم حي يرزق، انظر: البكري: معجم ما استعجم ٢/٦٥٥-٦٥٦، ياقوت: ٣/٥١
(٣) كذا رسمت في الأصل، ولم أهتد إلى تحقيقها.

وأغرٌّ كأنّه الليلُ إلا | ما بدا بين مُقْلتيْه نَهارا

أدهمٌ رَقّ جلدُه فحسِبْنا | منه ما رقّ في الدُّجى إسْحارا

وشبيةٌ بجنسِه بنتُ دهما | ءَ ببهماء[1] لا تخافُ القِفَارا

وكميتٌ لو قابلَ في الكأ[2] | س شَربنا مما كسَاها العُقَارا

ثم وَرْدٌ يطيبُ منه شَميمٌ | قد قطفْنا من غُصنِه أنوارا

بهما من لونيهما كلُّ عَذرا | ءَ عليها يَبدو حياءُ العذارى

وكذا أشقرٌ كريمٌ مُفَدّى | جاء كالبرقِ يَستطيرُ شرارا

ثم شقراء كم تولّع صبٌّ | بهواها وبات يشكو النارا

وكذا أصفرٌ تراه أصيلاً | سارَ نجمٌ منه وسالَ نُضَارا

ثم صَفراءُ ما تشرّبَ طرفٌ | خمرَها الحِلَّ ثمّ خافَ الخُمارا

ثم وافى عُقَيْبَها الأبلقُ الفر | دُ يَضمُّ الظلامَ والأقمارا

معه مثلُه من البُلْقِ لاثتْ | فوقَ ثوبِ الدجى عليها الإزارا

فهي تحكي بيضاءَ مظلومة[3] الجسـ | ـم فبعضٌ دَجا وبعضٌ أنارا

وكذا أبلقٌ بأحمرَ قان | فَكّ عَمْداً عن جَيبِه الأزرارا

(٤٢) ثم بلقاءُ أقبلتْ تُخجِلُ الخدّ | بياضاً من لونها واحمِرارا

(١) في (ك/١٣١): ببهماءَ.

(٢) كذا والشطرة معتلة الوزن.

(٣) في (ك/١٣٢): ملطومة.

تتهادى في مَشْيها كعروس ... أفرغوا فوقها الجُيوبَ نِثَارا
ما كفاهم أنْ نقّطوها إلى أنْ ... نَقَّطوا كُلَّ دِرهمٍ دينارا
ثُم في الخيلِ دَيْزجٌ ماجَ بحراً ... أو سماءً وصارماً بَتَّارا
ثُم حِجْرٌ [تلُزُّه](١) فرأينا ... جدولاً منه صادفَ التيَّارا
ثم من سائرِ الجيادِ كرامٌ ... أرسلَ الركضُ نوءَها مِدْرارا
وتذكر معَ السوابقِ أصدا ... مثلَ ما تصدأُ السيوفُ مِرارا
ثم صدياءُ لا تُضاهي غَمامٌ ... مُكفهرٌ من سَيلِها الأمطارا
بعدَها أكهبٌ تحيَّرَ لوناً ... لا شقيقاً حكى ولا نُوَّارا
لا ولكنْ بحكمِها في امتزاج ... قد تَردَّى لذا وهذا شِعارا
ثم يتلوه في المحاسنِ حِجرٌ ... مثلُهُ لا يميلُ عنه ازورارا
صافناتٌ زادتْ على الخيرِ حُسناً ... في مداها وزانتِ الأخيارا
وأتتْ في [فِعَالِها](٢) وحُلاها ... بصفاتٍ تُعجِّبُ النُظَّارا
ملكتْ حكمَ مالكيها الأماني ... وحَوَتْ للذي حواها الفَخارا
سُبَّقٌ تجعلُ الأنامَ جميعاً ... من رَعاياهُ والبسيطةَ دارا

---

(١) في الأصل: يلزه، والضمير عائد إلى حِجْر، والحِجْر: أنثى الخيل (القاموس المحيط).

(٢) في الأصل: أفعالها، والتصحيح من (ك/١٣٣) وبه يستقيم الوزن.

فأما هؤلاءِ العربُ إذا ركبوا الهَياج، أو وثَبوا إلى مُعَاركةِ الفِجاج، سَدَّتِ الأُفقَ قَتاما، والطرفَ إبلاً كراماً، قد تقلدوا سيوفاً تُغَرِّقُ الأرواحَ [في] [1] لُجُجها، وتُقَصِّرُ مناظراتِ الرقابِ لحُجَجِها، كأنما طُبعَتْ فيها حُمْرُ المنايا، أو أطبعَتْ [2] عليها سودُ الرزايا، ترصَّعتْ بالنجوم، وانتعلَتْ بالهلال، وتقطَّعتْ من الغيوم، وضربتْ مرهفاتِ النصال، لا يُخشى ورقُ حديدِها الأخضر، ولا يُجتلى وجه فِرِندِها الصَقيل ولا يُنظَر، قيلَ لها صوارمُ لأنها صَرمتِ الأعمار، وقواضبُ لأنَّها تقتضبُ الأَجَل وتُعجِّلُ الدمار، ومشرفياتٌ لأنَّها أشرفتْ على الرُؤوس، ومُهَنَّداتٌ (٤٣) لأنها ترى رأيَ الهندِ في إحراقِ النُفوس، ومناصلُ لأنَّها تَتَنصَّل لا مما جَنَتْ، وقواطعُ لأنَّها تقطعُ بالأمرِ أساءت أو أحسنَت، كأنما تأكلَتْ فيها النارُ أو تشكَّلت فيها الأنهار، وما على ضجيعِها أين بات، ولا ‹على› قريعِها عارٌ لعدمِ الثبات، ولا على حاملِها الجازر، إن كثرتْ لديه النحائر، أو كبرتْ عليه من حيثُ الأعداء الجرائر، كأنما رَصَعتْ زُرْقَ اليواقيت، أو عَلَتْ قُرى نملٍ أو قرى رَملٍ لها فيها آثارٌ مخافيت، وقد اعتقلوا من عوالي الرماحِ كل رُدينيةٍ سمراءَ ما ماسَ مثلها قَدٌّ، ولا مال أهيفُ ولعبَ مثلَها دَسْتَ بند [3] عواسلُ قُصبها المُرَّان، عوامل شهبها تعملُ في أطرافِها النيران، تطاولتْ [لتثقبَ] [4] دُرَّ الكواكب، أو لتنقبَ سَدَّ السحائب، ثم رأتْ أنَّه لا تُروى بغيرِ الدماءِ حوائمُ أسنتِها العِطاش، ولا يقومُ بكفايتِها إلا ورودُ الوريدِ لا من المطرِ الرشاش، فرمَت على لَبَّاتِ الرجال عُنقَها، وبلَّتِ صداها ونَقعت [غليلها] [5]، وما [رَوِيَت] [6] من دماءِ

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/١٣٣).

(٢) في المصدر نفسه: او طُبقَت.

(٣) في المصدر نفسه(١٣٤): دست يد.

(٤) في الأصل: لتنقب، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٥) في الأصل: عللها، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٦) في الأصل: رقيت، والتصحيح من المصدر نفسه.

أعدائها، ما دارتْ دوائرُها على عدوٍّ إلا وخافَ أن يُصَعِّدَ على أسوارِها أو يتسوَّر، ولا صبحت [بمصاعِها][1] ذا عنقٍ إلا تطاير بها وتشاءَم بكعبها المُدَوَّر، ورأيتُ من الرجالِ في تلك البيدِ صُقوراً [تحمي][2] محارمَها، وسيولاً تَطمُّ فجاجُها ليوثاً ضراغم، و[عقباناً][3] كواسر، وأبطالاً لا تعبأُ بمن لاقتْ، ورجالاً لا تُبالي أين نزلتْ، تدخلُ على عزيزِ قومٍ بلادَه، وتحمي عليه أرضَه وتَرِدُ دونَه ماءه وتمنعُه شربَه، وتردُّ عليه قولَه، وتصدُّ عنه قومَه وتأخُذ مالَه، إذا شاءتْ غَصْبا، وتَقْسِمُه اقتساماً لا نَهْبا، لا تحرس[4] في ليل ولا تجتمعُ في نهار، كَفَتْها المهابةُ أنْ تخافَ، والمنعةُ أن تتوقى، فإذا سَارتْ قلتَ: الشُّهُبُ سارتْ، والسحبُ سالتْ، والجبالُ مادتْ، والرمالُ (٤٤) مالَتْ، تركبُ النُّجُبَ، وتجنبُ الجيادَ، فتَختالُ الأرضُ في حِلبةِ السماءِ ببدورِ أخفافِ المَطِيِّ، وأهلَّةِ حَوافرِ الخيل، ونجومِ أسنةِ الخرصان، تُوطأُ لهم الرواحل، وتُطوى بهم المراحل، وتبدو ركائبُهم كأنها قُلَلُ جبالٍ أو حُلَلُ نِزال، تتسعُ مجالُ الرياحِ بينَ فروجِها، وترتفعُ طِوالُ الرماحِ فوق بروجِها، تمدُّ أعناقَها طلباً لقربِ المنزلِ، وتجدُّ أشواقُها إلى أرضٍ وتصبح عنها بمَعزِل، كأنها لتمامِ الخَلْقِ بنيان، أو لأكامِ الأرضِ تبيان، لا يقرُّ بعينها الزئبقُ المتدحرج، ولا في بينها سَيْرُها المُتَلَجلِج، يتثنى راكبُها كأنه شاربٌ ثَمِل، ولا يستقرُّ كأنَّه بارقٌ عَمِل، ركبَ من الإبل السحاب وهو مُحتَفِل، ووثبَ وكأنَّه لتمايلِها يتَخبط تَخبطَ الظبي في أشراكِ مُحتَبِل، من امتطاها وركبَها أضرمَ نشاطَه، ومن استبطأها فضربَها ظلمَها وظلمَ بالضَّربِ لها سياطَه، والأكوارُ تتراءَى عليها كأنَّها أهلةٌ على غَمام، والمَجرةُ البِطان، والجَوْزاءُ الزِّمام، وأمامَهم الظعائنُ تجري بها في الآلِ السُّفائن، وقد شدَّ كلُّ

---

(١) في الأصل: مصاعها، والتصحيح من (ك/١٣٤).

(٢) في الأصل: تهوي، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٣) في الأصل: عقابا، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٤) في المصدر نفسه: تحوش.

هودجٍ على كُورِ راحلتِه الثُّريا، وسَعِدَ بسُعدى وطابَ بَرِيًّا، فسايرتْها نظراتُ الأحداق، وعادتْ ولم تخرج وعاجتْ وما وقفَ لها سائقُ الركبِ ولا عاجتْ ربةُ الهَوْدج، فما فازتْ إلا من بعيدٍ بنظرة، ولا فاءت إلا وبينَ الجوانحِ حَسْرة، وتعرضَ لها فلم تفعلْ ولم تَخرج، وتعرَّف بها فما زادَ على أنْ فقَد قلبَه وعادَ، وهو مُحْرِج، حتى إذا نزلوا بليل، ونزحوا غديرَ النهارِ وجاء الظلامُ بسيل، أوقدوا ناراً يُشَبُّ بالمَنْدلِ الرطبِ وقَودُها ويُشَدُّ بعَنَان السماءِ عمودُها، رقصَ بها الليلُ في قميصٍ أُرْجُوان، وتنقَّص ظلامته بأدنى ضوئِها وهو وإنْ تَشَعشَعتْ كالسُّلاف، وتورَّعتْ إلاَّ عَمَّا [هو][1] إرثٌ عن الآباء والأسْلاف، نارٌ كرميةٌ ترمي بكل شرارةٍ كطراف، (٤٥) ضرميَّة تُشَبُّ بالعراق، وضوؤها يَعْشى نائلَ وأساف، تهتدي الضيفان بها لا بصوتِ النابح، وترتدي بشُعاعٍ دماءِ القِرى من كُلِّ بَازلٍ كوماء[2] وطِرْفٍ سابح.

‹ آل علي ›

وأما آلُ عليٍّ[3] فأميرُهم رَملةُ بنُ جمَّازِ بنِ محمدِ بن أبي بكرِ بنِ عليِّ بنِ حُدَيثَةَ بنِ عُصَيَّةَ بنِ فضلِ بنِ ربيعةَ[4]، وقد كانَ جدُّه أميراً ثم أبوه، وقلَّد الملكُ الأشرفُ جدَّه محمدَ بن أبي بكرٍ إمْرَةَ آلِ فضلٍ حين أمسكَ مُهَنَّا بن عيسى، ثم تقلَّدَها من الملكِ الناصرِ أخيه

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/١٣٥).

(٢) بازل: البعير الذي طلع نابه بدخوله في السنة التاسعة يستوى في ذلك الذكر والأنثى، والجمع بوازل، وكوماء: الناقة ضخمة السنان، والجمع كُوم (المصباح المنير).

(٣) هم – كما يلي من السياق – آل علي بن حديثة بن عُصَيَة بن فضل بن ربيعة، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٧٧، كحالة: ٢/٨١٦

(٤) ترجم له ابن حجر في الدرر (٢/٢٠٣–٢٠٤)، ولم يذكر تاريخ وفاته.

حينَ بعث قَجليس[١] في طردِ مُهنَّا وسائرِ إخوته وأهله، ولما أُمِّرَ رَملَةُ كانَ حَديثَ السِّن فحسدَه أعمامُه بنو محمدِ بنِ أبي بكرٍ فَقَدِموا على السلطانِ بتقادُمِهم وترامَوا على الخواصِّ وسائرِ الأمراءِ وذوي الوظائفِ، فلم يُحْضِرهم السلطانُ لديه، ولا أدْنى [أحداً][٢] منهم إليه، فرجعوا بعد معاينة الحين بخفَّي حُنين، ثم لم يزلْ [يتربصونَ][٣] به الدوائرَ و[ينصبون][٤] له الحبائل، ويقيهُ اللهُ سَيئاتِ ما مكروا، ويدفعُ عنه بالسلطانِ ما قصدوا، وهاهو اليومَ سيدُ قومه، وفَرقَدُ دَهرِه، والمُسوَّدُ في عَشيرتِه، المُبَيِّضُ لوجوهِ الأيامِ بسيرتِه، وله إخوةٌ ميامينُ كبراءُ أمراء فضلٍ ومِرا وهم أهلُ بيتٍ عظيمِ الشأنِ مشهورِ السَّاداتِ إلى أموالٍ جمَّةٍ، ونعمٍ ضخمةٍ ومكانةٍ في الدولِ عاليةٍ، وديارُهم مرجُ دمشقَ[٥] وغوطتُها بينَ إخوتهم آلِ فضلٍ وبني[٦] أعمامهم آلِ مِرا ومُنتهاهم إلى الجَوف[٧] و[الحَيَّانية][٨]، إلى الشبكةِ[٩]، إلى تيماءَ، إلى البراذع.

---

(١) هو الأمير قَجليس الناصري السلاح دار، توفي بالقاهرة في صفر سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م، ترجمته في: ابن حجر: الدرر ٣/٣٢٨.

(٢) في الأصل: أحد، والتصحيح من (ك/١٣٦).

(٣) في الأصل: يتربصوا، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٤) في الأصل: ينصبوا، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٥) يقصد مرج راهط، أو مرج عذرا، وهو موضع مشهور شرقي غوطة دمشق، انظر: ياقوت: ٣/٢١، ٥/١٠١، كرد علي: غوطة دمشق، ص١٣-١٤، وأماكن عدة.

(٦) في (ك/١٣٧): وبين.

(٧) الجَوْف: اسم لعدة مواضع في ياقوت (٢/١٨٧-١٨٨) ولم أجد قرينة تدعو إلى ضم أيٍّ منها إلى السياق.

(٨) في الأصل: الجنانية، والتصحيح من (ك/١٣٧)، والحَيَّانية: اسم لكورتين، إحداهما بالسواد من أرض دمشق، والاخرى كورة جبل جرش قرب الغور يعني غور الاردن، وهي المرادة بالسياق، انظر: ياقوت: ٢/٣٢٧.

(٩) الشُبكة: اسم لعدة مواضع بالحجاز ونجد، (ياقوت: ٣/٣٢٢)، ولم أجد قرينة تدعو إلى ضم أي منها إلى السياق.

< آل مِرا >

وأما آلُ مِرا[(١)]، فبيتُ الإِمْرَةِ فيهم آلُ أحمدَ بنِ حَجي، وبقيتُهم آلُ مُنَيْخَر وأميرُهم سعدُ بنُ محمدٍ، وآلُ نُمَي وأميرُهم بَرجَسُ بنُ سُكال، وآلُ بقرة وأميرُهم علوانُ بنُ أبي غَراء، وآلُ شَماء وأميرُهم عَمرو بنُ واصلٍ، ثم صارت الإمرَةُ في بيتيْن في آلِ أحمدَ (٤٦) فمن بيتِ نُجّادِ بنِ أحمد، قناةُ بن نُجّادٍ، ومن بيتِ سُليمانَ بنِ أحمدَ [شطيٌّ][(٢)] بنُ عمرو بنِ تَوبةَ بنِ سُليمانَ، وأحمدُ هذا هو ابنُ حجي بنِ يزيدَ[(٣)] بنِ نَبل بنِ مِرا بنِ ربيعةَ، والإمرةُ مقسومةٌ بينَ هذين الأميريْن نصفيْن، ويدخلُ في إمرتِهم مَنْ يُذكرُ، وهم: حارثةُ، والحاصُ، ولامٌ[(٤)]، وسُعَيدة، ومُدلجٌ، وفُرَيرٌ، وبنو صخرٍ، وزُبَيْدُ حَوْران وهم زُبَيْدُ صَرْخَدَ، وقد تقدم ذكرُهم[(٥)]، وبنو غَني[(٦)]، وبنو عزٍّ، ويأتيهم من عَربِ البريةِ آلُ ظُفَيْر، والمفارجةُ، وآلُ سلطانَ، وآلُ غُزّي، وآلُ بَرجَس، والخرسانُ وآلُ المغيرةِ، وآلُ بَني فُضَيلٍ[(٧)]، والزّراقُ، وبنو حُسينٍ الشرفاءُ، ومُطيرٌ، وخَثعمُ، وعَدْوانُ، وعَنَزَةُ.

---

(١) هم آل مِرا بن ربيعة، انظر: القلقشندي: نهاية، ص١١٠-١١٢، كحالة: ٣/١٠٦٤ .

(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/١٣٧).

(٣) كذا، وفيما تقدم من مصادر ترجمته ص٣٠٧ حاشية (٥): بُرَيد .

(٤) يجوز أن يكون المراد لام بن عمرو، وهو بطن من جديلة من طيئ، من زيد بن كهلان، من القحطانية، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٧٦، كحالة: ٣/١٠٠٧-١٠٠٨ .

(٥) انظر ما سبق، ص٢٩٨ .

(٦) هم بنو غني، واسمه عمرو، بن أعصُر، وهم بطن من قيس عيلان، من العدنانية، والنسبة إليهم غَنَوي، انظر: ابن حزم: ص٢٤٧-٢٤٨، الزركلي: ٥/١٢٢، كحالة: ٣/٨٩٥-٨٩٦ .

(٧) في (ك/١٣٨): وآل أبي فضيل.

وآلُ مرا أبطالٌ مناجيدُ، ورجالٌ صناديد، وأقيالٌ، قلْ: كونوا من حجارةٍ أو حديد[(١)]، لا يُعَدُّ معهم عنترةُ العَبْسيُّ ولا عَرابةُ الأَوسيُّ[(٢)]، إلا أنَّ الحظَّ لحظَ بني عَمهم أتمُّ مما لحظَهم ولم تزلْ بينهم نُوَبُ الحروبِ، ولهم في أكثرِها الغَلَب، وقد كانتْ لهم بأحمدَ ابنِ حجيٍّ الأنفةُ الشَّماءُ، والرتبةُ التي لا تتطاولُ إليها السَّماء، ثم قُتلت بينهم القتلى، وأنزفَ قوةَ بأسِهم سفكُ الدِّماء، وتشتَّتتْ كلمتهم بقسمةِ الإمرةِ على أنَّه لو لم تُقَسَّمْ لظلَّ بينهم كُلَّ يومٍ قتيل، وأُخِذَ بجريرتِهم قبيل، لإباءِ نفوسِهم، وعدمِ انقيادِ نظيرٍ منهم لنظير.

وديارُهم من بلادِ الجَيْدور[(٣)] والجَوْلانِ إلى الزرقاءِ[(٤)] والضليل[(٥)] إلى بُصرى[(٦)]، ومَشرِقاً إلى الحرَّة المعروفةِ بحَرَّةِ كَشْب[(٧)] قريبة مكةَ المعظمة إلى شعْباءَ[(٨)] إلى نيرِ ابن مَزْيَد إلى الهَضْب المعروفِ بهَضْب الراقي، وربما طابَ لهم البَرُّ، وامتدَّ بهم المَرعى أوانَ خِصبِ الشتاء، فتوسَّعُوا في الأرضِ وأطالوا عددَ الأيامِ والليالي حتى تعودَ مكَّةُ المعظمةُ وراءَ ظهورِهم، ويكادُ سُهَيلٌ يصيرُ شامَهم، و[يصيرونَ][(٩)] مستقبلين بوجوهِهم الشام.

---

(١) العبارة مقتبسة من سورة الإسراء (١٧) آية: ٥

(٢) هو عرابة بن أوس بن قيظي الحارثي الانصاري، صحابي، توفي سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩-٦٨٠م، ترجمته في: ابن حزم: ص٣٤١، ابن عبد البر: الاستيعاب٣ /١٧٨-١٨٠، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٤٧٣ .

(٣) الجَيْدور: كورة بشمالي حَوران، يقال إنها والجَوْلان التالي ذكره كورة واحدة، انظر:ياقوت: ٢/ ١٩٧ .

(٤) الزرقاء: اسم لموضعين، الأول بناحية معان بالأردن، والثاني من أعمال سلمية بسورية، والمراد في السياق زرقاء الأردن، وهي مدينة مشهورة، انظر: ياقوت: ٣/ ١٣٧، والمشترك، ص٢٣٣ .

(٥) كذا في (ك/ ١٣٨)، وفي تعليق لكرافولسكي: وربما الخليل هو الصحيح.

(٦) هي بصرى الشام، بلدة مشهورة في حَوران، انظر: ياقوت: ١/ ٤٤١-٤٤٢، الحميري: ص١٠٩ .

(٧) كَشْب: جبل بالبادية، انظر:ياقوت: ٤/ ٤٦٢ .

(٨) شعباء: من أرض الحجاز قرب مكة المكرمة، انظر:ياقوت: ٣/ ٣٤٦ .

(٩) في الأصل، وفي (ك/ ١٣٩): يُصَلون، والتصحيح من القلقشندي (صبح ٤/ ٢١٦).

وأما زُبَيْدُ الغوطةِ والمرجِ (٤٧) وقد تقدمتِ الإشارةُ إليهم[١] وإمرتُهم في بني نَوفل، وهم والمشارقةُ جيران، وليس للمشارقةِ إمْرَة، ولكن لهم شيوخٌ منهم، وأمرُ هؤلاءِ وهؤلاءِ إلى نوابِ الشامِ ليسَ لأحدٍ من أمراءِ العربِ عليهم إمرةٌ.

وديارُهم جميعاً المرجُ والغوطةُ بدمشقَ إلى لاهةَ إلى أُم أَوْعال[٢] إلى الرُّوَيشداتِ[٣]، وعليهم الدَّركُ وحفظُ الأطرافِ، وبهم تَم ذكرُ بني ربيعةَ.

قالَ الحَمْداني، وقد ذكرَ أعيانَهم:

وفي آلِ ربيعةَ جماعةٌ كثيرةٌ أعيانٌ لهم مكانةٌ وأُبّهة، فأولُ من رأيتُ منهم مانعُ بنُ حُدَيْثة وغنامٌ أبو الطاهرِ على أيامِ الملكِ الكاملِ، ثم حضرَ الكُلُّ في هذه الأيام إلى أبوابِ السلاطينِ من دولةِ المُعزِّ أَيْبَكَ وإلى أيام المنصورِ قلاوون، وهم زاملُ بنُ عليٍّ بن حديثة، وأخوه أبو بكرِ بنِ عليٍّ، وأحمدُ بنُ حَجيٍّ وأولادُه وإخوتُه، وعيسى بنُ مُهَنَّا وأولادُه وأخوه، وهم رؤساءُ أكابرُ ‹و›ساداتُ العربِ ووجوهُها، ولهم عند السلاطين حُرمةٌ كبيرةٌ، وصيتٌ عظيمٌ إلى رَوْنقٍ في بيوتِهم ومنازلِهم[٤]: ‹البسيط›

[مَن تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيدَهم | مثلُ النجومِ التي يسري بها السَّاري]

(١) انظر ما سبق، ص٢٩٨

(٢) أم أوعال: هضبة معروفة قرب برقة أنقد باليمامة، انظر: ياقوت: ١/ ٢٤٩

(٣) الروَيشَدات: عند (ك/ ١٣٩): وادٍ شمال أم أوعال.

(٤) البيت ساقط من الأصل، والإضافة من (ك/ ١٤٠)، وهو لعبيد بن العرندس الكلابي من قصيدة يصف فيها قوماً نزل بهم، انظر: المبرد: الكامل ١/ ١٠٦–١٠٧ ،وأورد البكري بعض أبيات هذه القصيدة دون البيت المذكور (معجم ما استعجم ٣/ ٨٦٢–٨٦٣) واسم عبيد فيه: عقيل.

قالَ الحَمْدانيُّ: إلا أنهم مع بُعدِ صيتِهم قليلٌ عَدَدُهم، قلتُ[(١)] : <الطويل>

تُعَيِّرُنا أنَّا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها: إنَّ الكرامَ قليلُ

وما ضَرَّنا أنَّا قليلٌ وجارُنَا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذَليلُ

قالَ المهْمنْدارُ الحَمْدانيُّ: وقد وفدَ فرجُ بنُ حَيَّةَ على المُعزِّ [أيبك][(٢)] وأنزلناه بدارِ الضيافةِ، وقعدَ أياماً، فجاءَ مقدارُ ما وصلَ إليه من عَيْنٍ وقُماشٍ وإقامةٍ له ولمن معَه ستةً وثلاثينَ ألفَ دينارٍ، واجتمع أيامَ الظاهرِ جماعةٌ من آلِ ربيعةَ وغيرِهم فحصلَ لهم من الضيافةِ خاصةً في المدةِ اليسيرةِ أكثرُ من هذا المقدارِ، وكلُّ ذلك على يَدي (٤٨)، قال:

وما يَعلَمُ ما خرجَ على يديَ من بيوتِ الأموالِ والخزائنِ والغلالِ للعربِ خاصةً إلا اللهُ تعالى مما لا تُحصيه إلا بالجهدِ فسبحانَ من سخرُ لهم وقسَمَ.

قلتُ: قد قالَ الحَمْدانيُّ هذا واسْتكثرَه، وأطالَ في هذا واسْتعظمَه واستكبرَه، فكيفَ لو عُمِّرَ إلى زمانِنا، ورأى إليهم إحسانَ سلطانِنا، ورأى العطايا كيفَ كانتْ تفيضُ فيهم فيضاً من الذهبِ العَيْن والدراهمِ بمئينِ ألوفٍ، والخلع الأطلسِ بالأطرزةِ الزراكشِ وأنواعِ القُماشِ الذي يُفَصَّلُ لملبوسِهم بالسَّمور والوَشَق والسِّنجابِ[(٣)] والبرطاسي والأطرزةِ [الزُّركشِ][(٤)] والملمعِ والباهي، والساذج، والعتَّابي من الإسكندري وفاخرِ المُقْتَرح والمصبوغاتِ المجوهرةِ، والذَّهب، وأنواعِ الزُّركشِ لنسائِهم والسُّكرِ المكرَّر والأشْربةِ المُختلفةِ بالقناطيرِ المقنطرةِ، وأحمالِ الجمالِ المقطرةِ إلى مايُنْعَمُ به على أعيانِهم من الجواري التُّرك والخيلِ للنِّتاجِ،

(١) البيتان للسموأل بن غريض بن عادياء الأزدي (ديوانه، ص٥٤–٥٥).

(٢) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي: صبح ٤ / ٢١١ .

(٣) يقصد الملابس المصنوعة من جلود هذه الحيوانات وفروها.

(٤) في الأصل: المزركش.

والفُحول للمهائرِ مع ما يُطلقُ لهم من الأموالِ الجمةِ بالشامِ، ويُقطعُ باسمِهم من المدنِ والبلادِ، ويُملَّكُ لهم من القُرى والضِّياع، ويُعطى غلمانُهم ويُجرَى من الإقطاعاتِ لهم وللائذينَ بهم وللمتجوِّهينَ بجاهِهم، مع المكانةِ العليَّة والشَّفاعاتِ المقبولةِ في استخدامِ الوظائفِ وتَرتيبِ الرواتبِ وإقطاعِ الجُند، والإطلاقِ من السُّجون، والرعايةِ في الغيبةِ والحضورِ، إلى غيرِ ذلك من تجاوزِ أمثالِ الكفايةِ في الإنزالِ والمضيفِ لهم ولأتباعِهم، منذُ خروجِهم من بيوتِهم وإلى حين عَوْدِهم إليها مع مؤاكلةِ السلطانِ مُدَّةَ إقامتِهم بحضرتِه غَداء وعَشَاء، والدخولِ عليه في المحافلِ والخلواتِ، وملازمتِه أكثرَ الأوقاتِ.

وإنْ وجدتَ لساناً قائلاً فقلْ: وهم إلى الآنَ يقلعون بتلكَ الريح (٤٩) ويستضيئونَ بتلك المصابيح.

قالَ الحَمْدانيُّ: ولقد رأيتُهم في الوقائعِ مع من غلبَ إلا نَوْبَةَ حمص[(١)] يعني الكائنةَ أيامَ المنصورِ قلاوونَ، فإنهم أثَّروا أثراً حَسَناً، وعملوا في التَّتار عملاً جيداً، وقاتلوا قتالاً شديداً، وربما تقدموا الجيشَ في اللقاءِ، فكانوا سببَ الكَرَّةِ، يَعني المؤديةَ إلى النُّصرة.

قلتُ: وحكى لي شيخُنا أبو الثَّناءِ محمودٌ أنَّه رأى آلَ مِرا حينَ جاؤوا تلكَ المرةَ، قالَ: كنتُ جالساً على سطحِ باب الإسطبلِ السُّلطانيِّ بدمشقَ، وقد أقبلوا زهاءَ أربعةِ آلافِ فارسٍ شاكينَ في السلاح على الخيلِ المُسَوَّمة، والجيادِ المُطَهَّمة، وعليهم الكُزْغَنْدات[(٢)]

(١) يقصد وقعة حمص، وهي الوقعة التي دارت رحاها في رجب سنة ٦٨٠هـ/ تشرين الأول ١٢٨١م، وانجلت عن هزيمة ساحقة للتتار، انظر: المنصوري: زبدة الفكرة ٩/ ١١٤آ-١١٨آ، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٤/ ٩٢-٩٦، أبو الفدا: المختصر ٤/ ١٤-١٥، الذهبي: العبر ٣/ ٣٤٢-٣٤٣، ابن كثير: البداية ١٣/ ٢٩٥-٢٩٦، ابن حبيب: تذكرة النبيه ١/ ٦٢-٦٣، ابن تغري بردي: النجوم ٧/ ٣٠٣-٣٠٥، عاشور: العلاقات السياسية، ص١١٦-١١٩ .

(٢) الكُزْغَنْدات: ج كُزْغَنْد، وهو نوع من الدروع عبارة عن سترة قصيرة لا يزيد طولها عن (٧٠) سنتم مصنوعة من قماش متين جداً، ولها أكمام طويلة وياقة عريضة، وهي مكسوة بالمخمل الأحمر القرمزي المرصع بمسامير نحاسية صغيرة، انظر: ماير: الملابس المملوكية، ص٧٢ .

الحُمْر من الأطلسِ المعدنيِّ، والدِّيباجِ الرومي، وعلى رؤوسِهم البَيْضُ[(١)] مُقَلَّدينَ بالسيوفِ، بأيديهم الرماحُ كأنهم صقورٌ على صُقور، وأمامَهم العبيدُ تميلُ على الركائبِ، ويرقصون بتراقصِ المهاري، وبأيديهم الجنائبُ التي ظلَّت إليهم عيونُ الملوكِ صُوراً، ووراءَهم الظعائنُ والحمولُ، قالَ: وكانتْ معهم مغنيةٌ لهم تعرفُ بالحَضْرميَّة وكانتْ لها سمعةٌ طائرةٌ في زمانِها، ورأيتُها سافرةً من الهَوْدجِ وهي تُغني[(٢)] : ‹الطويل›

وكُنَّا حَسِبنا كُلَّ بيضاءَ شَحمةً ليالــيَ لاقَيْنا جذامَ وحِميَرا
ولما لقينا عُصْبةً تغلبيَّةً يقودون جُرْداً للمنيةِ ضُمَّرا
فلما قرَعْنا النَّبعَ بالنبعِ بعضَه ببعضٍ أبَتْ عيدانُه أن تُكَسَّرا
سقيناهمُ كأساً سَقَوْنا بمثلِها ولكنَّهم كانوا على الموتِ أصبَرا

فقالَ رجلٌ كانَ إلى جانبي: هكذا يكونُ وربِّ الكعبةِ، فكانَ الأمرُ كما قالَ، فإنَ الكَسْرةَ كانتْ أولاً على المسلمينَ، ثم كانتِ النُّصْرةُ لهم، واستحرَّ القتلُ بالتتارِ، فسبحانَ مُنطقِ الألسنةِ، ومصرِّفِ الأقدارِ، فهو الفاعلُ لما (٥٠) يشاءُ، الفاعلُ المُختار.

---

(١) البَيْض: ج بَيْضَة، وهي الخوذة، انظر: المرجع نفسه، ص٧٤-٧٨، وهو مبحث مهم في تطور الخُوَذ وأنواعها وهيئاتها.

(٢) الأبيات للنابغة الجعدي (ديوانه، ص٧١)، ولم أقف عليه، وإنما قيدتها له نقلاً عن كرافولسكي (ك/١٤٢).

والنابغة الجعدي، واسمه قيس بن عبد الله، صحابي مات في أصبهان نحو سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م، ترجمته في: الأصبهاني: الأغاني ٥/٥، الزركلي: ٥/٢٠٧ .

< بقيةُ العربِ وديارُهم >

وإذْ قد انتهيْنا [من](١) ذكرِ آلِ ربيعةَ فلنذكرْ ما حَضَرَنا من بقيةِ العَرب وديارِهم فنقول:

< بنو خالد >

بنو خالدٍ(٢) عربُ حمصَ: يدَّعون النسبَ إلى خالدٍ وقد أجمعَ أهلُ العلمِ بالنسبِ على انقراضِ عَقبه(٣)، [ولعلهم](٤) من ذَوي قرابتِه من مَخْزومٍ، وكفاهم ذلكَ فخراً أنْ يكونوا من قُرَيش.

< بنو كلاب >

وبنو كِلابٍ(٥): عربُ أطرافِ حلبَ والرومِ، ولهم غزواتٌ معلومةٌ، وغاراتٌ لاتُعَدُّ، ولا تزالُ تُبَاعُ بناتُ الرومِ وأبناؤُهم من سباياهم، وهم يتكلمون بالتركيةِ، ويركبونَ الأكاديشَ، وهم عربٌ غُزٌّ(٦)، رجالُ حروبٍ وأبطالُ جيوشٍ، ولإفراطِ نكاياتِهم في الرومِ صنِّفَتِ السيرةُ

---

(١) في الأصل: في.

(٢) هم بطن من مخزوم، وقد سبق للمؤلف (ص٣٠٣) أن ذكرهم في أحلاف آل فضل، وقارن بالقلقشندي (نهاية، ص٢٢٦-٢٢٧)، والسويدي (ص٢٩٢)، وكحالة (١/٣٢٩).

(٣) في ابن حزم (ص١٤٨): "وكثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلاً، وكانوا كلهم بالشام، ثم انقرضوا كلهم في طاعون وقع، فلم يبق لأحد منهم عقب".

(٤) في الأصل: ولهم، والتصحيح من القلقشندي (صبح ١/٤٠٩).

(٥) هم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وقد تقدم ذكرهم في قبائل قيس عيلان العدنانية (ص٢٧٠) وفي أحلاف آل فضل (ص٣٠٣)، وقارن بابن حزم (ص٢٨٢-٢٨٤)، والقلقشندي (صبح ١/٣٩٣-٣٩٤، ونهاية، ص٣٦٥)، والسويدي (ص١٦٦)

(٦) أي عرب أتراك.

المعروفةُ بـ "دَلْهَمَةُ والبَطَّالُ"(١) منسوبةٌ إليهم بما فيها من مُلحِ الحديث، ومُلحِ الأباطيلِ، والكذبُ فيها يغلبُ الصحيحَ، وقد(٢) رأيتُ لعبدِ الوهابِ ذكراً في سواها فقيلَ: عبدُ الوهابِ بنُ نوبخت، وذكر الحافظُ أبو القاسمِ بنُ عساكرَ البَطَّالَ وسَمَّاه عبدَ اللهِ الأنطاكيّ(٣)، وذكرَ أنَّه كانَ أيامَ بني مروانَ وفيها هلكَ، ومصنفُ هذه السِّيرةِ قد جعلَه أيامَ بني العبَّاسِ وذلكَ حديثُ خُرافةٍ، ولم أقفْ لـ "دَلْهَمَةَ" على ذكرٍ ألْبتَّةَ فيما يُوثَقُ به وقد نَبَّهتُ على هذا ليُعرَفَ.

قلتُ: وذكرَ لي رجالٌ من بني [مروانَ](٤) أنهم يَنتسبون إلى عبدِ الوهابِ هذا.

قالَ المِهْمَنْدارُ الحَمْدانيُّ ما معناهُ: فأمَّا بنو كِلابٍ عربُ الروم فقد كانوا ظهروا على آلِ ربيعةَ لأنَّ الملكَ الكاملَ كانَ طلبَ من مانعِ بنِ حُدَيْثَةَ وغَنَّامِ بنِ الظَّاهرِ(٥) جمالاً يحملُ

---

(١) هي قصة "ذات الهمة"، وهي قصة مشهورة ومتداولة، وأما البطال، فهو أبو محمد، وقيل أبو يحيى عبد الله الأنطاكي استشهد في أرض الروم سنة ١٢١هـ/ ٧٣٩م، قال الذهبي (العبر ١/١١٨): "وفيها قتل أحد الشجعان الأبطال أبو محمد البطال، وله حروب ومواقف، ولكن كذبوا عليه فأفرطوا ووضعوا له سيرة كبيرة كل وقت يزيد فيها من لا يستحي من الكذب".

(٢) العبارة التالية: ... إلى قوله: بن نوبخت، تبدو مقحمة على السياق، ولعلها مسبوقة بمتروك من الكلام يتعلق بعبد الوهاب، اللهم إلا أن يكون المؤلف – وهذا ما أميل إليه – قد وهم في معنى "دَلْهَمَة" فحسبها: ذا الهمة، وحملها على عبد الوهاب المذكور.

هذا، وقد استشهد عبد الوهاب غازياً في أرض الروم سنة ١١٣هـ/ ٧٣١م، ترجمته في: الطبري: تاريخه ٧/٨٨، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢٧/٣٠٣، الذهبي: العبر ١/١٠٧، وهو في هذه المصادر: ابن بخت.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٣/٤٠١

(٤) في الأصل: ابن فروان، والتصحيح من (ك/١٤٤).

(٥) كذا، وقد سبق للمؤلف أن ذكره (ص٣٠٦، ٣٣١) باسم: غنام أبي الطاهر.

عليها غلالاً إلى خلاط(١) يقويها بها، فاعتذر<ا> بأنَّ الجمالَ عَزَبَتْ في البريةِ، وكانَ بعضُ بني كلابٍ حضوراً لديه، فتكفل له بحاجتِه من الجمالِ، ووفى بقولِه، فحقدَها الكاملُ على مانعِ بنِ حُدَيْثَةَ وغَنَّام بن الظَّاهر، واسْتوحشا منه، ثم أتياه عندَ أخذِه آمد(٢)، فوبَّخهما (٥١) وقالَ: واللهِ لو<لا> أنكما عربي لأفعلنَّ بكما الواجبَ، فخرجا خائفيْن منه إلى أن فتحَ دمشقَ(٣) فاتياه بأنواعِ التَّقادم، وتقربا إليه بالخدمةِ، قالَ: وكانت بنو كلابٍ تخدمُ الملكَ الأشرفَ موسى(٤) وتصحبُه لمتاخمتِه لبلادِ الرومِ(٥)، وكانوا مُتَرصِّدينَ لخِدَمه ومعدودينَ من خَدَمِه.

---

(١) خِلاط: بلدة عامرة من فتوح عياض بن غنم رضي الله عنه، ولها بحيرة تعد من عجائب الدنيا، انظر: ياقوت: ٢ / ٣٨١

(٢) آمد: هي أعظم مدن ديار بكر، وأجلها قدراً، وأشهرها ذكراً، وينسب إليها خلق من أهل العلم، انظر: ياقوت: ١ / ٥٦–٥٧، الحميري: ص٣–٥، القلقشندي: صبح ٤ / ٣٢٧
وكان الملك الكامل قد استولى على آمد في المحرم سنة ٦٣٠هـ/ تشرين الأول ١٢٣٢م، وقبض على صاحبها الملك المسعود ممدود بن الملك الصالح بن ارتق واستصحبه معه إلى مصر، انظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ / ٦٧٣–٦٧٤، ٦٧٥–٦٧٦، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص١٨

(٣) وذلك في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٣٥هـ/ كانون الثاني ١٢٣٨م حيث تسلمها من أخيه الملك الصالح إسماعيل، وكان الصالح إسماعيل قد ملك دمشق بعد وفاة أخيه الملك الأشرف موسى بوصية منه، الأمر الذي حمل الكامل على أخذها منه لما كان بينه وبين الأشرف من وحشة، انظر: ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص٢١، الذهبي: العبر ٣ / ٢٢٢

(٤) هو الملك الأشرف موسى بن العادل محمد بن أيوب بن شاذي بن أيوب، توفي بقلعة دمشق في المحرم سنة ٦٣٥هـ/ آب ١٢٣٧م، ودفن بها ثم نقل إلى تربته بالكلاسة، وتسلطن بعده بدمشق أخوه الصالح إسماعيل على ما تقدم في الحاشية السابقة، ترجمته في: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ق١ / ٧١١–٧١٦، أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص١٦٥، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص٢١، أبو الفدا: المختصر ٣ / ١٥٩–١٦٠، الذهبي: العبر ٣ / ٢٥٥، ابن كثير: البداية ١٣ / ١٤٦–١٤٩، الزركلي: ٧ / ٣٢٧–٣٢٨ .

(٥) وذلك في أيام تملكه للجزيرة الفراتية، وكانت خلاط وقتها عاصمة ملكه.

قلتُ: وكان سلطانُنا لا يزالُ متلفتاً إلى تألفِ بني كِلابٍ، وكانَ أحمدُ بنُ نصيرٍ المعروفُ بالتُّتريٌ قد عاثَ في البلادِ والأطرافِ واشتدَّ في قطعِ الطريق، فأمَّنَه وخلعَ عليه وأقطعَه فانقادت بنو كِلاب(١).

وحكى لي الأميرُ علاءُ الدينِ أَلْطُنْبُغا أيامَ نيابتِه بالشامِ(٢) أنَّ بني كلابٍ أشدُّ العربِ بأساً، وأكثرُهم ناساً، ولكنهم لايدينون لامرئٍ منهم بجمعِ كلمتِهم، قالَ: ولو انقادوا لأميرٍ واحدٍ لم يبقَ لأحدٍ من العربِ بهم قبلٌ ولا طاقةٌ، ولمّا توجّه إلى حلبَ لإمساكِ طَشْتَمُر(٣) أتاه مشاهيرُ بني كلابٍ مثلُ أحمدَ بنِ نُصَيْرٍ، ونديُّ بنِ ضَحَّاكٍ وغيرِهم، فكانوا أعوانَه وظُهَراءه، ولم يزالوا معه حتى حقَّتْ عليه النوبةُ، ففارقوه من [المُعَيصرة](٤) وكان ذلك بمباطنةٍ من سُليمانَ بنِ مُهَنَّا لهم، وكانوا قد صَاروا أحلافاً له، وكانَ الملكُ الناصرُ قد أمَّرَه على عَربِ بني كِلاب، وجعلَ عليه حِفظَ جَعْبَر وما جاورَها.

---

(١) قلت: وفي الذهبي (ذيل العبر، ص٤٦) في حوادث سنة ٧١٧هـ: "فسار إليهم عسكر طرابلس وقتل الطاغية وجماعة وتمزقوا".

(٢) تقدمت الإشارة إلى نيابته في الشام (٧٤١هـ) في معرض ترجمته، ص٣١٤ حاشية (٢).

(٣) هو الأمير طشتمر البدري الساقي الناصري، فر من وجه الطنبغا المقدم ذكره إلى بلاد الروم، ومات فيها في أواخر ذي الحجة سنة ٧٤٢هـ/ حزيران ١٣٤٢م، وقيل في سنة ٧٤٣هـ ترجمته في: الحسيني: ذيل العبر، ص١٢٥، ابن حجر: الدرر ٢/ ٣٢٠.

وكان الباعث على إمساكه هو قيامه بنصرة الأمير أحمد بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ومبايعته ملكاً بدلاً من أخيه الملك الأشرف علاء الدين كجك.

(٤) في الأصل: المعيصرة، والتصحيح من (ك/ ١٤٥)، ولم اقع لها على تعريف، لكن يستفاد من حوادث سنة ٧٠٢هـ في اليونيني (ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٥آ) أنها من قرى دمشق.

< آلُ بشَّار >

وآلُ بشَّار(١) ديارُهم الجزيرةُ(٢)، والأحصُ ببلادِ حلبَ، والأحلافُ(٣) منهم حالُهم في عدمِ الانقيادِ لأميرٍ واحدٍ حالُ بني كِلابٍ، ولو اجتمعوا لما أُمنَ بأسُهم، وهم على تفرُّقِ كلمتِهم وتشتتِ جماعتِهم لا يزالُ آلُ فضلٍ منهم على وَجَل، وطالما باتوا وقلوبُهم منهم ملأى من الحذَر، وعيونُهم وسَنى من السُّهر وبينَهم دماءٌ، وهم [وبنو رَبيعةَ](٤) وبنو عِجلٍ(٥) جيرانٌ، وديارُهم من سِنْجار وما يُدانيها إلى [البارة](٦) قريبَ الجزيرةِ العُمَرِيةِ(٧) إلى أطرافِ بغداد.

غَزِيَّة(٨)

قالَ الحَمْداني: هم بطونٌ وأفخاذٌ، ولهم مَشايخُ منهم من وفدَ على السلاطينِ في

(١) تقدم ذكرهم في أحلاف آل فضل، ص٣٠٣ .

(٢) يقصد الجزيرة الفراتية، أو جزيرة آقور، وتقع بين دجلة والفرات وتشتمل على ديار مضر وديار بكر، انظر: ياقوت: ٢/١٣٤ فما بعدها.

(٣) هم بطن من آل بشار من حلفاء آل فضل، انظر: القلقشندي: نهاية، ص١٥٧-١٥٨، السويدي: ص٢٦٨

(٤) في الأصل: بنو ربيعة، والتصحيح من (ك/١٤٥).

(٥) هم بنو عجل بن لجيم، بطن من بكر بن وائل، من العدنانية، انظر: ابن حزم: ص٣١٢-٣١٤، القلقشندي: صبح ١/٣٩٢، ونهاية، ص٣١٩ .

(٦) في الأصل، وفي (ك/١٤٥): البازار، والتصحيح من القلقشندي (صبح ٤/٢٣٩)، والبارة: بليدة وكورة من نواحي حلب، ويسمونها زاوية البارة، انظر: ياقوت: ١/٣٢٠ .

(٧) وتروى: جزيرة ابن عمرو، وهي بلدة فوق الموصل، ولها رستاق مخصب واسع الخيرات ودجلة يحيط بها كالهلال، انظر: ياقوت: ٢/١٣٨، القلقشندي: صبح ٤/٣٢٥ .

(٨) تقدم ذكر بني غزية في أحلاف آل فضل من عرب البرية (ص٣٠٣)، وهم بنو غزية ابن أفلت بن ثُعَل، بطن من طيئ، من كهلان، من القحطانية، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٧٥-٣٧٦، كحالة: ٣/٨٨٤ .

زَمانِنا. وهم مُتفرقونَ في الشامِ (٥٢) والحجازِ وبغدادَ وفيما بينَ العراقِ والحجاز.

فأما شيوخُ غَزِيَّةَ الذين في طريقِ بغدادَ إلى الحجازِ الذين مياهُهم اليحموم(١)، و[اللصَفُ](٢)، والنُّخَيلةُ(٣)، والمُغيثةُ(٤)، مياهُ البَطْنَيْن(٥)، ومياهُ الأَجْودِ لينةُ(٦)، والثَّعلبيةُ(٧)، وزَرُود(٨).

فمن غَزِيَّةَ البَطْنَيْن منهم آلُ دُعَيْج، وكان شيخُهم مانعُ بنُ سُليمانَ قد وفدَ <على> الديارِ المصريةِ سنةَ ثلاثٍ وستٌ مئة، وآلُ رَوْقٍ، وآلُ رُفَيعٍ، وآلُ سرِيَّةَ، وآلُ مسعودٍ، وآلُ تميمٍ، وآلُ [شَمْرود](٩)، هذه البَطْنَيْن من غَزِيَّةَ.

<و>بطونُ الأَجْودِ من غَزِيَّةَ: آلُ منيعٍ، وآلُ سَنيلٍ(١٠)، وآلُ سَندٍ، وآلُ منالٍ(١١)، وآلُ أبي الحزم، وآلُ عليٍّ، وآلُ عقيلٍ، وآلُ مُسافرٍ.

هؤلاء هم المشهورون من بطونِ غَزِيَّةَ، واللهُ أعلمُ، هذا ما ذكرَه الحَمْدانيُّ.

---

(١) اليَحْموم: ماء غربي المغيثة التالي ذكرها بطريق مكة، انظر: ياقوت: ٥/٤٣٢.

(٢) في الأصل: اللصيف، والتصحيح من (ك/١٤٦)، واللصف: اسم بركة غربي طريق مكة بين المغيثة والعقبة، انظر: ياقوت: ٥/١٧.

(٣) النُّخيلة: ماء عن يمين الطريق قرب المغيثة والعقبة على سبعة أميال جنوب غربي واقصة، انظر: المصدر نفسه، ص٧٨.

(٤) المُغيثة: منزل في طريق مكة بعد العذيب نحو مكة، وقيل: بركة بين القاو وبين العذيب، انظر: المصدر نفسه، ص١٦٢-١٦٣

(٥) يريد أن يقول إنَّ المياه السالفة للبطنين أحد فرعي غزية، قارن بالعبارة التالية.

(٦) لينة: منزل بطريق مكة من واسط وهي كثيرة الرُّكي والقُلب، أي الآبار، انظر: ياقوت: ٥/٢٩.

(٧) الثَّعلبية: منزل بطريق مكة من الكوفة، انظر: المصدر نفسه: ٢/٧٨-٧٩.

(٨) زَرُود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق مكة من الكوفة، انظر: المصدر نفسه: ٣/١٣٩.

(٩) في الأصل: شمردل، وضبطها السويدي بالحروف (ص١٩٠) بالصورة المثبتة أعلاه.

(١٠) كذا، ويجوز أن تكون: آل سنبل، وفي القلقشندي (صبح ١/٣٧٦): آل سنيد.

(١١) في (ك/١٤٧): آل منان.

قلتُ: وذكرَ لي نصيرُ[1] بنُ بَرجَس المشرقيُّ زيادةً: أولادَ الكافرة، وساعدةَ، و[بني][2] جميلٍ، وآلَ مالك[3].

وأما أحلافُ آلِ فَضلٍ فقد قَدَّمنا ذكرَهم فيهم.

وديارُ آلِ أجودَ منهم: الرُّخَيْمِيَّةُ، والوَقَبى[4]، والفِردوسُ[5]، ولينةُ، و[الحدقُ][6].

و[ديار][7] آلِ عمرو بالجَوْفِ.

وديارُ بقاياهم: اللَّصَفُ، والكمنُ، واليَحمومُ، والام، والمُغيثةُ.

و[يليهم][8] ساعدةُ وديارُهم من [الحَضْر][9] إلى بريةِ زَرود، ولا محيدَ للركبِ العراقيِّ

---

(١) في (ك/١٤٧): نصر.

(٢) في الأصل: بنو.

(٣) في (ك/١٤٧): آل أبي مالك.

(٤) الوقَبى: منزل على طريق المدينة المنورة من البصرة، انظر: ياقوت: ٥ / ٣٨٠ .

(٥) الفردوس: اسم لموضعين، الأول: روضة دون اليمامة، والثاني: ماء لبني تميم عن يمين طريق الحاج من الكوفة، ولعله هو المراد بالسياق، انظر: المصدر نفسه: ٤ /٢٤٧-٢٤٨ .

(٦) في الأصل: الحدف، والتصحيح من (ك/١٤٧).

(٧) إضافة من القلقشندي: (صبح ١/٣٧٦).

(٨) في الأصل، وفي (ك/١٤٧): بينهم، والتصحيح من القلقشندي،المصدر نفسه.

(٩) في الأصل، وفي (ك/١٤٧): الخضراء، والتصحيح من القلقشندي ،المصدر نفسه.

والحَضْر: مدينة قرب تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات، انظر: ياقوت: ٢ /٢٦٧-٢٦٩، الحميري: ص٢٠٣-٢٠٥ .

عنها، إلى سعارةَ إلى [البقعاءِ][1] إلى التيبِ[2] إلى الساسةِ[3] إلى حَفْر[4] وخالد ودارها التنومة وضئيدة[5] و[أبو الزيدان][6] والقُويع، وضارج[7]، والكوارة، والنَّبْوان[8]، إلى ساقة العُرْفة، إلى الرُّسوس، إلى عُنَيْزَةَ[9]، إلى وُضَاخ[10]، إلى جَبلةَ[11]، إلى السِّر، إلى العُرَدَةِ[12]، إلى العشيرية، إلى الأنحل[13].

---

(١) في الأصل، وفي (ك/١٤٧): النقعاء، والتصحيح من القلقشندي (صبح ١/٣٧٦)، والبقعاء: اسم لأحد عشر موضعاً عند ياقوت (المشترك، ص٦٢)، وأقرب ما يكون إلى السياق الموضع الذي خرج منه الصديق رضي الله عنه لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة، وهو تلقاء نجد على بعد (٢٤) ميلاً من المدينة، أو أن يكون قرية من قرى اليمامة، انظر:ياقوت: ١/ ٤٧١.

(٢) في (ك/١٤٧): الثيب، والتيب: جبل بقرب اليمامة، انظر: ياقوت: ٢/٦٤-٦٥.

(٣) في (ك/١٤٨): السائبة.

(٤) ويعرف بحفر سعد، وهو موضع بحذاء العرقة (من قرى اليمامة) وراء الدهناء، انظر: ياقوت: ٢/٢٧٦، والمشترك، ص١٣٩.

(٥) ضئيدة: ذكرها ياقوت (٣/٤٦٥) ولم يصرح لها بتعريف.

(٦) في الأصل: أبو الديدان، والتصحيح من (ك/١٤٨).

(٧) ضارج: اسم لعدة مواضع في ياقوت (٣/٤٥٠) ولم أعرف أيها المراد.

(٨) في الأصل البنوان، والتصحيح من (ك/١٤٨)، والنبوان ماء بنجد، انظر: ياقوت: ٥/٢٥٨.

(٩) عُنَيْزَة: موضع بين البصرة ومكة، انظر: المصدر نفسه ٤/١٦٣.

(١٠) وضاخَ: قرية من قرى اليمامة، وقيل من أعمال المدينة المنورة، انظر: المصدر نفسه ١/٢١٣-٢١٤.

(١١) جَبَلَة: اسم لعدة مواضع في ياقوت (٢/١٠٤-١٠٦) وأقرب ما يكون إلى السياق الموضع الذي كانت فيه الوقعة المشهورة بين بني عامر وتميم وعبس وذبيان وفزارة، وهو هضبة حمراء بنجد.

(١٢) العُرَدَة، أو العَرْدة: ماء، عدّ من مياه بني صخر من طيئ، وهو بين العلا وتيماء وحفر عنزة، انظر: ياقوت: ٤/٩٩

(١٣) الأنحل: واد ينحدر على ذات عرق أعلاه من نجد، وأسفله من تهامة، انظر: المصدر نفسه: ١/٢٥٩.

‹خَفاجةُ وعُبادةُ›

وخَفاجةُ[١] وعُبَادةُ[٢] عربُ بغدادَ والعراقِ، وقال ابن عَرَّام: منازلُ عبادةَ من بغدادَ إلى المَوْصلِ، وبمرجِ دمشقَ قومٌ من عُبادة.

وخَفَاجةُ من هيت[٣]، والأنبارِ[٤]، إلى الحِلّةِ[٥]، إلى بئرِ ملاحا[٦]، إلى الكُوفةِ، إلى قائمِ عَنْقاء، والثَّرثارِ[٧]، إلى [المُثَنّى][٨] دون البَصرةِ، وهو غايةُ مَرماهم ونهايةُ بُعدِهم.

قالَ الحَمْدانيُّ: وفَدوا على الدولةِ الظاهريةِ بُعَيْدَ كَسْرةِ الخليفةِ المُستنصرِ[٩] المُجَهزِ من

---

(١) هم بنو خفاجة بن عمرو بن عُقيل المقدم ذكرهم في قيس عيلان (ص٢٧١)، وقارن بابن حزم، ص٢٩٠-٢٩١، ٤٦٩، والقلقشندي، صبح ١/٣٩٦، ونهاية، ص٢٣٠.

(٢) هم بنو عبادة بن عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من العدنانية، انظر: ابن حزم: ص٢٩٠-٢٩١، ٤٦٩، القلقشندي: صبح ١/٣٩٦، ونهاية، ص٣٠٥.

(٣) هِيت: مدينة بين الرحبة وبغداد على الشاطئ الغربي للفرات، انظر: ياقوت: ٥/٤٢٠-٤٢١، الحميري: ص٥٩٧-٥٩٨، القلقشندي: صبح ٤/٣٣٥.

(٤) الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد ينسب إليها خلق من أهل العلم، انظر: ياقوت: ١/٢٥٧-٢٥٨، الحميري: ص٣٦-٣٧، القلقشندي: صبح ٤/٣٣٦.

(٥) الحِلّة: مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، وللشعراء فيها أشعار كثيرة، انظر: ياقوت: ٢/٢٩٤.

(٦) في الأصل: مر ملاحا، والتصحيح من (ك/١٤٨).

(٧) الثَّرثار: واد عظيم في الجزيرة بين سنجار وتكريت، وكان للعرب بنواحيه وقائع مشهورة، ولهم في ذكره أشعار كثيرة، انظر: ياقوت: ٢/٧٥، الحميري: ص١٤٩.

(٨) في الأصل: الثني، والتصحيح من (ك/١٤٨).

(٩) هو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله العباسي، بويع بالخلافة في القاهرة في رجب سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م، ثم قدم دمشق وتوجه منها إلى العراق لفتحه من التتار، فالتقى معهم بالقرب من الأنبار على شط الفرات في المحرم سنة ٦٦٠هـ/تشرين الثاني ١٢٦١م، فعدم=

مصرَ (٥٣) لاستفتاح العراقِ، وكان كبيرَ جماعتِهم خِضرُ بنُ مقلدِ بنِ سلمانَ بنِ مهارش العبَّادي، وشَهْرَى بنُ أحمدَ الخَفاجيُ في أشياخٍ منهم مقبلُ بنُ سالم، وعَياشُ بن حُدَيثةَ ووشاحٌ وغيرُهم، فأنعم الملكُ الظاهرُ عليهم وفَتَّاهم[1]، وكانوا عَيناً له على التتار، وأعواناً له للانتصار.

عُربانُ العِذار

وهم عربُ المُسَيَّب بالبطائحِ[2]، وقد كانوا يعصونَ على الخلفاءِ وملوكِ التتار لتمنعهم بالماءِ والمقاصبِ المعلقةِ والأجم المتأشِّبَة، ومقدمُهم ابنُ رَؤوف، وهم من سُنْبِسٍ، والجُبور، وآل نطَّاح، إلى بطونٍ أخرى، وقد صاروا أهلَ مدرة وحُلاّل دارةَ لا يبارحونَها، ورزقُهم مُقَدَّر عليهم.

عربُ العارض

والعارضُ[3] وراءَ الوَشْم، والوَشْمُ هو الذي ينتهي إليه آلُ فضلٍ إذا توسَّعوا في البَرِّ، وهم بنو زيادٍ، والجميلةُ، وعربُ الخَرْج[4] وهم العُقفانُ والبرحان، ومن بلادِهم: البُرَيكُ[5]

= ولم يظهر له خبر، ترجمته في: المنصوري: زبدة الفكرة ٩/٤٩ب-٥٠آ، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٢/١٦٣، ابو الفدا: المختصر ٣/٢١٢-٢١٣، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر ٨/٩٣، ابن شاكر: عيون التواريخ ٢٠/٢٥١-٢٥٦، ابن كثير: البداية ١٣/٢٣٥، ابن تغري بردي: النجوم ٧/١٠٩-١١٧، الزركلي: ١/٢١٩-٢٢٠، عاشور: العلاقات السياسية، ص٧٠-٧٢ .

(١) فتّاهم: أكرمهم، والفتى: السخي الكريم، والفتوة: الكرم (القاموس المحيط).

(٢) البطائح: أرض واسعة بين واسط والبصرة، وسميت بذلك لأن المياه كانت تتبطح فيها، أي تسيل وتتسع في الأرض، انظر: ياقوت: ١/٤٥٠-٤٥١ .

(٣) يقصد عارض اليمامة، وهي جبال مسيرة ثلاثة أيام، انظر: المصدر نفسه: ٤/٦٥-٦٦ .

(٤) الخَرْج: واد باليمامة في طريق مكة من البصرة، انظر: المصدر نفسه: ٢/٣٥٧ .

(٥) البريك: هو بلد باليمامة، انظر: المصدر نفسه: ١/٤٠٧ .

والنَّعَامُ[(١)]، و[هما][(٢)] قريتان في وادٍ منيعٍ إذا حُصِّنَ مدخلُه بسورٍ كانَ أمنعَ بلادِ الله.

قالَ ابنُ عَرَّام: وإلى هذا الوادي أزمعَ تِنْكِزُ[(٣)] على الهربِ حينَ خافَ من الملكِ الناصرِ، وعليه طريقُ رَكْبِ الحَسَا[(٤)] وعليه يمرُّ الركبِ من الحسَا والقُطَيْفِ[(٥)]، وفيه يقولُ بعضُهم: ‹الطويل›

لعلك توطيني نَعاماً وأهلَه ... ولو بانَ بالحُجَّاجِ عنَه طريقُ

عائذ [بني سَعيد][(٦)]

دارُهم من حَرْمَةَ[(٧)] إلى جُلاجِلَ[(٨)] والتوَيْبِ ووادي القُرى وليسَ الواديَ المقاربَ للمدينةِ

(١) النعام: واد باليمامة كثير النخل والزرع، انظر: ياقوت: ٥/٢٩٢.

(٢) في الأصل: هم، والتصحيح من (ك/١٤٩).

(٣) هو الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، اعتقل في ذي الحجة سنة ٧٤٠هـ/ حزيران ١٣٤٠م ومنها سير إلى القاهرة، فسجن الإسكندرية حيث أعدم فيه في نصف المحرم سنة ٧٤١هـ/ تموز ١٣٤٠م، ترجمته في: الحسيني: ذيل العبر، ص١٢١، الصفدي: الوافي ١٠/ ٤٢٠-٤٣٥، ابن حجر: الدرر ٢/٥٥-٦٢، الشوكاني: البدر الطالع ١/١٦٩-١٧٣، دهمان: ولاة دمشق، ص١٥٦-١٧٩، وهي ترجمة وافية.

(٤) هي مدينة هجر، وكانت تسمى عندما زارها ابن بطوطة (في عصر المؤلف) بالحسا، وبها يضرب المثل لكثرة نخيلها فيقال: كجالب التمر إلى هجر، انظر: ياقوت: ١/١١٢، ابن بطوطة: ص٢٨٠.

(٥) القُطيف: مدينة كبيرة حسنة ذات نخيل كثير، انظر: ياقوت: ٤/٣٧٨، ابن بطوطة: ص٢٨٠.

(٦) في الأصل: بنوسعد، والتصحيح من القلقشندي نهاية، ص٣٠٤.

(٧) حرمة: موضع في جانب حمى ضَرِيَّة، وضَرِيَّة: قرية، وقيل: أرض بنجد في طريق مكة من البصرة، انظر: ياقوت: ٢/٢٤٥ (حرمة)، ٣/٤٥٧ (ضَرِيَّة).

(٨) ويقال أيضاً: حُلاحِل، وهو جبل من جبال الدهناء، والدهناء: مجموعة جبال من الرمال طولها من حزن ينسوعة إلى رمل يبرين، أعلى هذه الجبال أدناها إلى حفر بني سعد التالي ذكره، انظر: المصدر نفسه: ٢/١٤٩ (جُلاجل)، ٢/٤٩٣-٤٩٤ (الدهناء).

الشريفة النبوية[(١)] زادَها الله شَرفاً، و[تُعرَفُ][(٢)] بالعارضِ ورُماح[(٣)] والحَفر.

قلتُ: وحدَّثني أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الواصليُّ أن بلادَهم بلادُ خيرٍ ذاتُ زَرْعٍ وماشيةٍ بقُرى عامرةٍ، وعُيونٍ جاريةٍ، ونِعَمٍ سارِحةٍ، ولأرضِهم بذلك الوادي مَنَعَةٌ وحَصانة، قال: وقد كانَ المظفرُ بَيْبَرسُ الجاشْنَكيرُ اهتمَّ بقصدِه واللحاقِ به والمَقامِ فيه، وأن يكونَ كواحدٍ من أهلِه (٥٤) مرتزقاً من سوائمِ الإبلِ والشاءِ.

قالَ: ثم انثنى رأيُه عن ذلك آخرَ وقتٍ ولو وجَّه إليه وجهَه كانَ أحمدَ لمنتجعِه، وأدنى لعَوْدِه إلى صلاحِ الحال ومرتجَعِه.

بنو يزيد

ودارُهم مَلْهَم[(٤)]، وبنيانُ[(٥)]، وحَجْرٌ[(٦)]، ومنفوحةُ[(٧)]، وصُباحُ[(٨)]، والبَرَّةُ[(٩)]، و[العُوَيْندُ][(١٠)]، وجَو[(١١)].

---

(١) قلت: ولم أقع في جزيرة العرب على واد يحمل اسم وادي القرى سوى الوادي المعروف المذكور، انظر بشأنه: ياقوت: ٥/٣٤٥، والمشترك، ص٤٣١، الحميري: ص٦٠٢، وعده من أعمال المدينة.

(٢) في الأصل: يُعرف، ويقتضي السياق أن يكون الضمير عائداً على دارهم، أو بلادهم، وليس إلى الوادي.

(٣) ويقال: رُماخ، وهو موضع بالدهناء، انظر: ياقوت: ٣/٦٥.

(٤) مَلْهَم: موضع كثير النخل، ويومُ مَلْهَم: حرب لبني تميم وحنيفة (القاموس المحيط).

(٥) بنيان: قرية باليمامة، انظر: ياقوت: ١/٥٠٢.

(٦) وتروى: الحَجْر، وهي مدينة باليمامة وأم قراها، انظر: المصدر نفسه: ٢/٢٢١.

(٧) المنفوحة: قرية مشهورة بنواحي اليمامة، انظر: المصدر نفسه: ٥/٢١٤-٢١٥.

(٨) صُباح: ماء من جبال نملى بقرب المدينة، انظر: المصدر نفسه: ٣/٣٩١، ٥/٣٠٥.

(٩) ويقال لها: البَرَّتان، العليا والسفلى، وهما قريتان باليمامة، انظر: المصدر نفسه: ١/٤٠٦.

(١٠) في الأصل: العرنيد، والعويند قرية باليمامة، انظر: المصدر نفسه: ٤/١٧٠.

(١١) الجَوُّ: عند العرب كل مكان اتسع من الأودية، والمراد هنا: جو اليمامة، انظر: ياقوت: المشترك، ص١١٤.

‹المزايدة›

و[المزايدة][(١)] دارُها البخْراء[(٢)]، وحَرَمةٌ، وهي حَرَمة أخرى غيرُ الذي تقدم ذكرُها، وسبخةُ الدبيل[(٣)]، والحُلْوةُ[(٤)]، والهُزَيْم[(٥)]، والبُرَيكُ، ونعام، والخَرْج.

عُقَيل

وهم من آلِ عامرٍ، قالَ الحَمْدانيُّ: وهي غيرُ عامرِ المنتفق، وغيرُ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ[(٦)]، قالَ: ومنهم القُدَيْماتُ، والنَّعائمُ، وقباتٌ، وقيسٌ، ودَنْفَلٌ وحرثانُ وبنو مُطَرِّقٍ، وذكرَ أنهم وفَدوا في الأيامِ الظاهريَّةِ صُحبةَ مقدَّمِهم محمدِ بنِ أحمدَ بنِ العَقَديِّ بنِ سِنان بنِ عُقَيلةَ بنِ شبانةَ بنِ قُدَيْمةَ بنِ نُباتَةَ بنِ عامرٍ، وعوملوا بأتمِّ الإكرامِ وأفيضَ عليهم سابغُ الإنعام، ولُحِظُوا بعينِ الاعتناء.

قلتُ: وتوالتْ وِفاداتُهم على الأبوابِ العالية الناصريَّةِ وأغرقتْهم تلك الصَّدقاتُ بديَمِها فاستَجلبت النائي منهم، وبرزَ الأمرُ السُّلطانيُّ إلى آلِ فضلٍ بتسهيلِ الطريقِ لوفودِهم

---

(١) في الأصل: المرابدة، والتصحيح من (ك/١٥١) .

(٢) البخراء: ماء منته على ميلين من القليعة بطرف الحجاز، انظر: ياقوت: ١/٣٥٦ .

(٣) الدبيل: موضع يتاخم أعراض اليمامة، وقيل: هو رمل بين اليمامة واليمن، انظر: ياقوت: ٢/٤٣٩، والمشترك، ص١٧٥ .

(٤) الحُلْوة: اسم لعدة مواضع، والمراد هنا: ماء بأسفل الثلبوت لبني نعامة، والثلبوت: واد يدفق إلى وادي الرمة من تحت ماء الحاجر، انظر: ياقوت: ٢/٢٩٤ (الحلوة)، ٢/٨٢ (الثلبوت)، والمشترك، ص١٤٣ .

(٥) الهُزَيْم: نخيل وقرى باليمامة، انظر: ياقوت: ٥/٤٠٦ .

(٦) قلت: وقد عدهم القلقشندي (صبح ١/٣٩٥) من بني عامر بن صعصعة، وهم فيه: بنو عُقَيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وعلق بالقول في الصفحة التالية: "على أن الحمداني قد وهم فقال: وهم غير عامر المنتفق، وعامر بن صعصعة، وتبعه على ذلك في مسالك الأبصار".

وقُصَّادِهم وتأمينِهم في الوِرْدِ والصَّدر، فانثالتْ عليه جماعتُهم، وأُخلصتْ له طاعتُهم، وأتتْه بأجلابِ الخيلِ والمهارى، وجاءتْ في أعِنَّتِها وأزِمَّتِها تتبارى، وكان لا يزالُ منهم وفودٌ بعدَ وُفود، وكانَ منزلُهم تحتَ دارِ الضيافةِ لا يزالُ يَسُدُّ فضاء تلكَ الرِّحاب، وتغصُّ بقبابه تلك الهضاب، بخيامٍ مشدودةٍ بخيام، ورجالٍ بينَ قُعودٍ وقيام، وكانت الإِمْرَة فيهم في أولادِ مانعٍ إلى بقيةِ أمراءَ فيهم وكبراءَ لهم[1]، ودارُهم الإِحْساءُ والقطيفُ ومُلَجٌ[2]، وأنطاعٌ والقرعاءُ[3]، واللِهابةُ[4]، وجَودةُ[5]، ومُتالعُ[6].

شَمَّر[7] ولأم[8]

من عربِ الحجازِ، وديارُهم جبلا طيئٍ أجأ وسُلمى، وظفير[9] من بني لام، ومنزلُهم الظعن[10]، قبالةَ المدينةِ النبويةِ (٥٥) على ساكنِها أفضلُ الصلاةِ والسَّلام.

---

(١) في (ك/١٥٢): إلى بقية أمرائهم وكبرائهم.

(٢) مُلَج: ناحية بالإحساء، انظر: ياقوت: ٥/١٩٠.

(٣) القرعاء: منهل بطريق مكة بين القادسية والعقبة (القاموس المحيط).

(٤) اللِهابَة: وادٍ بناحية الشواجن، والشواجن وادٍ كبير بديار ضَبَّة (المصدر نفسه).

(٥) جودة: موضع ببلاد تميم (المصدر نفسه).

(٦) مُتالع: جبل بالبحرين وفي سفحه ماء يقال له عين مُتالع (المصدر نفسه).

(٧) هم بنو شَمَّر بن عبد بن جذيمة بن ثعلبة بن سلامان من طيئ، انظر: القلقشندي: نهاية، ص٢٨٢، الزركلي: ٣/١٧٦، كحالة: ٢/٦١٠، وقارن بالحاشية (١) من الصفحة المذكورة.

(٨) هم بنو لام بن عمرو بن طريف بن عمرو بن بجيلة بن مالك من طيئ، انظر: كحالة: ٢/١٠٠٧.

(٩) القلقشندي: نهاية، ص٢٩٩، كحالة: ٢/٦٩٦.

(١٠) في (ك/١٥٣): الطعن.

حرب[١]

وهيَ ثلاثةُ بطونٍ، بنو مسروج وهم بنو سالمٍ، وبنو عبدِ الله[٢] ومنهم: زُبَيدُ الحجازِ و[بنو عمرو][٣] وهم من أكثرِ العربِ عدداً، وأجراهم رِجْلاً باطشةً ويداً، ومساكنُهم الحجاز. أما بقيةُ عربِ الحجاز، والمصارحةُ، والمساعيدُ، والرزّاقُ وآلُ عيسى، ودغم، وآل جناح، والجُبُورُ، فدارُهم تتلو بعضُها بعضاً بالحجاز، وقد تقدمَ من ذكرِ هؤلاءِ ما تقدمَ في آلِ ربيعة.

وأما أكلبُ فبطونٌ كثيرةٌ وهم من خثعم بنِ انمار[٤] وقيلَ: من ربيعةَ خَثْعم[٥].

قالَ الحَمْدانيُّ: وهم جَليحةُ[٦] جماعةُ فروةَ[٧]، وبنو هزر، ومنازلُهم بُثَينةُ[٨] شرقيَّ مكةَ المعظّمة.

---

(١) هم بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة، من العدنانية، انظر: ابن حزم: ص٢٧٥، القلقشندي: صبح ١/٣٩٤-٣٩٥، ونهاية، ص٢١٥ .

(٢) في القلقشندي (صبح ١/٣٩٥): بنو عبيد الله.

(٣) في الأصل: بنو عمر، والتصحيح من (ك/١٥٣).

(٤) يقصد خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث من القحطانية، وقد سبق للمؤلف ان عدّ بني خثعم من القحطانية، انظر ماسبق، ص ٢٥٨ .

(٥) أي ممن دخلوا في خثعم (القحطانية) وعرفوا بها مع أصولهم العدنانية، فقالوا أكلب بن ربيعة بن عِفْرِس، وعِفْرِس هو ابن خُلْف أو حلف بن خثعم، انظر: ابن حزم: ص٣٩٠-٣٩١ .

(٦) في (ك/١٥٤): خليجة، وهم بنو جليحةَ، واسمه الحارث بن ربيعة بن أكلب بن ربيعة، انظر: ابن حزم: ص٣٩١

(٧) في (ك/١٥٤): قروة.

(٨) في المصدر نفسه: بيشة، قلت: إن صح ذلك، وكان المقصود بيشة المعروفة حالياً، فهي في الجنوب الشرقي من مكة المكرمة، هكذا رايتها على الخريطة.

وأما خَثْعَمُ فمنهم بنو مُنَبِّهٍ، و[الفَزْعُ](١)، وبنو نضيلةَ(٢)، و[مَغْوِيَةُ](٣)، وآلُ مهدي، وبنو نضرٍ، وبنو حامٍ(٤)، والموركةُ، وآلُ زيادٍ، وآل العصافيرِ(٥)، والشمَّاء(٦)، وبلوس، ودارُهم غيرُ متباعدةٍ مِمَّنْ تقدَّم.

‹صُلَيْبَةُ العرب›

قلتُ: وبالشامِ من صُلَيْبَةِ(٧) العربِ أقوامٌ شَتى في البلادِ قد خرجوا بها عن حكمِ العربِ وصاروا بها أهلَ حاضرةٍ ساكنة، وعُمَّارَ ديارٍ قاطنة، فبمدينةِ غزةَ وبلدِ الخليلِ عليه السَّلام معمورُ بني تميمٍ الداريِّ رضيَ الله عنه.

وبوادي بني زيدٍ فرقةٌ من بني جَعفر بنِ أبي طالب، وفرقةٌ من بني عمرَ بنِ الخطاب رضيَ الله عنهما وبالقُدسِ منهما وبنَابُلُسَ كثيرٌ من قحطانَ وطائفةٌ من مُضَرَ بنِ نزار وبجينين وبلادِها أقوامٌ من حارثة(٨) ومن بَكرِ بنِ وائلٍ، وبجبلِ عاملة صليبةُ عاملةَ، وبالأغوارِ(٩) أخلاطٌ من

(١) في الأصل، وفي (ك/١٥٤): الفرع، وهم بنو الفزع بن شهران بن عفرس بن حُلْف بن خثعم، انظر: ابن حزم: ص٣٩٠

(٢) في (ك/١٥٤): بنو فضيلة.

(٣) في الأصل، وفي (ك/١٥٤): معاوية، وهم بنو مَغْوِيَة، وهو أجرم، بن ناهس بن عفرس بن حُلْف بن خثعم، انظر: ابن حزم: ص٣٩٠، وفيه: وفدوا على رسول الله ﷺ(فقال لهم: "انتم بنو رُشْد".

(٤) في القلقشندي (صبح ٤/٢٨٩): بنو حاتم، وهم بنو حام بن ناهس بن عفرس بن حُلْف بن خثعم، انظر: ابن حزم: ص٣٩٠.

(٥) في (ك/١٥٤): آل الصعافير، وفي القلقشندي (صبح ٤/٢٨٩): آل الصفافير.

(٦) في (ك/١٥٤): سواءة.

(٧) ويعرف هؤلاء ايضاً بالصِلْبة، وهو اسم يطلق على مجموع القبائل التي لا تعرف انسابها، انظر: كحالة: ٢/٦٤٦-٦٤٨.

(٨) يجوز ان يكون المراد بنو حارثة بن ذهل بن شيبان، انظر:ابن حزم: ٣٢٣.

(٩) الأغوار: ج غور، وهو المنخفض من الأرض، والمراد هنا غور الأردن، انظر: ياقوت: ٤/٢١٧.

الموالي، وبعجلون فرقةٌ من بني عمرَ بنِ الخطاب، وبالبلقاءِ منهم ومن بني أميةَ ومن غسَّانَ، وبصرخدَ وبلادِها من عامرِ بنِ هلالٍ يدَّعون أنهم من بني جَعفرِ بنِ أبي طالب، و[بعثليث][(١)] وما ينضمُّ إليها من بني أسدٍ، وبزُرَع[(٢)] وبُصرى أقوامٌ من تغلبَ، ومن الأزدِ وبأذْرِعات[(٣)] قومٌ من بني جُمَحَ من قُريشٍ وفي بعضِ قراها قومٌ يدَّعون أنهم من بني جَعفرِ بنِ أبي (٥٦) طالبٍ، وباليَرموكِ صليبةٌ من غسانَ، وبنوى[(٤)] قومٌ يذكرون أنهم من بني المُنذرِ بنِ ماءِ السماء[(٥)]، وبالشَّعْراءِ[(٦)] قومٌ من بني أميةَ، و[باللَّجُون][(٧)] قَومٌ ينتسبونَ إلى كِنْدة، وبمرجِ دمشقَ أخلاطٌ من طوائفِ العربِ، وبحمصَ قومٌ من غسَّانَ، وبحماةَ أقوامٌ من عبدِ الدارِ، ومن جُهَينةَ وشدادٍ من الأنصارِ وبشَيْزَر[(٨)] قومٌ من بني كلب، وفرقةٌ من بني مازنٍ، وبالجبلِ المعروفِ بالظَّنِّيين[(٩)] فرقةٌ من هَمْدانَ، وبسلَمِيَّةَ من بني

---

(١) في الأصل: بعتيل، والتصحيح من (ك/١٥٥)، وعثليث كانت في زمن المؤلف ولاية من جملة أعمال صفد، راجع الباب السادس (ص٢٠٨) من مطبوعة "المسالك".

(٢) زُرَع: بلدة من أعمال حوران، انظر: القلقشندي: صبح ٤/١١٢.

(٣) أذْرِعات: هي مدينة درعا الحالية والنسبة لأذرعات أذرَعي، وينسب إليها طائفة من أهل العلم، انظر: ياقوت: ١/١٣٠-١٣١، الحميري: ص١٩-٢٠، البكري: معجم ما استعجم ١/١٣١

(٤) نوى: بُلَيدة من أعمال حوران ينسب إليها الإمام النووي وبها قبره، انظر: ياقوت: ٥/٣٠٦.

(٥) هو المنذر بن امرئ القيس الثالث بن النعمان بن الأسود اللخمي، وماء السماء أمه، قتل يوم حليمة نحو سنة ٥٦٤م في لقاء مع الحارث بن أبي شمر الغساني بالقرب من الأنبار، انظر: الزركلي: ٧/٢٩٢.

(٦) الشَّعْراء: ذكرها المؤلف في الباب السادس (ص١٨٨) من مطبوعتة "المسالك"، في جملة أعمال حوران، وهي فيه: الشعرا.

(٧) في الأصل: باللوى، والتصحيح من (ك/١٥٥)، واللجون بلد بالأردن، انظر: ياقوت: ٥/١٣.

(٨) شَيْزَر: قلعة بالقرب من معرة النعمان يشقها نهر العاصي، وينتسب إليها جماعة، انظر: المصدر نفسه: ٣/٣٨٣، وفيه: في وسطها نهر الأردن، وهو خطأ.

(٩) جبل الظَّنِّيين: جبل بين طرابلس وبعلبك، انظر: ابن العماد: شذرات ٥/٤٤٥.

الحُسَين بن عَليٍّ، وبالمَعَرةِ[(١)] صُليبة تَنُوخ، وبحلبَ وبلادِها من بني الحُسين بن عليٍّ، ومن بني عُقَيل، ومن بني كِلابٍ، وكلبٍ، [ومن جُهَينةَ، ومن بني قُرَّةَ[(٢)]، وبتدمرَ والمناظرِ رجالٌ من أسلمَ وقومٌ من بني كلبٍ][(٣)] وبالقريتيْن[(٤)] نفرٌ من بني تَغلِب، وبالرحبةِ المعروفةِ بمالكِ بنِ طَوْقٍ قومٌ من بكرِ من وائلٍ ورجالٌ من مُضَر، وآخرون من ربيعةَ، وعامةُ أهلِها من أبناءِ اليهود على ما يُقالُ. وذكرتُ هذا مثالاً لا استيعاباً إذْ لا قدرةَ على تحقيقِه والإتيانِ [على جَمعِه][(٣)].

‹ مصر ودمشق ›

وأما مصرُ ودمشقُ فَمِصرانِ جامعانِ، ولا يَخلوان من بيوتِ العربِ وذوي الحَسَبِ منهم والنسَب.

عربُ مصر

قيلَ: وبدمياطَ[(٥)] سُنْبُسٌ، وهم من الغَوْث بنِ طيئٍ، وكانَ لهم أيامَ الخلفاءِ الفاطميينَ شأنٌ

---

(١) المعرة: وتعرف بمعرة النعمان نسبة للنعمان بن بشير رضي الله عنه، وكانت تسمى قبل ذلك ذات القصور، وقيل: إن النعمان جبل مطل عليها سميت به، انظر: ياقوت: ٥/١٥٦، ابن بطوطة: ص٦٧، القلقشندي: صبح ٤/١٤٦-٤١٧ .

(٢) هم بطن من هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانية، انظر: القلقشندي: صبح ١/٣٩٤-٣٩٥ .

(٣) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/١٥٥).

(٤) القريتين: بلدة كبيرة من أعمال حمص، وتعرف أيضاً بحُوّارين، انظر: ياقوت: ٤/٣٣٦ .

(٥) دمياط: مدينة قديمة على زاوية بين البحر الأبيض المتوسط والنيل، وكانت ثغراً من ثغور الإسلام، انظر: المصدر نفسه: ٢/٤٧٢-٤٧٥

وأيام، وهم الخزاعلةُ، وجموحٌ، وعُبَيْدٌ[(١)]، وحلفاؤُهم من عُذْرةَ[(٢)] فرقةٌ غيرُ من تقدَّم ذكرُه، ومُدلجٌ، وديارُ هؤلاءِ من ثَغرِ دمياطَ إلى ساحلِ البحرِ يجاورُهم فرقةٌ من كنانةَ بنِ خُزَيمةَ أتوا أيامَ الفائزِ الفاطميِّ[(٣)] في وزارةِ الصالحِ بنِ رُزِّيْك[(٤)] ومقدمُهم لاحقٌ، ومن ولدِه قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ بنُ عَدْلانَ[(٥)]، وفرقةٌ من بني عديٍّ بن كَعْبٍ وفيهم رجالٌ من بني عُمرَ بنِ الخطابِ ومقدمُهم خَلفُ بن [نَصرٍ][(٦)] العُمَريُّ فنزلوا بالبُرُلُّسِ[(٧)] وكانوا

---

(١) في القلقشندي (صبح ١/٣٧٤): عيد، وهو تحريف.

(٢) يجوز أن يكون المراد عذرة بن زيد اللات، وهم بطن من كلب من قضاعة من القحطانية، انظر: القلقشندي: نهاية، ص٣٢٦، كحالة: ٢/٧٦٨

(٣) هو الفائز عيسى بن إسماعيل بن عبد المجيد بن منصور، ولي أمر الفاطميين بعد مقتل أبيه في منتصف المحرم سنة ٥٤٩هـ/ نيسان ١١٥٤م، وله من العمر خمس سنين إلى أن توفي في منتصف ربيع الأول سنة ٥٥٥هـ/ آذار ١١٦٠م، وبويع من بعده للعاضد، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ١١/٢٥٥، الذهبي: العبر ٣/٢٤، اليافعي: مرآة الجنان ٣/٣٠٨، ابن كثير: البداية ١٢/٢٤٢، ابن العماد: شذرات ٤/١٧٥، الزركلي: ٥/١٠١ .

(٤) هو الملك الصالح طلائع بن رُزِّيْك، قتل غيلة في رجب سنة ٥٥٦هـ/ تموز ١١٦١م، ودفن بتربته في القرافة، ترجمته في: ابن الأثير: الكامل ١١/٢٧٤-٢٧٦، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ق١/ ٢٣٦-٢٣٨، ابن خلكان: ٢/٥٢٦-٥٣٠، الذهبي: العبر ٣/٢٦، اليافعي: مرآة الجنان ٣/٣١٠، ابن كثير: البداية ١٢/٢٤٣، ابن العماد: شذرات ٤/١٧٧، الزركلي: ٣/٢٢٨ .

(٥) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان المصري الشافعي، توفي بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٧٤٩هـ/ كانون الثاني ١٣٤٩م، ترجمته في: السبكي: طبقات الشافعية ٥/٢١٤-٢١٥، ابن حجر: الدرر ٣/٤٢٣-٤٢٤، ابن العماد: شذرات ٦/١٦٤، الشوكاني: البدر الطالع ٢/١٠٩

(٦) في الأصل: نصير، والتصحيح من (ك/١٥٦).

(٧) البُرُلُّس: بليدة على شاطئ نيل مصر قرب البحر من جهة الإسكندرية، وينسب إليها جماعة من أهل العلم، انظر: ياقوت: ١/٤٠٢ .

هم والكنانيونَ من ذوي الآثارِ نوبةَ دِمياط(١).

قلت: ونحنُ من ولدِ خلف بنِ [نصرٍ](٢) المذكورِ وهو شمسُ الدولةِ أبو عليٍّ وقد وجدَ خاصةً والوفدُ الكنانيُّ عامةً من ابن رُزِّيْك (٥٧) فوقَ الأمل، وحَلُّوا محلَّ التكرمةِ عندَه على مباينةِ الرأيِ ومخالفةِ المُعتَقَد وقد أتيتُ بذلك مفصَّلاً في كتابِ " فواضلُ السَّمر في فضائلِ آلِ عُمَر"(٣).

قلت: إنما قدمتُ هذا الفصلَ لغرضٍ هو تعلقُه بنسبي وقومي الذين أنا منهم.

قالَ الحَمْدانيُّ: أولُ مَن سكنَ مصرَ جُذام حيثُ جاؤوا مع عَمرو بنِ العاصِ(٤)، وأُقْطِعوا فيها بلاداً بعضُها بأيدي بنيهم إلى الآنَ، ثم عدَّ مَن بها بالصعيدِ من العُربان في زمانِه، فقال: أولُهم بنو هِلالٍ ولهم بلادُ أسوانَ وما تحتَها، ثم بَلِيٌّ ولهم بلادُ إخميم(٥) وما تحتَها،

(١) وهي وقعة عظيمة دارت على البُرلُس بين المسلمين بقيادة الملك الكامل بن العادل الأيوبي وبين الصليبيين، وانتهت بهزيمة الصليبيين وانتزاع دمياط منهم في رجب سنة ٦١٨هـ/ أيلول ١٢٢١م بعد احتلال دام قرابة السنتين، انظر: ياقوت: ٢/ ٤٧٤، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ق٢/ ٦٢١-٦٢٢، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص١٢، ابن دقماق: الانتصار ٥/ ٨١، المقريزي: السلوك جـ١ق١/ ٢٠٢-٢٠٧، مختار باشا: التوفيقات ١/ ٦٤٨، ٦٥١، العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٧٢-٧٥.

(٢) في الأصل: نصير، والتصحيح من (ك/ ١٥٦).

(٣) في تراجم أهل بيته من العُمَريين، ويقع في أربعة مجلدات وهو مفقود، انظر: ابن حجر: الدرر ١/ ٣٥٤

(٤) فيه مجازفة، فإن جُذام لم تكن سوى قبيلة من القبائل العربية التي اشتركت في فتح مصر واستوطنتها، وفي خطط الفسطاط ونسبة هذه الخطط إلى أصحابها، ما يدل على تعدد هذه القبائل وتنوعها، وقد ذكر ابن دقماق (الانتصار٤/ ٣-٥) من أسماء الخطط ما يضيق عن الحصر في هذا السياق، انظر بشأن الدور اليمني في فتح مصر وتخطيط الفسطاط وغيرها: أبو سديرة: القبائل اليمنية في مصر، ص٩-٦٦

(٥) إخميم: بلدة مشهورة في الصعيد على الضفة الشرقية للنيل، انظر: ياقوت ١/ ١٢٣-١٢٤، ابن بطوطة: ص٥٠-٥١، ابن دقماق: الانتصار ٥/ ٢٥-٢٦.

ثم جُهينةُ ولهم بلادُ منفلوطَ(١) وأسيوط، ثم قُريشٌ [ولهم](٢) بلادُ الأشمونين(٣)، ثم لَواثةُ(٤) ويقالُ فيهم: لواثا ولهم معظمُ بلادِ البَهْنسا(٥)، ومنهم أناسٌ بالجيزةِ، وأناسٌ بالمنوفيةِ(٦)، وأناسٌ بالبحيرةِ(٧)، وهم قبائلُ متفرقةٌ تجمعُهم لَواثة.

ثم بنو كِلابٍ ولهم بلادُ الفَيُّوم(٨) قالَ: وهؤلاءِ القبائلُ المشهورةُ في الصعيدِ، ثم ذكرَ جُمَلاً من أحوالهم، وقالَ:

فأما بنو هلالٍ فيَرجعونَ إلى عامرِ بن صَعْصَعةَ من قيسِ عَيْلان، وكانوا أهلَ بلادِ الصَّعيدِ كلِّها إلى عَيذاب، وبإخميم منهم بنو قُرَّة، وبساقيةِ قُلْتَة(٩) منهم بنو عَمرو(١٠) وبطونُهم،

(١) منفلوط: بلدة كبيرة في الصعيد على الضفة الغربية للنيل، انظر: ياقوت: ٥/٢١٤، ابن بطوطة: ص٥٠، ابن دقماق: الانتصار ٥/٢٢.

(٢) في الأصل: ثم، والتصحيح من (ك/١٥٧).

(٣) وتروى: أشمون وأشموم، وهي من مدن الصعيد العامرة، وتقع إلى الشرق من النيل، انظر: ابن دقماق: الانتصار ٥/٦٨، القلقشندي: صبح ٣/٤٠١-٤٠٢.

(٤) وهي قبيلة من البربر سيأتي المؤلف على ذكرها.

(٥) البَهْنَسا: مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل، انظر: ياقوت: ١/٥١٦-٥١٧، الحميري: ص١١٤، ابن بطوطة: ص٤٧.

(٦) المنوفية: من قرى مصر القديمة، ويضاف إليها كورته، فيقال: كورة رمسيس ومنوف، انظر: ياقوت: ٥/٢١٦

(٧) البحيرة: هي بحيرة الإسكندرية، وهي ليست بحيرة ماء إنما هي كورة معروفة من نواحي الإسكندرية تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع، انظر: المصدر نفسه: ١/٣٥١.

(٨) الفيوم: مدينة من أعمال الوجه القبلي تقع على جانبي خليج المنهى عرفت بكثرة بساتينها وزروعها، وحسن عمارتها، انظر: ياقوت: ٢٨٦-٢٨٨، الحميري: ص٤٤٥، القلقشندي: صبح ٣/٣٩٣-٣٩٤.

(٩) ساقية قلتة: قرية مجاورة لإخميم، انظر: ياقوت: ٤/٣٨٧.

(١٠) يجوز أن يكون هؤلاء بني عمرو بن ناشرة بن هلال بن عامر بن صعصعة، أو بني عمرو بن عبد الله بن مناف بن هلال، انظر: ابن حزم: ص٢٧٣-٢٧٤.

وهم: بنو رِفاعةَ، وبنو حُجَيْر، وبنو غُرَير، وبأُصْفون[١] وإسْنا[٢] بنو عُقبةَ، وبنو جميلةَ، ثم [بنو][٣] جميلةَ منهم نجمُ الدين الأصفونيُّ[٤] الوزيرُ وكانَ فقيهاً كاتباً عارفاً بأمور الديوان ضابطاً للأموال، ثقلَ على الشُّجاعي[٥] وكان مشداً معه، ولم تمتد له معه يدٌ في مالِ السلطان، فدسَّ له سُماً في كعكةٍ وأعطى عبداً كانَ له مئةَ دينارٍ ليطعمَها له بُكرةً يَكونُ فِطرُه عليها، وأوهمَه أنها عُملت للتأليفِ بينهما فأطعمَها ذلك العبدُ الجاهلُ سيدَه فكانَ فيها حتفُه واحتاطَ الشجاعيُّ على تركتِه، وأَمسكَ العبدَ وقتلَه وأخذَ ما كانَ يملكُه (٥٨) ووجدَ معه الدنانيرَ بصُرتها فأخذَها.

وأما بَليٌّ فمن قُضَاعةَ وكانوا مُفرقين فاتفقتْ هي وجُهَينةُ فصار لبليٍّ من جسرِ سُوهاي[٦] غرباً إلى قريب قَمولةَ[٧]، وصارَ لها من الشرقِ من عَقبةِ فاوِ الخرابِ[٨] إلى

(١) أُصْفون: مدينة من أعمال قوص بصعيد مصر على الشاطئ الغربي للنيل، انظر: ياقوت: ١/٢١٢، ابن دقماق: الانتصار ٥/٣٠ .

(٢) إسْنا: مدينة في أقصى الصعيد، خرج منها جماعة كبيرة من أهل العلم والأدب، انظر: ياقوت: ١/١٨٩، ابن بطوطة: ص٥٢، ابن دقماق: الانتصار ٥/٣٠ .

(٣) في الأصل: بني.

(٤) هو نجم الدين حمزة بن محمد بن هبة الله الأصفوني أو الأسفوني، توفي بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ٦٨٢هـ/ تموز ١٢٨٤م، ترجمته في: المقريزي: السلوك جـ١ق٣/٧١٣ .

(٥) هو علم الدين سنجَر بن عبد الله الشجاعي المنصوري، مات قتيلاً في القاهرة في صفر سنة ٦٩٣هـ/ كانون الثاني ١٢٩٤م، ترجمته في: الصقاعي: تالي، ص٩٠-٩١، المنصوري: زبدة الفكرة ٩/١٨٥ب-١٨٧آ، ابن حبيب: تذكرة النبيه ١/١٧٢، ابن تغري بردي: الدليل ١/٣٢٥-٣٢٦، والنجوم ٨/٥١-٥٢، دهمان: ولاة دمشق، ص٧٦-٧٨ .

(٦) سُوهاي: مدينة كبيرة عامرة من أعمال إخميم بصعيد مصر، انظر: ياقوت: ٣/٢٨٦، ابن دقماق: الانتصار ٥/٢٧ .

(٧) قمولة: بليدة بأعلى الصعيد غربي النيل كثيرة النخل والخضرة، انظر: ياقوت: ٤/٣٩٨-٣٩٩ .

(٨) فاو الخراب: مدينة قديمة من أعمال أسيوط بصعيد مصر، انظر: ابن دقماق: الانتصار ٥/٢٥ .

عَيذابَ، قالَ: والموجودُ اليومَ في هذه البلاد من أصولِ بَليٍّ بنِ عَمرو بنو هُنَي، وبنو هَرْم، وبنو سوادةَ، وبنو خارفةَ، وبنو رائسٍ، وبنو نابٍ، وبنو شادٍ، وهم الأمراءُ الآن، وبنو عُجَيلِ بنِ [الذِّيب] (١)، وهم العجلةُ، وفيهم الإمرةُ أيضاً، ثم قال:

ويقالُ إن بني شادٍ من بني أميةَ وصل يعني إذ طُردوا إلى القصرِ الخرابِ المعروفِ بهم وكان معه رجلٌ من ثقيفٍ معه قَوسٌ فسَمَّوه القَوْس، وذريتُه يُعرفون بالقَوسية والقَوَسَة، ودعوتُهم لبني شادٍ وهم بطوخٍ (٢) وكذلك يُدعى لهم خلقٌ سواهم منهم هُذيلٌ وهم بطوخٍ أيضاً، ومنهم بنو حَمَّادٍ، وبنو فَضالةَ بمنفلوط، وبنو خيارٍ بفرشَوْط (٣)، وقال: إن قوماً زعموا أن بني شادٍ من بني العُجَيل بنِ الذِّيبِ وإنما هم إخوتُهم، وإنما العُجَيلُ كان قد تزوجَ أختَ إبراهيمَ بنِ شادٍ فولدت منه ولداً سمته شادياً فوهم الجهلةُ لذلك، قالَ:

وقد قالَ قومٌ إنَّ عجيلَ بنَ الذِّيبِ من ولَدِ الشِّمرِ (٤) قاتِلِ الحُسَينِ عليه السَّلامُ، وليسَ كذلك.

وأما جُهَيْنةُ فمن قُضَاعةَ، وهم أكثرُ عربِ الصعيدِ وكانت مساكنُهم في بلادِ قُريشٍ فأخرجتْهم قُريشٌ بمساعدةِ عسكرِ الخلفاءِ المصريينَ فهم اليومَ في بلاد إخميم أعلاها وأسفَلِها، قال:

وروي أنَّ بليّاً وبطونَها كانتْ بهذهِ الديارِ، وجهينةَ بالأشمونين جيراناً بمصرَ كما هم بالحجازِ، فوقع بينَهم واقعٌ أدى إلى دوام الفتنةِ، فلما أتى العسكرُ المصريُّ لإنجادِ قريشٍ على

(١) في الأصل: الريب، والتصحيح مما يلي من السياق.

(٢) طوخ: قرية بصعيد مصر غربي النيل، انظر: ياقوت: ٤/٤٦ .

(٣) فرْشَوْط: قرية كبيرة على الشاطئ الغربي للنيل من الصعيد، انظر: المصدر نفسه: ٤/٢٥١ .

(٤) هو الشِّمر بن (ذي الجوشن) شرحبيل، وقيل: أوس بن الأعور الضبابي الكلابي، قتل في سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م، ترجمته في: ابن حزم: ص٢٨٧، الزركلي: ٣/١٧٥-١٧٦ .

جُهينةَ خافت بَليٌّ فانهزمتْ في أعلى الصعيد إلى أن أديلتْ قريشٌ وملكتْ دارَ (٥٩) جُهَيْنةَ ثم حصلَ بينهم جميعاً الصلحُ على مساكنِهم هذه التي هم بها الآنَ وزالتِ الشَّحناء.

قلتُ: وفي المثلِ: " وعندَ جُهينةَ الخبرُ اليقينُ ".

قالَ أبو عُبيدةَ: خرجَ حصنُ بنُ عمرو بنِ معاويةَ بنِ كلابٍ ومعه رجلٌ من جُهَينةَ فنزلا منزلاً فقتَلَ الجُهَنيُّ الكِلابيَّ، وأخذَ ماله، وكانتْ للكلابيِّ أختٌ اسمُها صخرةُ فجعلتْ تبكيه في المواسمِ، فقال الأخنسُ الجُهَنيُّ فيها: ‹الوافر›

كصخرةَ إذ تسائلُ في مراحٍ ... وفي جَرْمٍ وأعلمُها ظُنونُ

تُسَائلُ عن حُصَيْنٍ كلَّ حَيٍّ ... وعندَ جُهينةَ الخبرُ اليقينُ

وقيل: بل كانَ جُهينةُ يخدمُ ملكاً يمانياً، وكانَ له وزيرٌ إذا غابَ الملكُ خلفَه الوزيرُ على [بعضِ](١) حظاياه، فتبعَه جُهَينَةُ بحيثُ لم يَره فلما جلسَ الوزيرُ على مقعدِ الملكِ في لبسِه والحظيَّةُ إلى جانبِه غنى وقد أخذَ منهما السُّكر: ‹الوافر›

إذا غابَ المليكُ خلوتُ ليلي ... أضاجعُ عندَه ليلي الطويل

كأن مطارحَ الوشحاتِ منها ... هيالٌ يطَّردْن على وهيلِ

فلما دخل فيهما السكرُ قامَ جهينةُ فقتلَ الوزيرَ ودفنَ رأسه تحتَ وسادةِ الملكِ فلما أتى الملكُ وفقدَ الوزيرَ جهدَ في تعرفِ خبرِه فلم يقفْ عليهِ حتى سكرَ جُهَينةُ ليلةً عندَه فقالَ: ‹الوافر›

تُسَائلُ عن نُجَيْدةَ كلَّ وقتٍ ... وعندَ جهينةَ الخبرُ اليقينُ

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/ ١٦٠).

فسمعَه بعضُ النُّدماءِ فأخبرَ الملكَ فَسألَه[١] فأوقفَه على الخبرِ فأمَّره على بلادٍ كثيرةٍ وأجزلَ له العَطاء.

وأما قُرَيْشٌ فمنهم الجعافرةُ وهم من الزَّيانبة[٢].

ومنهم: الشريفُ [حصنُ الدينِ بنُ][٣] [ثعلب][٤] صاحبُ ذَروةِ سَربام[٥]، ومسكنُهم المتَمرع من بحري منفلوطَ إلى سَمَلُّوط[٦] غرباً وشرقاً، قالَ: ولهم أيضاً حدودٌ ببلادٍ أخرى يُسرةٍ[٧].

قال: (٦٠) وبجرجةَ منفلوط قومٌ من بني الحسنِ بنِ عليٍّ وفي سيوط أناسٌ من أولادِ إسماعيلَ بنِ جَعفرٍ الصادقِ يُعْرَفون بأولاد الشريفِ قاسم.

ثم ذكرَ بطونَ الجعافرةِ فقالَ: منهم بَنو أيمنٍ وهم الحيادر‹ة› منسوبون إلى جَدِّهم حَيْدَرة. ومنهم السَّلاطنةُ أولادُ أبي جُحَيش، والإمرةُ فيهم في بني تغلبَ، وسَمتْ نفوسُهم إلى المُلك

(١) ساقطة من (ك/١٦٠).

(٢) وردت في الأصل، وفي (ك/١٦٠) متبوعة بعبارة: ومنهم الزيانبة، زائدة، والزيانبة: هم بنو علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعرفوا بالزيانبة نسبة إلى أمهم زينب بنت علي بن أبي طالب، انظر: ابن حزم: ص٦٨، كحالة: ٢/٤٨٧-٤٨٨

(٣) إضافة مما يلي من السياق، ومن التعريف (ص٢٣٤) للمؤلف.

(٤) في الأصل، وفي (ك/١٦٠): تغلب، وفي التعريف (ص٢٣٤): ثعلب، وهو الراجح عندي، ومات الشريف المذكور شنقاً بالإسكندرية في سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م، انظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٢/٣٢٣، العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص١١٦-١١٩، وانظر مايلي من السياق.

(٥) وتعرف بذروة الشريف نسبة إليه، وتقع على ضفة النيل وفوهة بحر المنهى، انظر: التعريف، للمؤلف، ص٢٤٣

(٦) سَمَلُّوط: بلدة في الصعيد غربي النيل، انظر: ياقوت: ٣/٢٥١

(٧) في (ك/١٦١): يسيرة.

وخُصوصاً الشريف حصن الدينِ(١) وقد كانَ أنِفَ من إمارةِ المُعزِّ والدولَةِ التركيةِ، وكاتبَ الملكَ الناصرَ بنَ العزيزِ(٢) وأرسلَ إليه الفائزيَّ(٣) الوزيرَ وغيرَه في جيوشٍ، وكانتْ له ولهم أيامٌ، وآخرُ أمرِه نُصبَ له الظاهرُ بَيْبَرْسُ حبائلَ الغدرِ، وصادَه بغوائلِ المكْرِ حتى شنقه بالإسكندرية.

قالَ: وهذه نبذةٌ من أخبارِ الأشرافِ بالصعيد، وحدودُ بلادِهم وبلادِ مواليهم وأتباعِهم وحلفائِهم من بلادِ الأشمونينَ بالصعيدِ إلى بحري إتليدم(٤) وما انحدر، ومعظمُهم بالذُّرْوَة، قالَ: وأما غيرُ الأشرافِ من قُريشٍ الساكنينِ بالصعيدِ فمنهم: بنو طلحةَ، وبنو الزُّبيْرِ، وبنو شَيْبةَ، وبنو مَخزومٍ، وبنو أميةَ، وبنو زهرةَ، وبنو سَهْمٍ؛ [ومن موالي بني هاشمٍ بنو منحر(٥)، وهم بنو قَنْبَر](٦) مولى عليِّ بن أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه.

---

(١) كذا، وقد سبق للمؤلف أن ذكره في الزيانبة من بني جعفر بن أبي طالب، والسلاطنة كما يستدل من السياق بطن من بني جعفر الصادق!

(٢) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب والشام، سلطن بعد وفاة أبيه الملك العزيز في ربيع الأول سنة ٦٣٤هـ/ تشرين الثاني ١٢٣٦م، حتى قتل على أيدي التتار في اواخر سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، ترجمته في: أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص٢١٢، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص٥٤، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٦١-٤٦٩، أبو الفدا: المختصر ٣/ ٢١١-٢١٢، ابن شاكر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢٥٧-٢٦٣، وفوات الوفيات ٤/ ٣٦١-٣٦٦، ابن تغري بردي: النجوم ٧/ ٢٠٣-٢٠٥

(٣) هو الصاحب الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، توفي قتيلاً بالقاهرة في ربيع الآخرة سنة ٦٥٥هـ/ آيار ١٢٥٧م، ودفن بالقرافة، ترجمته في: ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص٤٤، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/ ٨٠-٨٣، أبو الفدا: المختصر ٣/ ١٩٢، ابن شاكر: عيون التواريخ ٢٠/ ١٢٧-١٢٨، ابن كثير: البداية ١٣/ ١٩٩، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢١٦-٢١٧، الزركلي: ٨/ ٧٢-٧٣

(٤) ذكرها ابن دقماق (الانتصار ٥/ ١٦) ولم يصرح لها بتعريف.

(٥) كذا وردت في (ك/ ١٦١) بغير إعجام، ولم اهتدِ إلى تحقيقها.

(٦) في الأصل: ومن الموالي بنو هاشم، وبنو شيبة، وهم بنو قنبر، والتصحيح من المصدر نفسه، وبه ينتظم المعنى.

‹بنو طلحة›

فأمَّا بنو طلحةَ فمن بني طلحةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بن أبي بكرٍ الصديقِ رضيَ اللهُ عنه(١)، وهم ثلاثُ فرقٍ هم وأقرباؤُهم، وأطلق على الكلِّ اسمُ بني طلحةَ.

فالأولى: بنو إسحاقَ، ويقالُ إن إسحاقَ ليسَ بجَدٍّ لهم ولكن موضعٌ تحالفوا عندَه سَمَّوه إسحاقَ كنايةً كما تحالفتِ الأزدُ عند أكمةٍ سَمَّوها مَذْحِجاً.

والثانيةُ: فضا طلحة(٢) وهم بطونٌ كثيرةٌ وأكثرُهم أشتاتٌ بالبلادِ لا حدَّ لهم.

والثالثةُ: يُعرَفون ببني مُحمدٍ من وَلَدِ مُحمدِ بنِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهما.

ومنازلُ بني طلحةَ (٦١) بالبُرجَين، وسَفْط سُكَّرةَ، وطحا(٣) المدينة بالأشمُونين.

‹بنو الزُّبَيْر›

وأما بنو الزُّبَيرِ(٤) فمنهم بنو عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، وهم بنو بدرٍ، وبنو مصلحٍ، وبنو رمضانَ، ومنهم بنو مُصعبِ بنِ الزُّبَيْر(٥)، ويُعرفونَ بجماعةِ محمدِ بنِ رواق، وبنو عروةَ بنِ

(١) ابن حزم: ص١٣٧، القلقشندي: صبح ١/٤٠٨، ونهاية، ص٣٩٥-٣٩٦

(٢) كذا، في القلقشندي (نهاية، ص٢٩٦)، وفي (ك/١٦٢): فصا طلحة، وتعرف هذه الفرقة أيضاً باسم: بني قصة، انظر: كحالة: ٢/٦٨٣، ٣/٩٥٥

(٣) طحا: كورة في شمالي الصعيد في غربي النيل، انظر: ياقوت: ٤/٢٢.

(٤) هم بطن من بني أسد بن عبد العزى، من قريش، من العدنانية، انظر: ابن حزم: ص١٢١-١٢٥، القلقشندي: صبح ١/٤١٠-٤١١، كحالة: ٢/٤٦٧.

(٥) قتل بالقرب من دير الجاثليق على شاطئ دجيل سنة ٧١هـ/٦٩٠م على يد جيش عبد الملك بن مروان، وكان والياً لأخيه عبد الله على العراق، ترجمته في: ابن سعد: ٥/١٨٢-١٨٣، الزركلي: ٧/٢٤٧-٢٤٨

الزُّبيْر[1]، وهم بنو غَنيٌّ، وبلادُهم بالبَهْنَسا وما يليها، وأكثرهم ذوو معايشَ وأهلُ فلاحةٍ وزرعٍ وماشيةٍ وضَرْعٍ.

< بنو مَخزوم >

وأما بنو مَخزومٍ فيدعون بُنوةَ خالدِ بنِ الوليدِ، وكذلك ادعى ذلك خالدٌ بالحجازِ وخالدُ حمصَ وغيرُ هؤلاء، وقد أجمَع أهلُ العلمِ بالنسبِ على انقراضِ عَقبِه، ولعلَّهم من سواهم فهم من أكثرِ قريش بقيةً، وأشرفِهم جاهليةً، وبلادُهم متاخمةٌ لما يليهم، وفيهم بأسٌ ونجدة.

<بنو شَيبة >

وأما بَنو شَيبةَ، فيُعرفون بجماعةِ نهار، وهم من جماعةِ شَيبةَ بنِ عبدِ الدار، وديارُهم من نواحي سَفْط وما يليها ويقاربُها ويُدانيها.

وأما بَنو أميةَ فمن بني أبانَ بنِ عثمانَ بنِ عفَّانَ[2]، وبني خالدِ بن يزيدَ بنِ مُعاوية[3]، وبَني مَسلمةَ بنِ عبدِ الملكِ[4]، وبني حبيبِ بنِ الوليد بنِ عبدِ الملك[5]، وديارُهم

---

(١) فقيه وعالم بالدين، توفي بالمدينة المنورة سنة ٩٣هـ/ ٧١٢م، ترجمته في: ابن سعد: ٥/١٧٨-١٨٢، ابن خلكان: ٣/٢٥٥-٢٥٨، الذهبي: سير ٤/٤٢١، الزركلي: ٤/٢٢٦.

(٢) محدث وفقيه توفي بالمدينة المنورة سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م، ترجمته في: ابن سعد: ٥/١٥١-١٥٣، ابن حزم: ص٨٥، الذهبي: سير ٤/٣٥١، والعبر ١/٩٨، الزركلي: ١/٢٧.

(٣) توفي بدمشق سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م، وكان عالماً بالطب والكيمياء، ترجمته في: ابن خلكان: ٢/٢٢٤-٢٢٦، ابن حزم: ص١١٢، الزركلي: ٢/٣٠٠-٣٠١.

(٤) توفي بالشام سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٨م، وكان من أبطال بني أمية، ترجمته في: الذهبي: العبر ١/١١٨، ابن حزم: ص١٠٣-١٠٥، الزركلي: ٧/٢٢٤، كحالة: ٣/١٠٩٤.

(٥) قلت: لم يرد ذكر حبيب في أولاد الوليد بن عبد الملك، وإنما هناك حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك، انظر: ابن حزم: ص٨٩، وفيه: وهو جد الحبيبيين بقرطبة وريَّة.

تَندةُ(١) وما حولها، قالَ: ومن هؤلاءِ المراونةُ من ولَدِ مروانَ بنِ الحَكَم، ولهم قراباتٌ بالأندلسِ وأشْتاتٌ في المَغْرب، ومرَّتِ الدولةُ الفاطميةُ وهم بأماكنِهم من ديارِ مصرَ، لم يُروَّعْ لهم سِرْب، ولم يُكَدَّرْ لهم شِرب، وهم إلى الآن.

وأما بنو سَهم، فمن ولَدِ عَمرو بنِ العاصِ، وهم بالفُسطاطِ وفرقٌ منهم أشتاتٌ بالصعيدِ، ولهم حصةٌ في وقفِ عمرو بنِ العاص على أهله بمصر.

قلت: وقد ذكرَ القُضاعيُّ في "خِطَط مصرَ" دورَ السَّهْميين، قال:

وهي حولَ المسجدِ(٢) حيثُ كانَ الفُسطاطُ، وهو موضعُ المحرابِ وما يليه من جانبيْه إلى حيثُ السَّواري القِبلية، قالَ: وفي بلادِ قريشٍ أخلاطٌ من الناس سواهم وذكرَهم (٦٢) فقالَ:

‹كِنانةُ طلحة›

وأما كِنانةُ طلحةَ فهم من كِنانةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مدركةَ بن إلياسَ بنِ مضرَ، وهم بنو الليثِ وبنو ضمْرةَ، وهما ابنا بكرِ بنِ عبدِ مناةَ بنِ كِنانةَ، وبنو فراسِ بن غَنْمِ بنِ ثَعلَبةَ بن الحارثِ بن مالكِ بنِ كِنانةَ، وفي بني فِراسٍ يقولُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه لبعضِ مَن كانَ معه: لوَدِدْتُ أنَّ لي بألفٍ منكم سبعةً من بني فِراسِ بنِ غَنْم بنِ ثعلبةَ، قالَ: ولم تمكِّنْهم قُريشٌ من التعديةِ إلى بلادِها إذ أتَوا من بلادِ باديةِ الحجازِ إلا بمراسلة بني إبراهيمَ بنِ محمدٍ(٣) وكانَ مع كِنانةَ جماعةٌ من أخلاطِ العرب دخلتْ في لفيفها، وديارُهم ساقيةُ

---

(١) تَندة: قرية كبيرة في غربي النيل من الصعيد الأدنى، انظر: ياقوت: ٢/٤٨.

(٢) يقصد جامع عمرو بن العاص، وهو أول جامع بني في مصر بعد الفتح (٢١هـ/ ٦٤٢م) ورابع مسجد جامع في الإسلام بعد مساجد المدينة والكوفة والبصرة، انظر: ابن دقماق: الانتصار ٤/٥٩-٧٤، المقريزي: المواعظ ٢/٢٤٦-٢٥٦.

(٣) هم بنو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، انظر: كحالة: ١/٣.

قُلْتَةَ وما يليها، وبنو الليثِ، ومنهم خاصةً سكانَ ساقيةِ قُلْتَه.

وأما الأنصارُ، فمنهم بنو محمدٍ وبنو عِكرمةَ بحري منفلوط، قال: وبنو مُحمدٍ من حسَّانَ ابن ثابتٍ رضيَ الله عنه(١) وبنو عِكرِمَة ينتمون إلى سَيِدِ الأوسِ سعدِ بن مُعاذٍ رضيَ الله عنه(٢).

وأما عَوْفٌ(٣) فمن بني سُلَيم، وفي سُلَيمٍ عَوْفٌ أخرى(٤)، قال: ومنهم في الصَّعيدِ والفيومِ والبُحَيرة أناسٌ كثيرٌ وفي بَرقَةَ إلى الغربِ منهم ما لا يُحصى.

وأما فزارةُ، فمن سعدِ بنِ قيسِ عَيْلان، فمنهم جماعةٌ بالصعيدِ، وجماعةٌ بضواحي القاهرةِ في قَلْيوبَ(٥) وما حولها وبهم عُرفتِ البلدُ المُسمَّاةُ بخرابِ فزارة، قالَ: وقد مضى ذكرُ قريشٍ ومَن ساكنَها.

‹ لَواتَة ›

وأما لَواتَةُ(٦)، وهم يقولونَ: إنَهم من قيسٍ[من](٧) غَطَفَانَ بنِ سعدِ بنِ قيسٍ ‹عَيْلان›.

وقالَ بعضُ النسابينَ: هم من ولد بَرٍّ من ولدِ قَيدار بنِ إسماعيلَ كانَ قد ارتكبَ معصيةً

(١) قلت: ذكر ابن حزم (ص٣٤٧) لحسان رضي الله عنه ولده عبد الرحمن، ولعبد الرحمن ولديه سعيداً وإسماعيل، قال: "وقد انقرض عقب حسان".

(٢) لم أقع لبني عكرمة على ذكر في بني سعد المذكور، قارن بابن حزم (ص٣٣٩).

(٣) هم بنو عَوف بن بُهثة بن سُلَيم بن منصور، من قيس عيلان، من العدنانية، انظر: ابن حزم: ص٢٦١.

(٤) ذكر ابن حزم (ص٢٦٢) منهم بني عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سُليم.

(٥) قليوب: مدينة عامرة كانت كرسي الأعمال القليوبية، انظر: ابن دقماق: الانتصار ٥/٤٧-٤٨.

(٦) لواتة: قبيلة من البربر، ذكرها القلقشندي (صبح ١/٤١٨-٤٢٠) في العرب الموجودين في مصر المتردد في عروبتهم، وقارن بابن خلدون ٦/١١٨-١٢٠

(٧) في الأصل: ابن، والتصحيح من القلقشندي (صبح ١/٤١٨)، وقيس المشار إليه هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب حرب داحس والغبراء، انظر: ابن حزم: ص٢٥١، الزركلي: ٥/٢٠٦.

فطرده أبوه، وقال له: البرَّ البرَّ، إذهب يابرٌّ فما أنت بَرٌّ، فأتى فلسطينَ، فتزوجَ امرأةً من العماليق، فوُلد له منها أولادٌ منهم: لواتةٌ ومزَاتةٌ، وزنَّارةُ، وهوَّارةُ، وزُوَيْلةُ ومغيلةُ، ومُليكةُ، وكتامةُ (٦٣)، وغُمارةُ، ونفُوسةُ، وكانوا من ذوي جالوتَ، فلما قُتل دخلوا المغربَ وقيل: إن البَربرَ من وَلد قِفْط بنِ حامٍ، وقيلَ غيرُ هذا كلِّه.

عاد الحديثُ إلى لَواتَةَ، وهم: بنو بلار ‹و›حدو خاص، وبنو مجدولٍ، وبنو حديدي، وقطوفةٌ، وبركينُ، ومالو، ومزورةُ، قال:

وبنو حديديٌّ [تجمعُ][١] أولادَ قريشٍ وأولادَ زعازع وهم أشهرُ مَنْ في الصَّعيدِ، وقطوفةُ تجمع مَغَاغةَ وواهلةَ، وبَركينُ تجمعُ بني زَيدٍ وبني رَوحين، ومَزُورةُ تجمعُ [بني وركان][٢] وبني عرواس، قالَ: وأما بنو بلارٍ ففرقتان: فرقةٌ بالبَهنَسَاويةِ وفرقةٌ بالجيزيَّةِ، فالفرقةُ البَهْنَسَاويةُ بنو محمدٍ، وبنو عليٍّ، وبنو نزارٍ، ونصفُ بني تَهْلان[٣].

وأما الفرقةُ التي بالجيزيَّةِ، فبنو مجدولٍ وسَفارةُ[٤] وبنو أبي كثيرٍ، وبنو الجلاسِ[٥]، ونصفُ بني تَهْلانَ.

قالَ، ويقالُ لهذه الفرقةِ حدو خاص، ويقالُ للأولى البلاريةُ ومنهم مغاغةُ، ولهم سَملُوطُ إلى الساقيةِ ولبني بركين أُقْلُوسَنا[٦] وما معها إلى بحري طَنْبدَى[٧] ولبني حدو

---

(١) في الأصل: مجمع، والتصحيح مما يلي من السياق، ومن القلقشندي (صبح ١/٤١٩) في مثل هذا الموضع.

(٢) في الأصل: بين وبكان، والتصحيح من القلقشندي: صبح ١/٤١٩

(٣) في (ك/١٦٦): ثهلان، وفي المصدر نفسه: شهلان.

(٤) كذا في (ك/١٦٦)، وفي المصدر نفسه: سقارة.

(٥) كذا في (ك/١٦٦)، وفي المصدر نفسه: الحلالس.

(٦) وتروى: قلوسنا، وهي قرية على غربي النيل من الصعيد، انظر: ياقوت: ٤/٣٩٢

(٧) طَنْبَدَى: قرية من أعمال البهنسا من الصعيد، انظر:المصدر نفسه: ٤/٤٢، وهي فيه: طنبذة.

خاص الكفور [الصولية](١) وسَفْط ‹أ›بو جرْجَة(٢) إلى طنبدى وإهْرِيت(٣)، ومنهم بنو محمدٍ وبنو عليٍّ المقدمُ ذكرهما وأمراؤهم بنو زعازع.

قال: ومزورةُ بنو وركانَ وبنو [عرواس](٤)، وبنو جَمَّاز، وبنو الحكم، وبنو الوليدِ، وبنو الحجاجِ، وبنو المحربيةِ(٥)، قالَ: ويقالُ إن بني الحجاجِ من بني حَماس ولهذا [يُؤدونَ معهم](٦) القطائع، وقالَ: وبنو نزارٍ في إمارةِ بني زعازع وهم من بني رزب(٧)، ومنهم نصفُ بني عامر، والحماسنةُ والضباعنةُ وأُفردَ قومٌ منهم لإمارةِ تاجِ المُلْك عزيزِ بن [ضَبْعانَ](٨) ثم ولدِه.

ومنهم أيضاً بنو زيدٍ وأمراؤُهم أولادُ قريشٍ ومساكنُهم نويرةُ دِلاص(٩)، وكانَ قريشٌ عبداً صالحاً كثيرَ الصدقةِ وهو والدُ سعدِ الملكِ الباقي بنوه، قالَ: وفي المنوفيةِ من لواثةَ أيضاً

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي (صبح ١/٤١٩)، وقد ذكرها ابن دقماق (الانتصار ٥/١٠) في "الأعمال الإطفيحية"، ولم يصرح لها بتعريف جغرافي.

(٢) قرية بصعيد مصر في غربي النيل لها نهر مفرد، وليست بشارفة على النيل، انظر: ياقوت: ٣/٢٢٤ .

(٣) إهريت: اسم لقريتين بمصر، إحداهما في كورة البهنسا، والأخرى في كورة الفيوم والأولى هي المخصوصة بالسياق، انظر: المصدر نفسه ١/٢٨٤ .

(٤) في الأصل: وعراس، والتصحيح مما تقدم من السياق، ومن (ك/١٦٧).

(٥) كذا في (ك/١٦٧)، وفي القلقشندي: صبح (١/٤١٩): بنو الحرمية.

(٦) في الأصل: يؤذن لهم، والتصحيح من (ك/١٦٧).

(٧) كذا، وفي (ك/١٦٧): زربة.

(٨) في الأصل: ضيعان، والسياق يقتضي ما أثبتناه استناداً إلى الضباعنة.

(٩) دلاص: كورة من أعمال البهنسا بصعيد مصر على غربي النيل تشتمل على قرى وولاية واسعة، ولعل نويرة إحدى قراها، انظر: ياقوت: ٢/٤٥٩ .

جماعةٌ يأتي ذكرُهم في مكانهم، (٦٤) قالَ: وبالصعيدِ من لخمٍ قومٌ سكنُهم بالبرِّ الشرقي ومنهم من بني سِمَاكٍ: بنو مُر، وبنو مليحٍ، وبنو نَبْهانَ، وبنو عَبْسٍ (١)، وبنو كريمٍ، وبنو بكرٍ (٢)، وديارُهم من طارقٍ ببا (٣) إلى منحدرِ دَيرِ الجُمَّيزَةِ من البرِّ الشرقي.

ومنهم من بني حَدَّان: بنو محمدٍ، وبنو عليٍّ، وبنو سالمٍ، وبنو مُدلج، وبنو رعيسٍ (٤) وديار[هُم] (٥) من ديرِ الجُمَّيزَةِ إلى تُرْعَةِ صَوَل (٦).

ومنهم من بني راشدٍ: بنو معمر، وبنو واصلٍ، وبنو مِرا (٧)، وبنو حُبَّان، وبنو مُعاذ، وبنو البيض، وبنو حجرة، وبنو سنوة، وديارُهم من مسجدِ موسى (٨) إلى أسكر (٩) ونصفُ بلاد إتفيح، ولبني البيض الحيُّ الصغيرُ ولبني سنوةَ من ترعةِ شريف إلى معصرةِ بوشٍ.

ومنهم من بني جَعد: بنو مسعودٍ، وبنو حَريرٍ (١٠)، وبنو زُبَيْرٍ، وبنو نمالٍ، وبنو أنصارٍ (١١)

---

(١) قلت: وهم غير بني عبس قوم عنترة، فهؤلاء من العدنانية وقومنا من القحطانية.

(٢) في القلقشندي: صبح (١/٣٨٧): بنو بكير، وبنو بكر هم غير بني بكر بن وائل فهؤلاء من العدنانية وقومنا من القحطانية.

(٣) ببا: مدينة من أعمال البهنسا بصعيد مصر، انظر: ياقوت: ١/٣٣٣.

(٤) في (ك/١٦٨): عبس.

(٥) ساقطة من الأصل، والإضافة من المصدر نفسه.

(٦) ترعة صَول: قرية في الصعيد تدخل في الكفور الصولية المقدم ذكرها في الصفحة السابقة

(٧) في كحالة (٣/١٠٦٣): بنو مر.

(٨) ذكرها ابن دقماق (الانتصار ٤/١٣٦) في "الأعمال الإطفيحية"، ولم يصرح لها بتعريف جغرافي.

(٩) أسكر: قرية مشهورة من الأعمال الأطفيحية بصعيد مصر، انظر: ياقوت: ١/١٨٢.

(١٠) في القلقشندي (صبح ١/٣٨٨): بنو حدير، وهم المعروفون بالحديريين.

(١١) في (ك/١٦٨): بنو نصار.

وسكنُهم ساحلُ إتفيح.

ومنهم من بني عديٍّ: بنو موسى، وبنو محرب، ومساكنُهم بالقربِ منهم، و‹منهم› من بني بحرٍ: بنو سهلٍ وبنو معطارٍ، وبنو فَهمٍ، وبنو عشيرٍ[(١)]، وبنو مسندٍ، وبنو سباعٍ، ومسكنُهم الحيُّ الكبيرُ.

ومنهم قُسَيس[(٢)] ومساكنُهم بلادُ الأسكر، ولبني غنيمٍ منهم العدويةُ[(٣)] ودَيْرُ الطين[(٤)] إلى جسرِ مصرَ، ومنهم بنو عمرو مساكنُهم من الرستق، ولهم نصفُ حُلْوان[(٥)]، ولبني حجرةَ النصفُ الثاني ونصفُ طُرا.

‹ عرب الحَوْف ›

وأما عربُ الحَوْف[(٦)] فمنهم جذام وجذام من كهلانَ من اليمنِ، وقد قيلَ إنهم من وَلَدِ يعفرَ[(٧)] بنِ مَدْيَن بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليه السَّلام.

---

(١) في القلقشندي (صبح ١/٣٨٨): بنو عسير.

(٢) في المصدر نفسه: قبس.

(٣) العدوية: قرية على شاطئ شرقي النيل تلقاء الصعيد، انظر: ياقوت: ٤/٩٠ .

(٤) دير الطين: ويقع على شاطئ النيل في طريق الصعيد قرب الفسطاط متصل ببركة الحبش عند العدوية المقدم ذكرها، انظر: المصدر نفسه: ٢/٥٢٠ .

(٥) حلوان: قرية من اعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل، انظر المصدر نفسه: ٢/٢٩٣-٢٩٤

(٦) الحَوْف: بمصر حَوفان الشرقي والغربي وهما متصلان، أول الشرقي من جهة الشام وقصبته بلبيس، وآخر الغربي قرب دمياط، انظر: المصدر نفسه: ٢/٣٢٢، والمشترك، ص١٤٩ .

(٧) في القلقشندي: صبح (١/٣٨٣): أعْصُر.

وروى محمدُ بنُ السائبِ[1] أنه وفدَ على رسولِ الله ﷺ وفدٌ من جذام فقالَ[2] : "مرحباً بقومِ شُعيبٍ وأصهارِ موسى" ، وزعمَ بعضُهم انهم معدٌّ، وفي ذلك يقولُ جنادةُ بنُ خَشْرم[3] : ‹الوافر›

ألا مَنْ مُبلغُ المُضَرِينَ أنّا ... غَضِبْنا كل [أجوفَ كالهلال][4]

وما قَحطانُ لي بأبٍ وأمٍّ ... ولا يصطادني شَبَهُ الضلالِ

وليسَ إليهمُ نَسبي ولكنْ ... مَعَدّياً وجدتُ أبي وخالي

(٦٥) قالَ: ومن إقطاعِهم هُرْبيطُ[5] ، وتلُّ بَسطَة، ونُوب[6] ، و[أم رماد][7] وغير ذلك، وجميعُ إقطاع ثَعلبةَ كان في مناشير[8] جذام من زمنِ عَمرو بنِ العاصِ وإنما السلطانُ صلاحُ الدينِ وسَّعَ لثَعلبةَ في بلادِ جُذام ولذلكَ كانتْ فاقوس[9] وما حولَها لهلبا سُويد .

---

(١) نسابة وراوية شهير، مات بالكوفة سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م، ترجمته في: الزركلي: ٦/١٣٣ .

(٢) لم اقع على تخريجه في كتب الحديث.

(٣) البيتان الثاني والثالث في القلقشندي (صبح ١/٣٨٣، ونهاية، ص١٩٢).

(٤) في الأصل: أخوف كالحلال، والتصحيح من (ك/١٦٩).

(٥) هربيط: ذكرها ابن دقماق (الانتصار ٥/٦٨) في "الأعمال الشرقية" ولم يصرح لها بتعريف جغرافي.

(٦) يجوز أن تكون: نوب طريف.

(٧) في الأصل: رم رحاد، والتصحيح من (ك/١٦٩)، وقد ذكرها ابن دقماق (الانتصار ٥/٥٧) في "الأعمال الشرقية"، ولم يصرح لها بتعريف جغرافي.

(٨) المناشير: هي أوامر سلطانية مكتوبة، بإقطاع من أرض أو مال أو غير ذلك، انظر: البقلي: التعريف، ص٣٣٢

(٩) فاقوس: ذكرها ابن دقماق (الانتصار ٥/٦٥) في "الأعمال الشرقية"، ولم يصرح لها بتعريف جغرافي.

‹ بنو زيد بن حَرامِ بن جُذام ›

قالَ: ونبدأ قبلَ كُلِّ شيءٍ بولدِ زيدِ بنِ حَرامِ بنِ جُذام[١]، وهم [بنو][٢] سُويد، وبَعجةُ، وبرذَعةُ، ورفاعةُ، وناتلٌ، ومن هؤلاءِ بطونٌ كثيرةٌ فمنهم هلبا مالك، ومالكُ هو ابنُ سُوَيْدٍ، ومنهم [بنو عُبيدٍ، وهم بنو عبيدِ بنِ مالكٍ، ومن بني عبيدِ المذكور][٢] الحَسَنيون. والغوارنةُ وهم أولادُ الحسَنِ والغَوْرِ ابني [أبي][٢] بكرِ بنِ موهوبِ بن عُبَيْدِ من مالكِ بن سُوَيدٍ، ومنهم بنو أسير وهو ابن عُبَيْدِ بنِ مالكِ بن سُوَيْدٍ، ومنهم العقَيْليون، [وهم][٣] بنو عُقَيلِ بنِ قُرَّةَ بنِ موهوبِ بن عُبَيدِ بنِ مالكِ بن سُوَيْدٍ، وفيهم إمرةٌ [وهي][٤] في نجمٍ وبنيه، وفيهم من أُمِّرَ بالبُوق والعلم وهو أبو رُشدِ بنِ حَبشي بنِ نجم بنِ إبراهيمَ بن مُسْلمِ بنِ يُوسُفَ بنِ واقدِ[٥] بنِ غَديرِ بنِ عُقيلِ بنِ قُرَّةَ، ودُحيةُ وثابتٌ [ابنا][٦] هانئ بنِ حَوْطِ بنِ نجمِ بنِ إبراهيمَ.
عُدنا إلى بقيةِ بطونِهم، ومنهم:
اللُّبيديون، ومنهم: البَكريُّون، وعَدٌّ من أحلافِهم أولادَ الهوبربةِ والرداليين والحليفيين

---

(١) زيد: بطن من بني حرام بن جذام، وليس ولده كما يوحي السياق، انظر: القلقشندي: نهاية، ص٢٥٦، كحالة: ٢/٤٨٩ .
(٢) إضافة من القلقشندي (صبح ١/٣٨٤-٣٨٥).
(٣) في الأصل: ومنهم، والتصحيح من المصدر نفسه.
(٤) في الأصل: وهم، والتصحيح يقتضيه المعنى.
(٥) في (ك/١٧٠): وافد.
(٦) في الأصل: ابني.

والحُصَينيين والربيعيين، قالَ ويعرفون بحلفِ بني الوليدِ[١] وهم أولادُ شريفِ النجابين، وذكرَ أن لهم نسباً في قريشٍ إلى عبدِ مَنافِ بنِ قُصي، وذكر من وَلدِ الوليدِ بنِ سُوَيدٍ طريفَ ابنَ مكنونٍ[٢] الملقبَ رزين الدولةِ، قالَ: وكانَ من أكرمِ العَربِ وكانَ في مضيفته أيامَ الغلاء اثنا عشرَ ألفاً يأكلُ عندَه كلَّ يومٍ، وكان يهشمُ الثريدَ في المراكبِ، ومن أولاده فضلُ بنُ شمخٍ بنِ كمونةَ، وإبراهيمُ بن غالي وأُمِّر كُلٌّ منهما بالبُوقِ والعلمِ.

عُدْنا إليهم [ومنهم][٣] الحيادرةُ من ولدِ حيدرةَ بنِ معروفِ[٤] بنِ حبيبِ بنِ الوليدِ بن سُوَيدٍ وهم طائفةٌ كثيرةٌ، و[منهم][٥] بنو عُمارةَ بنِ الوليدِ وفيهم عَددٌ ولهم البيروم[٦]، والحَيِّيُّون من بني حَيةَ بنِ راشدِ بنِ الوليدِ وأولادُ منازلَ وكانَ منهم (٦٦) معيدُ بنُ منازلَ وأُمِّرَ ببوقٍ وعلم.

وهلبا سُوَيْد ومنهم العَطَويون، والحَميديُّون، والجابريُّون، والغشاورةُ، ويقالُ لهم أولادُ طُرَّاحِ المُكُوسِ، وحَمْدانُ، وروماْنُ، وحُمْران وأسودُ ويُعرفُ هؤلاءِ الأربعةُ بالأُخَيْوة، واللكين، والقتلان.

قالَ: ومن بطونِ الحميديين أولادُ راشد، ومنهم البراجسةُ، وأولادُ سريرٍ، والجواشنةُ، والكعوكُ، وأولاد غَنّام[٧]، وآلُ حمود، والأُخَيْوة، والزُّرقانُ، والأساودةُ، والحماديون، ومن

---

(١) هم بنو الوليد بن سويد كما يلي من السياق، انظر: كحالة: ٣/١٢٥٣.

(٢) في (ك/١٧٠): طريف المكنون، وفي القلقشندي (صبح ١/٣٨٥): طريف بن بكتوت.

(٣) في الأصل: ومن، والتصحيح من (ك/١٧١).

(٤) في القلقشندي (صبح ١/٣٨٥): يعرب.

(٥) إضافة من المصدر نفسه.

(٦) وتروى: البيرومين، وقد ذكرها ابن دقماق (الانتصار ٥/٥٢) في "الاعمال القليوبية"، ولم يصرح لها بتعريف جغرافي.

(٧) في (ك/١٧١): غانم.

بني راشد: الحراقيصُ، والحنافيشُ، وأولادُ غالي، وأولادُ جَوالٍ، وآلُ زيدٍ، ومن النجايبة: أولادُ نجيب، وبنو فَضل.

قالَ: ومن وَلَدِ مالكِ بنِ هلبا بنِ مالكِ بنِ سُوَيدٍ نُمَيٌّ أبو خثعمٍ، وأقطعَ خثعمٌ وأُمِّرَ واقتنى عدداً من المماليكِ الأتراكِ والروم وغيرِهم، وبلغ من الملكِ الصالحِ أيوبَ[١] منزلةً ثم حصَلَ عند الملكِ المُعزِّ على الدرجاتِ الرفيعةِ وقدَّمَه على عربِ الديارِ المصريةِ، ولم يزلْ على هذا حتى قتلَه غلمانُه، فجعل المُعزُّ ابنيْه سُلمى ودَغَش عوضَه فكانا له نعمَ الخَلف، ثم قدم دَغَشٌ دمشقَ فأمَّره الملكُ الناصرُ ببوقٍ وعلم، وأمَّرَ الملكُ المُعزُّ أخاه سُلْمى كذلك فأبى حتى يُؤَمَّرَ مفرجُ بنُ سالمِ بنِ راضي مثلَه فأمَّره، ثم أَمَّر مزروعَ بنَ نجمٍ كذلك في جماعةٍ كثيرةٍ من جُذام وثعلبةَ، قالَ: فهذه هلبا سُويد بأنفارِهم.

‹ هلبا بعجة بن زيد ›

قال: وأما هَلْبا بَعْجَة بن زيدِ بنِ سُوَيْد بنِ بَعْجةَ[٢] فهم: [بنو][٣] هلبا ومنظور، ورداد[٤]، وناتل، فمن وَلَدِ هَلْبا مفرِّجُ بنُ سالمٍ المقدمُ ذكرُه، ثم خلفَه على إمرتِه ولدُه حسانُ، ومنهم أولادُ الهُرَيْمِ من بني غياثِ بنِ عصمة بنِ نِجَادِ بنِ هَلْبا بنِ بَعْجةَ، وجوشن

---

(١) هو الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب، ولي ملك مصر في سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م حتى وفاته في شعبان سنة ٦٤٧هـ/ تشرين الثاني ١٢٤٩م، ترجمته في: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان جـ٨ق٢/ ٧٧٥، ابو شامة: الذيل على الروضتين، ص١٨٣، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص٣٧، أبو الفدا: المختصر ٣/ ١٧٩-١٨٠، الذهبي: العبر ٣/ ٢٥٧، ابن كثير: البداية ١٣/ ١٧٧، الزركلي: ٢/ ٣٨

(٢) كحالة: ٣/ ١٢٢٢-١٢٢٣، وهم فيه: بنو هلباء بن بعجة.

(٣) إضافة من القلقشندي (صبح ١/ ٣٨٥).

(٤) في المصدر نفسه: ردا.

صاحبُ السراةِ المضروبُ به المثـلُ في الكرمِ والشجاعةِ من[1] منظورِ بن بَعْجَة، والغُوَيثيةُ في عَددِ ردادِ بنِ بَعْجَـة.

قالَ: ولناتلٍ البئرُ المعروفُ ببئر ناتلٍ على رأسِ السراةِ، ومن ولدِه مُهَنَّا بنُ علوانَ بن عليٍّ ابنِ زُبَيرِ بنِ حـبيبِ بنِ (٦٧) ناتلٍ، وكانَ جواداً كـريماً طرقته ضيوفٌ في شـتاءٍ ولم يكنْ عندَه حطبٌ يقدُه لطعامٍ أرادَ أن يصنعه لهـم فأوقدَ لهم[2] أحمالَ بُرٍّ كانتْ عندَه، وكانَ له كَفْرُ بَرسوط بنواحي مَرْصَفَـا[3].

و[منهـم][4] بنو رُدَيْني، وهـم من بني رُدينيٍّ بنِ زيادِ بنِ حسينِ بنِ مسعودِ بن مالكِ بن سُوَيد.

ومنهم أولادُ جياشِ بن عمرانَ ولهم تلُّ مُحمد[5].

وأما أولادُ [مَحريَّةَ][6] أخي زيدٍ، وهو ابنُ أميةَ، [وقيلَ: ميَّة، وقيلَ: ليس هو بأخي زيدٍ بل هو ابنُ زيدِ بنِ أميةَ أو ميَّة][7] وقيلَ: هو وزيدٌ ابنا الضُّبَيب، وقيلَ: بل الضُّبيبُ أبو أمية.

ومن بني مَـحْرِيَّةَ أخي زيـدٍ رفـاعـةُ بـنُ زيدِ بنِ ذُؤيب[8] جـدُّ بني رَوْحٍ[9] وهو الذي وفَـد

(١) يجوز ان تكون محرفة عن: ابن.

(٢) ساقطة من (ك/١٧٢).

(٣) مَرْصَفَا: قرية كبيرة في شمالي مصر نسب إليها قوم من أهل العلم، انظر: ياقوت: ٥/١٠٧ .

(٤) إضافة من القلقشندي (صبح ١/٣٨٥).

(٥) تل محمد: ذكره ابن دقماق (الانتصار ٥/٦٠) في "الاعمال القليوبية" ولم يصرح له بتعريف جغرافي.

(٦) في الأصل: محمد، والتصحيح من (ك/١٧٣).

(٧) ساقطة من الأصل، والإضافة من المصدر نفسه.

(٨) صحابي، ترجمته في: ابن سعد: ١/٣٥٤، ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٥٠٥

(٩) هم بنو رَوْح بن زِنْباع الجذامي، توفي سنة ٨٤ هـ/٧٠٣م، ترجمته في: الزركلي: ٣/٣٤ .

على النبيَّ ﷺ وعقد له على قومه(١)، فتوجَّه إليهم فأسلموا على يديْه ووهبَ لرسولِ الله ﷺ مِدْعماً العبدَ صاحبَ الشملةِ التي فيها الحديثُ(٢)، الذي [قيلَ](٣) بخَيبر.

ومنهم الشَّواكرةُ من شاكرِ بنِ راشدِ بنِ عُقبةَ بن محْريَّةَ ولهم شَنْبارةُ بني خَصيبٍ(٤).

ومنهم أولادُ العجارِ أدلاءُ الحاجِّ من زمنِ السلطانِ صلاحِ الدينِ وهلمَّ جَرا إلى الآن.

ومنهم حُمَيدةُ بنُ صالحِ بنِ أسدِ بنِ عُقْبَةَ، وفي عُقْبَةَ هذا عددٌ يُعرفون به، وفرقةٌ منهم بالحجازِ من واصلِ بنِ عُقْبَةَ.

قال: - فيما نقلَه عن المُحدثين من ذوي المعرفةِ كما قالَ - إنَّ عمرو بنَ مالكِ بنِ الضُّبَيْبِ، وعُثَيْرةَ، وزهير‹أ›، وخليفةَ و[حِصناً](٥) أفخاذٌ من الضُّبَيْبيين، وأنَّ بني خليفةَ

---

(١) وذلك في هدنة الحديبية كما في ابن سعد وابن عبد البر، المصدرين السابقين.

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر، فلم نغتنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع، فاهدى رجل من بني الضُّبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له مدْعَم، فوجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحط رَحلاً لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: "كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً"، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراكٍ أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: "شراك من نار أو شراكان من نار" أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأيمان والنذور، باب (٣٣)، رقم (٦٧٠٧) واللفظ له، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان، باب (٤٨)، رقم (١١٥)، وأبو داود في سننه - كتاب الجهات، باب (١٣٣)، رقم (٢٧١١).

(٣) في الأصل، وفي (ك/١٧٣): قتل، والصواب ما أثبتناه، والمراد الحديث الذي قيل بشأن الشملة التي غلَّها مِدْعَم في خيبر، فضلاً عن أن مدعماً كما تقدم في الحديث لم يقتل بخيبر وإنما جاء سهم عائر بوادي القرى فقتله.

(٤) وتعرف بشنبارة مقلاء، وهي من الأعمال القليوبية، انظر: ابن دقماق: الانتصار ٥/٦٣.

(٥) في الأصل: حصن.

وحصنٍ قد انضافوا إلى بني عُبيدٍ بالحلفِ، ولهم موضعٌ من حقوقِ هُرْبيط يُعرَفُ بالأحراز.

قالَ: وأما زهيرٌ فأكثرُهم بالشامِ، والذين بمصرَ امتزجوا بولَدِ زيدٍ، وهم بحري الحَوف إلى ما يلي أشموم وهم[1] بنو عُرين[2].

قالَ: ومن بني جُذام بنو سَعدٍ، وفي جُذام [خمسةُ][3] سعودٍ: سعدِ [بن][4] إياسِ ابنِ حَرام بنِ جُذام، وسعدِ بنِ مالكِ بنِ زَيدِ بنِ أقصى بن سَعدِ بنِ إياس بن حَرام بن جُذام، وإليه يُنسَبُ أكثرُ السَّعديين، وسعدِ بن مالكِ بن حَرام بنِ جذام، (٦٨) وسعدِ بن أيامةَ بنِ عَنبسِ بنِ غَطَفانَ بنِ سعدِ بن مالكِ بن حَرام بن جُذام، وسعدِ بنِ مالكِ بنِ أقصى بنِ سعدِ ابنِ إياس بنِ حَرام بن جُذام.

قالَ: والخمسةُ اختلطت عندنا بمصر، وأكثرُهم مشايخُ بلادٍ وخفراؤُها، ولهم مزارعُ ومآكلُ وفسادُهم كثيرٌ ‹و›من مُقَدميهم أولادُ فضلٍ، والسلاجمةُ[5] وسكنُهم مِنْيَةُ غَمْرٍ[6] إلى [زَفيتا][7].

ومنهم شاور[8] الوزيرُ العاضديُّ، وإليه يُنسبُ بنو شاوَر كبارُ مِنية غَمْر وخفراؤُها، وذكرَ

(١) في (ك/١٧٤): ومنهم.

(٢) في القلقشندي (نهاية، ص٣٢٧): "ومساكنهم مع قوم زهير بالدقهلية والمرتاحية من الديار المصرية".

(٣) في الأصل: خمس.

(٤) ساقطة من الأصل، والإضافة من (ك/١٧٤).

(٥) في المصدر نفسه: أولاد فضل السلاجمة.

(٦) مِنيةُ غمر: كورة بشمالي مصر على فوهة النهر المؤدي إلى دمياط، انظر: ياقوت: ٥/٢١٨-٢١٩.

(٧) في الأصل: ريفها، والتصحيح من (ك/١٧٤) وبه ينتظم المعنى، وزفيتا تقع قبالة منية غمر المقدم ذكرها، ويقال لها منية زفتا، انظر: ياقوت: ٥/٢١٨.

(٨) هو شاور بن مجير بن نزار الهوازني السعدي، قتل في ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ/ كانون الثاني ١١٦٩م بسبب تواطئه مع الصليبيين لجرهم إلى مصر، وأخذها من النوريين، انظر: ابن الأثير: الكامل ١١/٣٣٩-٣٤٠، ابن خلكان: ٢/٢٣٩-٢٤٨، الذهبي: العبر ٣/٤٣.

ابن خَلِّكانَ أنه من سَعدِ حليمةَ مرضعِ النبيِّ ﷺ[١].

ومنهم بنو عبدِ الظاهر[٢] [الموقعون][٣].

قلتُ: رأيتُه[٤] ينسبُ نفسَه إلى رَوْح بن زِنْباع.

ومنهم أهلُ بَرْهَمتوش[٥] ومشايخُها ومن هؤلاءِ بنو شاس.

قالَ: وفي بني سعدٍ عشائرُ كثيرةٌ منهم شاس وجوشنُ وعَلانُ[٦] وفزارةُ بني سعدٍ [في][٧] تلِّ طنبيلول[٨] إلى نُوب طريفٍ ومنهم [بدَقَدوس][٩] ودمريط[١٠] ووليلة

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٩

(٢) هم بنو عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذامي الزنباعي المصري المتوفى بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٦٤٩هـ/ تموز ١٢٥١م، انظر: الذهبي: العبر، ص٢٦٣، السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ٥٠٠ .

قلت: وقد كان منهم محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)، وولده فتح الدين محمد (ت ٦٩١هـ/١٢٩٢م) وهما من أبرز كتاب الإنشاء في الدولة المملوكية الأولى .

(٣) في الأصل: الموقعين.

(٤) في السويدي (ص١٨١): "يعني محي الدين بن عبد الظاهر" .

(٥) برهمتوش، ومعها القرى التالية: نوب طريف، ودمريط، ووليلة، وبشلوس من الأعمال الشرقية في مصر، وقد ذكرها ابن دقماق في الانتصار، ولم يصرح لها بتعريف جغرافي.

(٦) في القلقشندي (صبح ١/ ٣٨٦): عدلان.

(٧) في الأصل: وفي بني سعد، والراجح عندي انها عبارة مكررة عن سابقتها.

(٨) في (ك/ ١٧٥): تل طنبول، ولم أقع لها على ذكر، ولعلها من قرى الأعمال الشرقية بمصر.

(٩) كلمة غير واضحة في الأصل، والتصحيح من (ك/ ١٧٥)، ودَقَدُوس بليدة في كورة الشرقية، انظر: ياقوت: ٢/ ٤٥٨

(١٠) في ابن دقماق، الانتصار (٥/ ٦١): دمديط.

وبشلوس[(١)]، وهؤلاءُ جميعُهم ديارُهم ضواحي القاهرة إلى أطرافِ الشرقيةِ.

وبالإسكندريةِ من جُذام ولخم أقوامٌ ذوو عَددٍ وعُدَد وأهلُ شجاعةٍ وإقدامٍ وضربٍ بالسيفِ ورشقٍ بالسِّهام، ولهم أيامٌ معلومةٌ وأخبارٌ معروفةٌ ووقائعُ في البرِّ والبحرِ مشهورةٌ.

وبرشيدَ[(٢)] القراططةُ ومصفونةُ من مرديش[(٣)]، وبالبحيرةِ والغربيةِ طوائفُ من مزاتَه وبقليوبَ طوائفُ من فزارةَ، ومنهم بنو بعايةَ وهم أعيانٌ، ودارُهم أطرافُ الشرقيةِ وما أخذ شرقاً وقبْلةً.

وأما العائذُ فكثيرٌ في العربِ، والمشهورُ منها بمصرَ عائذُ جذام، وبالحجازِ عائذُ ربيعة، وأما عائذُ فَرير، فلما تنافرت ثعلبةُ وجُذام ادعوا في ثعلبةَ.

وبالمنوفيةِ كما تقدمَ فرقةٌ من لَواتةَ منهم بنو يَحيى والوسوةُ وعبدةُ ومصلّة، وبنو مُختار (٦٩)، قال: ومعهم في البلادِ أحلافٌ من مزاتَه، وزنارةَ، وهوارةَ، وبني الشعريةِ إلى قومٍ آخرين، ومن زنارةَ مرديشٌ، وبنو صالحٍ، وبنو مسام، وزُمرانَ، ووَرْديغَةُ، وعرهانٌ، ولقانٌ ومن هَوّارة بنو محريش وبنو أسرات[(٤)] وبنو قطران وبنو كبريث.

وأما ثعلبةُ مصرَ والشام فمن طيئ وفي كلٍّ من خِنْدِف وقَيسٍ ومُرادٍ ويَمن وثَعلَبَة قالَ: وكانوا كما ذُكر يعني ثعلبةَ مصرَ يداً مع الفرنجِ قديماً لكنني لم أرهم إلا غزاةً مجاهدين لهم آثارٌ في الفرنجِ، وهي بطنان دَرْما وزُرَيْق ابنا عوفِ بنِ ثَعْلَبَةَ، ويُقالُ: بل ابنا ثَعلبةَ لصلْبِه.

واسمُ دَرْما عَمْرو، وإنما غلبَ عليه اسمُ أُمِّه دَرْماء، ومن أفخاذِ دَرْما بمصرَ: سلامةُ، والأحمرُ،

---

(١) في (ك/١٧٥): ووليه ولسوس.

(٢) رشيد: بليدة على الساحل الأبيض المتوسط قرب الإسكندرية، خرج منها جماعة من المحدثين، انظر: ياقوت: ٣/٤٥

(٣) في (ك/١٧٥): مزديش.

(٤) في (ك/١٧٦): أشرات.

وعمروٌ، وقصيرٌ، وأوَيس.

ومن أفخاذ زُرَيق بها أشعث ولُبنَى، قالَ: وثَعْلَبةُ، وعُنَيْنٌ، ونيل إخوةٌ، الثلاثةُ أولادُ سلامانَ، قالَ ومن دَرْمَا البقعةُ وشبلٌ من ولدِ نافعٍ بنِ قَرْوان، والحنابلةُ وجَدُّهم حسينٌ، والمراونةُ وجدُّهم مَرَوانُ والحيَّانيون من ولدِ حَيَّانَ بنِ دَرْما، ومن زُرَيْقٍ بنو وَهْمٍ، والطلحيون، وفي الطلحيين آلُ حَجاجٍ، وآل عِمران، وآل حصيناة، والمصافحةُ، وكان مقدمَهم سُقَيرُ بنُ جرجي، وأُمِّرَ بالبوق والعلم.

عدنا إلى بني زُرَيْقٍ، ومنهم: الصُّبيحيون، وفي الصُّبيحيين: الغيوث، والرموث، والروايات، والنمول، و[السحميون][(١)]، والسَّعالى وهم بنو حِصن، والرمالي، و[الوريشيون، والسَّنْديون][(٢)]، والبحابحة.

عُدنا إلى بني زُرَيْقٍ ومنهم: العُقَيليون، والمساهرةُ، والجحافرةُ، ومنهم العُلَيْمِيّونَ وكانَ مقدَّمَهم عَمرو بنُ عُسَيلةَ وأُمِّرَ بالبوقِ والعلمِ وفي العلَيميين القمعةُ، والرياحين [بنو][(٣)] مالكٍ، والفرقةُ المعروفةُ بالأشعثِ بن زُرَيقٍ، وفيهم رجالٌ ذوو ذكرٍ ونباهةٍ خدموا الدولَ وعَضَّدوا الملوكَ (٧٠) وقاموا ونصروا.

قالَ: ومن ثعلبةَ الجواهرةُ جماعةُ سَنْجَر بنِ عمرَ بن هندي.

وأما بنو بياضة، والأحادسةُ فبقَطْيا[(٤)] وبنو صدرٍ بالبدرية وهي طريقُ البَرِّ من الشامِ إلى مصرَ.

---

(١) في الأصل: السحميين.

(٢) في الأصل: الوريشين والسنديين.

(٣) في الأصل: بني.

(٤) قطيا، أو قطية: من منازل الرمل المشهورة على طريق الشام، وبها كان يطالع كل صادر ووارد من وإلى الشام ومصر، انظر: ياقوت: ٤/٣٧٨، ابن بطوطة: ص٥٤، ابن دقماق: الانتصار ٥/٥٢-٥٣ .

وأما حَرام فهي جذام وقليلٌ في عربِ مصرَ من يعرفها وفي الخزرجِ حرام وحرام، قال:
وما يدري أحدٌ من أيهما هذه التي بمصرَ.

وفي خِنْدف حَرام(١) وفي تميمٍ حَرام(٢)، قالَ: وحرامُ هذه القاطنةُ بمصرَ من الخَزرجِ وهم بنو حَيةَ، وبنو ذُبيان، قالَ: وهم أشتاتٌ بمصرَ وفيهم مشايخُ بلادٍ، وخَولةٌ، وقُضاةٌ، وفقهاءُ، وعدولٌ وليست لهم دارٌ خاصة ولا مكانٌ معروفٌ، وقد عد الحَمْداني جماعةً منهم ليسَ فيهم شهير.

وفي الدقهليةِ والمُرتاحيةِ(٣) عربٌ يُدعَون الجمارسةَ(٤)، وقومٌ ينسبون إلى قريشٍ وهم نفرٌ من بني عُذرةَ وهم من كنانةَ بنِ عُذرةَ(٥) لا كنانة بن خزيمةَ.

ومنهم بنو شهابٍ وبنو رندة(٦) والرواشدةُ وهم غيرُ رواشدةِ هلبا سُوَيد، وبنو عصا، وبنو محمد، وبنو سِنان، وبنو حمزةَ، وبنو فِراسٍ وهم بمنيةِ محمودٍ(٧)، ومِنْيةِ عَدلان(٨)، وبنو

---

(١) لم أقع في قبائل خندف على ذكر لحرام أو بنيه، قارن بابن حزم، ص٤٧٩-٤٨٠

(٢) هم بنو حرام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، انظر:
ابن حزم: ص٢١٥، كحالة: ١/٢٥٨

(٣) الدقهلية والمرتاحية: من كور الوجه البحري بمصر، انظر تفصيلهما في: ابن دقماق: الانتصار، ص٤٣، ٦٨ فما بعدها.

(٤) هم بطن من كنانة عذرة التالي ذكرها، انظر: كحالة: ١/٢٠١ .

(٥) هم بنو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة من كلب، من قضاعة، من القحطانية، انظر: ابن حزم: ص٤٥٦، ٤٧٩ .

(٦) في (ك/١٧٨): زيدة.

(٧) منية محمود: ذكرها ابن دقماق (الانتصار ٥/٧٧) في "الأعمال الدقهلية والمرتاحية"، ولم يصرح لها بتعريف، ووردت متبوعة بعبارة: ومنية غزلان، واظنها زائدة، وما بعدها قد سد مسدها.

(٨) منية عدلان: ذكرها ابن دقماق (الانتصار ٥/٧٧) في "الأعمال الدقهلية والمرتاحية"، ولم يصرح لها بتعريف.

لأم وليسَ بلأم الحجازِ وبنو شمس والفضليون وقرارتهم كوم الثعالب(١) وما داناها، وبها فرق من عَمْرو وزهيرٍ المقدم ذكرهم، والحِصْنيين ورَدَالة(٢)، والأحامدةِ وليسوا بأحامدةِ هلبا، و[الحمارنةِ](٣)، وهم بنو حمرانَ وبعضُهم أصحابُ إقطاعٍ، وفي بني زهيرٍ هؤلاءِ من بني [عُرينٍ](٤)، وبني شَبيبٍ، وبني عبدِ الرحمن، وبني مالكٍ، وبني عُبَيْدٍ ‹غيرِ عُبيدٍ› المقدم الذكر، وبني عبدِ القوي، وبني شاكرٍ وهم غيرُ شاكرِ عُقبةَ(٥) وبني حسن، وبني شَمَّاء وهم غيرُ شَمَّاء آل ربيعةَ.

---

(١) كوم الثعالب: ذكرها ابن دقماق (الانتصار٥/٧٤) ولم يصرح لها بتعريف.

(٢) في (ك/١٧٩): رذالة.

(٣) في الأصل: الحمارية، والتصحيح من المصدر نفسه.

(٤) في الأصل، وفي المصدر نفسه: عزيز، والمراد: بنو عُرين، وقد تقدم ذكرهم في زهير، انظر ما سبق، ص٣٧٥.

(٥) ويعرف هؤلاء بشواكر عقبة، وهم بطن من بني راشد بن عقبة بن محرية من حرام بن جذام، انظر: كحالة: ٢/٥٧٤

بنو سُليم

وهم أكثرُ قبائلِ قيسٍ ‹عَيْلان›، قالَ: ومَساكنُهم ببَرقةَ مما يلي الغربَ، ومما يلي مِصرَ، وفيهم الأبطالُ الأنجادُ والخيلُ الجياد (٧١) والإمرةُ فيهم في أولادِ عزازٍ بنِ مقدم، ومنهم مَزْيدُ بنُ عزازٍ وكان رجلاً جليلَ القَدْرِ جميلَ الذكر، معظماً في الدول، وبنوه زايدٌ وحميدٌ وريانُ كلُّهم كرامٌ سَراةٌ أماجدُ وعطاء الله بنُ عمرَ بنِ عزازٍ وكان للقِرى والقِراع، مُطاعاً في قومِه، وهو أبو خالدٍ وهم أهلُ بيتٍ فيهم عددٌ جَمٌّ من ذَوي القَدْرِ وبنوه معزٌّ وعمرٌ، ومن المشاهيرِ منهم علويُّ بنُ إبراهيمَ بنِ عزازٍ، وسلطانُ بنُ زَيدانَ بنِ عزازٍ، وعمرُ بنُ مشعلِ بنِ عزازٍ، ومن أكابرِ جماعاتِهم جماعةُ ابنِ مُلَيحٍ المنصوريُّ أصحابُ غازي بنِ نجم، وعليانُ بنُ عريفٍ، وبلبوش، وكانَ قد هَرَبَ من الملكِ الظاهرِ بيبَرس فأنهدَ جيشاً وراءه فقاتلَه ثم نُصر الجيشُ عليه وأُمْسكَ واعتُقلَ ثم أُفرجَ عنه، وهو والدُ زيدِ بنِ بلبوش، وجماعةُ سعيدِ بنِ العُرَيْبِ بنِ الأحمرِ يقاربه، ومن ذوي مخالفيهم جماعةُ مُحمدٍ الهواريِّ.

قلتُ: وكانَ آخرُ عهدي انَّ الإمرةَ على عُربانِ البُحيرةِ لقائدِ بنِ مُقدمٍ، وخالدِ بنِ أبي سلمانَ، وكانا أميريْن سَيديْن جليليْن ذوي كرمٍ وأمنٍ يُلاذُ [بهما ويُتَحرمُ][(١)] إلى شجاعةٍ وإقدامٍ وثباتِ رأيٍ وإقدامٍ ثم لم أعلمْ ما حالت به الأحوال، وجَرت به بعدي تصاريفُ الدهور.

---

(١) في الأصل: له محرم.

< قبائل العربانِ من مصرَ إلى أقصى المَغرب >

فأما منازلُ العرب من لدن الجيزيَّةِ ضاحيةِ القاهرةِ على البحيرةِ آخذاً إلى أقصى الغربِ فسأذكرُ منه ما أملاه الشيخُ المقرئُ الورعُ أبو يحيى زكريَّا المغربيُّ أحدُ الأئمةِ بقلعةِ الجبلِ، حُرست [قالَ][(١)] ،قبائلُ العربانِ من مصرَ إلى أقصى المغرب:

جماعةُ قائد: زَنَّارةُ، ومزاتةُ، وخفاجةُ، وهَوَّارةُ، وسَماكٌ، ومنازلُهم من الإسكندريةِ إلى العَقبةِ الكبيرةِ[(٢)].

ثم لبيد[(٣)] وهم جماعةُ سلامٍ: فزارةُ، محارب، قطاب، الزَّعَاقبةُ، بشرٌ، الجواشنةُ، البعاجنةُ، القبايصُ أولادُ سلمانَ، القصاصُ، العَلاونةُ ومنازلُهم من العقبةِ الكبيرةِ[(٤)] (٧٢) إلى السوسةِ.

ثم جماعةُ جعفرِ بنِ عمرَ وهم: قتيلٌ، المثانية، الباسَةُ، عرعرةُ، العظمةُ، العكمةُ، المزابيلُ، العزةُ، ومن جملةِ هؤلاءِ [العزة][(٥)]، الجعافرةُ، جماعةُ جعفر بنِ عمرَ ومنهم البداري أيضاً.

وكذلك منهم السهاونةُ والجلدةُ منهم أيضاً.

وكذلك منهم أولادُ أحمدَ أيضاً، ومنازلُهم من سوسةَ إلى بئرِ السدرةِ، وهي آخرُ حدودِ

---

(١) ساقطة من الأصل، والإضافة من(ك/ ١٨٠).

(٢) وهي تمثل نهاية الحدود الغربية لمصر، ويدخل في هذه الحدود قسم من برقة، فما كان دون العقبة المذكورة إلى الشرق فهو تبع لمصر وما كان فوقها إلى الغرب فهو محسوب من إفريقية، راجع للمؤلف الباب السادس (ص١٦٣-١٦٤) من مطبوعة "المسالك".

(٣) هم بطن من سليم بن منصور من قيس عيلان، ومن العدنانية، انظر: القلقشندي: نهاية، ص٣٦٧، السويدي: ص١٣٧، كحالة: ٣/١٠٠٩ .

(٤) وردت في الأصل متبوعة بعبارة: ثم لبيد وهم، ولعله سبق قلم.

(٥) في الأصل: المعرة، وهم العزة كما تقدم آنفاً.

الديارِ المصريةِ، ومسافتُها عن الإسكندريةِ نحوُ شهرٍ بسَيْرِ القوافل.

ثم منها طَيمومُ العلاونةِ وهم غيرُ أولئك، المهاملةُ، بنو بدرٍ، ناصرةٌ، وانتهاؤهم إلى قصرِ ابنِ احمدَ في طرفِ مِسْراتةَ من الساحلِ، ومن القبلةِ أرضُ فزّان[1] وودّان[2] وحكمُهما لأرضِ البُرْنو السودان ومسافةُ ما بينَ بئرِ السدرةِ وبينَ مِسراتةَ عشرةُ أيامٍ.

ومنهم من أرضِ مِسراتةَ ‹إلى› بلادِ طرابُلُسَ[3] :سليمانُ جماعةُ غانمِ بنِ زايدٍ، ولهم الأرضُ من مِسراتةَ إلى بابِ مدينةِ طرابُلُسَ ،ثم من طرابُلُسَ إلى قابس ذُبابُ[4] ،وهي تجمعُ المحاميدَ، والجواريَ جماعةَ عبدِ اللهِ بنِ صابرٍ، وملغمِ بنِ صابرٍ وليسا بأخويْن بل هم بنو عمٍّ من القبيلةِ.

قالَ الشريفُ أبو عُمرَ عبدُ العزيزِ الحَسنيُّ الإدريسيُّ: وهو من أهلِ غَرناطةَ وله تعلقٌ بخدمةِ السلطانِ أبي الحسنِ المريني، قال: ذبابٌ مشيختُهم لعبدِ اللهِ بن رفيعةَ وأخيه إبراهيمَ، وأصلُهم من سُلَيْمٍ وأرضُهم من طرابُلُسَ إلى قابس، ويجاورُهم في هذه الأرضِ الجواري والمحاميدُ، وشيخُ الجواري عبدُ اللهُ بنُ سعيدٍ ‹و›شيخُ المحاميدِ عطيةُ بنُ سعيدٍ.

ثم تنقسمُ الطريقُ من قابس، فطريقٌ جنوبيةٌ على الجريدِ وطريقٌ شماليةٌ على الساحلِ، فالجنوبيةُ الآخذةُ على الجريدِ أولُ قبائلها آلُ حَجْرٍ وفيهم عدةُ أشياخٍ منهم مَرْغم وذُؤَيبٌ ابنا جعفر، وسفيانُ بن عطاءِ الله ورُثيمةُ بنُ يَخلف، وأرضُهم من قابس إلى بِشْري وتأخذ في الساحلِ على الثنيةِ (٧٣) وبينهم أولادُ صورةَ ومشيختُهم في ابنِ مُهَلهلٍ وأخيه جرموز،

---

(١) فزّان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس ومدينتها زويلة في السودان، انظر:ياقوت: ٤ / ٢٦٠ .

(٢) ودّان: مدينة ذات قلعة حصينة فتحت في أيام معاوية رضي الله عنه، انظر: المصدر نفسه: ٥/٣٦٥-٣٦٦

(٣) وردت في الأصل متبوعة بالحرف: إلى، زائد.

(٤) هم بنو ذباب بن مالك بن بهثة بن سليم بن منصور، من العدنانية، انظر: كحالة: ١ /٤٠٢ .

قالَ:وهم فرقةٌ يسيرةٌ وبينهم الكعبيون ويُعْرَفون بالكُعُوب[(١)]، وهم أكبرُ بيتٍ بإفريقيَّةَ من العربِ ومشيختُهم في قومٍ يُعرفون بأولادِ أبي الليل، وهم أربعةُ إخوةٍ: يعقوبُ وأحمدُ وخالدٌ وقتيبةُ و[يجاورُهم قومٌ][(٢)] هم أعداءٌ لهم يُعْرَفون بأولادِ أبي طالبٍ ولهم شيوخٌ شتى، يعقوبُ ومحمد [ابنا][(٣)] طالب و[بنو][(٤)] عمهم سُمَيْرُ بنُ عبدِ الله، ويعقوبُ بنُ الحُصَيْن، والحاجُّ عليُّ بنُ شيحةَ ،وأرضُهم من بِشْري إلى بسْكَرةَ، ولهم في داخلِ البلاد إلى باب تونسَ، ولهم أماكنُ كثيرةٌ.

ويليهم فرقةٌ كبيرةٌ تُعرفُ برياحٍ[(٥)]، وفيهم ملْكُ العربِ القديمُ بالمغرب، وشيخُهم يعقوبُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ، وكان أبوه في غايةِ الكرم، بعثَ إليه ملكُ إفريقيَّة بثلاثين حملاً من البزِّ الرفيعِ والتحفِ السَّنيةِ فوهبَها ثلاثين من المستعطين لوقتِه، ويجاوره ابنا عمِّه حلوفُ بنُ عليِّ ابنِ جابرٍ ونطاحٌ أخوه، وهم أهلُ إبلٍ يكونُ عند الرجل منهم نحوُ ستين ألفَ بعيرٍ، هكذا ذكرَ وعليه عهدتُه. قالَ:

ويليهم عربُ الغربِ الداخلِ ،وأولُ بلادِهم وطاءةُ حمزةَ وسكانُها فرقةٌ يسيرةٌ تُعرَفُ بعوار تنزلُ حول قلعةِ حَمَّاد[(٦)].

---

(١) هم بنو كعب أحمد، بطن كبير من سليم بن منصور، من العدنانية، انظر: كحالة: ٣/٩٨٧-٩٨٨ .

(٢) إضافة من (ك/١٨٣)، وبها يستقيم السياق.

(٣) في الأصل: ابني.

(٤) في الأصل: بني.

(٥) هم بنو رياح، بطن من هلال بن عامر بن صعصعة، انظر: ابن حزم: ص٢٧٥، وفيه رياح الذين أفسدوا إفريقية، ابن خلدون: ٦/٣٥ .

(٦) هي قلعة بني حَمَّاد، وهي قلعة منيعة كانت تحط بها الرحال من العراق والحجاز والشام ومصر وسائر بلاد المغرب، انظر: ياقوت: ٤/٣٩٠، الحميري: ص٤٦٩-٤٧٠ .

ويليهم عربُ بلادِ ريغو وأركلة، وهما مدينتان داخلتان في الصحراءِ، وهم من فزارةَ، وشيخُهم طلحةُ بنُ معهودٍ، قالَ: وهو رجلٌ من أولياءِ اللهِ والصالحين من عبادِه، وتنتهي أرضُهم إلى المِديْةِ في الساحلِ.

ويليهم سوُيدٌ(١)، وشيخُهم عريفُ بنُ عبدِ اللهِ أبو زَيْدانَ وهو رجلٌ جليلُ القَدْرِ، نبيهُ الذِّكرِ، وافرُ العقلِ، مشاركٌ في أنواعِ العلمِ والأدبِ والتاريخِ والمعرفةِ بأيامِ العربِ ووقائعِ الناسِ وصحبتُه في الحجِّ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وسبعِ مئةٍ فرأيتُ منه ما يملأُ الصدرَ ويُقرُّ العينَ وهو بمنزلةٍ من السلطانِ أبي الحَسنِ المرينيِّ لا تُطاولُ ولا تحُاولُ، ولا (٧٤) يطمع بها طامحٌ ولا طامعٌ، وينتهي حدُّهم إلى تافيلَلْت من أرضِ سِجِلْماسَةَ.

قال هذا الشريف: ولأبي زيدانَ عدوٌّ من بني عمِّه يُسمى صُقَيرَ بنَ عبدِ اللهِ، قالَ: وهو أكبرُ [سناً](٢) منه وحسباً.

ويليهم عربٌ تُعرفُ بالفرايضِ يملكون إلى البحرِ المحيطِ، وبلادُهم حاحا وركراكةُ وسقساوةُ، ومسوفةُ هذه أهلُ لثامٍ وبرقعٍ أزرقَ لا يزالُ تمشي الرجالُ بتلك البراقعِ والنساءُ مكشفاتُ الوجوهِ، وقالَ: وسببُ براقعِهم إظهارُ الحزنِ على المهديِّ بنِ تومَرْت.

قالَ: وأما الطريقُ الثانيةُ الشاميةُ الآخذةُ من قابس على الساحلِ فغالبُ أهلها بربرٌ ومصامدةٌ سكانُ مَدَرةٍ وأهلُ زرعٍ وحرثٍ، قال: يلي آلَ حَجْرِ الآخذين من قابسٍ إلى إسفاقُسَ فيما هو إلى المهديةِ طائفةٌ تُعرَفُ بحكيمٍ وشيخُهم سُحَيْمٌ، وكانَ قد دخلَ الأندلسَ غازياً وحضر يومَ طريفٍ، ولهذه الطائفةِ إلى القيروانِ.

ويَليهم دلاجٌ، وكان شيخَهم الحُمَيرُ ثم قُتلَ، وقامَ ولداه عبدُ اللهِ ويحيى ابنا الحُميَر قالَ: وهم رماةٌ يرمون بقوسِ اليدِ رمياً صائباً، ولهم تفردٌ بذلك دونَ بقيةِ عربِ الغَربِ، وأرضُهم

---

(١) هم بنو سويد بن عامر بن مالك بن زغبة من العدنانية، انظر: كحالة: ٢/٥٦٦.

(٢) في الأصل شيئا، والتصحيح من (ك/١٨٤).

من سوسةَ إلى الحماماتِ إلى الجزيرةِ القبليةِ إلى تونسَ.

ويَليهم طائفةٌ من البربرِ من تونسَ إلى تَبِسَّةَ إلى بلدِ العُنَّابِ، قالَ: وهؤلاءِ من هوارةَ، ولهم أشياخٌ كثيرةٌ، ومرجعُهم إلى أولادِ حمزةَ والكعوب.

ويَليهم طائفةٌ أخرى زُراعٌ من البربرِ وألهاصةَ وشيخُهم صخرُ بنُ موسى.

ويليهم سَدْويكش، وبلادُهم من [قسنطينةَ][١] إلى بجايةَ، وشيخُهم عبدُ الكريمِ بنُ منديلٍ، وله اعتلاقٌ بخدمةِ السلطانِ أبي الحسن.

ويليهم في جبالِ زواوةَ بربرٌ من بني حسنٍ وزواوةَ.

ويليهم أرضُ متيجةَ، وسكانُها بنو عبدِ الوادِ أصحابُ تِلِمْسانَ <و>بنو عباد، وفرقةٌ تعرفُ بمَغْراوةَ، قال: ومَغراوةُ نحوُ ثلاثينَ ألفَ فارس.

(٧٥) ويليهم تجين، وهم بأرضِ تِلِمْسانَ على وادي شلف، قالَ: وكلُّهم من بني عبدِ الوادِ وهم من زناتةَ، ويليهم بافراطة من تِلِمْسان إلى فاس.

وأما مَسُّون فخاليةٌ من العربِ.

ويليهم من فاسٍ إلى مَرَّاكُشَ رياحٌ أيضاً، ثم المصامدةُ من مَرَّاكُشَ إلى البحرِ المحيطِ.

فهذا ما ذكره الشريفُ أبو عمرَ عبدُ العزيزِ الإدريسيُّ، وحدثني بذلك كلِّه في صفر سنةَ تسعٍ وأربعينَ وسبعِ مئة.

---

(١) في الأصل: قسطنطينية، وقد تقدم ذكرها بالاسم المثبت أعلاه عند المؤلف، ص١٣٩ .

‹ عربُ الطرقِ المسلوكةِ إلى مكةَ المكرمَة ›

وأما عربُ الطرقِ المسلوكةِ التي تتوجهُ فيها المحاملُ[١] إلى مكةَ المعظمةِ فقد ذكَرنا فيما تقدمَ أنها أربعةُ طرقٍ[٢] ولا تُقصَدُ مكةُ غالباً إلا منها.

وهي أربعُ جهاتٍ مصرَ ودمشقَ وبغدادَ وتَعزّ، وقد ذكرنا آنفاً من العُربانِ الذين بهذه الطرقِ من مُلاَّكِها ومن يتحكمُ عليهم إذا حلَّ بأرضهم كآلِ فضلٍ، وآلِ مِرا، وبني عُقْبَةَ مَن لم يكنْ بُدٌّ من ذكرِه فيما تقدمَ، ونحن الآنَ نسوقُهم طريقاً طريقاً، وفريقاً فريقاً فيكونُ أوضحَ، إذْ ذكرُ هذه الطرقِ وعُربانِها من المُهمِّ المُقدَّم.

‹ طريقُ الركبِ المصري ›

فأما طريقُ الركبِ المصريِّ فمنَ القاهرةِ[٣] إلى عَقَبةِ أيلَةَ لعائذ[٤]، ومن العقبةِ إلى الدأماءِ[٥] ما دونَ [عيونِ][٦] القصبِ[٥] لبني عُقبةَ[٧].

---

(١) يقصد محامل الحج.

(٢) كذا،ولم يسبق للمؤلف ان نصّ على ذكر هذه الطرق الأربع فيما تقدم من هذا الباب.

(٣) في القلقشندي (صبح ٤ / ٢٨٩): فمن بركة الحاج.

(٤) في المصدر نفسه: للعائذ من عرب الشرقية،والمقصود عائذ جذام،وقد تقدم ذكرهم ،ص٣٧٧

(٥) لم أهتد إلى تحقيقها فيما توفر لدي من المصادر.

(٦) ساقطة من الأصل والإضافة من القلقشندي،المصدر السابق.

(٧) هم بنو عُقبة بن محربة بن حرام من جذام ،وكان عليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة المنورة كما تقدم،ص٢٩٦ حاشية (٦)

ومن الدأماء إلى أكدى، وهي فمُ الضيقةِ(١) لبَلي(٢).

ومن أكدى إلى نما(١) وهي آخرُ الوَعَرات لجهينةَ(٣).

ومن نما إلى نهايةِ بَدْرٍ على الفَرْعاءِ(١) وإلى نهايةِ الصَّفراءِ(٤) على نَقْبِ(٥) عليٍّ لبني حَسنٍ(٦) أصحابِ اليَنْبُع(٧). ويليهم من أقاربِهم من بني حسنٍ أصحابُ بَدْرٍ إلى رَمْلةِ عالجٍ(٨) في طرفِ قاعِ [البَزْواءِ](٩).

ومن الصفراءِ إلى الجُحْفَةِ(١٠)، ورابغٍ(١١) لزُبَيْدِ الحجازِ(١٢).

---

(١) لم اهتد إلى تحقيقها فيما توفر لدي من المصادر.

(٢) هم بنو بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وقد تقدم ذكرهم، ص٢٤٥.

(٣) هم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة، وقد تقدم ذكرهم، ص٢٤٥.

(٤) الصفراء: قرية فوق ينبع مما يلي المدينة على ست مراحل منها، انظر: البكري: معجم ما استعجم ٣/٨٣٦، ياقوت: ٣/٤١٢، الحميري: ص٣٦٢ ابن بطوطة: ص١٢٨.

(٥) يجوز أن يكون هذا النقب هو المشار إليه في ابن بطوطة (ص١٢٨) باسم: شِعب علي عليه السلام.

(٦) هم بنو حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان لعلي كما يذكر ياقوت (٥/٤٤٩-٤٥٠) وقوف بينبع يتولاها ولده.

(٧) اليَنْبُع كما وصفها المقدسي (أحسن التقاسيم، ص٨٣) بقوله: «كبيرة جليلة حصينة الجدار، غزيرة الماء، أعمر من يثرب وأكثر نخيلاً...»، قلت: وهي غير ينبع الميناء المعروف المطل على البحر الأحمر.

(٨) في المصباح المنير: رَمْل عالج وهي فيه: "جبال متواصلة يتصل أعلاها بالدهناء والدهناء بقرب اليمامة، وأسفلها بنجد، حتى قال البكري رملُ عالجٍ يحيط بأكثر أرض العرب"، وقارن بياقوت ٤/٦٩-٧٠

(٩) في الأصل: البزوة، والبَزْواء: أرض بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار وودان، انظر: البكري: معجم ما استعجم ١/٢٤٨، ٣٥٦-٣٥٧، ياقوت: ١/٤١١.

(١٠) الجُحْفَة: هي ميقات أهل مصر والشام وإن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة، وكان اسمها مهَيْعة، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام، انظر: البكري: معجم ما استعجم ٢/٣٦٧-٣٧٠، ياقوت: ٢/١١١.

(١١) رابغ: واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة، انظر: البكري: معجم ما استعجم ٢/٦٢٥، ياقوت: ٣/١١.

(١٢) تقدم ذكرهم، ص٢٩٨.

ومن الجُحْفَةِ على قُدَيْدٍ[(١)] وما حولَها إلى [الثنيَّةِ المعروفةِ بعقبةِ السُّويق[(٢)] لسُليمٍ[(٣)] .
ومن الثنيَّةِ على خُلَيص[(٤)] إلى][(٥)] الثنيَّةِ المشرفةِ على عُسفَانَ[(٦)] للشريفِ جَسَّارٍ من بني حَسنٍ.
ومن الثنيَّةِ المشرقةِ على عُسْفَانَ إلى الفجِّ[(٧)]، وهو المسمى بالحاطبِ لبني جابرٍ[(٨)]، وهم في طاعةِ صاحبِ مكة المعظمة .
ومن الحاطب [إلى مكةَ][(٥)] لصاحبِ مكة المعظمةِ وبني حسن.

‹طريق الركب الشامي›

وأما طريقُ الركبِ الشامي . . .[(٩)]

---

(١) قديد: قرية قرب مكة سميت قديداً لتقود السيول بها، انظر: البكري: معجم ما استعجم ٣/١٠٥٤، ياقوت: ٤/٣١٣ .

(٢) عقبة السُّويق: على مسافة نصف يوم من خُليص، وكان الحجاج يقصدون شرب السُّويق بها، ويستصحبونه من مصر والشام برسم ذلك، ويسقونه الناس مخلوطاً بالسكر، انظر: ابن بطوطه: ص١٢٩ .

(٣) هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة، وقد تقدم ذكرهم، ص٢٧٣ .

(٤) خُليص: حصن بين مكة والمدينة، انظر: ياقوت: ٢/٣٨٧ .

(٥) ساقطة من الأصل، والإضافة من القلقشندي (صبح ٤/٢٩٠).

(٦) عُسفان: قرية كثيرة الآبار والحياض بينها وبين مكة (٤٩ ميلاً)، انظر: البكري: معجم ما استعجم ٣/٩٤٢-٩٤٣، الحميري: ص٤٢١، ابن بطوطة ص١٢٩-١٣٠

(٧) لم أقع له على ذكر فيما توفر لدي من المصادر.

(٨) لم أهتد إلى تحقيقهم فيما توفر لدي من المصادر.

(٩) قطع في الأصل، وفي (ك/١٨٨)، وقد قضى المؤلف دون أن يكمل هذا الباب على ما قدمنا في صدر هذا الكتاب.

١- فهرس المصادر والمراجع

١- المصادر

١- القرآن الكريم

ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٧ أجزاء

تحقيق: محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبد الوهاب فايد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٠-١٩٧٣م.

٣- الكامل في التاريخ ، ١٣ جزءاً

دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٥-١٩٦٧م.

ابن إياس : محمد بن أحمد المصري الحنفي (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)

٤- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٥ أجزاء ، ط٢+ ٣ أجزاء فهارس،ط١

تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٢-١٩٨٦م

ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله (ت بعد ٧٣٦هـ/ ١٣٦٦م)

٥- كنز الدرر وجامع الغرر

*الجزء الثامن: الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية.

تحقيق: أولرخ هارمان (O. Harmann)، القاهرة ، ١٩٧١م

ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

٦- رحلته "تحفة النظار في غرائب الأمصار"

دار صادر ، بيروت (لا . ت)

ابن تغري بردي: يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)

٧- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي

*الأجزاء : ١,٤طبعة جديدة، تحقيق : محمد محمد أمين، و نبيل محمد عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤-١٩٨٦م

٨- الدليل الشافي على المنهل الصافي ، جزءان

تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٩٨٣م

٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزءاً

الأجزاء ١- ١٢- دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩-١٩٥٦مالأجزاء ١٣- ١٦ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،والهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة١٩٧٠-١٩٧٢ م

ابن جبير : محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)

١٠- رحلته " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار "، ط٢

دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٦م

ابن حبيب : الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

١١- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، ٣ أجزاء

تحقيق : محمد محمد أمين ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ، ١٩٧٦-١٩٨٢م

ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

١٢- الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤ أجزاء

مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨هـ

١٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٥ أجزاء

تحقيق: محمد سيد جاد الحق ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م

ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)

١٤- جمهرة أنساب العرب

دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

ابن حنبل : الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)

١٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط٢

مؤسسة التاريخ العربي ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م

ابن حوقل : محمد بن علي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م)

١٦- صورة الأرض

منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

١٧- تاريخه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ، ٧ أجزاء ، ط١

تحقيق: تركي فرحان المصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

ابن خلكان : أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

١٨- وفيات الأعيان ، ٨ أجزاء

تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨-١٩٧٢م

ابن دقماق : إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م)

١٩- الانتصار لواسطة عقد الأمصار

تحقيق : كارل فوللرس (K. Vollers.)، ، أعادت تصويره دار الآفاق الجديدة، بيروت (لا . ت)

ابن الديبع : عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)

٢٠- بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد

تحقيق : عبد الله الحبشي ، مركز الدراسات اليمانية ، صنعاء ، ١٩٧٩م

٢١- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، ط٢

تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي ، (لا. م) ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م

٢٢- نشر المحاسن اليمنية في خصائص اليمن ونسب القحطانية

صنع: أحمد حموش ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ودار الفكر ، دمشق ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

ابن رافع : محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)

٢٣- الوفيات ، جزءان ، ط١

تحقيق: صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

ابن سعد : محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)

٢٤- الطبقات الكبرى ، ٩ أجزاء

دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

ابن سعيد المغربي: علي بن موسى بن محمد (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)

٢٥- الجغرافيا ، ط١

تحقيق: إسماعيل العربي ، المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٧٠م

٢٦- المُغرب في حلي المغرب ، جزءان ، ط٣

تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر

ابن شاكر : محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣م)

٢٧- عيون التواريخ

*الجزء العشرون، ط١ ، تحقيق فيصل السامر ، ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ م

٢٨- فوات الوفيات ، ٥ أجزاء ، ط١

تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٣م

ابن شاهين الظاهري: خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)

٢٩- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

نشره : بول راويس (P. Ravaisse)،المطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٨٩٤م

ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)

٣٠- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، ٤ أجزاء

طبع على هامش "الإصابة" المقدم ذكره لابن حجر العسقلاني

٣١- الإنباه على قبائل الرواة

تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ، وعائشة التهامي ، ومديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

ابن عبد ربه : أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)

٣٢- العقد الفريد ، ٧ مجلدات، ط١

دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

ابن عبد المجيد: عبد الباقي بن عبد المجيد اليمني (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م)

٣٣- بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، ط١

تحقيق: عبد الله محمد الحبشي ، دار الحكمة اليمانية ،صنعاء،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

ابن عذاري : أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)

٣٤- البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ٤ أجزاء

* الأجزاء: الثلاثة الأولى ، ط٣ ، تحقيق ومراجعة : ج. س. كولان (G. S. Colin)، وليفي بروفنسال.(L. Provencal)

*الجزء الرابع : تحقيق ومراجعة : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م

ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)

٣٥- تاريخ مدينة دمشق ، ٧١ جزءاً ، ط١

تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٦-١٤١٩هـ/١٩٩٦-١٩٩٨م

ابن العماد : عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

٣٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، ط٢

دار المسيرة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

ابن العميد : المكين جرجس (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)

٣٧- تاريخ المسلمين

*القسم الخاص بـ" أخبار الأيوبيين " ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (لا. ت)

ابن الفرات : محمد بن عبد الرحيم بن علي (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م)

٣٨- تاريخ الدول والملوك ، المعروف بـ" تاريخ ابن الفرات "

*الجزء الثامن ، تحقيق : قسطنطين زريق ، ونجلاء عز الدين ، منشورات الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٦-١٩٤٢م

ابن فضل الله العمري: مؤلف الكتاب

٣٩- التعريف بالمصطلح الشريف ، ط١

تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٤٠- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

*الباب السادس: في مملكة مصر والشام ، دراسة وتحقيق: دوروتيا كرافولسكي (D. Krawulsky)، المركز الإسلامي للبحوث ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م

*الباب الخامس عشر: في ذكر العرب (القبائل) ، المحققة نفسها ، المركز نفسه ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م

ابن قيس الرقيات: عبيد الله (ت مابين ٨٤-٨٧هـ/ ٧٠٣-٧٠٦م)

٤١- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات

تحقيق: عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، (لا. ت)

ابن كثير: إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)

٤٢- البداية والنهاية ، ١٤ جزءاً

مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٥١-١٣٥٨هـ

ابن المجاور : يوسف بن يعقوب بن محمد (ت ٦٩١هـ/ ١٢٩١م)

٤٣- تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) ، ط٢

نشره: أوسكر لوففرين (O. Lefevrin)، منشورات المدينة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م

ابن منظور:محمد بن مكرم بن علي(ت٧١١هـ/ ١٣١١م)

٤٤- لسان العرب،١٨جزءاً،ط١

باعتناء:أمين محمد عبد الوهاب،ومحمد الصادق العبيدي،دار إحياء التراث العربي،ومؤسسة التاريخ العربي ،بيروت ،١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

ابن هشام : عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)

٤٥- السيرة النبوية ، ٤ أجزاء

تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن

شقرون (لا. ت)

ابن الوردي : عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)

٤٦- تتمة المختصر في أخبار البشر ، جزءان ، ط١

تحقيق : أحمد رفعت البدراوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ/١٩٧٠م

أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)

٤٧- سنن أبي داود ، مجلدان ، ط١

دار الجنان، ومؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م

أبو شامة : عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)

٤٨- الذيل على الروضتين

نشره: السيد عزت العطار الحسيني باسم " تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين " ، القاهرة ، ١٩٤٧م

أبو الفدا : إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)

٤٩- تقويم البلدان

نشره : رينو (J. T. Reinaud) ودي سلان (M. C. De Slane)، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠م

٥٠- المختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء

المطبعة الحسينية بمصر ، ١٣٢٥هـ

الإدريسي : محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م)

٥١- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (لا. ت)

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة[لا.ت]

الأشرف الرسولي: عمر بن يوسف (ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)

٥٢– طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، ط٢

تحقيق: ك. ف. زترستين (K. W. Zettersteen)، منشورات المدينة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م

الأصبهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م)

٥٣– الأغاني ، ٢٤ جزءاً ، ط١

دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م

امرؤ القيس

٥٤– ديوان امرئ القيس ، ط١

دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

بامخرمة : الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)

٥٥– تاريخ ثغر عدن ، ط٢

نشره: علي حسن علي عبد المجيد ، دار الجيل ، بيروت ، ودار عمار ، عمان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م

البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)

٥٦– صحيح البخاري ، ٤ مجلدات ، ط١

دار الفكر ، بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩١م

البكري : عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

٥٧– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والبقاع ، ٤ أجزاء ، ط٣

تحقيق: مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

الجاحظ: عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)

٥٨– البيان والتبيين ، ٤ أجزاء

تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، ودار الفكر ، بيروت (لا . ت) .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م)

٥٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، جزءان

طبعة استانبول ، ١٩٤١م

الحسيني: محمد بن علي بن الحسن (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م)

٦٠- ذيل العبر - للذهبي ، ط١

نشره : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول مع "ذيل العبر-للذهبي" ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت ترجيحاً ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م)

٦١- الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط٢

تحقيق: إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠م

الخزرجي: علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)

٦٢- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، جزءان ، ط٢

عني بتصحيحه: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

دوقلة المنبجي

٦٣- القصيدة اليتيمة ، ط٣

تحقيق: صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٨٣م

الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

٦٤- سير أعلام النبلاء ، ٢٣ جزءاً ، ط١

باعتناء مجموعة من المحققين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

٦٥– العبر في خبر من عبر ، ٣ أجزاء متسلسلة + الجزء الرابع وهو:

٦٦– ذيل العبر

طبعا معاً بالإضافة إلى "ذيل العبر – للحسيني" المقدم ذكره

الزهري: محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٤١هـ/ ١١٥٤م)

٦٧– الجعرافية

محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (لا. ت)

زهير بن أبي سلمى

٦٨– شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، ط١

صنعة: أبي العباس ثعلب ، تحقيق: فخر الدين قباوة ، دار الآفاق ، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

٦٩– شعر زهير بن أبي سلمى ، ط٣

صنعة: الأعلم الشّنتمري ، المحقق نفسه ، الدار نفسها ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

سبط ابن الجوزي: يوسف بن قز أوغلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)

٧٠– مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، المجلد الثامن – قسمان ، ط١

دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١–١٩٥٢م

السبكي: عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)

٧١– طبقات الشافعية ، ٦ أجزاء

نشره : أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني ، المطبعة الحسينية ، القاهرة، ١٣٢٤هـ

السموأل : ابن غريض بن عادياء

٧٢– ديوان السموأل بن عادياء ، ط١

عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

السيوطي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

٧٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جزءان

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٤-١٩٦٥م

٧٤- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جزءان ، ط١

المحقق نفسه، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧-١٩٦٨م

الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)

٧٥- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، جزءان ، ط١

مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٤٨هـ

الصفدي : خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)

٧٦- الوافي بالوفيات

منشورات جمعية المستشرقين الألمان، ١٩٣١-١٩٨٢م

الصقاعي : فضل الله بن أبي الخير (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)

٧٧- تالي كتاب وفيات الأعيان

تحقيق : جاكلين سوبلة (J. Sublet)، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق، ١٩٧٤م

الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)

٧٨- تاريخه " تاريخ الرسل والملوك" ، ط٤

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر (لا. ت)

العلوي : علي بن محمد بن عبد الله العباسي

٧٩- سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، ط٢
تحقيق: سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

عنترة بن شداد

٨٠- ديوان عنترة العبسي
نشره: عمر فاروق الطباع ، دار القلم ، بيروت ، (لا. ت)

الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م)

٨١- القاموس المحيط،مجلد واحد،ط٤
بإشراف :محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة،بيروت،١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

الفيومي :أحمد بن علي(ت ٧٧٠هـ/ ١٣٧٠م)

٨٢- المصباح المنير،جزءان
المكتبة العلمية ،بيروت(لا.ت)

القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

٨٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الجزء ١٤ ، ط١
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

٨٤- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان
تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

٨٥- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ط١
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م

لسان الدين : محمد بن عبد الله بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)

٨٦- الإحاطة في أخبار غرناطة ، ٤ مجلدات ، مج١ ط٢ ، مج٢-٤ ، ط١
تحقيق: محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٣-١٩٧٧م

٨٧- اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، ط٣
دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠

٨٨- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار
تحقيق: محمد كمال شبانة ، مطبعة فضالة بالمحمدية ، المغرب (لا. ت)

المبرد : محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)

٨٩- الكامل ، ٤ أجزاء ، ط٢
تحقيق: محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

المتنبي : أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)

٩٠- ديوان أبي الطيب المتنبي ، مجلدان ، ط١
بشرح الشيخ ناصيف اليازجي دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩٦م

المخلافي: عبد الفتاح بن محمد (القرن العاشر الهجري / السابع عشر الميلادي)

٩١- مرآة المعتبر في فضل جبل صبر ، ط١
محمد بن علي الأكوع،المعمل الفني للطباعةوالتجليد، تعز،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

المرزباني: محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)

٩٢- معجم الشعراء
تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، منشورات مكتبة النوري ، دمشق ، (لا. ت)

المسعودي : علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)

٩٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء
دار الأندلس ، بيروت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

٩٤- صحيح مسلم بشرح النووي ، ٦ مجلدات ، ط١
تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي ، دار الخير ، دمشق ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

المقدسي : محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

٩٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣
مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م

المقري : أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

٩٦- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ٨ أجزاء
تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٨٦م

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)

٩٧- السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٤ أجزاء
*الجزءان الأول والثاني : (٦ أقسام) ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤-١٩٥٨م
*الجزءان الثالث والرابع : (٦ أقسام)، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، الدار نفسها ، ١٩٧٠-١٩٧٢م

٩٨- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان
طبعة بولاق ، ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م

المنصوري : بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)

٩٩- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، جـ ٩
ميكروفيلم عن مخطوط مكتبة المتحف البريطاني ، رقم : Add. 23325

الميداني : أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م)

١٠٠- مجمع الأمثال ، ٤ أجزاء
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي وشركاه، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

النسائي : أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)

١٠١- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي ، ٤ أجزاء ، ط٣
دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

نشوان : ابن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)

١٠٢- ملوك حمير وأقيال اليمن
تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد ، وإسماعيل بن أحمد الجرافي ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٦م

الهمداني : الحسن بن أحمد (ت بعد ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م)

١٠٣- صفة جزيرة العرب
تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٧٤م

الهيثمي : علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م)

١٠٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
دار المعارف ، بيروت ، ١٩٨٦م

وهب بن منبه (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م)

١٠٥- التيجان في ملوك حمير ، ط٢

تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م

اليافعي : عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م)

١٠٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ٤ أجزاء

دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٣٧- ١٣٣٩هـ

ياقوت : الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

١٠٧- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، ط٢

عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

١٠٨- معجم البلدان ، ٥ أجزاء

دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

يحيى بن الحسين: (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م)

١٠٩- أنباء الزمن في أخبار اليمن

تحقيق: محمد عبد الله ماضي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (لا. ت)

اليونيني : موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)

١١٠- ذيل مرآة الزمان ، ٤ مجلدات

*بعناية : ف. كرنكو (F. Krenkow)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٧٤-١٣٨٠هـ/١٩٥٤-١٩٦١م (يمثل هذا القسم المطبوع الجزأين الأول والثاني)

*مصورة مكتبة طوب قابي سراي باستنبول رقم:Ms. 2907 عن الجزأين الثالث والرابع من " الذيل " المذكور.

٢- المراجـع

آ- الكتب

ابن العربي : الصديق

١١١- كتاب المغرب ، ط٣

دار الغرب الإسلامي ، ودار الثقافة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

أبو سديرة : السيد طه

١١٢- القبائل اليمنية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الأموي

مكتبة الشعب بالفجالة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨

أحمد : محمد عبد العال

١١٣- بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما

دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م

بروفنسال : ليفي (Provencal, L)

١١٤- الإسلام في المغرب والأندلس

ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ، ومحمد صلاح الدين حلمي،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،١٩٩٠م

البقلي : محمد قنديل

١١٥- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م

حسين : حمدي عبد المنعم محمد

١١٦- تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين
مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م

١١٧- مدينة سلا في العصر الإسلامي - دراسة في التاريخ السياسي والحضاري
المؤسسة نفسها، الإسكندرية ، ١٩٩٣م

دهمان : محمد أحمد

١١٨- ولاة دمشق في عهد المماليك ، ط٢
دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

دوزي: رينهارت بيتر آن (Dozy, R. P. A.)

١١٩- تكملة المعاجم العربية ، ٥ أجزاء
ترجمة : محمد سليم النعيمي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١م

الزركلي : خير الدين

١٢٠- الأعلام ، ٨ أجزاء ، ط٥
دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م

سالم : السيد عبد العزيز

١٢١- تاريخ مدينة المرية الإسلامية - قاعدة أسطول الأندلس
مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م

١٢٢- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ط٢
المؤسسة نفسها ، الإسكندرية ، ١٩٨٢م

١٢٣- المساجد والقصور في الأندلس
المؤسسة نفسها ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م

سعيد : فرحان أحمد

١٢٤- آل ربيعة الطائيون ، ط١

الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٣م

السويدي : محمد أمين البغدادي

١٢٥- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ط١

دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

الشجاع : عبد الرحمن عبد الواحد

١٢٦- تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ط١

دار الفكر المعاصر ، صنعاء ، ١٩٩٦م

شرف الدين : أحمد حسين

١٢٧- اليمن عبر التاريخ ، ط٣

مطابع البادية ، الرياض ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

طرخان : إبراهيم علي

١٢٨- النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى

دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

عاشور : فايد حماد

١٢٩- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى

دار المعارف بمصر ، ١٩٨٠م

العبادي : أحمد مختار

١٣٠- في تاريخ الأيوبيين والمماليك

دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٥م

١٣١- في تاريخ المغرب والأندلس

الدار نفسها ، بيروت (لا . ت)

العباس بن إبراهيم

١٣٢- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، ١٠ أجزاء

تحقيق: عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٧٤- ١٩٨٣م

عبد اللطيف : عبد الشافي محمد

١٣٣- العالم الإسلامي في العصر الأموي ، ط١

دار الوفاء ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

العرشي : حسين بن أحمد

١٣٤- بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام

عني بنشره: أنستاس ماري الكرملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (لا . ت)

كحالة : عمر رضا

١٣٥- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ٥ أجزاء ، ط٢

مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٨م/١٩٧٨م

كرد علي : محمد

١٣٦- غوطة دمشق ، ط٣

دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

ماير : ل . ا. (Mayer, L. A.)

١٣٧- الملابس المملوكية

ترجمة: صالح الشيتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م

مختار باشا : محمد

١٣٨- التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية ، مجلدان ، ط١

دراسة وتحقيق وتكملة : محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

مخلوف: محمد بن محمد

١٣٩- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (لا . ت)

١٤٠- المعجم الوسيط،جزءان في مجلد واحد

(مجمع اللغة العربية بالقاهرة–الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)

دار الدعوة ،إستانبول ١٩٨٩م .

المقحفي: إبراهيم أحمد

١٤١- معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ط٣

منشورات دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٩٨م

الواسعي : عبد الواسع بن يحيى

١٤٢- تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ط٢

مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٩٠-١٩٩١م

ب- المجلات

١٤٣- المجلة التاريخية المصرية (القاهرة) :

أحمد :أحمد عبد الرزاق

« الرنوك في عصر سلاطين المماليك »المجلد ٢١(١٩٧٤م)،ص٦٧-١١٦

القوصي :عطية

-« أضواء جديدة على تجارة الكارم »المجلد ٢٢(١٩٧٥م)،ص١٧-٣٩

ج- الموسوعات ودوائر المعارف

١٤٤- دائرة المعارف الإسلامية ، ١٥ مجلداً
(إصدار : أحمد الشنتاوي ، وابراهيم خورشيد ، وعبد الحميد يونس ، مراجعة : محمد مهدي علام ، دار المعرفة ، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة القاهرة ، لسنة ١٩٣٣م) :

ايفر : ج (Yver, G.)
- مادة " بجاية " ، ٣/ ٣٥٠-٣٥٤

بارتولد : فاسيلي فلاديميروفتش (Berthold, V. V.)
- مادة " البرامكة " ، ٣/ ٤٩٢-٤٩٨

بل : الفرد (Alfred, B.)
- مادة " تلمسان " ، ٥/ ٤٥٨

جيس : (Gicse, F.)
- مادة " بهَنْسا " ، ٤/ ٢٦٧-٢٦٨

كارادي فو : البارون (Carr De Vaux, B.)
- مادة " ذو النون " ، ٩/ ٤٠٨-٤١٠

كريفه : (Grafe, E.)

-مادة " دُنقُلة " ، ٩/ ٢٩٨-٣٠١

كور : (Cour, A.)

- مادة " **أبو زيان** " ، ١/ ٣٤١-٣٤٢

هنكمان : (Honigmann, E.)

- مادة " **الرَّحبة** " ، ١٠/ ٧١-٧٩

١٤٥- الموسوعة العربية الميسرة ، ط٢

(بإشراف محمد شفيق غربال ، دار الشعب ، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م):

- مادة "نُوبة" ، ص١٨٥١-١٨٥٢

١٤٦- الموسوعة اليمنية ، ط١

(إعداد وإشراف وتحرير مجموعة من الباحثين ، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م):

الأرياني : مطهر علي

- مادة " أفعى نجران " ، ١/ ١٢١

- مادة " مَذْحِج " ، ٢/ ٨٥٠-٨٥١

أستون : فرانسين

- مادة " تهامة " ، ١/٢٨٦-٢٨٩

السري : أحمد علي

-مادة " الغساسنة " ، ٢/٧٠٦-٧٠٧

عبد الله : يوسف محمد

-مادة " تبع " ، ١/ ٢٢٠-٢٢١

-مادة " تعز " ، ١/ ٢٤٠-٢٤٢

-مادة " حمير " ، ١/ ٤٢٤-٤٢٧

-مادة " سبأ " ، ٢/ ٥٠٣-٥٠٨

العمري : حسين عبد الله
-مادة " بنو رسول " ، ١/١٧٣-١٧٦
-مادة " دولة الأئمة الزيدية " ، ١/٤٤٧-٤٥٩

المتوكل : إسماعيل محمد
-مادة " القات " ، ٢/٣٣-٧٣٥

فهرس المحتويات

هـذا الكتاب 5

منهج التحقيق 9

١- وصف النسخ المعتمدة في التحقيق 9

٢- خطة العمل 13

٣- الرموز المستعملة في التحقيق 17

٤- المختصرات الخاصة ببعض المؤلفين أصحاب الكتب المفردة وغيرهم 19

٥- نموذجات مصورة عن النسختين المعتمدتين في التحقيق 21

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

السفر الرابع

الباب السابع : في مملكة اليمن 29

الفصل الأول : فيما بيد أولاد رسول 35

الفصل الثاني : فيما بيد الأشراف 49

الباب الثامن : في ممالك المسلمين بالحبشة 59

الفصل الأول : في أوفات 65

الفصل الثاني : في دوارو 73

الفصل الثالث :في أرابيني 75

الفصل الرابع : في هدية 77

الفصل الخامس : في شرحا 79

الفصل السادس : في بالي 81

الفصل السابع : في دارة 83

الباب التاسع : في ممالك مسلمي السودان على ضفة النيل إلى مصر 93

الفصل الأول :في الكانم 95

الفصل الثاني : في النُّوبة 99

الباب العاشر : في مملكة مالي وما معها 105

الباب الحادي عشر : في مملكة جبال البربر 131

الباب الثاني عشر: في مملكة إفريقيَّة 135

الباب الثالث عشر: في مملكة بر العُدْوة 167

الباب الرابع عشر: في مملكة الأندلس 225

الباب الخامس عشر: في ذكر العرب الموجودين في زماننا وأماكنهم 241

توطئة 243

العرب البائدة 247

العرب العاربة 248

العرب المستعربة 267

ذكر النسب النبوي الشريف 269

طوائف العرب الموجودين في زماننا: 299

عرب الشام: 299

آل ربيعة 306

آل فضل ومنهم آل عيسى 309

آل علي 335

آل مِرا 337

*بقية العرب وديارهم في الشام والجزيرة الفراتية والعراق والحجاز وغيرها

من جزيرة العرب 343

*صليبة العرب 358

*عرب مصر 360

*بنو سليم 389

* قبائل العربان من مصر إلى أقصى المغرب 390

*عرب الطرق المسلوكة إلى مكة المكرمة 395

١ – فهرس المصادر والمراجع 399

– المصادر 399

– المراجع 417

٢ – فهرس المحتويات 427